

من فيض الامداد بشرح

ابيات القطب عبد الله بن علوي الحداد

تأليف العلامة الاديب الحسيب النسيب الحبيب

سيدي السيد احمد بن ابي بكر بن سميط

العلوي الحضرمي

نفعنا الله بهما آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

من تمام توفيق الله تعالى اعادة طبع هذين الكتابين. كتاب منهل الوارد من فيض الامداد. للسيد احمد بن ابي بكر بن سميط العلوى. شرح أبيات القطب عبدالله بن علوي الحدادالعلوي الحضرمي. وشرح القصيدة العينية المنسوبةللسيد عبدالله المذكور. للسيدالشريف الحبيب احمد بن زين الحبشي باعلوي. وذلك في حلب الشهباء في المطبعة العصريةعام ١٣٩١هـ. وقد كانامطبوعين في مكة المكرمةسنة١٣١٥هـ.

والطبع الثاني كان على نفقة البررة المحسنين المولعين في نشر احكام رب العالمين وسنة سيد المرسلين فجزاهم الله خير الجزاء، ولقد وكل إلي الاشراف على طبع الكتابين العظيمين. فاستعنت باللهالعظيم. واستدركت الخلل الذي هو واقع في الطبعة الاولى من عدم تشكيل الحرف الذي ينبغي تشكيله. وعدم الفواصل مما جعل الكتاب في تشويش لقارئه لايدري اول العبارة من آخرها. ولم آل جهداً في ذلك والله المستعان وعليه التكلان. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون. وغفل عن ذكره الغافلون.

الناشر والمصحح
بكري عبده رجب
البابي الحلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله الواحد الاحد ، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد وعلى الآل والصحابة ، والاتباع والقرابة ...

أما بعد : فقد بعث الينا فضيلة الاستاذ السيد احمد بن مشهور الحداد بترجمتين عظيمتين للسيدين احداهما للسيد الامام احمد بن أبي بكر سميط مؤلف منهل الوراد ، والثانية للسيد الامام احمد بن زين الحبشي مؤلف النفحات السرية كلاهما شرحان على قصيدتين للسيد عبدالله بن علوي الحداد . وهاتان الترجمتان حافلتان بما للسيدين من مآثر مقدسة .

ولما كان الطبع يخضع لنظام قانوني ومراقبة وكانت الترجمتان فيها إطالة أجيز لنا مااختصرناه وأثبتناه وافياً بالمقصود مع الاعتذار ، فقال السيد احمد المذكور حفظه الله مقدماً ترجمة السيد احمد بن أبي بكر بن سميط مؤلف منهل الوراد مستهلاً كلامه باختصار :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه ومن والاه .

وبعد ... فان من واجب رعاية مقام العلم واكرام أهله صيانته وتوقيره في النفوس وعرفان قدر حملته وما قدموا الى الامة من ذخائر ومؤلفات أسهروا في تأليفها ليلهم ، وأجهدوا قرائحهم ، ولا يشكر الله من لايشكر الناس ، وهانحن أمام كتاب عظيم ، وهو منهل الوراد على شرح قصيدة للسيد عبدالله بن علوي الحداد فالشارح لها هو الحبيب احمد بن ابي بكر بن عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد بن زين ابن علوي بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد سميط بن علي بن عبدالرحمن بن احمد بن

علوي بن الفقيه احمد بن عبدالرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيدالله بن احمد المهاجر بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن امير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها بنت سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ ميلاده ﴾

قال والده الحبيب أبو بكر بن عبدالله كان ميلاده في جزيرة أنجزيجه يوم الخميس لخمس خلت من رجب سنة (١٢٧٧) هـ وتفاءلنا بتاريخه فوافق (ظهر العالم) وقد كان بشر به قبل وجوده بنحو عشرين سنة الحبيب القطب احمد بن عمر ابن سميط ، قال سيولد لك ولد يكون سميي وفي خده شامة ، فكان كلما ولد له ولد تلمح فيه العلامة حتى وجدها في صاحب الترجمة ، فسماه اغتناماً للاشارة وتوفي عام (١٢٩٠) هـ . وصاحب الترجمة في الثالثة عشر من عمره ، وقد تلقى طرفاً صالحاً من مباديء علوم الدين ، وتردد الى سيون وتريم وأخذ بها عن كثير من العلماء وصحب جماعة من العارفين ، واستجاز كثيراً من مؤلفاتهم ومن بركاتهم ، فمن أجلتهم الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي وغيرهم من العلماء الاعلام ثم عاد الى زنجبار ، وما زال يزداد علماً حتى طلبه السلطان برغش لقضاء زنجبار ، ثم تاقت نفسه الى السياحة في عام (١٣٠٣) فدخل الاستانه واتصل بالسلطان عبد الحميد فقلده النيشان المجيدي لما عرف فضله وتردد الى الازهر وقصد مكة واخذ عن علمائها ـ منهم السيد العلامة العارف بالله حسين بن محمد الحبشي ـ ودخل جاوه والهند ثم عاد الى زنجبار وتولى القضاء ثانياً بعد موت السلطان ، وانتهت اليه رياسة العلم في اقطار السواحل .

﴿ تلاميذه ﴾

اما تلاميذه فأفريقيا الشرقية من اقصاها الشمالي الى اقصاها الجنوبي

مدينة لتلامذته العلمية والصوفية ، فمنهم ولده الحبر عمر بن احمـــد قاضي زنجبــار ومفتيها والعلامة المحقق الشيخ عبدالله بن محمد باكثير وغيرهما ممن لايحصون عدة وغير هؤلاء في الاقطار الاخرى .

﴿ علومه ومعارفه ﴾

وأما علومه ومعارفه التي اكرمه الله بها فله اليد الطولى في جميع علوم الاسلام وقد ذكره تلميذه العلامة الشيخ عبدالله بن محمد باكثـــير في رحلته الى حضرموت وأثنى عليه ثناء عاطراً ، وقد ذكره كذلك الحبيب علي الحبشي .

﴿ مؤلفاته ﴾

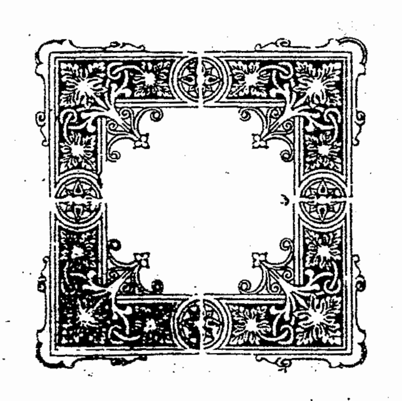
نظراً لطول مدته في القضاءماينوف عن اربعين سنة ، فقد تمكن من التأليف واظهار كتب قيمة منها هذا الكتاب منهل الوراد ، ومنهــا تحفـــةالاديب والكوكب الزاهر ومنهاج الفضائل وحاشية على فتح الجواد وحاشية على النصائح الدينية ، وشرح قصيدة النابلسي ، وله شروح صغيرة وتعليقــات على كلام القوم وفتاوي منتشرة ، وتعليق لطيف على بعض معاني صيغة صلاة للحبيب عــلي الحبشي وشرح لطيف على اصطلاح الامام النووي .

﴿ اخلاقه وجوده ﴾

قد اتسعت له الاخلاق الكريمة من اطرافها من حـــلم وكرم وتواضع وصبر واحتمال واعراض عن الجهال ، أما كرمه وايثاره ومواســاة ذوي الحاجات واكرام الضيف وتأهيل الغرباء ، واصلاح ذات البين فشيء يستدعي بسطاًلاتحتمله هذه النبذة من الترجمة ، وأوقاته مشغولة بطاعات الله مع كمال الاستقامة والزهد والورع والقيام بحق الله عز وجل .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في يوم الاحد الثالث عشر من شوال عام (١٣٤٣) هـ بزنجبار . وشيع الى مدفنه جانب مسجد الجامع بحي مالندي في جموع كثيرة . وشيدت قبة باهرة النور على ضريحه الذي تكثر فيه الزوار .

وقد خلفه ولده الحبيب عمر بن احمد بن سميط الذي باشارته طبع هذين الكتابين على ضوء السراج ، وهو مقيم الآن في بلد مروني من جزائر القمر .





الحمد لله الذي شرح صدور المذعنين لتوحيده من كمل العباد . وأوضح مباهج مناهج السعادة بدعوة أئمة الارشاد فطوبى لمن اهتدى بأنوارهم الهادية لمن ضل عن منهج الرشاد . وصرف همه الى الاستعداد ليوم المعاد . أحمده بجميع المحامد كلها . واشكره على جميع نعمه دقيقها وجليلها . واشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له الفرد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد . واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث الى كل البرية أول شافع في الميعاد . وأفضل داع دعا الى سبيل الرشاد . وأعظم زاهد تأكد زهده عن زهرة الحياة الدنيا . وأبصر ناقد أسس مقاماته في الحضيرة العليا . صلى الله عليه وعلى آله ينابيع الفضل ومنابع العرفان . وعلى أصحابه الذين سبقونا بالايمان . والتابعين لهم وتابعيهم باحسان .

أما بعد .. فان القصيدة الرائية الوصية نسيجة العلامة الشهير . والقطب الفرد المنير . شيخ شيوخ الطريقة . الجامع بين الشريعة والحقيقة . من لايحصى مناقبه التعداد . السيد الشريف العلوي الحسيني عبدالله بن علوي الحداد . نفعنا الله وبعلومه من احسن منظوم فاق تحريراً ومبنى . ومن ابدع موزون رق لفظاً وراق معنى . ولما كان فيها من العلوم الدينية مايحتاج اليه كل ناسك . ومن الوصايا الايمانية مالا يستغنى عنه كل مريد وسالك . بادرت الى استكشاف ماتضمنته مبانيها . وطفقت أنزه الطرف في رياض معانيها . فتحركت مني الهمة القلبيه . وساعدتني الاقدار الالهية . الى وضع شرح لها يوضح معانيها الفائقة على عقود الجمان . ويسفر بقدر الاستطاعة وحسب البضاعة عن لثام البيان . وقد عن لي فيه توسيع دائرة الغرض في الكلام . وايراد مايستحسن ايراده من كل مايناسب للمقام . وليس لي فيه الا الاعتراف من بحار

السادات العارفين . والارتشاف من مواردهم التي هي غنية للطالبين . والاخذ من رياض اسفارهم التي يجتنى ثمارها كل لبيب . ويقتني درر اسلاكها كل منيب .والارض من كأس الكرام نصيب . ومن تشبه بقوم فهو منهم ومن احب قوماً فهـــو مندرج في سلكهم :

أحب الصالحين ولست منهم   لعلي ان أنال بهم شفاعة
واكره من بضاعته المعاصي   وان كنا سواء في البضاعة

ولم أثبت بحمد الله في هذا الشرح الا ما كان في كتب الشرع محرراً ، وعند اهل الحق مقبولاً مقرراً وسميته :

﴿ بمنهل الوراد — من فيض الامداد ﴾

بشرح ابيات القطب الحداد راجياً من الله الجواد ان يوردني من موارد الصفا ورداً هنياً. ويجعلني ممن سالك في ابتغاء مرضاته صراطاً سوياً واني سائل ممن ذكت فطنته وفهم المراد أن يبادر لاصلاح ماعسى يجده من الفساد وليغضض عما يلفيه من القصور فان الانسان محل النسيان والتقصير:

ومن المحال بان ترى احداً حوى   كنه الكمال وذا هو المتعذر

(وفي ذلك شعر)

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى المرء فخراً أن تعد معايبه

ومن الله استمد العون والتوفيق والهداية الى اقوم طريق . وأن يمن علي بحسن الختام والفوز بشهوده في دار السلام انه ذو الفضل والانعام (ولنفتتح هذا التأليف) بالكلام فيما يتعلق بالبسملة الشريفة اداء لواجب حقها واقتداء بالقرآن العظيم في افتتاحه بها كسائر الكتب المنزلة كما يدل عليه قوله ﷺ (بسم الله الرحمن

الرحيم فاتحة كل كتاب) قال جلال الدين الحافظ الشيخ عبدالرحمن السيوطي رحمه الله تعالى نقلاً عن العلامة أبي بكر التونسي أجمع علماء كل امة ان الله افتتح كل كتاب ببسم الله الرحمن الرحيم وأنزلها على آدم عليه الصلاة والسلام ولذلك جرى بعضهم على انها ليست من خصوصيات هذه الامة .

ويدل مافي سورة النمل من قوله سبحانه وتعالى حكاية عن سليمان عليه الصلاة والسلام في كتابه الذي ارسله لبلقيس (انه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) والمختص بهذه الامة انما هو اللفظ العربي على هذا الترتيب وعلى هذا يحمل قول من قال انها من خصوصيات هذه الامة وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم (كل أمر ذي بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر) وفي رواية فهو أجذم وفي رواية فهو اقطع .

والكلام على الروايات كلها مبني على التشبيه البليغ وهو ماحذف منه اداة التشبيه ووجه الشبه والمعنى فهو كالابتر الذي هو مقطوع الذنب أو كالاجذم الذي هو من ذهبت أنامله من الجذام او كالاقطع الذي هو مقطوع اليد . وعلى كل فوجه الشبه مطلـــق النقص وان كان في المشبه به حسيا وفي المشبه معنوياً ، او من باب الاستعارة المصرحة على الخلاف بين الجمهور والسعد في نحو زيد أسد حيث قال الجمهور يجب ان يكون من باب التشبيه البليغ ولا يجوز ان يكون من باب الاستعارة لانه يجمع فيها بين طرفي التشبيه أعني المشبه والمشبه به وجـــوز السعد ذلك ومنع لزوم الجمع بين الطرفين بجعل المشبه الرجل الشجاع وهو غير مذكور في التركيب والمذكور انما هو فرد من افراده وهو زيد (واعترض) بأن بين الخبرين تعارض فكيف يمكن العمل بهما وأجيب بأجوبة اشهرها ان الابتداء نوعان حقيقي واضافي فالحقيقي هو الابتداء بما تقدم أمام المقصود ولم يسبقه شيء والاضافي هـو الابتداء بما تقدم أمام المقصود وان سبقه شيء فبينهما العموم والخصوص المطلق فحمـل خبر البسملة على النوع الاول وخبر الحمدلة على الثاني . ومنها ان الابتداء امر ممتد من الاخذ في التأليف الى الشروع في المقصود فكل ماتقدم من البسملة والحمدلة والصلاة والسلام

على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الشروع في المقصود يصدق عليه ابتداء وان تقدم بعض منه على بعض . ومنها ان شرط التعارض تساوي الحـــديثين في الصحة وليس الامر كذلك لان حديث البسملة أصح فيقدم العمل به ومنها ان محل التعارض اذا لم يكن هناك مطلق كما هنا فانه ورد كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله الخ .. والاحمل المقيد على المطلق . وكل من البسملة والحمدلة ذكر فصح الابتداء بهما . ولا يقال ان القاعدة عند الاصوليين وغيرهم عكس ذلك وهو حمل المطلق على المقيـد اي يقيد المطلق بالقيد المذكور في المقيد كما في آيتي الظهار والقتل .

فقد قال الله تعالى في آية القتل (فتحرير رقبة مؤمنة) وقال في آية الظهار (فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا) اطلق الرقبة ولم يقيدها بالمؤمنة فحملهـــا العلماء على آية القتل . وقيدوا الرقبة بكونها مؤمنة لان ذلك مشروط بكون المقيد واحداً فقط بخلاف ماذا كان المقيد متعدداً وتغايرت القيود كما هنا . إذ لا جائز ان يحمل المطلق على الكل لتنافي القيود فلا يمكن اجتماعها ولا ان يحمل على واحد دون الآخر لما فيه من التحكيم والترجيح بلا مرجح فوجب الرجوع الى المطلق وهو خبر (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله) وذكر الله صادق على البسملة والحمـدلة (ثم ان البسملة) تشتمل على الفاظ خمسة الاول الباء وهي متعلقة بمحذوف فاما ان يقدر اسماً أو فعلا خاصاً او عاماً مقدماً او مؤخراً . والاولى ان يقدر فعلا خاصاً مؤخراً كأن يقال التقدير بسم الله اؤلف اما كونه مؤخراً فلان اسم الله تعالى احق بالتقديم لتقدمه في الوجود على سائر الاشياء ولافادة الحصر عنـد النحويين والقصر عند عند البيانيين . وانما كان متعلق البسملة محذوفاً لكثرة الاستعمال ولفهم المعنى بدون ذكره ولان المقصود المتعلق بالكسر بدليل قول العلامة السعد في المطول نقلا عن دلائل الاعجاز للشيخ عبدالقاهر الجرجاني . مامن كلام زيد على مجـــرد اثبات الشيء للشيء او نفيه عنه الا وهو الغرض والمقصود من الكلام انتهى . ثم ان الباء اما للمصاحبة على وجه التبرك وتصح للاستعانة . ولا مانع من الاستعانة فيه باسمه تعالى كما يستعان بذاته . قال بعضهم الاولى جعلها للمصاحبة لان جعلها للاستعانة فيه

اساءة أدب (الثاني) من الفاظ البسملة الاسم وهو مشتق من السمو عند البصريين وهو العلو لانه رفعة المسمي فهو يعلى مسماه ويظهره وهو من الاسماء التي حذف اعجازها كيد ودم اذ اصلهما يدي ودمو فحذفت الياء والواو اعتباطاً اي لا لعلة. ونقل الاعراب الى الدال والميم وكذلك اسم وأصله عند البصريين سمو بكسر اوله وسكون ثانيه فأريد تخفيفه في الطرفين اعني آخره واوله لكثرة الاستعمال فحذفوا آخره وسكنوا اوله وجيء بهمزة الوصل عوضاً عن الواو المحذوفة وتوصلا الى النطق بالساكن . وخصت الهمزة لقوتها وكونها من ابتداء المخارج وأقصاها لانها من اقصى الحلق مما يلي الصدر (الثالث) لفظ الجلالة وأصله اله كامام مشتق من أله كعلم اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته فيكون الاله بمعنى المتحير فيه اي في معرفته . وقيل من أله كعلم ايضاً اذا فزع من امر نزل عليه فيكون اله بمعنى المفزع والملجأ والمجير لانه يجير حقيقة العائذ بالنسبة للاله الحق ويجير بزعم من اتخذه الها ان كان باطلا وقيل انه مشتق من اله الى فلان كعلم ايضاً اذا سكن اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح الى معرفته وقيل من أله الفصيل كعلم ايضاً اذا أولع بامه بصيغة البناء للمجهول اي اغري بها والتجأ اليها لان الخلق يولعون بالتضرع اليه في الشدائد وعلى كل ففيه ستة اعمال الاول ادخلوا عليه الالف واللام فصار الاله . والثاني حذفوا الهمزة طلباً للخفه فصار الله . والثالث نقلوا حركتها الى اللام فصار اللاه . والخامس ادغموا الاولى في الثانية للتسهيل فصار الله مرققاً . والسادس فخموها للتعظيم فصار الله . وهو علم على الذات الواجب الوجود ، ولذا كان اسم الله الاعظم عند الجمهور . واختار النووي انه الحي القيوم وعدم الاجابة عند الدعاء به لاكثر الناس لعدم استجماعهم بشروط الاجابة التي منها بل أعظمها اكل الحلال قال بعض العارفين كلمة الله ثلاثة احرف الف ولام وهاء . فالالف اشارة الى قيام الحق بذاته تعالى وانفراده عن مصنوعاته فان الالف لاتعلق لها بغيرها . واللام اشارة الى انه تعالى مالك لجميع المخلوقات . والهاء اشارة الى انه تعالى هادي من في السموات ومن في الارض ، قال تعالى : (الله نور السموات والارض مثل نوره)

الآية . وقال الشيخ حسن الكفراوي في رسالته المسماة بالدر النظيم في فضل بسم الله الرحمن الرحيم ، كلمة الله اربعة احرف خطا همزة ولامان وهاء . فالهمزة مخرجها أقصى الحلق . واللام مخرجها طرف اللسان . والهاء اقصى الحلق ايضاً . ففيها ذكر اشارة الى حالة عجيبة وهي ان العبد يبتدىء من اول حالته التي هي صفة الفكرة والجهالة ولا يزال يترقى شيأ فشيأ في مقامات العبودية حتى اذا وصل الى مراتب الوسع والطاقة ودخل في عالم المكاشفة والانوار الالهية ، أخذ يرجع شيأ فشيأ الى ان ينتهي الى مقامات الحق الذي هو اشارة الى ماقبل النهاية والرجوع الى المبدأ . كما ان اقصى الحلق مبدأ التلفظ بالحروف ثم لا يزال يترقى شيأ فشيئاً الى ان يصل الى طرف اللسان ثم يعود الى موضعه وهو داخل الحلق ومحل الروح فتدبر (الرابع والخامس) الرحمن الرحيم صفتان مشتقان من رحم المتعدى بعد نقله الى اللازم . بنيتا للمبالغة لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالباً ومن غير الغالب كحذر للكثرة وحاذر للقلة . ولم يسم بالرحمن غير الله وتسمية اهل اليمامة مسيلمة الكذاب رحمان تعنت في الكفر . وهما من الرحمة بمعنى الاحسان لا بمعناها الاصلي الذي هو رقة في القلب تقتضي التفضل والاحسان لاستحالة ذلك في حقه تعالى . فالرحمن الرحيم في حقه تعالى بمعنى المحسن أو مريد الاحسان ، لكن الاول بمعنى المنعم بجلائل النعم كالايمان والاسلام . والثاني بمعنى المنعم بدقائق النعم . وذكره بعد الرحمن اشارة الى انه كما يطلب منه الجليل يطلب منه الحقير كما في الحديث القدسي ياموسى سلني في شراك نعلك وملح قدرك .

قال بعض العارفين لما كانت الاسماء الالهية سبب وجود العالم المؤثرة فيه كانت البسملة خير ابتداء وهو ابتداء العالم فكأنه يقول بسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم من العدم الى الوجود فهي بيان لافتتاح الايجاد والدخول الى بيت الوجود بحسب الاستعداد . وخص الاسماء الثلاثة لان الحقائق تعطي ذلك . فالله هو الاسم الجامع لجميع الاسماء الالهية بصريح الجمعية فيطلق على اي اسم كان بقرينة المقام ألا ترى أن المريض اذا قال يالله كان مراده ياشافي ، والتائب اذا قال يالله كان

مراده ياتواب وهكذا . ومن خواص الرحيم ان من كتبه في ورقة احدى وعشرين مرة وعلقها على صاحب الصداع برىء باذن الله تعالى ، وفي الحديث : لا يرد دعاء فيه بسم الله الرحمن الرحيم (وتعتري البسملة الاحكام الخمسه) الوجوب والندب والحرمة والكراهة والاباحة . فالوجوب كالبسملة في الصلاة عندنا معشر الشافعية وعند المالكية المشهور كراهتها في السلاة . وثم عندهم اقوال في الوجوب والاستحباب والمشهور عند الحنفية والحنابلة سنيتها . ونقل عن الحنفية الوجوب والندب كما في الوضوء وغيره والحرمة والكراهة كما تقدم في المحرم والمكروه لذاتهما كشرب الخمر والنظر الى فرج حليلته ، بل قال بعضهم ان البسملة على شرب الخمر كفر والاباحة مثلها بعضهم كالبسملة للقيام والقعود .

والكلام على البسملة طويل وفيها من اللطائف والاسرار مالا يدخل تحت حصر وفي هذا القدر كفاية . فان قلت لم يأت الناظم هنا بسملة ولا حمدلة في اول نظمه قلت القرينة محكمة وهي تدل على انه اتى بهما لفظاً وهو كاف في حصول التبرك ونفي النقص اذ لا يليق بحال الناظم عدم الاتيان بهما اصلا .

﴿ مقدمة فيما ورد في الشعر مما يقطع باباحته وفيما يتعلق بالقصيدة ﴾

فنقول : قال العلماء رحمهم الله تعالى ان الشعر من العلوم الكاملة الجامعة والقواعد اللطيفة النافعة . ولا يقدح فيه ماورد من ذمه وذم الشعراء ، كقوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون) لان ذلك انما ورد بدليل السياق في شعراء الجاهلية الذين كانوا يتفاخرون ويبالغون في محاوراتهم وقتالهم وغير ذلك كامرىء القيس وعمرو بن كلثوم والأعشى وعنترة العبسي وأضرابهم من شعراء الجاهلية المشهورين بدليل ماوقع من الاستثناء في الآية الكريمة نفسها بقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والمراد بهم شعراء الاسلام كحسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة ونحوهما فانهم ليسوا كذلك . وما ورد في ذمه في قوله تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) فالجواب عنه كما قال العلماء ان كفار مكة نسبوه تارة الى الجنون وتارة

الى الكهانة وتارة الى السحر وتـارة الى الشعر وما ينبغي له ذلك لايسهل له ذلك وما كان يتزن له . حتى اذا اتفق له وزن شعر جرى على لسانه متكسراً . كما روى ان النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت (كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهياً) فقـال ابو بكر رضي الله عنه : يانبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرءناهياً ، فقال عمر رضي الله عنه : أشهد أنك رسول الله يقول الله عز وجل (وما علمنـاه الشعر وما ينبغي له) هذا حديث مرسل .

وروي عن عائشة رضي الله عنها وقد قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحـة قالت وربما قال (ويأتيك بالاخبار من لم تزود) أخرجه الترمذي فان قيل قد صح من حديث جنـدب ابن عبدالله قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ اذ اصابه حجر فدميت اصبعه فقال :

هل أنت الا اصبع دميتِ ... وفي سبيل الله مـا لقيتِ

أخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فأكرم الانصار والمهـاجره

وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

أنـا النبي لاكـذبْ ... أنـا ابن عبـد المطلبْ

أجيب بأن ذلك من كلامه الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصدٍ اليه وان جاء موازناً كما يتفق في كثير من انشا آت الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل في وزن البحـــور . وروى الخطيب في جامعه انه قرىء عند النبي ﷺ قرآن وأنشد شعر فقيل له يارسول الله قرآن وشعر في مجلسك هذا قال نعم . وان ابا بكرة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعنده اعرابي ينشد الشعر فقلت له : يارسول الله القرآن او الشعر فقال يا ابا بكرة هذا مرة وهذا مرة .

وروى البخاري : (ان من الشعر لحكمة) وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام أصغى الى بانت سعاد وقد كسا كعباً البردة عند الانشاد . وأما قول امامنا الشافعي رحمه الله تعالى وهو من الوافر قافية المتواتر :

ولولا الشعر بالعلماء يُزري ... لكنتُ اليوم أشعرَ من لبيدِ

فالجواب عنه كما قال العلماء ان اهل العصر الاول خصوصاً الامام كانوا لايشتغلون بالشعر لاشتغالهم بما هو أهم منه كالاجتهاد وتقرير الاصول والفروع ونحو ذلك . ومن عادة الناس انهم يقدمون الأهم وكانوا يرون ان الاشتغال بالشعر بالنسبة الى ماهم فيه انتقاص . على أن للامام الشافعي رحمه الله تعالى ابياتا شعرية جامعة حكمية فمن كلامه المنظوم ماأورده الدميري في حياة الحيوان والرازي في المناقب وهو من ثاني الطويل قافيه المتدارك :

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ... ولا انثرُ الدرَّ النفيسَ على الغنمْ
فان يسّر اللهُ العظيمُ بفضله ... وصادفتُ أهلاً للعلوم وللحكمْ
بثثت مفيداً واستفدتُ ودادهم ... وإلا فمخزونٌ لديّ ومكتتمْ
فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلمْ

﴿ ومن كلامه رضي الله عنه ﴾

عليّ ثيابٌ لو يباع جميعُها ... بفلْس لكان الفلسُ منهن أكثرا
وماضرّ نصلَ السيفِ اخلاقُ غمده ... اذا كان عضباً حيث وجهته برا

ومن كلامه رضي الله عنه وهو من الطويل قافية المتدارك :

تمنى رجالٌ أن أموت وان أمتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها باوحد
فقل للذي يبغي خلافَ الذي مضى ... تهيأ لاخرى مثلها وكأن قد
وقد علموا لو ينفع العلمُ عندهم ... لئن مت ماالداعي على بمخلد

وعن الشعبي كان ابو بكر رضي الله عنه يقول الشعر وكان عمر يقول

الشعر وكان علي أشعر الثلاثة ومن كلامه المنظوم كرم الله وجهه وهو من الطويل قافية المتواتر :

وقيتُ بنفسي خيرَ من وطىء الثرا ... وأكرم خلقٍ طاف بالبيت والحجرْ
وبتُّ أراعي منهم مايسؤني ... وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... وما زال في حفظ الاله وفي الستر

وله رضي الله عنه من ثاني الطويل قافية المتواتر :

صن النفسَ واحملها على مايزينُها ... تعشْ سالماً والقولُ فيك جميلُ
وان ضاق رزقُ المرء اليوم فاصبر الى غدٍ ... عسى نكباتُ الدهرِ عنك تزولُ
وما أكثر الاصحابَ حين تعدهم ... ولكنهم في النائبات قليلُ

﴿ وله رضي الله عنه ﴾ وهو من ثاني الكامل قافية المتواتر :

شيئان لو بكتِ الدماءُ عليهما ... عيناك حتى يؤذنا بذهابِ
لم تبلغا المعشار من حقيهما ... فقدُ الشباب وفرقةُ الاحبابِ

ومن كلامه رضي الله عنه مانقله صاحب الكنز المدفون وهو من ثالث الطويل :

الا لن تنالَ العلمَ الا بستةٍ ... سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ
ذكاءٍ وحرصٍ واجتهادٍ وبلغةٍ ... وارشادِ استاذٍ وطولِ زمانِ

ومن كلامه رضي الله عنه وهو من مقطوع البسيط قافية المتراكب :

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمع ... فان ذلك وهنٌ منكَ في الدينِ
واسأل الهك مما في خزائنه ... فانما هي بين الكافِ والنونِ

وكلامه الجامع اكثر من ان يحصى . وقد اتفق العلماء على ندب التسمية امام الشعر المحتوي على مدح المصطفى ﷺ وتوحيد الله تعالى . والمقرر عند اهله انه من ارفع الفنون قدراً واكملها فخراً وهو دليل على فضيلة من اهله تعالى لنظمه

كما قال بعضهم :

للشعر فضلٌ شائعٌ بين الورى كأنــه زهرُ الربيعِ اذ يُرى
من لم يكنْ للوزن فيه عارفاً فحقهُ بين الورى أن يُعذرا

وكفاه شرفاً ماقاله سيد المرسلين وإمام المتقين ، ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحراً . واستحب الماوردي منه ماحذر عن معصية أو حث على طاعة وعلى التخلق بالاخلاق المحمودة كهذه القصيدة النافعة المشتملة على الموعظة الحسنة . ألا وان كلام منشيها رضي الله عنه هو الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم . قد استوعب نظمه المبهوج في ديوانه حسن السبك والبديع ماتعنو له وجوه الادباء . وحاز من جلي البراعات ماترتاح به قلوب الاذكياء . فما هو إلا نوابغ كلم . وبدائع حكم . تستميل اليها نفوس ذوي الاعتبار . وتتلقاها قلوب أولي البصائر والابصار ولا غرو أن أثارت من المحبين لله أشجانهم الكوامن ، فانما هي أنفاس برزت من امام ورد من الحقائق شرابا غير آسن (ولاسيما) هذه المنظومة فقد اجتنب فيها رضي الله عنه من غرابة الالفاظ والقلاقة في النظام . وامتطى فيها مذاكي البلاغة الى موارد محاسن الانسجام (ولا يخفى) ان الوعظ المشتمل على ماروق السامع أوقع في النفس من غيره وأعظم تأثيراً في قلوب العباد . بل قد يسمعه الجاني فتقع له التوبة والانابة الى الكريم الجواد . وربما أثمر ذلك الامتثال لفعل المأمورات واجتناب المنهيات والرغبة فيما وعد الله من ثوابه والرهبة مما أوعد به من عقابه لأن النفوس البشرية تميل الى الكلام المنظوم طبعاً . فتقر به عيناً وتلتذ به سمعاً . والشعر قد تداولته الفضلاء قديماً وحديثاً . وساروا فيه هيناً وحثيثاً ولهجت به ألسن المستهترين من الاولياء ضمنوا في أقوالهم الحميدة أنواع الحكم واللطائف . وأودعوا في عباراتهم التحف والظرائف . وباحوا بعوالي أنفاسهم من تعب الغفلة بتصفية الخواطر وتجريد التوحيد مستغرقين في ذكر الصفات الكمالية للجمال الاقدس على نهج الاعتذار وواقفين في خلوة الاستكانة على بساط الانكسار متمكنين بالشهود في مشاهد التوكل ومحض الافتقار كل بحسب ذوقه ومشربه والتجائه في

المهات ومآربه . وصاغوا عرائس المعاني في حلل المباني ورمزوا وكنوا بذكر الاطلال والمغاني والغواني ولسلطان العاشقين ابن الفارض قدس سره :

فكل مليح حسنه من جمالها ... معارٌ له أو حسنُ كل مليحةِ
بها قيس لُبنى هامَ بل كل عاشقٍ ... كمجنون ليلى أو كُثيرُ عزةِ

وما مرادهم بذلك الا ستر الالفاظ عن غير أهلها . وحفظ اصول الطرق من ابتذالها . قال ﷺ (لاتعطوا الحكمة غير أهلها) . ثم أن منهم من تغزل في الديار المكية والكعبة المشرفة والصفا والحطيم ونحو ذلك كابن الفارض وابن عربي وغيرهما من فضلاء الصوفية .ومنهم من تخلص بمدحه عليه الصلاة والسلام متوسلا بعريض جاهه الى الملك العلام وشاكراً الله على ماأسداه ببركة هذا الرسول العظيم من النعم الجسام . وعلى هذا فالشعر ديوان العرب وترجمان الادب . وعن عمر رضي الله عنه قال تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوىء تتقى وحكمة للحكماء . وبالجملة فالشعر لايخلو من فوائد وان للوسائل حكم المقاصد .

حكي أن رجلا من العلماء رأى شيخاً في منامه وجماعة من الشعراء قد أحدقوا به يسألونه فقال له أيها الشيخ أخبرني باحكم بيت قالته العرب فانشده :

صبا ماصبا حتى علا الشيبُ رأسه ... فلما علاه قال للباطل ابعد

قال لقد نفعني الله بهذا البيت ماذكرته بعد ذلك عند شهوة أو خطيئة إلا ارتدعت عنها وأرجو أن لايفارقني الانتفاع به مابقيت ان شاء الله تعالى وما أحسن ماقاله بعضهم في هذا المعنى .

أنذرك الشيبُ فخذ نصحه ... فانما الشيبُ نذيرٌ نصيحْ
وعلة الشيبِ اذا ما اعترتْ ... أعيتْ ولو كان المداوي المسيحْ

﴿ وقال آخر ﴾

وماأقبح التفريطَ في زمن الصبا ... فكيف به والشيبُ في الرأس نازلُ

ترحلْ عن الدنيا بزادٍ من التقى ... فعُمركَ أيامٌ تعدُّ قــلائلُ

ومن كلام امامنا الشافعي رضي الله عنه وهو أردع لمن تمادى في غيه :

أأنعــمُ عيشاً بعد ما حلّ عارضي ... طلائعُ شيبٍ ليس يُغني خضابُها
ايا بومة قد عششتْ فوق هامــتي ... على الرغمِ مني حين طــار غرابها
رأيتِ خرابَ العمرِ مني فزرتني ... ومأواكِ من كل الديــار خرابها
اذا اصفرّ لونُ المرء وابيضّ رأسه ... تنغص من ايامـــهِ مستطابهــا
فدعْ عنك فضلات الامور فانهــا ... حرامٌ على نفس التقي ارتــكابهــا
وما هي إلا جيفـــة مستحيلةٌ ... عليهــا كلابٌ همهنّ اجتذابهــا
فان تجتنبها كنت سلمــا لأهلهــا ... وان تجتــنبهــا نازعتك كلابهــا
فطوبى لنفسٍ أوطنت قعرَ دارها ... مغلقة الابواب مرخىً حجابهــا

✻ لطيفة يحسن ايرادها هنا ✻

رؤي مجنون بني عامر محب ليلى في المنام بعد موته وكان كما هو مشهور مستغرقاً في حب ليلى وساح في البراري والقفار فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لي ما كان مني من الزلل وجعلني حجة على المحبين الذين يدعون حب الله تعالى . قال سيدي شيخ الاسلام زكريا الانصاري قدس سره فيه دليل على كماله تعالى وتنزه وان من أحبه حقه ان يفرغ كليته في طلبه . وان مجنون بني عامر كانت محبته لمن ا أشباه مع انه استغرق في حبه هذا الاستغراقِ العظيم . وساح في البراري ولما رآ هذا الراءي في النوم وهو من المحبين لله سأله عن حاله فاجابه بما ذكر . وانما جعل حجة على من ذكر لانه بذل نفسه في محبة مخلوق له اشباه فكيف بمن ادعى محب من لا مثل له ولا شبيه فحقه ان تزيد محبته له على محبة مجنــون بني عامر الزياد الغالبة فهذه الرؤيا في حق الراءي ان كانت كملت محبته لله وفي حق كل من سمعه ان كان كذلك انتهى .

﴿ الكلام فيما يتعلق بالقصيدة من العروض والقافية ﴾

اما القصيدة فانها من بحر الطويل الذي هو احد بحور الشعر الخمسة عشر عند الخليل أو الستة عشر عند غيره كما هو مذكور في كتب هذا الفن . وهـذا البحر أتم استعمالا . قال بعضهم انما سمي طويلا لأنه اكثر البحور حروفاً وهو مبني على فعولن مفاعيلن أربع مرات كما قال بعضهم .

طويل له دون البحـور فضائل   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

ولا بأس هنا بذكر شيء من العروض (فنقول) ان لكل بحر من بحور الشعر أحكاماً تتعلق باعاريضه وأضربه . وقد ذكرها العروضيون مفصلة في كتبهم والعروض مؤنثة وهي الجزء الاخـير من النصف الاول من البيت ويسمى الصدر . والضرب مذكر وهو آخر جزء من النصف الثاني ويسمى العجز وقـد أشار اليه الامام الخزرجي بقوله :

وقل آخر الصدر العروض ومثله   من العجز الضرب اعلم الفرق باعتنا

والقافية عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة ومع المتحرك الذي قبل الساكن الاول. وقد جعل العرضيون علم القوافي بعد العروض علماً مستقلا لبيان احوال تهيآت الشعر من حركة وسكون وحسن وقبح . الا ان بينهما شدة اتصال واشتباك صيرته كالجـزء منه اذ لم يتأت النظر فيها قبل النظر في العروض لان القافية انما ينظر فيها من حيث هي منتهى البيت . ولذلك جرت عادة العروضيين بذكرها . وتتعلق بالقافية احكام سنورد معظمها هنا ان شاء الله تعالى . منها حروفها وهي ستة اذ أتى بها الشاعر في مطلع شعره وجب التزامها في بقيته (الاول) الروى وهو الحرف الذي تبنى القصيدة عليه واليـه تنسب فيقال مثلا عينية (الثاني) الوصل وهو الحرف الناشيء عن اشباع حركة الروى . ويكون الفا اذا كان حرف الروى مفتوحاً وياء اذا كان مكسوراً وواواً اذا كان مضموماً وذلك كقول الشاعر :

أقلي اللـــوم عاذل والعتـابا وقولي ان أصبت لقـــد أصابا

وكقوله

متى كان الخيامُ بذي طـلوح سقيتِ الغيثَ أيتهـا الخيامو

وكقول الشاعر يصف منجرداً :

كُميتٍ يزل اللبـــد عن حال متنه كما زلّت الصفـواء بالمتــنزل

وقد يكون الوصل من دون اشباع كهاء ساكنة تلي حـــرف الروى كقول الشاعر :

فما زلت أبكي حوله وأخاطبـــه

وكهاء متحركة مفتوحة كقوله :

يوشك من فــر من منيته في بعض غِــرّاتــه يوافقهـا

ومتحركة مضمومه كقوله :

فيالائمي دعـــني أغالي بقيمـــتي فقيمة كل الناس مايحسنو نهـــو

ومتحركة مكسورة كقوله :

كل امرىء مصبـح في أهـــلِه والمـــوت أدنى من شراك نعلهي

وعلم أن الوصل يختص بالروى المطلق وهو المتحرك . ولا يكــــون في الروى المقيد وهو الساكن (الثالث) من حروف القافية الخروج وهو حرف ناشىء عن حركة هاء الوصل فهو مختص بما وصل بهاء لا بغيره ويكون الفا كيــــوافقها وواواً كيحسنونهو . وياء كنعلهي . في الابيات السابقة (الرابع) الردف وهو حرف مد يقع قبل الروى متصلا به فالالف نحو البالي في قوله : الا عِم صباحاً ايها الطلل البالي والياء كقوله : بُعيدَ الشبابِ عصرَ حانَ مشيبو .

والواو كقوله :

قد اشهدُ الغارةَ الشعواء تحملني جرداءُ معروقةُ اللحيين سرحوبو

وتسمى القافية حينئذ مردوفة فلو اختلف ذلك بان كانت القصيدة مردوفة بالف مفتوح ماقبلها . او بواو مضموم ماقبلها . او بياء مكسور ماقبلها . ثم جيء ببيت لا ردف فيه كأن قيل مثلا في آخر بيت أطلال . ثم قيل في آخر بيت عذل . كان ذلك عيباً . يسمى سناد الردف ويجوز من غير قبح كما قال الشيخ الصبان وقوع الواو ردفاً في بعض أبيات القصيدة الواحدة والياء في بعضها الآخر وان كان الاتفاق أحسن لكن بشرط ان يضم ماقبل الواو ويكسر ماقبل الياء كقول الشاعر :

طحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ ... بعيدَ الشباب عصرَ حانَ مشيبو
تكلفني ليلى وقد شط وليُها ... وعادت عوادٍ بيننا وخطوبو

﴿ ومن غراميات مجنون ليلى ﴾

هوى صاحبي ريحَ الشمال إذا جرت ... واهوى لنفسي أن تهبّ جنوبُ
فويلي على العذالِ مايتركونني ... بغمي أما في العاذلينَ لبيبُ
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى ... فقلت وهل للعاشقين قلوبُ
دعاني الهوى والشوق لما ترنمت ... هتوف الضحى بين الغصون طروبُ
تجاوب ورقا قد أصخنَ لصوتها ... فكل لكل مسعدٌ ومجيبُ
فقلت حمامَ الايك مالك باكياً ... أفارقت الفاً أم جفاك حبيبُ
تذكرني ليلى على بعد دارها ... وليلى قتول للرجال جلوب
وقد رابني أن الصبا لاتجيبني ... وقد كان يدعوني الصبا فأجيبَ
سبى القلبَ إلا ان فيه تجلداً ... غزالٌ بأعلى المانحين ربيب
فكلتم غزالَ المانحين فانه ... بداءى وان لم يشفني لطبيب
فلو ان مابي بالحصا فلق الحصا ... وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني استغفرُ الله كلما ... ذكرتك لم تكتبْ عليَّ ذنوب
فدومي على عهدي فلست بزائل ... عن العهد منكم ماأقام عسيب

ومن شعر الحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس وهو من فحول الشعراء :

ذريني أكـثـر حاسديك برحلة | الى بلدة فيها الخصيبُ أميـر
اذا لم تزر أرضَ الخصيب ركابنا | فأيُّ فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشتري حسنَ الثناء بماله | ويعلم ان الدايرات تدور
ومن يك أمسى جاهلا بمقالتي | فان أمير المؤمنين خبير

(أما) اذا كان الارداف بالالف مع غيره من واو أو ياء في القصيدة الواحدة فانه لايجوز بل يتعين حينئذ بالالف فقط أو بها كمثال الابيات المار ذكرها آنفاً (الخامس) من حروف القافية التأسيس وهو الف بينه وبين الروى حرف كقوله : وليس على الايام والدهر سالم .

وقوله :

ألا لاتلوماني كفى اللومَ مابيا | فمالكما في اللوم خيرٌ ولا ليا
ألم تعلما أن الملامة نفعُها | قليلٌ وما لومي أخي من سماتيا

فلو اختلف ذلك في القصيدة بان وجد التأسيس في بيت منها دون الآخر كان ذلك عيباً يسمى سناد التأسيس كقوله :

يادار ميَّة اسلمي ثم اسلمي | فخندفٌ هامةُ هذا العالَم

أو قيل في آخر بيت مثلا تكرم ثم قيل في آخر منها مكارم ولا يسمى الالف المذكور تأسيسا الا اذا كان في كلمة الروي . اما اذا كان من غير كلمة الروي وليس ضميراً ولا بعضه فليس تأسيساً فلا تلزم اعادته كقول عنترة في قصيدته :

ولقد خشيت بان أموت ولم تدرْ | للحرب دائرةٌ على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما | والناذرين اذا لم القهما دمي

(السادس) الدخيل وهو الحرف المتحرك بعد التأسيس كلام سالمو . فلو اختلفت حركة الدخيل في بيت بضمة وفي بيت آخر بفتحة او كسرة كان ذلك عيباً يسمى سناد الاشباع كقوله :

وهم طردوا منهـا بلياً فاصبحت ... بـلىً بواد من تهامة غـائر
وهم منعوها من قضاعة كلهـا ... ومن مضرَ الحمراء عند التغـاور

– أو اختلفت حركة ماقبل الردف في المردوفة كان ذلك عيباً يسمى سناد الحذو كقول الشاعر :

لقد ألج الخبـاءَ على جـوارٍ ... كأن عيـونهن عيون عِين
كأني بين خافيـتَيْ عقـابٍ ... يريد حمامةً في يوم غـينِ

فقد وجد سناد الحذو في هذين البيتين لان العين المهملة مكسورة والغين المعجمة مفتوحة او اختلفت حركة ماقبل الروى المقيـد وهو الساكن ففي ذلك الاختلاف . فالاخفش قائل ان ذلك ليس بعيب مطلقاً . والخليل قال بجواز الضمة مع الكسرة وامتناع الفتحة مع احدهما . وقال غيرهما ان الجمع بين الفتحة والضمة جائز ومن جعل هذا عيباً سماه سناد التوجيه . ووجه التسمية بذلك كون الشاعر له أن يوجهه الى اي جهة شاء من الحركات .

تنبيه : اعلم ان الالف المقصورة كالف اذا ومتى وهنا وربى والعصى والرحى والفتى والهدى والالف الزائدة للتأنيث نحو حبلى فالشاعر فيها بالخيار ان شاء جعلها وصلا ولزمت الحروف التي قبلها لاجل ان يكون رويا وان شاء جعلهـا رويا وهو الاحسن . وعلى ذلك جاءت قصائد للعرب المتقدمين . ومنهـا قصيدة ابن دريد المشهورة ولنرجع الى ذكر مايتعلق بالقصيدة . ثم الكلام على القوافي وبقيـة عيوبها . اعلم أن لهذا البحر الذي نظمت منه القصيدة وهو الطويل عروضاً واحدة مقبوضة أي محذوفاً خامسها الساكن وهو ياء مفاعيلن . فيصير مفاعلن ومحل قبض هذه العروض مالم يصرع البيت . والتصريع عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروى والاعراب وهو أليق مايكون بمطالع القصائد كقول امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ... وربـعٍ عفت آثاره منذ أزمانِ

وكقول أبي فراس الحمداني :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر | أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

وأما أضربها فثلاثة الاول صحيح أي سالم من التغيير وبيته :

ابا منذر كانت غروراً صحيفتي | ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضي

وتقطيعه ليقاس عليه غيره أبا من فعولن ذرن كانت مفاعيلن غرورن فعولن صحيفتي مفاعلن ولم اع فعولن طكم بطط ومفاعيلن ع مالى فعولن ولاعرضي مفاعيلن . ولكل بحر من بحور الشعر أعاريض وأضرب تخصه مذكورة مفصلة في كتب هذا الفن . واهل العروض يراعون اللفظ عند التقطيع لا الخط . فالذي يتلفظ به يرسمونه ويقابلونه بما يناسبه في الميزان وان لم يرسم عند غيرهم كالف الله التي قبل الهاء والف الرحمن التي قبل النون وكالتنوين . ومالا يتلفظ به لا يعتبرونه في الميزان وان رسم كالفات الوصل التي لا ينطق بها ويجعلون الحرف المشدد باثنين ويجعلون الساكن هو الاول منها ، وأعلم ان المنظور فيه عند التقطيع مقابلة المتحرك بالمتحرك والساكن بالساكن مع قطع النظر عن خصوص الحركة . لكن كل بحر يدخله الزحاف وحينئذ لا تكون المقابلة كما ذكر في خصوص الجزء المزحوف . ولهذا البحر من الزحاف الكف والقبض . فالاول حذف الحرف الخامس الساكن من الجزء كحذف التنوين من فعولن والياء من مفاعيلن فيصيران فعول ومفاعلن . والثاني حذف السابع الساكن فيصير مفاعيل باسقاط التنوين (الضرب الثاني) من اضرب هذا البحر مقبوض مثل عروضه وبيته :

ستبدي لك الايام ما كنتَ جاهلا | ويأتيك بالاخبار من لم تزودِ

(الضرب الثالث) محذوف اي حذف منه سبب خفيف فصار مفاعى والسبب الخفيف عند العروضيين وهو حركة بعدها ساكن كحذف اللام والتنوين من مفاعيلن وبيته :

اقيموا بني النعمان عنا صدورَ كم | والا تقيموا صاغرين الرؤسا

وأما أسماء البحور : فالطويل ، والمديد ، والبسيط ، والوافر، والكامل والهزج ، بالتحريك والرجز ، والرمـــل ، والسريـع ، والمنسرح ، والخفيف ، والمضارع ، والمقتضب ، والمجتث ، والمتقارب . وزاد الاخفش النحوي التدارك وقد نظم بعضهم اسماءها على ترتيب ماذكره العروضيون فقال :

طويل مديد فالبسيط فـــوافر فكامل اهزاج الاراجيز رملا
سريع سراح فالخفيف مضارع فمقتضب مجتث قـــرب لتفضلا

ومما جاء موافقاً لوزن هذا البحـــر الذي نظمت منه القصيدة من آي الكتاب العزيز قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاءفليكفر وتقطيع الآية كالمصراع الواحد من هذه القصيدة هكذا :

فمن شا	ء فليـؤمن	ومن شـا	ء فليكفـــر
فعـــولن	مفاعيلن	فعـــولن	مفـاعيلن
إذا شئـ	ـت أن تحيا	سعيـــداً	مدى العمر

والقوافي القاب وأسماء (فالمتـكاوس) كل قافية فيها اربـع حـــركات متوالية بين ساكنيها كقوله (قد جبر الدين الآله فجبر) والمتراكب كل قافية توالت فيها ثلاث حركات والمتدارك كل قافية توالت بينهما حركتان كقوله :

تسلت عمايات الرجال عن الهـوى وليس فؤادي عن هواهـا بمنسلي

(والمتواتر) كل قافية بين ساكنيها حركة كقول الخنساء من قصيدة من الوافر ترثي أخاها :

يذكرني طلوعُ الشمس صخـراً واذكـــرهُ لـكل مغيب شمس

(والترادف) كل قافية اجتمع ساكنها كقوله :

هـــذه دارهـــم أقفـــرت ام زبورٌ محتهـا الدهـــور

إذا علمت هذا فهذه المنظومة من أول الطويل قافية المتواتر وعروضهـا

مقبوضة كما تقرر ان للبحر الطويل عروضاً واحدة مقبوضة الا ان عـــروض البيت الاول منها غيرت للالحاق بالضرب لاجل التصريع ولا يجوز التصريع عند اهـل هذا الفن الا في البيت الاول من القصيدة دون باقيها لان أولها محل التأنق واظهار جودة الذهن وشدة الفصاحة . وأما عيوب القافية فسبعة نظمها بعضهم بقوله :

عيوب قـوافي الشعر ياصاح سبعة ... على فهم معناها توكل على الـكافي

ولا يخفى مافي قوله توكل على الـكافي من التورية اذ الـكافي هـو اسم كتاب في العروض والقوافي . وهو من اسمائه تعالى جل شأنه . وزاد بعضهم من عيوب القافية التحريد فهي حينئذ ثمانية ، اما التجريد فهو تنويع ضرب القصيدة بالبحر الواحد كقوله :

إذا أنت فضلتَ امرأً ذا نباهـــةٍ ... على ناقص كان المديحُ من النقصِ
الم تر أن السيف ينقص قـدره ... اذا قيل هذا السيف خيرمن العصىَ

ففي هذين البيتين عيب التحريد لان ضرب الاول منها صحيـح والثاني مقبوض . وأما عيب السناد فقدم ذكره باقسامه فلا حاجة الى التكرار (والاكفاء) اختلاف الروى بحروف متقاربة المخارج كقوله :

بنـات وطـاء على خد الليـــل ... لا يشكين عمـلا ما اتقين

(والاجازة) اختلافه بحروف متباعدة المخارج كقوله :

ألا هلْ ترى إن لم تكن امٌّ مالك ... بمالك يدي إن الكفاءَ قليـلُ
رأى من خليليه جفـاءً وغلظةً ... إذا قام يبتاعُ القلوصَ ذمـيـمُ

(والاقواء) اختلاف حركة الروى بضم وغيره كقوله :

لا بأس بالقوم من طول ومن قصرٍ ... جسمُ البغـالِ وأحلام العصافيرِ
كأنهم قصبٌ جوف أسافـــله ... مثقب نفخت فيـــه الأعاصير

(والاصراف) اختلاف الحركة المذكورة بفتح وغيره مع الضم كقوله :

أريتك ان منعت كلام يحيى — أتمنعني على يحيى البكاء
ففى طرفي على يحيى سهاد — وفي قلبي على يحيى البلاء

فقوله البلاء بالرفع مبتدا مؤخر وقوله البكاء مفعول تمنعني فهو منصوب (والايطاء) اعادة كلمة الروي لفظاً ومعنى قبل سبعة ابيات كقول النابغة :

وواضع البيت في خرساء مظلمة — تقيد العير لايسري بها الساري
لايخفض الزر عن أرض ألم بها — ولا يضل على مصباحه الساري

وكقول الشاعر :

لعلك يامحلا ترى بجريرة — تعاقب ليلى إن تراني ازورها
علي دماء البدن إن كان بعلها — يرى لي ذنباً غير اني ازورها

(والتضمين) وهو تعليق قافية البيت بما بعده بان تفتقر اليه في الافادة كما في شرح شيخ الاسلام على الخزرجية كقول الشاعر وهو النابغة :

وهم وردوا الجفون على تميم — وهم اصحاب يوم عكاظ إني
شهدت لهم مواطن صادقات — شهدن لهم بحسن الظن مني

(وأعلم) ان الجائز من هذه العيوب السبعة للمولدين الايطاء والتضمين والسناد باقسامه بخلاف باقيها . قاله السيد الدمنهوري في حاشيته الكبرى ويجوز ايضاً لضرورة الشعر مالايجوز في النثر من قصر الممدود وترخيم غير المنادى مما يصلح للنداء كقوله في ترخيم حارثة :

ان ابن حارث إن اشتق لرؤيته — او امتدحه فان الناس قد علموا

وكقوله في ترخيم مالك :

لنعم الفتى يعشوا الى ضوء ناره — طريف ابن مال ليلة الجوع والخصر

وترك تنوين المنصرف وتخفيف المشدد وتذكير المؤنث ، وتأنيث المذكر وقطع همزة الوصل ، ووصل همزة القطع ، وفك المدغم . وادغام المفكوك ، وتقديم

المعطوف ، والفصل بالاجنبي بين التابـع والمتبوع ، وزيادة للاشباع كزيادة الف في قوله اعوذ بالله من العقراب ، والياء في الصياريف والدراهم ، وتنوين المنادى المبني ، وتنوين مالا ينصرف . وزيادة حرفين في مثل الترضى كقول الشاعر :

مأأنت بالحكم الترضىَ حكومتُه ولا الاصيلِ ولا ذي الرأي والجدلِ

ومقتضى كلام شيخ الاسلام زكريا الانصاري انه اذا كان غير القافية كأول البيت او وسطه هو المفتقر الى البيت الثاني الذي يليه أو غيره من ابيات القصيدة لم يكن تضميناً وقد نص على ذلك ابو العباس وسماه تعليقاً معنوياً . وبذلك يعلم بان لا تضمين في البيت الاول من القصيدة كما يأتي . لان قافيته ليست متعلقة بما بعده وهو مستقل بنفسه . الا انه اشتمل على مايفتقر في تفسيره الى البيت المبدوء بجواب الشرط كما سيبين لك خلال الشرح ان شاء الله تعالى وليس ذلك بعيب بل هو محض تعليق معنوي وكثير من نظم العرب على هذا المنوال .

ومنه قوله من الطويل :

وما وجْدُ أعرابيةٍ قذفتْ بها صروفُ النوىَ من حيثُ لم تكُ ظنّتِ
تمنت احاليبَ الرغاءِ وخيمةً بنجد فلم يُقدر لها ما تمنّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ الغضاءِ وطيبَه وريحَ الصبا من نحو نجد أرنّتِ
باكثر مني لوعة غير أنني أطامنُ أحشائي على ما اجنّتِ

فقد افتقر اول البيت الى البيت الآخر من هذه الابيات ولا عيب لانتفاء المحذور ومثله قول كثيرعزة :

وما روضةٌ بالحزن طيبةُ الثرى يمُدّ الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من اردان عزة موهنا وقد اوقدت بالمندل الرطب نارها

ولبعضهم :

وما روضةٌ حل الربيع نطاقها وجرت بها الانواء حاشيةَ البُردِ

اذا حدرت فيها النعامى لثامها ثنى عطفه الحوزان والتف بالرند
بأطيبَ نشراً من خلائقه التي تنم بريّاها على العنبر الوردي

وقال آخر :

وما مغزل تعطو بجيد كأنه حسامٌ بايدي الناظرين صقيلُ
هضيم الحشا مغضوضة الطرف نالها بذات أراك مرتعٌ ومقيلُ
إذا نظرتْ من نحوه أو تصرّمت دعاها أحم المقلتين كحيل
بأحسنَ منها حين قالت صرمتنا وأنت صروم للحبال وصول

وقد عد أهل البيان هذا من فن البديع وسموه بالتفريغ وهو أن يصدر المتكلم كلامه باسم منفي بما خاصة ، ثم يصف ذلك الاسم باحسن اوصافه المناسبة للمقام اما في الحسن او القبح ثم يجعله أصلا يفرغ منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح او هجاء او فخراً وغير ذلك ثم يخبر عن ذلك الاسم بافعل التفضيل ثم يدخل من على المقصود بالمدح او الذم او غيرهما ويعلق بالمجرور بافعل التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم الداخلة عليه ماالنافية وبين المجرور بمن لأن حرف النفي قد نفى الافضلية لتبقى المساواة ، وذلك كقول سيدي عبد الغني النابلسي في بديعيته :

وما ارتشافُ زلالِ الماء في ظمأ يوماً باعذبَ من تكرار وصفهم

ولنرجع الى ذكر شيء من صنعة البديع الذي هو من اقسام البلاغة في الشعر وبه يعرف وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وفائدته تعرف أحوال الشعر وما يدخل من المحسنات وغيرها ، ومن ثم يتفاضل في الاقتدار عليه وفي سياقه الشعراء ، ثم ان انواعه كثيرة ولنورد في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى جلها متفرقة . وها انا آتي منها هنا بما فيه نزهة للخواطر وبهجة للنواظر . فمن ذلك النوع المسمى بالتورية ويقال لها الايهام وهي افضل أنواع البديع قد ظهرت محاسنها لذوي العقول والافهام . وضاءت وجوه خرائدها في حلل النظام . وهي

أن يستعمل المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز احدهما قـريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة . والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية . فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب ويستره كأنه جعل المعنى البعيد وراءالقريب فيتوهم السامع اول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك . قال ابن حجـة وكانت خواطر المتقدمين عن التورية بمعزل وافـكارهم مع صحتها ماخيمت عليها بمنزل . ثم انها اربعة أقسام الاول التورية المجردة سميت بذلك لتجردها عن اللوازم مطلقاً وهي ضربان الاول المجردةالتي ذكر معها لازم المورى به وهو المعنىالقريب ولازم المورى عنه وهو المعنى البعيد . ونعني باللازم شيئاً يختص باحد المعنيين دون الآخر كالاشراق والضوء لوذكر مع لفظ الغزالة لترجح جانب الشمس او الجيد واللحظ لـيترجح جانب الحيوان ، انما سميت هذه مجردة لانه لما ذكر لهـذا لازم ولهذا لازم كانا كالبينتين تعارضا فتساقطا وصار معنى القريب والبعيد في درجة واحدة اذ لامرجح لاحدهما على الآخر فكأنهما لم يذكرا . قال السيوطي وينبغي ان تسمى هذه مقترنة كقول البحتري :

ووراءَ تسدية الوشاح مليـــةٌ بالحسن تملح في القلوب وتعذبُ

تعارض اللازمان في تملح فانه يحتمل أن يكون من الملاحة ولازمه ملية بالحسن وهو البعيد المورى عنه وان يكون من الملوحة ولازمه تعذب وهو المعنى القريب وكقول ابن الوردي :

قالت إذا كنت تهـوى وصْلي وتخشى نفـوري
صِفْ وردَ خـدي وإلا أجورُ ناديتُ جـوري

فذكر الورد لازم لقوله جوري من قولهم ورد جوري وذكر أجـور بضيغة المضارع لازم لضيغة الامر بلفظ جوري ومن أمثلة المجردة قول الشاعر :

وليلةٍ بتُّ أُسقى في غياهبها راحاً تسلُّ شبابي من يد الهرمِ
مازلتُ أشربُها حتى نظرت الى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

فالصبح من لوازم الغـــزالة الشمسية والرعى من لوازم الغـــزالة الوحشية ولبعضهم :

هويتُ غصناً لاطيارِ القلوبِ على قوامه في رياض الوجد تغريدُ
قالت لواحظُــه إنا نسودُ على بيض الظُبا قلت أنتم أعينٌ سودُ

فقوله اولا نسود من لوازم صيغة الامر بلفظ سودوا وقوله بيض الظبا وأعين لازم لأن يكون جمع سوداء وكان من هذا القبيل مانظمــه جمــال الدين ابن نباتة في أبيات معناها الوعظ وهي :

لاتخشَ من همٍ كغيمٍ عارضٍ فلسوفَ يُسفرُ عن اضاءة بدرهِ
ان تمس عن عباسٍ حالك راوياً فكأنني بك راوياً عن بشرهِ
ولقد تمر الحادثاتُ على الفـــتى فتزول حتى ماتمرُ بفكـــرهِ
ولرب ليل في الهمــوم كدمّل صابرته حتى ظفرتُ بفجــره

فالليل من لوازم الفجر الذي يعقب الليل والدمل من لوازم الفجر الذي هو بمعنى الانفجار أي انفجار الدمل وقال بعضهم :

غدوتُ مفكراً في سر" أفـــق أرانــا العلمَ من بعدِ الجهــالة
فما طويتْ له شباك الدّراري الى ان أظفـــر"ته بالغزالة

فالشبك من لوازم الغـــزالة الوحشية والدراري من لوازم الغـــزالة الشمسية ولآخر :

خليلي" ابسطــالي الانسَ إني فقيرٌ مت في حب الغـــواني
وان تجـــدا مُداماً أو قياناً خـذاني للمدامـةِ والقيــاني

فذكر القيان جمع القينة وهي البكر الحسناء يقتضي ان القافيـــة كذلك وقوله خذاني يقتضي ان يكون من الالقاء وهو الطرح (والضرب الثاني) من التورية المجردة وهي التي لم يذكر لها لازم من لوازم المورى به ولا لازم من لوازم

الموری عنه كقول القاضي عياض :

كأن نيسانَ أهدى من ملابسه ... لشهرِ كانون انواعاً من الحللِ
أو الغزالة من طول المدى خرفتْ ... فما تفرقُ بين الجدْي والحملِ

فالتورية هنا مجردة والشاهد في الغزالة والجـدي والحمل فان الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيئاً من لوازم الموری به ولا من اوصاف الموری عنه ومن هذا القبيل قول ابن عبدالظاهر يصف وادياً :

وبطحاءَ من وادٍ يروقك حسنهُ ... ولا سيما ان جاد غيثٌ مبكرُ
به الفضلُ يبدو والربيع وكم غدا ... به العيشُ يحيي وهو لا شك جعفرُ

فالتورية في الفضل والربيـع ويحيى وجعفر والاشتراك في الاربعة ظاهر (القسم الثاني) التورية المرشحة وهي التي ذكر فيها لازم الموری به . وسميت مرشحة بتقويتها بذكر لازم الموری به لانه غير المراد فكأنه ضعيف فاذا ذكر لازمه تقوى به وهي ضربان ايضاً الاول ان يذكر قبل لفظ الموری به لازمه كقول القائل :

ياسيداً حاز لطفـاً ... له البرايا عبيـد
أنت الحسينُ ولكنْ ... جفاك فينـا يزيدٌ

فإن ذكر الحسين لازم لان يكون يزيد اسماً بعد احتماله للفعل المضارع الذي هو معناه المقصود الموری عنه وكقول الشاعر :

ياسائلي عن حرفتي في الورى ... وصنعتي فيهـم وافلاسي
ماحال مَن درهمُ انفاقـه ... يأخذه من أعـين النـاسِ

فقوله أعين الناس يحتمل الحسد وضيق الاعين وهو الموری به . ولازمه درهم الانفاق لانه من لوازم الحسد ويحتمل العيون التي يلاطفها بالكحل وهـو الموری عنه . وقول ابن نباتة في مليح له عم وعلى وجنته خال :

لولا سطا عمـه لقلنـا ... ويلاه من عمـهِ وخالهِ

فالخال معناه البعيد النقطة . والقريب اخو الام . والعم ترشيح له .
والثاني وهو ماذكر بعد كقول الشاعر :

مذ همت من وجدي في خالها	ولم أصِل منه إلى اللثم
قالت قفوا واستمعوا ماجرى	خالي قد هام به عمي

ذكر العم بعد الخال ترشيحاً له وللصلاح الصفدي :

بموسى رحتُ ذا قلبٍ كئيبٍ	وجرحي في هواه ليس يوسى
فان ضيعتُ فيه جمع مالي	فكم من لحية حلقت بموسى

فان ذكر اللحية والحلق لازم يرشح المعنى الموري به وهو الموسى الآلة الجديد والمعنى المورّي عنه الاسم المذكور (الضرب الثاني) من المرشحة وهي ان يذكر اللازم بعد اللفظ المورى به كقول الشاعر :

اقلعت عن رشف الطلا	واللثم في جيد الحبيب
وقلت هذي راحة	تسوق للقلب التعيب

فذكر التعب ترشيح لمعنى الراحة المورى به والمعنى الآخر المورى عنه بمعنى الخمرة ، وللصفي الحلي :

لحا الله الحكيم لقد تعدى	وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي في كلتا يديه	وسلط كلبتين على غزال

فذكر الغزال ترشيح معنى الكلبتين المورى به وللصلاح الصفدي :

اضحى يقول عذراه	من منكم لي عاذر
الورد ضاع بخده	وأنا عليه دائر

فقوله أنا عليه دائر ترشيح للفظة ضاع الى المعنى المورى به من الضياع والمعنى المورى عنه بمعنى فاح وانتشرت رائحته . القسم الثالث التورية المبينة وهي ماذكر فيها لازم من لوازم الموري عنه سميت بذلك ليتبين الموري عنه بذكر لازمه

وهو ضربان (الاول) ان يذكر لازم من لوازم المـــوري عنه قبل ذكـــره كقول القائل :

يا سادة لبعدهم	أصبحت صباً وصبا
لجين دمعي كم جرى	لطيب عيش ذهبا

فاللجين اسم للفضة رشح به المعنى الموري عنه في ذهب بمعنى المسجد :

وقال بعضهم :

باسياف الجفـون قتلت نفساً	مبرأة من السلوى زكيـة
فماأقوى جفونك وهي مرضى	وأقدرها على قتـــل البرية

(الضرب الثاني من المبينة) ان يذكر لازم الموری عنه بعد ذكـره كقول ابن سنا الملك :

اما والله لولا خوف سخطك	لهان علي ماألقى برهطـــك
ملكت الخافقين فتهت عجبـا	وليس هما سوى قلبي وقرطك

فان قوله قلبي وقرطك مبين للمعني الموری عنه في لفظ الخافقين . والمعنى الثاني المشرق والمغرب . القسم الرابـع التورية المهيئة وهي ان لا يتهيأ في الـكلام تورية الا باللفظ الذي قبله او الذي بعده ، او يكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر فالمهيئة بهذا الاعتبار ثلاثة أضرب . الاول الذي تهيأ فيه التورية بلفظ قبله كقول بدرالدين الدماميني :

يا عذولي في مغن مطرب	حـرك الاوتار لمـا سفرا
لم تهز العطف منه طـرباً	عندما تسمع منـــه وترا

فان لفظة تسمع هي التي هيأت قوله وتراً للتورية بالرؤية وهو المعنى البعيد . وأما المعنى القريب فاحد الاوتار للطنبور وقال أيضاً في جارية تدق بالكف :

لقـد دقت بكفيها فتـاة	صفت فيها خلائقها ودقت

فأفـــديهـا مغنيةً رأينـا ... بها الارواحَ جلّت حين دقت

فالمعنى القريب صفقت بكفيها والمعنى البعيد مهيئة بضده وهو قوله جلت (الضرب الثاني) من التورية المهيئة الذي تهيأ فيها التورية بلفظة بعده كقـــول ابن نباتة :

سألتهُ عن قـــومه فانثنى ... يعجبُ من افراط دمعي السخي
وأبصر المسكَ وبدرَ الدجى ... فقال ذا خالي وهـذا اخي

فلفظة أخي هي التي هيأت خالي للتورية (والضرب الثالث) من التورية المهيأة وهو الذي يقع فيه التورية بين لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر كقول الصلاح الصفدي :

كلفى بساق كلُ وعدٍ منه لي ... مازال يُخلفه على الاطلاقِ
حتى قطعتُ مطامعي من وعده ... ونسيت عرقوبا لهذا الساقي

فلفظة عرقوب لها معنيان اسم رجل مشهور بخلف الوعد وهـذا المعنى مرشح بذكر الوعد . والعرقوب أسفل الكعب من الرجل وقد هيـأه لهذا المعنى لفظة عرقوب فـكل من اللفظين مهيىء للآخر الى التـــورية كما لايخفى وللامــير مجير الدين ابن تميم :

وساقيةٍ تجور على الندامى ... وتنهرهم اسرعةِ شرب خمرِ
سنشكر يومَ لهو قد تقضى ... بساقيةٍ تقـابلنا بنهـــر

فان الساقية امرأة تسقي الراح وهذا المعنى القريب او ساقية الماء وهذا المعنى البعيد المراد وكل من هذين اللفظين مذكور للتورية في اللفظ الآخر ومهيىء لها فيه ولابن نباتة :

لاتنس وجدي بك ياشادنـا ... بحبـــه أنسيتُ أحبـابي
مالي على هجرك من طـاقـةٍ ... فهل الى وصلك من بابِ

فالطاقة بمعنى القدرة وقد هيأت لفظ باب الى معناها هذا والباب هو الذي

يدخل منه وقد هيأ لفظ طاقة الى ذلك وللقاضي محي الدين بن عبدالظاهر :

ياسيدي إن جرى من مدمعي ودمي ... للعين والقلب مسفوحٌ ومسفوكُ
لاتخشَ من قَوَدٍ يقتص منك به ... فالعينُ جارية والقلب مملوكُ

فقوله جارية من الجريان والمملوك اسم مفعول من الملك والجارية ايضاً اسم الرقيق من الاناث والمملوك للرقيق من الذكور وقد هيأ كل منهما الآخر للتورية بهذا المعنى انتهى ما اردنا ايراده في هذا النوع . ومن المحسنات البديعة النوع المسمى بحسن التخلص وهو من محاسن الادب . ومن اوضح الادلة على حسن تصرف الشاعر والتخلص هو الخروج مما بدأ به الشاعر . وان غالب الشعراء اذا اتوا بقصيدة مدح يفتتحونها بالغزل والافتخار والشكاية ولا يزال يستطرد مما افتتح به قصيدته الى مايتعلق بالممدوح وباحسن الاساليب وألطف التراكيب وينتقل من معنى الى معنى آخر بتخلص سهل مختلساً ذلك اختلاساً رشيقاً رقيقاً بحيث لايشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما افرغا في قالب واحد لان السامع يكون مترقباً للانتقال من الافتتاح الى المقصود . قال السيوطي في شرحه على عقود الجمان له وهــذا النوع اعتنى به المتأخرون ووقع منه في القرآن مايسكر العقول ويحير الافهام فان الله تعالى في سورة الاعراف ذكر الانبياء والقرون الماضية والامم السالفة ثم ذكر موسى وحكاية دعائه لنفسه ولأمته بقوله تعالى : (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) وجوابه تعالى عنه ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لامته بقوله قال (عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين) من حالهم كيت وهم الذين يتبعون النبي الامي وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله العظيمة ، وفي سورة الشعراء حكي قول ابراهيم عليه السلام (ولا تخزني يوم يبعثون) فتخلص منه الى وصف المعاد بقوله تعالى (يوم لاينفع مال ولا بنون الخ) وفي سورة القيامة نهى نبيه ﷺ عن العجلة بقوله (لاتحرك به لسانك لتعجل به) ثم تخلص بقوله سبحانه وتعالى (كلا بل تحبون العاجلة) واما العرب المتقدمون وهم من ادرك الجاهلية

والاسلام ومن قاربهم فانهم لم يعتنوا به بل ينتقلون بلا مناسبة ويسمى الأقتضاب انتهى وسنورد بعض ماوقفنا عليه من محاسن التخلص فمن ذلك قول ابي العلاء المعري وقد اجاد في تخلصه :

ولو أن المطيّ لها عقولٌ ... وجدك لم تشدّ لها عقالا
مواصلة بها رحلي كأني ... من الدنيا اريد بها انتقالا
سألن فقلت مقصدنا سعيد ... فكان اسم الامير لهن فالا

ومن ذلك قول القاضي السعيد هبة الله ابن سناء الملك :-

تمشيت في دار الحبيب بمقلتي ... وقد سحبت فيها ذيول المحاجر
وان الهوى مازال في قلب عاشق ... كصارم سيف الدين في كل كافر

ولكمال الدين بن النبيه :

بتنا وقدْ لفّ العناق جسومنا ... في بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلقُ الصباح كجحفل ... راياته رنكَ المليك الأشرف

وله ايضاً :

ياعينُ عذركِ من جبين واضح ... سيخى لغيبته دماً أو أدمعا
الله أبدى البدرَ من ازواره ... والشمسُ من ظلمات موسى أطلعا

وللقاضي كمال الدين بن النبيه في مدح الخليفة الناصر :

باكرْ صبوحك أهني العيش باكره ... فقد ترنم فوقَ الايك طائره
والليل تجري الدراري في مجرته ... كالروض تطفو على نهر ازاهرهُ
وكوكبُ الصبح نجاب على يده ... مخلق تملأ الدنيا بشائره

الى ان قال بعد ماأورد مخترعات المعاني :

خذ من زمانك ماأعطاكَ مغتنماً ... وأنت ناه لهذا الدهر آمرهُ
فالعمر كالكأس تستحلى أوائله ... لكنه ربما مجت أواخرهُ

واجسر على فرص اللذات محتقراً عظيم ذنبك ان الله غافره
فليس يظلم في يوم الحساب فتى والناصر ابن رسول الله ناصره

ولابي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة :

خليلي إني لا أرى غير شاعر فكم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ولابي القاسم محمد بن هاني المغربي رحمه الله تعالى :

وما راعني إلا ابن ورقاء هاتف بعينيه جمر من ضلوعي مشبوب
وقد أنكر الروح الذي يستظله وسحت له الاغصان وهي اهاضيب
ألا أيها الباكي على غير أيكه كلانا فريد بالسماوة مغلوب
فؤادك خفاق ووكرك نازح وروضك مطلول وبانك مهضوب
هلم على أني أقيك باضلعي واملك دمعي عنك وهو شآبيب
ولا مدح الا للمعز حقيقة يفصل درا والمديح اساليب

ومن المخالص التي تصلح ان تكون واسطة في هذا العقد قول البهاء زهير يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن عبدالعزيز مطلعها :

عرف الحبيب مكانه فتدللا وقنعت عنه بوعد فتعللا

وما اظرف ماقال بعده :

وأرى الرسول ولم اجد في وجهه بشراً كما قد كنت اعهد اولا

ولم يزل يدير كأس صباباته الغرامية الى ان قال :

آهاً لقلب لم يزل في لوعة ابدا يحن الى زمان قد خلا
ورسوم جسم كاد يحرقه النوى لو لم تبادره الدموع لاشعلا
ولقد كتمت حديثه وحفظته فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا
أهوى التذلل في الغرام وإنما يأبى صلاح الدين ان اتذللا

ومن أحسن المخالص قول سيدي عبدالغني النابلسي قدس سره وهو :

سقى الله من اكناف رامة منزلا | سلوت لديه في الهوى كل منزل
اذا الدهر غضٌ والزمان مساعدٌ | بارغد عيش في الشبيبة أرغل
بحيث الروابي زاهياتٌ بزهرها | فايّان يصغى مسمعى صوت بلبل
وهطل الندى يروي النوال عن الحيا | عن البحر عن كف الهمام المفضل

وتخلص في بديعيته بقوله واجاد :

ذاب المتيم لولا حسن مخلصه | بمدح خير البرايا سيد الأمم

ومما أعجب البلغاء واستحسنه كثير من الفضلاء تخلص الشهاب ابن معتوق في قصيدته التي امتدح بها سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين وأتى بما يناسب الجناب الاعظم حيث قال في المطلع :

هذا العقيق وتلك شمٌ رعافه | فامزجْ لجينَ الدمع في عقيانهِ
وانزل فثمّ معرس ابداً ترى | فيه قلوبَ العشق من ركبانهِ
واشمم عبير ترابه والثم حصى | في سفحه انتثرت عقود جمانهِ
واعدلْ بنا نحو المحصب من منى | واحذر رماة الغنج من غزلانه

ولا زال يأتي فيها بانواع التشبيب بالغزل من اظهار الحزن بما اعتراه من الشغف وتعسر مطالبه وذكر الصفيات المرغوبة وما يلقاه من عناء الحب الى ان شكا من زمانه كما هو دأب الشعراء فقال :

عتبي على هذا الزمان مطولٌ | يُفضي الى الاطناب شرح بيانه
هيهات ان القاه وهو مسالمي | إن الاديب الحر حرب زمانه

ثم انتقل الى الممدوح من غزله الرقيق فقال :

لم ألق قبل العشق ناراً احرقت | قلبي وحُب المصطفى بجنانه
خيرِ النبيين الذي نطقت به التوراة والانجيل قبل أوانه

وللبهاء زهير في مدح الامير مجدالدين ابن اسماعيل :

جعل الرقاد لكي يواصل موعدا ... من أين لي في حبه ان ارقدا
واليك عاذل من ملامة مغرم ... مأتهم العذال الا أنجدا
او ماترى تغير الازاهر باسماً ... فرحاً وعريان الغصون قد ارتدا
وقف السحاب على الربا متحيرا ... ومشى النسيم على الرياض مقيدا
ويشوقني وجه النهار ملثما ... ويروقني خد الاسيل موردا
وكأن أنفاس النسيم اذا سرت ... شكرت لمجد الدين مولانا يدا

ـ وللاديب البارع أبي اسحاق المشهور بابن خفاجة الاندلسي في مدح الامير ابي يحيى بن ابراهيم :

ولرب طيار خفيف قد جرى ... فشلا بجار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختالة ... مشى الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب أنها ... كرعت على ظمأ بكأس عقار
لا يستقر بها الايادي خشية ... من ليل ويل او نهار بوار
ولو استجارت منها بحمى أبي ... يحيي لآمنها اعز جوار

ولسيدي العلامة عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس يمدح السيدالشريف شيخ العيدروس نفع الله بهما :

حيا الحياحي الكثيب الاوعس ... وحمى الحسان الفائقات النعس
من كل بارعة الجمال كأنها ... شمس تجلت في مواد الحندس
يا رب غانية خرود كاعب ... كالبدر وجهاً ذات ثغر ألعس
كيف التسلي عن غزال راتع ... ابداً بروضات الغصون الميس
لله ذاك الشادن الغنج الذي ... قد حار في أوصافه كم اكيس
فاق الغواني مثل ما قد فاق في السادات ذو الفضل العظيم الأقعس
شيخ الاكابر واحد الدهر الذي ... رب البراعة عنده كالاخرس

وللاديب محمود صفوت المشهور بالساعاتي في مدح الشريف محمد بن عون أمير مكة المشرفة قال في أثناء قصيدته :

يعللني صبري فتزداد شقوتي ... وما حالُ من يشقى كحال منعم

فما شئت فافعل يازمان بمهجتي ... إذا انسلخ المذبوح لم يتألم

وإن هي الا النفس ان شئت اخذها ... فخذها فاني لست اسأل عن دمي

وإن لم اجد عوناً عليك فانني ... بظل ابن عون استقيل واحتمي

مليكٌ سما فوق السما كين قدره ... فاضحت له الشمس المنيرة تنتمي

ومن لطائف المخالص واحسنها قول الشهم الذي افرغ الالفاظ في احسن القوالب ، وتطأطأت له المعاني فارتقى الى اعلا المراتب . اخينا العلامة السيد أبي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين في قصيدته التي مدح بها جده صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله واصحابه . قال فيها اطال الله بقاه :

لذي سلم والبان لولاك لم أهوى ... ولا ازددت من سلع وجيرانه شجوى

الى ان قال :

خليليَّ من فهر اجيبا منادياً ... الى الفوز يدعو لا للبنى ولا علوى

وكونا لدى الترحال والحط رفقة ... لنضو اشتياق يمتطي للسرى نضوا

فيا حبذا إزماعنا السير ترتمي ... بنا اليعملات السهل والشقة الشجوا

بارقالها ترمي الفجاج وتقطع الهضاب وتطوي في سرانا بها الدوا

ونهوي بها والشوق يحدو قلوبنا ... بحدين حتى نبلغ الغاية القصوى

وما الغاية القصوى سوى المنزل الذي ... لحصبائه الميوّق تغبط والعوا

ومن مخالص وحيد زمانه والمقدم في جميع الآداب على أقرانه العلامة حسن حسني الطويراني قوله في مدح سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . في قصيدة طويلة :

أما وجلال الله ليستْ تروعني ... خطوبُ الليالي والصروفُ الفواجع

يثبتني ان المهيمن مالك وان الذي قد شاء لازيب واقع
ويقنعني أني رجوت محمداً نبي الهدى والجار لاشك مانع
انخت بمغناه رحال مقاصدي فوطنت نفسي واطمأنت مضاجع

وقلت في مدح سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله واصحابه .

أنفقت ريعان الشبيبة في هوى مالفك عنه تعففي وحيائي
مذهمت في مدح الرسول فلذّ لي عذب المقال وطاب نشر ثنائي

وقلت في مدح أهل البيت رضوان الله تعالى عنهم اجمعين :

سواي الذي يخشى الملام لأنني باهل العبا والبيت اصبحت ذا شان
أناس أتى في محكم الذكر فضلهم وفي مدحهم جاءت شواهد تبيان

انتهى الكلام في التخلص . ومن انواع البديع المسمى بالايداع بالياء المثناة وبعضهم يسميه التضمين وهو ان يودع الناظم شعره بيتاً او اكثر او مصراعاً او مادونه من شعر آخر سواء كان من شعره او شعر غيره ان لم يكن ذلك مشهوراً عند البلغاء . وان كان ذلك مشهوراً فلا احتياج الى التنبيه بعد ان يوطىء له توطئة تناسبه بروابط متلائمة . بحيث يظن السامع ان الكلام بأجمعه له . واحسنه مازاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه ولا يضره التغيير اليسير ومن امثلة الايداع المسبوكة في قالب الابداع قول مجير ابن تميم مضمناً مصراع بيت المتنبي المشهور :

لو كنتَ في الحمام والحِنا على أعطافه ولجسمه لألاءُ
لرأيت ما يُبليك منبه بقامهِ (سال النضار بها وقام الماء)

وأحسن الابداع مازاد على الاصل بنكتة لاتوجد فيه كالتورية والتشبيه الموجودين في قول صاحب التخيير :

إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها تذكرت مابين العقيق وبارقِ
ويذكرني من قدِّها ومدامعي مجرَّ عوالينا ومجرى السوابقِ

فالشطران من هذين البيتين لأبي الطيب المتنبي وصاحب التخيير اخـذ الشطر الاول وجعله شطراً ثانياً واخذ الشطر الثاني وجعله شطراً ثانياً لأن بيت المتنبي :

تذكرت مابين العقيق وبارق ... مجرعو الينا ومجرى السوابق

ولبعضهم :

سباني طرفٌ من فتى كان نائماً ... فقال عذولي شرُّه دون خيره
أتهوى ولم تدرِ السيون فقلت دعْ ... (ومن لم يمت بالسيف مات بغيره)

ولابن نباتة في أعمى :

بروحي مكفوف اللواحظ لم يدع ... سبيلا الى صبر نفوز بخيره
سوالفه تغني الورى جلّ طرفه ... (ومن لم يمت بالسيف مات بغيره)

ولبعضهم :

أفدْي حبيباً له في كل جارحة ... مني جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت طرته ... لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وقلت مضمناً قول البهاء زهير من جملة ابيات مدحت بها اهل البيت الاطهار رضوان الله عليهم اجمعين :

وجدير فضل من زكت أعراقه ... لاسيما من كان من اهل الوَلا
نصَّ الكتابُ بفضلهم وعلوِّهم ... والنص عند القوم لن يتأولا

وقلت ايضاً مضمناً قول الشهاب ابن حجر في قصيدة وعظية :

غفلنا عن الاخرى بدارِ ملامةٍ ... تطيع نفوساً غرَّها الامن والسكنى
ونبني قصوراً شامخات الى العلا ... وأعمارنا منه تُهدْ وما تُبنى

انتهى ما أردت ايراده هنا وبقية الانواع تأتي في الشرح ان شاء الله تعالى مفرقة وقد آن بحمد الله تعالى ان نتكلم على القصيدة بالفاظ مختصرة مفيدة . قال

سيدنا وامامنا الولي الصديق العبد المحض عبدالله بن علوي بن محمد بن احمد بن عبدالله بن محمد الحداد بن علوي بن احمد بن الفقيه العلامة السيد احمد بن الامام الوجيه عبدالرحمن بن السيد الامام علوي عم سيدنا الامام الفقيه المقدم قدس الله سره ونفعنا به وبعلومه آمين .

(إذا شئت أن تحيا سعيداً مدى العمر ... وتجعل بعد الموت في روضة القبر)

اذا ظرف لما يستقبل من الزمان مضمن معنى الشرط وجوابه سيأتي بعد سبعة أبيات وهو قوله الآتي عليك بتحسين اليقين ولا عيب في ذلك لعدم تعلق القافية بشيء وانما ذلك تعليق معنوي على حد قول الشاعر من بحر الوافر :

إذا ذهب التكرُّمُ والوفاءُ	وباد رجالُهُ وبقي الغُثاءُ
وأسلمني الزمانُ إلى رجالٍ	كأمثالِ الذئابِ لها عِواءُ
صديقٌ كلما استغنيتُ عنهم	وأعداءٌ إذا جَهَدَ البلاءُ
إذا ماجئتُهم يتدافعوني	كأني أجربٌ أعداهُ داءُ
أقولُ ولا ألامُ على مقالي	على الاخوانِ كلُّهم العَفاءُ

(وقد يستشكل) تعبيره رضي الله عنه باذا لما ذكر آنفاً من أنه طرف لما يستقبل من الزمان لأن قرينة السباق لاتدل على ان المراد مشيئة مستقبلة ولا مقيدة بوقت دون وقت بل مفادها ان من كان شأنه تلك المشيئة فليتمسك بما تضمنه الشرط (وقد يجاب) بان اذا قد يستعمل للاستمرار في الاحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة كما يستعمل الفعل المضارع لذلك . ومنه كما في الاتقان للسيوطي قوله تعالى : (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون) أي ان هذا شأنهم ابداً وبهذا يندفع الاشكال ويكون مفاد قرينة السباق هو مفهوم كلام الناظم والمراد (وشئت) فعل ماض والتاء فيه مفتوحة لكل من يصلح للخطاب إذ المراد تعميم النصيحة للمتأهل : ولا بأس هنا

بذكر مالهذا الفعل من الاحكام بلفظ وجيز اذ مالا يدرك كله لا يترك كله فنقول كما ذكره النحاة وقرروه إن للماضي البناء في الاصل على الفتح لفظاً كضرب أو تقديراً في المعتل كرمي . وقد يخرج عنه الى الضم اذا اتصلت به واو الجماعة كقولك ضربوا او الى السكون وذلك إذا اتصل به الضمير المرفوع المتحرك كهذا الفعل المذكور في النظم . فان ماقبل التاء مسكون وكقولك قمت وقمنا والنسوة قمن وما أشبه ذلك .
ثم ان شئت مشتق من المشيئة وأصل ماضيه قبل اتصاله بالضمير شيء بفتح الشين وكسر الياء تحركت الياء وانفتح ماقبلها فقلبت ألفاً فصار شاء لانه فعل ثلاثي مجرد أجوف كما يأتي . وما كان من هذا القسم تقلب عينه في الماضي المبني للفاعل ألفاً ، وهو عند الصرفيين من باب فعل بكسر العين يفعل بالفتح لمجيء مضارعه على يشاء والاجوف عند الصرفيين ما كان عينه ألفاً منقلباً عن واو أو ياء كجاء وقال . ويسمي أول الكلمة فاء ووسطها عيناً وآخرها لاماً ويسمى هذا الفعل اجوف لخلو جوفه عن حرف صحيح ويعلم بان العين أصلها ياء أو واو برد الفعل الى المصدر فيعلم ان عين الكلمة من لفظة شاء ياء لظهورها في المصدر المشتق منه الفعل وهو المشيئة فالاصل شيء ومثله جاء وصان وباع فالاصل صون بفتح الواو وجيىء بفتح الياء وكذا بيع لان مصادرهن مجيء وصون وبيع . ثم انه اذا اتصل الماضي من هذا القسم بتاء الضمير او نونه يتغير وزنه بحسب العين كخفت بكسر الخاء وقلت بضم القاف فان الخاء والقاف قبل اتصالها مفتوحان والالف فيهما ساقط بخلاف الصحيح كضربت فانه لا يتغير وزنه اذا اتصل به الضمير بل تبقى حروفه ماعدا الاخير السكون كحالها . ولا يخلو حينئذ ان يكون من باب فعل بالضم او فعل بالكسر او فعل بالفتح فان كان من الاول والثاني نقل الى فاءه شكل عينه المحذوفة فتنقل الضمة التي في عين طال الى فاءه فيصير طلت بضم الطاء لان الاصل طول بضم الواو والكسرة التي في عين هاب وخاف الى فائهما فيصيران خفت وهبت لان الاصل خوف وهيب بكسر الواو والياء . وان كان من باب فعل بالفتح أعني الاجوف كقال وباع فلا ينقل الا فاءه شكل عينه وانما حينئذ يراعى فيه كونه من ذوات الواو او الياء وتعوض شكلة العين بشكلة مجانسة لتلك العين . فاصل قال وباع بيع وقول

بالفتح اعطى كل واحد منها شكلا مجانساً لعينه فصارا قلت بضم أوله ، وبعت بكسر اوله لأن الضمة والكسرة لا يجانسها الواو والياء اذ هما ينوبان عنهما في الاعراب (قوله أن تحيا) بفتح الياء فعل مضارع منصوب بفتحة مقدرة للتعذر لانه معتل وناصبه ان التي هي من النواصب وعلامة المضارع ان يصلح دخول لم عليه نحو لم يلد ولم يولد ولا بد ان يكون في اوله واحد من حروف نأيت وهي النون والالف والياء والتاء ولذا قال الحريري رضي الله عنه :

وسمطها الحاوي لها نأيت فاسمع وعِ القول كما وعيت

وذلك نحو يقوم واقوم ونقوم وتقوم . والعمدة في تمييز المضارع صلاحية دخول لم عليه لا الحروف الاربعة المسميات احرف المضارعة . وانما ذكرها النحويون تمهيداً لما ذكره الصرفيون من انه يضم اوله ان كان الماضي اربعة احرف نحو دحرج يدحرج . ويفتح ان كان الماضي أقل من الاربعة او اكثر فالاول نحو ضرب يضرب وذهب يذهب والثاني انطلق ينطلق واستخرج يستخرج قال ابن مالك في لامته :

بعض نأتي المضارع افتتح وله ضم اذا بالرباعي مطلقا وصلا

• وحكم المضارع الخالي عن الناصب والجازم الرفع كقولك يقوم زيد ويضرب عمرو هذا اذا لم يتصل به الف التثنية نحو يقومان وتقومان او واو الجمع نحو يقومون وتقومون أو ياء المؤنثة المخاطبة نحو تقومين والا كان في هذه الامثلة بثبوت النون نيابة عن الضمة وماقبل النون هو الفاعل . ولا يزال المضارع مرفوعاً لفظاً في الصحيح كيضرب او تقديراً في المعتل كيخشى ويغزو ويرمي حتى يدخل ناصب فينصبه او جازم فيجزمه وحروف العلة ثلاثة الياء والواو والالف نحو يرمي ويغزو ويخشى المعتل بالياء والواو لايقدر فيه النصب بل يظهر فيه كقولك لن يرمي ولن يدعو . وأما الجزم فهو في الصحيح بالسكون وبالحذف في المعتل كقولك لم يخش ولم يغز ولم يرم وفي الامثلة الخمسة التي ترفع بثبوت النون . وقد يخرج المضارع عن الاعراب فيكون مبنيا والذي يوجب بناءه شيآن نون الاناث ونون التوكيد

خفيفة او ثقيلة . فنون النسوة يبني الفعل معها على السكون نحو يضربن من قولك النساء يضربن فيضرب فعل مضارع مبني على السكون في محل رفع لاتصاله بنون النسوه . ونون التوكيد يبني الفعل معها على الفتح ثقيلة كانت نحو ليسجنن او خفيفة نحو ليكونن فيسجنن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد . هذا اذا باشرت الفعل ، أما اذا فصل بينه وبينها فاصل ملفوظ به كالف الاثنين نحو هل تضربان يازيدان او مقدراً كواو الجماعة المدلول عليها بالضمة وياء المخاطبة المدلول عليها بالكسرة نحو هل تضربن يازيدون وهل تضربن ياهند فهذا ونحوه معرب . فالاول مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الامثال لان الاصل تضربانن وتضربوننّ وتضربيننّ حذفت نون الرفع في الجميع لتوالي الامثال . ولم تحذف نون التوكيد لفوات المقصود وبقيت الضمة والكسرة في المثالين الآخرين دليلا على المحذوف فقولك يضربن بضم الباء مضارع مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الامثال والواو المحذوفة المدلول عليها بالضم فاعله .

وكذلك تضربن ياهند فهو مرفوع بالنون المحذوفة والياء المحذوفة المدلول عليها بالكسرة فاعله . ولا يقال ان ماحذف غير فاصل بين الفعل والنون لان المحذوف لعلة كالثابت فهو مع الحذف فاصل . ثم ان هذا الفعل أعني تحيا عند الصرفيين من باب فعل يفعل كعلم يعلم وذلك لان الفعل الثلاثي المجرد عندهم يأتي على وزن فعل بالكسر وفعل بالفتح وعلى وزن فعل بالضم فالاول قياسه فتح عين مضارعه نحو حمد يحمد وسمع يسمع ورحم يرحم .

وقد شذت منه افعال بالكسر والفتح وذلك في تسعة افعال حسب يحسب ويحسب ووغر يغر ويوغر اذا توقد غيظاً ووحر يحر ويوحر اذا امتلأ من الحقد ونعم ينعم وينعم نعمة بفتح النون وهي التنعم وحسن الحال ومنه ونعمة كانوا فيها فاكهين ويئس ييئس وييئس اذا انقطع رجاؤه ووله يله ويوله اذا كان يذهب عقله لفقد حبيب من اهل او مال ويبس الشجر ييبس وييبس اذا ذهبت رطوبته ووهل يوهل ويهل اذا فزع او نسي الشيء . والضرب الثاني انفرد فيه الكسر على الشذوذ فلا يجوز

النطق فيه بالقياس وذلك في ثمانية افعال . الاول ورث يقال ورث المال من الميت ايضاً يرثه . الثاني ولى الامر يليه . الثالث ورم الجرح ونحوه يرم . الرابع ورع الرجل يرع . الخامس ومقه يمقه . السادس وفق الفرس يفق . السابع وثق به ثق . الثامن ورى المخ يرى اذا اشتد ، انتهى الكلام على فعل المكسور .

وأما فعل المفتوح فانه ينقسم اربعة أقسام : القسم الاول ماقياسه كسر عين مضارعه وهو اربعة أنواع (النوع الاول) مافاؤه واو كوثب يثب ووجب يجب ووعد يعد ولزوم الكسر في هذا النوع مشروط بأن لايكون لامه حرف حلق كوقع يقع ووضع يضع والا فا قياس الفتح وسيأتي بيان ذلك (النوع الثاني) ماعينه ياء كجاء يجيء وشاب يشيب وبات يبيت وباع يبيع (النوع الثالث) مالامه ياء كأتى يأتي وأوى يأوي ورمى يرمي وقد استثني من هذا أبى يأبي ونبه الصرفيون بان لزوم الكسر في هذا النوع مشروط بأن لايكون عينه حرف حلق كسعى يسعى ونهى ينهي ونأى ينأى ونعى ينعي (النوع الرابع) المضاعف اللازم كحن يحن ودب يدب وفر يفر وقد شذت من النوع افعال .

(القسم الثاني) من اقسام فعل المفتوح ماقياسه ضم عين مضارعه وهو ايضاً اربعة انواع الاول المضاعف المعدي نحو جبه يجبه وحده يحده تعني يمنعه وصب الماء يصبه ومده يمده وقد شذت منه افعال ذكرها ابن مالك وغيره . النوع الثاني والثالث ماعينه او لامه واو نحو آب اليه يؤب وتاب اليه يتوب وثاب ايضاً بالمثلثة يثوب هذه امثلة ماعينه واو ومثال مالامه واو تلا القرآن يتلوه وجلا السيف يجلوه صقله وحلا الشراب يحلو وخلا المكان يخلو ودعا يدعو ولغا يلغو ولها يلهو وسخا يسخو وصحا يصحو وجاءت منه افعال بالضم والفتح كصغى اليه يصغي ويصغو وضحا الشمس يضحى ويضحو ومحى الكتاب يمحوه ويمحاه . النوع الرابع مايدل على غلبة المفاخرة نحو سابقني فسبقته فانا اسبقه وضاربني فضربته فأنا اضربه وخاصمني فخصمته فأنا أخصمه وهكذا فيما مضارعه مكسور من فعل بالفتح ترده مضموماً فلو قلت سبقه يسبقه وضربه يضربه وخصمه يخصمه لغير مفاخرة لكسرته

على اصله هذا ان لم يكن فيه داعي لزوم كسر العين من كون فائه واو او عينه او لامه ياء كواعدني وبايعني وراماني ومثله قالاني فأنا أقليه .

(القسم الثالث) ماقياسه فتح عين مضارعه وهو ما كان لامه او عينه حرفاً حلقياً وحروف الحلق ستة الهمزة والحاء والهاء والعين والغين مثال ماعينه حرف حلق سأل يسأل وذهب يذهب وسحب يسحب وفخر يفخر وبعث اليه يبعث وشغله يشغله ومثال مالامه حرف حلق بدأ الله الخلق يبدءه ونده البعير ينده زجره ونصح ينصح ونسخ الكتاب ينسخه ومنع يمنع ونزغ الشيطان بينهم ينزغ ثم ان الفتح مشروط بثلاثة شروط ان لا يضاعف الفعل فان ضوعف فهو على قياسه السابق من كسر لازمه وضم معداه وان لا يشهر بكسرة فان اشتهر عن العرب كسره اتبع ولم يجز فتحه قياساً كبغى ونعى الميت ينعيه ورجع يرجع وان لا يشهر بضمة فان اشتهر عن العرب بضمة اتبع كنفخ ينفخ وقعد يقعد وطلعت الشمس تطلع .

(وأما القسم الرابع) من فعل المفتوح فيجوز فيه الضم والكسر وهو ماخلا عن جالب الكسر ولم يتعين أحدهما بشهرة استعمال او داع .

﴿ تنبيه ﴾ لما كان الفعل المضاعف ماضيه يشتبه فلم يعلم انه من باب فعل او من باب فعل فيعطى مايستحقه احتيج الى قاعدة يظهر بها الفرق بينهما وانما يظهر ذلك عند اسناد الفعل الى تاء الضمير او نونه فان بانت حينئذ حركة العين فتحة فمن باب فعل المفتوح وان بانت كسرة فمن باب فعل المكسور نحو فان زللتم واذا ظللنا ونحو صدقت وبررت وقررت بالأياب عيناً ويجوز حينئذ حذف الحرف الاول من المثلين وهو عين الكلمة المكسورة في الماضي مع نقل كسرتها الى فاء الكلمة او بقاء فتح الفاء نحو ظلت افعل بكسر الظاء وفتحها والفتح افصح وعليه اجمع القراء في قوله تعالى : (فظلتم تفكهون) والى ذلك اشار ابن مالك :

بقوله ظلت وظلت في ظللت استعملا   وقرن في اقررن وقرن نقلا

﴿ تنبيه ﴾ آخر إذا اشكل امر الفعل في نحو دعى ورمى وعفا واردت ان تميز ذوات الواو من ذوات الياء فالطريق الى ذلك ان تصله بتاء المتكلم والمخاطب فما ظهر فهو أصله ألا ترى انك تقول في رمي وهدي رميت وهديت وفي دعا وعفا دعوت وعفوت والى ذلك اشار الحريري رحمه الله تعالى بقوله :

إذا الفعل يوماً غم عنك هجاؤه ... فالحق به تاء الخطاب ولا تقف

رجعنا الى مانحن بصدده من الشرح فنقول ان في البيت وهو قوله :

إذا شئت ان تحيا سعيداً مدى العمر ... وتجعل بعد الموت في روضة القبر

نوعا من المحسنات البديعة يقال له الطباق وذلك بين قوله تحيا وقوله بعد الموت اذ المطابقة الجمع بين الضدين في كلام او بيت شعر كالايراد والاصدار والليل والنهار وسواء كان ذلك من اسمين او فعلين او من اسم وفعل على ماعليه محققوا هذا الفن . فمثال الطباق من اسمين قوله تعالى (وتحسبهم ايقاظاً وهم رقود) وقول الشاعر:

ألقاه بالشكوى إليـه فيعرضُ ... أهو الحبيبُ أم العذولُ المبغضُ

وكقوله .

ياوجوهاً زانت سناها فروعٌ ... حالكاتٌ اغنتكم عن حُلاكمْ
لي من حسنكم نهارٌ وليل ... أنعم الله صبحكم ومساكم

ولجمال الدين ابن نباتة :

إني إذا آنست هماً طارقاً ... عجلتُ باللذات قطع طريقه
ودعوتُ الفاظ المليح وكأسه ... فنعمت بين حديثه وعتيقه

ولابن خروف النحوي الاندلسي في مغن :

ومنوّع الحركات يلعب بالنهى ... ليسَ الخلاعةَ عند خلع لباسه
متأوداً كالغصن بين رياضه ... متلاعباً كالظبي عندَ كناسه
بالعقل يلعبُ مقبلاً أو مدبراً ... كالدهر يلعبُ كيف شاء بناسه

ومن لطيف الطباق ما اوضحه القاضي جلال الدين القزويني في ايضاحه على تلخيصه وهو قول القاضي الارجاني :

ولقد نزلتُ من الرجال بما جدٍ فقرُ الرجال اليه مفتاحُ الغنى

وقلت في بعض قصائدي :

هل في القضيةِ ان أقيم ببلدة يُلفى العزيز بها ذليلاً مُبتلا

ومثال الطباق من فعلين قوله يحيي ويميت وكقول ابن رشيق :

وقد اطفأوا شمسَ النهار وأوقدوا نجومَ العوالي في سماءِ عجاجِ

وقال بعضهم :

لئن ساءني أن تلتني باساءةٍ لقد سرني إني خطرتُ ببالكِ

ومثال الطباق من أسم وفعل قول الشاب الظريف ابن العفيف :

متى بالقربِ يخبرني الرسولُ ويسمح باللقاء دهرٌ بخيلُ
ويرجع فيكَ نترُ القول جهراً ويشفي منك بالوصل العليلُ

ومنه في بيت القصيدة فإنه أتى بالمطابقة من فعل وأسم وهو قوله اذا شئت ان تحيا وقوله بعد الموت ويظيره قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض قدس الله سره :

أرَجُ النسيم سرى من الزوراءِ سحراً فأحيا ميّت الاحياءِ

وقد يكون الطباق من حرفين قال الله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فان في اللام معنى الانتفاع وفي على معنى الضرر أي لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لاينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها وقال الشاعر في مثل ذلك :

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى واسلمَ منه لا عليَّ ولا ليا

ومن هذا القبيل قول الشاعر ايضاً :

جعلتكما درعاً حصيناً لتدفعا سهامَ العِدى عني فكنتم نصالها
إذا لم تكونا ترعيا لي قرابتي فكونا كفافاً لا عليها ولا لها

وحاصل معنى البيت اذا شئت ان تحيا حياة مقرونة بالسعادة مدة بقائك في دار الفناء واقامتك في مواطن العناء . وان تجعل بعد انتقالك عنها في روضة القبر . فعليك بتحسين اليقين الآتي ذكره في هذا الكتاب . واعلم ان المراد من السعادة معاونة الامور الالهية للعبد الناسك ، والقاصد انهج المسالك . ومساعدته على فعل الخير والصلاح حتى يحظى بالقرب من مقام المندية والانتظام في سلك الفائزين من اهل الحضرة المحمدية . ثم السعادة على ضربين دينوية وهي ماذكر واخروية وهي الموت على الاسلام ودخول الجنة وهي السعادة القصوى الازلية لمن قال الله تعالى فيهم : (واما الذين سُعِدوا ففي الجنة خالدينَ فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك عطاءً غير مجذوذ) أي مقطوع ، وكذلك الشقاوة على ضربين دنيوية واخروية لمن قال الله تعالى فيهم : (وأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد) وعن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله وبيده مخصرة ، ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال مامن نفس منفوسة ألا قد كتب مكانها من الجنة او النار ، فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا . فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من اهل السعادة فسيصير الى عمل اهل السعادة ، واما من كان من اهل الشقاوة فسيصير لعمل اهل الشقاوة ، ثم قرأ (فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) الآية وبقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمخصرة كالسوط والعصا مما يمسكه الانسان بيده . والنكت بالنون والمثناة من فوق ضرب الشيء بتلك المخصرة او باليد او نحو ذلك حتى يؤثر فيه كما في تفسير الخطيب الشربيني واعلم ان المراد هنا بالسعادة مايشمل الدنيوية والاخروية بدليل قوله وتجعل بعد الموت الخ .. وعليه يكون في كلامه حذف اي مدى العمر وبعده . والموت هو

مفارقة الروح البدن الى حيث شاءالله ، فالروح لايلحقهـا فناء أي ارواح جنس المكلفين وفي حديث عمر بن عبدالعزيز انما خلقتم للابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار . وعليه قول المعري عفى الله عنه :

خُلق النـاسُ للبقاءِ فضلّت أمـة يحسبونهـم للنفادِ
إنمـا ينقلون من دار أعمال إلى دار شقـوة أو رشاد

وفي هذا المعنى :

الجسمُ للنفس النفيسةِ آلةٌ مالم تحصلهْ بهـا لم تحصل
يفنى وتبقى دائمـا في غبطـة او شقوة ونـدامـةٍ لا تنجلي

(ثم ان الروح) من عالم الامر قال الله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) وهي من جنس الملائكة خلقها الله تعالى وجعلها بواسطة العقل محل العلوم الالهية ، فهي مجبولة على درك الحقائق بالفطرة أصالة ، وانمـا حجب الناس عن ادراك ذلك حكم الجسم الذي امتزجت به الروح فنزلت وتسفلت ، فاذا أخذ العبد في الرياضات اخذت الحجب في الارتفاع لانه اذا قلل الطعام والكلام والمنام والاختلاط بالانام سقط قيد الجسم عن الروح ، فاذا استمر على ذلك وعلى ملازمات الطاعات ورفض ماتألفه النفس من العادات تخلص من سجن الطبع وطار في عالم الارواح . فعند ذلك تظهر له الاشياء على ماهي عليه فبقدرة الله تعالى لايحجبها الجدران ، ولا يمنعها بعد المكان والزمان ، وقد يرى الاشياء بالعين الشحميـة لاتحاد نور القلب بالعين ، قاله بعض العارفين وقد باح سيدي القطب احمد الرفاعي بما وقع له من قبيل ذلك وأنشد مخاطباً للجناب النبوي حـين زار ووقف تجاه الحضرة الشريفة :

في حالةِ البعد روُحي كنتُ أُرسلها تقبّل الارض عني فهي نـائبـتي
وهذه دولةُ الاشباح قد حضرتْ فامدد يمينك كي تحظـى بها شفتي

ثم ان الناس قد اختلفوا في الروح على فرقتين ، فرقـة أمسكت عن

الكلام فيها لانها سر من اسرار الله تعالى ولم يؤت علمه لبشر ولا لملك ، وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها وحملوا النهي على الكراهة . قال الامام النووي واصح ماقيل في ذلك قول امام الحرمين انها جسم لطيف مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك العود الاخضر بالماء . والى هذا الخلاف أشار اللقاني بقوله :

ولا تخضْ في الروح إذ ماوردا	نصٌ عن الشارعِ لكن وجدا
لمالكٍ هي صورةٌ كالجسد	فحسبكَ النصُ بهذا السندِ

وعلى المختار من التفويض ، هل علمها النبي ﷺ اولا ، طريقان والتحقيق أنه لم يفارق الدنيا حتى أعلمه الله تعالى بسائر المغيبات التي يليق علمها بالبشر ، وهل هي جسم او عرض . والذي عليه المحققون انها جسم لوصفها في الآيات والاحاديث بالاعراض كالتوفي والقبض والامساك والارسال والتناول والاخراج والتنعيم والتعذيب والدخول والرجوع والرضا والانتقال والتردد في البرزخ وانها تأكل وتشرب كأرواح الشهداء وتسرح وتأوي الى غير ذلك مما هو من صفات الاجسام ، والعرض لا يتصف بهذه الصفات وانها لاشك انها تعرف خالقها وتدرك المعقولات ، وهذه علوم والعلوم أعراض فلو كانت عرضاً والعلم قائم به لزم قيام العرض بالعرض وهو باطل . وهل الروح والنفس شيء واحد او متغايران طريقتان والصحيح أنهما شيء واحد وانما تختلفان بالاعتبار بل والعقل أيضاً على مااستظهره بعضهم فهي من حيث الميل الى الكمال عقل ، ومن حيث ميلها الى الشهوات نفس . ومن حيث أن بها حياة الجسم روح .

قال العلامة الامير وحاصله أن هناك لطيفة ربانية لايعلمها إلا الله تعالى فهي من حيث تفكرها عقل ومن حيث حياة الجسم بها روح ومن حيث شهوتها نفس فالثلاثة متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار . قال العلامة المذكور ولا يقال ان كل ذي روح عاقل لانه ليس الروح لذاتها عقلا بل باعتبار ان تتفكر الله ويدل لذلك قوله تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) ولا شك ان هذا خطاب للروح ، وقال تعالى : (ونهى النفس عن الهوى) الى غير ذلك

وقال ابن عبدالبر بالتغاير عملا بظاهر . قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) قال العلامة الجمل في حاشية التفسير أثبت ابن عباس ان في ابن آدم نفساً وروحاً بينها تعلق مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قاله البيضاوي . وكتب عليه محشيه الشيخ زاده ليس في ابن آدم الا شيء واحد هو الجوهر المشرق النوراني يكون لابن آدم بحنبيه ثلاثة احوال : حال يقظة ـ وحال نوم ـ وحال موت فانه باعتبار تعلقه بظاهر الانسان وباطنه تعلقاً كاملا ثبتت له حالة اليقظة . وباعتبار تعلقه بظاهر الانسان فقط ثبتت له حالة النوم . وباعتبار انقطاع تعلقه عن الظاهر والباطن ثبتت له حالة الموت ، ويكون معنى الآية حينئذ (الله يتوفى الأنفس) أي الارواح أي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها ظاهراً وباطناً عنها وذلك عند الموت او ظاهراً لا باطناً وذلك عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المحدد لموته .

قال سعيد بن جبير ان الله يقبض أرواح الاموات إذا ماتوا وأرواح الاحياء اذا ناموا ، فتتعارف ماشاءالله ان تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى .

وقال القرطبي في تفسيره قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ماشاء الله تعالى ، فاذا اراد الله رجوعها الى اجسادها أمسك الله ارواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء الى اجسادها .

وروي مرفوعاً عن جابر بن عبدالله قيل يارسول الله أينام أهل الجنة قال (لا ، النوم أخو الموت والجنة لاموت فيها) أخرجه الدارقطني اه جمل واختلف في محل الروح من الجسد حال الحياة فقيل البطن وقيل القلب وقيل بقرب

القلب من البطن وعلى قول الصوفية محلها الكف. وأما مقرها بعد الموت فهي متفاوتة فمنها ارواح في اعلا عليين في الملأ الاعلى وهم الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ، وهم متفاوتون في منازلهم كما شاهد النبي ﷺ ليلة الاسراء . ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم فان بعضهم قد يحبس عن دخول الجنة بسبب دين عليه او غيره حتى يقضى عنه ، ومنها ارواح السعداء من المؤمنين غير الشهداء ، وقد اختلف فيها على أقوال : أحدها أنها بأفنية القبور ، وقال ابن العربي وهو أصح الاقوال قال والمعنى عندي انها قد تكون على أفنية القبور لا أنها تدوم ولا تفارق بل هي كما قال بعضهم تسرح حيث شاءت ، وقال العلامة الامير أنها بأفنية القبور من فوق اه ، ثم اعلم انه قد ورد في عدة أحاديث تفيد اختلاف محل الارواح فمنها مايفيد انها تكون في حواصل طير خضر وذلك لقوله ﷺ في حديث مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في انهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى قناديل تحت العرش) والى ذلك أشار سيدنا الناظم نفع الله به في قصيدته اليائية بقوله :

وأرواحٌ تطير الى علاها ... باجنحةِ الغرام المقعديّه

فتسرحُ في رياضٍ من جنانٍ ... وتأوي للقناديل المضيئة

وأخرج المروزي في الجنائز وابن عساكر في تاريخه عن عبدالله بن عمر قال أرواح المؤمنين في بئر زمزم وأرواح الكفار في واد يقال له برهوت سبخة في حضرموت وفي بعض الروايات تجتمع بالجابية ، قال ابن القيم والتحقيق الذي لاخلاف فيه ان الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ، ولا تعارض بين الادلة فان كلا منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم . قال وعلى كل تقدير فللروح بالبدن اتصال بحيث يصح ان تخاطب ويسلم عليها ويعرض عليها مقعدها وغير ذلك مما ورد فان للروح شأناً آخر فتكون في الرفيق الاعلى وهي متصلة بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك وانما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح من جنس مايعهد من الاجسام

التي اذا شغلت مكاناً لم يمكن ان تكون في غيره وهذا غلط محض . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء موسى قائماً يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة، فالروح كانت هناك في مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على من يسلم عليه وهو في الرفيق الاعلى . وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس في السماء الرابعة وشعاعها في الارض . قال ﷺ (من صلى علي عند قبري سمعته) هذا مع القطع بانه في أعلا عليين مع أرواح الانبياء وهو الرفيق الاعلى ومع ذلك فهو ﷺ حي في قبره كالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . كما صرح بذلك النقل الواضح وانما لارواحهم اتصال بالبدن كالشمس في السماء الرابعة ونورها متصل بالارض وهذه امور خارقة للعادة يجب ان يؤمن بها ولا يقاس عليها غيرها ، ولا يعارض القول بحياة الانبياء قوله ﷺ (مامن احد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) لما يتوهم من ظاهره عدم حياته ﷺ اذ المراد بالروح هنا شيء من أحواله اللازمة له كالنطق ففي الحديث حذف المضاف فيكون المعنى والله أعلم رد الله حال الروح أو قوة الروح أو لوازمه التي منها النطق وهذا تأويل حسن قاله بعض العارفين .

(وأعلم) أن الآدمي يتطور في الاحيا آت والامانات ستة . الاولى يوم ألست بربكم وذلك حين استخرج الله من ظهر آدم عليه السلام الذرية كهيئة الذر كما قال تعالى في كتابه العزيز (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أتهلكنا بما فعل المبطلون) قال العلامة ابن حجر في الفتاوي الحديثية والحق عند أهل السنة أنها يعني الذرية كانت مركبة في أجسام اي بان اخرج بعضهم من بعض كما في التفاسير نسلا بعد نسل كنحو مايتوالدون كالذرية ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا عرفوا به كما جعل للجبال عقولاً حين خوطبوا بقوله تعالى (ياجبال أوبي معه والطير) وكما جعل تعالى للبعير عقلاً حتى سجد للنبي ﷺ ، وكذا للشجرة حين سمعت

لامره وانقادت ، وكذا النمل حين قالت : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم . قال الخطيب الشربيني فان قيل كيف يكون ذكر العهد عليهم حجة فانهم لما اخرجوا من ظهر آدم وركب فيهم العقل وأخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلبه بطل ماركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق . اجيب بأن التذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس وبذلك قامت الحجة عليهم يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمتهم الحجة ، ولا تسقط الحجة بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات ، والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود مقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم من التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) .

الثانية الاحياء الابراهيمي صلى الله على نبينا وعليه وسلم عند بناء البيت . قال المفسرون في تفسير قوله تعالى : (وأذن في الناس بالحج) إن ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت قال الله تعالى له أذن في الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوتي قال عليك الأذان وعليّ البلاغ . فصعد ابراهيم الصفا وفي رواية أخرى ابا قبيس وفي اخرى على المقام قال ابراهيم كيف اقول قال جبريل قل لبيك اللهم لبيك فهو أول من لبى . وفي رواية اخرى ان الله يدعوكم الى حج بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار ، فاجابه يومئذ من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء وكل من وصل اليه صوته من حجر أو شجر أو آنية أو تراب . قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج احد حتى تقوم الساعة إلا وقد أسمعه ذلك النداء . فمن أجاب مرة حج ومن أجاب مرتين أو أكثر فيحج مرتين او اكثر بذلك المقدار . وفي رواية فنادى على جبل ابي قبيس ياأيها الناس ان ربكم بنى بيتاً وأوجب الحج عليكم اليه فاجيبوا ربكم ، والتفت يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً فاجابه كل من كتب له ان يحج من اصلاب الرجال وأرحام الامهات لبيك اللهم لبيك .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما أمر الله ابراهيم بالأذان تواضعت له الجبال وخضعت وارتفعت له القرى .

الثالثة الاحياء المحمدي كما ذكر القشيري في التحبير عند ذكر الوهاب ان موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم قال ياربي اني ارى في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم من هم قال تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ يعدد فيهم الخصال الجميلة حتى اشتاق موسى الى لقاءهم . فقال له لاتلقاهم ولكن ان شئت اسمعتك أصواتهم فنادى سبحانه امة محمد ﷺ وهم في اصلاب آبائهم فقالوا لبيك ياربنا فقال تعالى : أعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني .

والرابعة الاحياء الدنيوي المشهور لكل أحد اذ كل أحـــد كان ميتاً قبل نفخ الروح .

الخامسة احياء القبر عند مجيء الملكين للسؤال ويجب التصديق به لانه ممكن وقد وردت به الاخبار . ولا يدفع ذلك مايشاهد في الميت من سكون اجزائه وعدم سماعنا للسؤال له . كما لايمنع من التصديق بعذاب القبر تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور ، فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات مايحس بتأثيره عند التنبيه ، والمدرك لألم العذاب من الحيوان اجـــزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها ، ويكون العذاب للكافر والمنافق وبعض عصاة المؤمنين الذين خفت جرائمهم فانهم يعذبون بحسبها ، وقد يرفع عنهم بدعاء او صدقة او غير ذلك كما قاله ابن القيم وكل من كان لايسأل في قبره لايعذب فيه والقبر إما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار . ولذا قال الناظم نفع الله به وتجعل بعد الموت في روضة القبر اي القبر الشبيه بالروضة للمؤمن المطيع فهو من اضافة المشبه به للمشبه .

قال القرطبي انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النـار انتهى ، ويرادف القبر الجدث والضريح والرمس والحافرة ، وكان سفيان الثوري

يقول : من اكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن يغفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وصرح به الناظم في قصيدة اخرى فقال :

القبر إما روضة نعيمه ... نعم وإلا حفرة جحيمه

وقد ورد الشرع بعذاب القبر ، قال الله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وثبت ان رسول الله ﷺ استعاذ منه وانه قال مارأيت منظراً الا والقبر أفظع منه وانه عليه الصلاة والسلام قال (ان القبر اول منازل الآخرة فان نجا صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج فما بعده اشد) . «ويجب» الايمان بعموم فناء الكل وان الموت على الوجه المعهود شرعاً من فراغ الآجال المقدرة خلافاً للحكماء في قولهم انه مجرد اختلاف نظام الطبيعة وخلافاً للدهرية قبحهم الله في قولهم ان هي إلا أرحام تدفع وارض تبلع . وقد دلت الاحاديث على ان كل هالك يستوفى أجله من غير تقدم ولا تأخر عنه وثبت ذلك في القرآن العزيز قال تعالى : (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ولا يعارض ذلك ماورد ان بعض الطاعات كصلة الرحم يزيد في العمر لأنه خبر آحاد وان الزيادة فيه بحسب الخير والبركة او بالنسبة لما ثبت في صحف الملائكة فقد يثبت الشيء فيها مطلقاً وهو في علم الله تعالى مقيد كأن يكون في صحف الملائكة ان عمر زيد خمسون مثلاً مطلقاً وهو في علم الله مقيد بان لا يفعل كذا من الطاعات ، وان فعلها فله ستون فان سبق في علمه تعالى انه يفعلها فلا يتخلف عن فعلها وكان عمره ستين فالزيادة بحسب الظاهر على مافي صحف الملائكة والا فلا بد من تحقق مافي علمه تعالى كما يشير له قوله تعالى : (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) أي اصل اللوح المحفوظ وهو علمه تعالى الذي لا محو فيه ولا اثبات ، واما اللوح المحفوظ فالحق كما قاله العلماء قبول مافيه المحو والاثبات كصحف الملائكة كذا في كتب الباجوري .

(واعلم) ان المراد بعذاب القبر هو عذاب البرزخ اضيف الى القبر جريا على الغالب من ان كل ميت يقبر ، فالمصلوب والحريق وان صار رماداً او ذرى في

الريح وما كول السباع مقيم في البرزخ باجماع أهل السنة يناله النعيم او العذاب ، والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين ومنه بينهما برزخ لا يبغيان بدليل وجعل بين البحرين حاجزاً .

والسادسة من الاحيا آت الاحياء الابدي حين يذبح الموت ويقال يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ، وهو رجوع الاجسام كما كانت على وجه اكمل وافضل . قال العلامة ابن حجر فليست هذه الحياة مضادة لقوله (ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) لان هذا من قول الكفار ولو سلمنا صحته فليس فيه حصر ان هذا لا يكون الا كذا فيجوز اكثر وان سلمنا ان فيه حصراً فهو باعتبار المشهور الذي يعرفه كل احد انتهى .

وللملائكة حياتان وموت واحد الاولى الدنيوية والموت بعدها . والثانية الاخروية ، وللبهائم حياتان وموتتان الدنيوية ثم الموت بعدها ثم الحيات للقصاص كما جاء في الصحيح ثم يقال لها كوني تراباً فتموت وترجع تراباً وحينئذ يقول الكافر ياليتني كنت تراباً ثم قال الناظم نفعنا الله به :

﴿وتبعث عند النفخ في الصور آمناً

من الخوف والتهديد والطرد والخسر﴾

قوله وتبعث عند النفخ فعل مضارع وهو بالبناء للمجهول وبالنصب عطفاً على ماقبله اي واذا شئت ان تبعث حال كونك آمناً عند نفخ اسرافيل في الصور فعليك بتحسين اليقين الآتي ذكره ، والمراد بالنفخ نفخ اسرافيل النفخة الثانية وهي نفخة البعث وعند وقوعها يجمع الله الارواح في الصور وفيه ثقب بعددها فتخرج منه الارواح الى اجسادها فلا تخطيء روح جسدها . وتسبق هذه النفخة نفخة الفناء التي ذكرها الله تعالى بقوله : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) ومعنى فصعق كما قال المفسرون ماتوا من الفزع وشدة الصوت فلا يبقى عندها حادث الا هلك ولا حي إلا مات الله لم يكن مات قبل ذلك

وإلا غشي عليه إلا من شاء الله .وقد اختلفوا في هذا الاستثناء فقال الكلبي ومقاتل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ثم يقبض الله روح اسرافيل ثم ملك الموت ثم روح ميكائيل ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتاً جبريل عليه السلام. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مابين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً قال أبيت قالو اربعون شهراً قال ابيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل . ومقتضى الآية الكريمة ان كل ماسوى الله سبحانه وتعالى من الموجودات محكوم عليه بالهلاك لورودها بلفظ العموم وهو قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) لكن العلماء قصروا عموم ذلك على غير الامور التي وردت الاحاديث باستثنائها كالروح وعجب الذنب فانه لا يبلى لحديث الصحيحين وكأجساد الانبياء والشهداء والعرش والكرسي والجنة والنار ونحو ذلك . وقد نظم الجلال السيوطي ثمانية منها في قوله :

ثمانيـة حُكْم البقاء يعمُّها ... من الخلق والباقون في حيّز العدمْ
هي العرشُ والكرسي نارٌ وجنةٌ ... وعجبٌ وأرواحٌ كذا اللوحُ والقلمْ

قال العلامة الباجوري في حاشيته على الجوهرة بعد ان ذكر الآية ومقتضاها وعلى هذا فتكون الآية من قبيل العام المخصوص والعام لفظ يستغرق الصالح بغير حصر والتخصيص قصر العام على بعض افراده قال وهذا الجواب لجماعة كأبن عباس ثم قال ، وذهب محققوا المتأخرين الى انه لا استثناء ولا تخصيص وقالوا معنى هالك قابل للهلاك كما هو معنى فان انتهى .

والبعث كالنشر الاخراج من القبور بعد جمع الاجزاء الاصلية واعادة الارواح اليها . وهو حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع المسلمين عليه فلا يشك في ذلك إلا أعمى البصيرة ، قال الله تعالى (ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وقال تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) ويكون البعث والحشر وهو سوق الناس الى الموقف لعين هذا البدن باعراضه التي كانت

قائمة به في الدنيا بعد عدم محض او تفريق فعلى الاول يذهب الله العين والاثر جميعاً ثم يعيد الجسم كما أوجده أولاً قال تعالى (كما بدأ كم تعودون) وعلى الثاني يفرق الله اجزاء الجسم بحيث لا يبقى فيه جوهران فردان على الاتصال والصحيح الاول ، الجوهر الفرد عند المتكلمين هو الجزء المتحيز الذي لا يتجزأ اي لا يقبل القسمة اصلا لا طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً . والجسم هو المتحيز الذي يقبل القسمة المتركب من جزءين فصاعداً ، وقد ذهب المتكلمون من اهل السنة الى اثبات وجود الجزء الذي لا يتجزأ في الخارج وان لم ير عادة الا بانضمامه الى غيره لقدرة المولى على التفريق المطلق كالجمع واستدلوا على وجوده بادلة تعرف في الكتب الكلامية وعبر بعضهم عن هذا الجزء بالنقطة وقالوا انها شيء ذو وضع غير منقسم وهذا هو المراد من وصفه بالفرد وهو حادث عند اهل الحق فالاجسام حادثة متركبة منه ، وذهب الفلاسفة وبعض المعتزلة الى امتناع الجزء الذي لا يتجزأ ويترتب على الخلاف في ثبوته وعدمه القول بحدوث العالم وقدمه ولهذا ينبغي معرفة هذه المسألة والاعتناء بها ومع ذلك فليست من ضروريات العقائد بل من جملة الفوائد . والحق ان العالم بجميع اجزائه حادث وهو ماسوى الله تعالى وصفاته علوياً كان او سفلياً جوهراً أو عرضاً وهو ماقام بغيره من الصفات الحادثة كالحركة والسكون والظل (قوله من الخوف) يصح ان يكون ال للعهد الذهني .

والخوف المعهود هو الفزع الاكبر الذي ذكره الله تعالى بقوله(لا يحزنهم الفزع الاكبر) اذ هو كما قال ابن عباس رضي الله عنه عند النفخة الاخيرة التي للبعث قال الله تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض)ويحتمل ان يكون ال للاستغراق وان يراد بأمنه من الخوف حينئذ عدم حصوله من الأهوال التي تقع في ذلك اليوم وقد ورد ان العبد المؤمن اذا بعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعد (قوله والتهديد والطرد والحسر) هذه الثلاثة عطف على الخوف من عطف السبب على المسبب إذ هي سبب للخوف كما لا يخفى .

والتهديد القول الفظيع الغليظ وحاصله الكلام بعنف وشدة . والطرد البعد عن رحمة الله تعالى (والخسر بمعنى الخسران وهو من لوازم الطرد ، وفي الحديث مرفوعاً (اخبرني جبريل ان لا اله الا الله أنس المؤمن عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره يامحمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون على رؤوسهم التراب هذا يقول لا اله الا الله وهذا يقول الحمدلله فيبيض وجهه وهذا ينادي ياحسرتاه على مافرطت في جنب الله مسودة وجوههم) .

وبهذا ظهر قول الناظم نفع الله به ثم ان من امنه الله تعالى من الخوف سلم من التهديد والطرد وحاشاه ان يطرد عباده المؤمنين كيف وقد أوصي نبيه في محكم كتابه بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) الآية ثم قال الناظم نفع الله به وبعلومه :

﴿ وتُعرضُ مرفوعاً كريماً مبجلاً

تُبشركَ الاملاكُ بالفوزِ والاجرِ ﴾

وتعرض فعل مضارع مبني للمجهول وهو منصوب لأنه معطوف على المنصوب وهو تحيا المتقدم ذكره والأسماء الثلاثة بعده منصوبات على الحالية من نائب فاعل تعرض المستتر فيه ولا بد لحذف الفاعل وتحويل صيغة الفعل المبني للمجهول من غرض اما معنوي كالعلم به او الجهل به والابهام والخوف منه والخوف عليه او تعظيمه أو تحقيره ، أو لفظي كالايجاز او محافظة على وزن النظم لضيق المقام عن اطالة الكلام الى غير ذلك مما هو مبسوط في كتب المعاني وهنا قد حذف الفاعل المسند اليه للمحافظة على الوزن وللعلم به اذ من المعلوم بالضرورة ان الذي يعرض الخلق أي يظهرهم في عرصات القيامة هو الله سبحانه وتعالى والمرفوع من الرفع وله اطلاقات فيأتي بمعنى العلو المكاني نحو قوله تعالى (ورفعناه مكاناً عليا) وبمعنى الرفعة التي هي ضد الضعة وفي الحديث من تواضع لله رفعه وبمعنى الازالة وعليه قول الشاعر رحمه الله تعالى :

ولستُ بأهلٍ للوصال وإنمّا أقولُ وما لي لانخفاضي رافعُ

وأما اسم الكريم فهو ضد البخيل والمراد بالكريم هنا المكرم الذي انتفت عنه وجوه المذام والمكرمون هم العباد المبشرون من الله باعلا الدرجات الموصوفون بمحامد الصفات العاملون بالطاعات المجتنبون السيآت بنص قوله تعالى (إلا الذين هم على صلاتهم دائمون) الى ان قال فيهم (اولئك في جنات مكرمون) والمبجل هو المفخم المعظم ، قال الشاعر :

ومامنزلُ الاحباب عندي بمنزلٍ اذا لم أبجّل عنده وأكــرمُ

ومعنى البيت إذا شئت ان تعرض على مولاك مرفوعاً مبجلاً معظماً فعليك بتحسين اليقين الآتي ذكره وآثر هذا اللفظ على غير لوروده في مواضع من الكتاب العزيز كقوله تعالى (يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية) وقوله تعالى (وعرضوا على ربك صفاً) . روى الترمذي مرفوعا تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تتطاير الصحف في الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ، قال العلماء والجدال خاص باهل الهواء فيجادل احدهم حتى لا يعرض على ربه ويظنون انهم اذا جادلوا نجوا وقامت حجتهم . وأما المعاذير فهي الى الله تعالى ومن الله يعتذر الخلق الى الله فيتقبل ممن شاء ويرد على من شاء والعرضة الثالثة خاصة بالمؤمنين فيخلو بهم ربهم ويعاتبهم في تلك الخلوات حتى يذوب أحدهم من الحياء ويرفض عرقاً بين يديه ثم يغفر لهم ويرضى عنهم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يقول حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وتهيئوا للعرض الاكبر وانما يخفف الحساب على من حاسب نفسه في الدنيا قوله (تبشرك الاملاك بالفوز والاجر) العطف هنا من عطف السبب على المسبب اذ الاجر سبب للفوز كما لايخفى روي ان العبد اذا بعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لاتخف ولا تحزن وابشر بالجنة التي توعد كما تقدم .

وفي الخطيب الشربيني عند تفسير قوله تعالى وتتلقاهم الملائكة مانصه اي تستقبلهم الملائكة ، قال البغوي على ابواب الجنة يهنونهم وقال الجلال المحلي عند خروجهم من القبور ولا مانع انها تستقبلهم في الحالين ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا فابشروا فيه بجميع مايسركم ، وفيه ايضاً عند تفسير قوله تعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا) وفي الآخرة ما ملخصه وأما البشرى في الآخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرونه من بياض وجوهم واعطاء الصحائف بايمانهم ومايقرؤن فيها وسلام الله تعالى عليهم كما قال تعالى (سلام قولا من رب رحيم) وغير ذلك من المبشرات بما بشر الله تعالى المتقين في كتابه وعلى ألسنة انبيائه من جنته وكريم ثوابه انتهى بحروفه .

وعن ثابت البناني رضي الله عنه انه قال بلغنا انه اذا انشقت الارض يوم القيامة ينظر المؤمن الى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له لاتخف ولا تحزن وابشر بالجنة الموعودة وانك سترى اليوم اموراً لن ترى مثلها فلا يهولنك فانما يراد بها غيرك انتهى .

والتبشير هو ادخال السرور على الغير باخباره بما يحب ، والبشارة ضد النذارة ويوم العرض هو يوم القيامة سمي بذلك لان الخلائق يعرضون فيه على ربهم ثم تعرض عليهم جهنم كما قال تعالى (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) اي اظهرناها حتى رآها الكفار ، يقال عرضت الشيء اظهرته وعرض لك الشيء ظهر وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم وقيامهم بين يدي خالقهم وقيام الحجة لهم وعليهم واسماؤه كثيرة فمنها يوم الطامة ويوم المساق ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم التغابن ويوم الدين قال بعضهم له نحو ثلاثمائة اسم والآيات في الكتاب طافحة بذكر اهوال هذا اليوم .

واكثر الباري جل وعلا من ذكر اسمائه الدالة على ذكر معانيه ووصف الحق سبحانه وتعالى في مواطن كثيرة من كتابه العزيز بعض دواهيه فقال تعالى (يوم

تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) (يوم يفر المرء من أخيه) الى آخر الآيات (يوم تنشق السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يوم يؤخذ بالنواصي والاقدام) . وسمي باليوم الآخر لانه آخر الاوقات المحدودة ولانه لا ليل بعده ثم ان التصديق به واجب اذهو أحد اصول الايمان الستة كما في الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي ﷺ فاسند ركبته الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال أيا محمد أخبرني عن الاسلام فقال رسول الله ﷺ ان تشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال فاخبرني عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله . قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، قال فاخبرني عن الساعة قال ماالمسؤول عنها باعلم من السائل . قال فاخبرني عن أمارتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاد العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال ياعمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم ، رواه مسلم ومعنى تلد الامة ربتها اي سيدتها ومعناه ان تكثر السراري حتى تلد الامة السرية بنتاً لسيدها وبنت السيد في معنى السيد وقيل غير ذلك . والعالة الفقراء . وقوله ملياً اي زمناً طويلا وكان ذلك ثلاثا وحيث كانت السعادة التي تقدم ذكرها في شرح البيت الاول منوطة بهذه الاصول الستة الايمانية والمباني الخمسة الاسلامية فلنذكر مما فصله العلماء رحم الله تعالى من ذلك طرفا مرتباً في قسمين (القسم الاول) في الشهادتين والثاني في معنى الايمان والاسلام . أما قوله ﷺ ان تشهد ان لا اله الا الله الخ فلأن الشهادتين هما اصل الاصول الذي من حرمه فهو محروم من رحمه الله قال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) ولذا كانتا مفتاح

الاسلام والجنة ولا يرجح بها شيء في الميزان وافضل ماقاله النبيون ولم يقبل من احد الايمان الا بهما مع القدرة عليهما . رفض العلماء على انه لا بد من فهم معناهما ولو اجمالا والا لم ينتفع بهما الناطق ، ولا يعرف معاني حقائقهما الا من حصل من علم التوحيد المسمى بعلم اصول الدين مايصح به اعتقاده على وفق اهل الحق ليحترز به عن شبهة اهل الضلالة من المبتدعة ، بل هو أول علم يجب تعلمه لوجوب معرفة المعبود قبل العبادة ولا صحة لها بدون المعـــرفة الايمانية قال تعالى (فاعلم انه لا اله الا الله) (وليعلموا انما هو اله واحد) والمراد بالمعرفة بذلك معرفة وجوده وما يجب له ويستحيل عليه من اثبات امور ونفي امور ، وقد حصر علماء التوحيد الحكم العقلي المحتاج اليه في هذا الفن في ثلاثة اقسام الواجب والجائز والمستحيل . فالاول في اصطلاحهم مالا يتصور في العقل عدمه ، والثاني مايصح وجوده تارة وعدمه أخرى ، والثالث مالا يتصور في العقل وجوده اصلا فشهادة ان لا اله الا الله قد تضمنت لجميع العقائد التي يجب على المكلف معرفتها وهي واحد واربعون عقيدة عشرون منها واجبـــة وعشرون مستحيلة وواحدة جائزة لان معنى لا اله الا الله الحقيقي لا معبود بحق في الواقع الا الله ، ومعناه بطريق اللزوم لامستغنياً عن كل ماسواه ومفتقراً اليه كل ماعداه وأنه متصف بجميع الكمالات منزه عن جميع النقائص .

(واعلم) ان الذي كلفنا بمعرفته من العقائد في حقه تعالى أحد واربعون عقيدة عشرون واجبة وعشرون مستحيلة وواحدة جائزة فالصفات الواجبة له تعالى :

(أولها الوجود) ويستحيل عليه العدم .

(والثاني القدم) ويستحيل عليه الحدوث .

(والثالث البقاء) ويستحيل عليه الفناء .

(والرابع مخالفته تعالى للحوادث) من كل وجه لأن العالم وصفاته كلها حادثة وذاته تعالى وصفاته قديمة ويستحيل عليه المماثلة .

(والخامس) قيامه تعالى بالنفس ومعناه عدم احتياجه الى ذات يقوم

بها أو الى موجد يوجده لأن ذاته ليست صفة فتحتاج الى محل تقوم به وليس هو سبحانه وتعالى حادثاً حتى يحتاج الى محدث يحدثه بل ذاته تعالى وصفاته قديمة ويستحيل عليه ان لا يكون قائماً بنفسه .

(والسادس الوحدانية) ومعناه نفي التعدد المتصل والمنفصل له تعالى في الذات والصفات والافعال ويستحيل عليه التعدد فهذه ست صفات الاولى منها تسمى نفسية وهي الوجود والخمسة بعدها تسمى صفات سلبية لأن كلا منها نفى عن الله عز وجل مالا يليق به .

(السابع القدرة) ويستحيل عليه العجز وهي صفة قديمة يتحصل بها التأثير في الممكن ايجاداً واعداماً على وفق الارادة ، فلا يقع في الكون شيء الا وهو بقدرته على وفق ماسبقت به الارادة والعلم ، ولها في الممكن تعلقان صلوحي ازلي وتنجيزي حادث ، ومعنى تعلقها الصلوحي انها صالحة للتأثير في كل ممكن في الازل فهي صالحة لان يوجد زيد طويلا أو قصيراً أو عريضاً وصالحة لاعطائه العلم ومعنى تعلقها التنجيزي التعلق بالفعل فتتعلق بالمعدوم فتوجده وتتعلق بالموجود فتعدمه فهو مختص بالحال بخلاف التعلق الصلوحي فانه لايختص به اذ القدرة كما هي صالحة لاعطاء زيد العلم صالحة لاعطائه الجهل وكما هي صالحة لجعله طويلاً صالحة لجعله قصيراً وهكذا .

(الثامن) الارادة ويستحيل عليه الكراهة والارادة صفة قديمة يتحصل بها تخصيص كل ممكن فعلاً او تركاً ببعض مايجوز عليه من الممكنات على وفق العلم كزيد الموجود فانه يجوز ان يوجد وان لا وان يوجد في هذا الزمان وغيره وطويلاً وقصير أو أبيض واسود فخصصته بالوجود وبهذا الزمان وبالطول وبالبياض وهكذا حتى لاتمد بعوضة جناحها في محل الا وقد سبق به العلم وخصصته الارادة فالارادة تخصص والقدرة تبرز فاذا وجد زيد مثلاً فقد خصصت الارادة وجوده بدلاً عن عدمه والقدرة أبرزت الوجود في القرن العاشر طويلاً مثلاً فالقدرة هي التي أبرزت الوجود والارادة هي التي خصصت وجوده في ذلك الزمن دون غيره والطول بدلاً عن القصر وهما أعني القدرة والارادة عامتان في متعلقهما فلا يخرج عنهما ممكن

حتى أن الخطرات التي تخطر على قلب الشخص مخصصة بارادته تعالى ومخلوقة بقدرته تعالى كما ذكره الشيخ الملوي .

(والتاسع) العلم ويستحيل عليه الجهل وهو اعني العلم صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تتعلق بجميع الواجب والجائز والمستحيل على وجه الاحاطة على ماهو به من غير سبق خفاء فيعلم ذاته تعالى ويعلم الموجودات كلها بعلمه ويعلم المستحيلات بمعنى انه يعلم ان الشريك مستحيل عليه .

(والعاشر) الحياة ويستحيل عليه الموت وهي صفة قديمة تصحح لمن قامت به الادراك من علم وسمع وغيرهما .

(والحادي عشر) السمع ويستحيل عليه الصمم .

(والثاني عشر) البصر ويستحيل عليه العمى والسمع والبصر صفتان قديمتان ينكشف بهما كل موجود قديماً كذاته تعالى وصفاته أم حادثاً كغيره تعالى ذاتاً أم صفة حتى الالوان والاكوان والروائح بلا حدقة ولا صماخ كما يعلم بغير قلب ويخلق بغير آلة .

والثالث عشر) الكلام ويستحيل عليه البكم وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل التقديم والتأخير والطرو والعدم دالة على معلوماته .

(وهذه الصفات) أعني القدرة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام تسمى صفات المعاني .

(والرابع عشر) كونه قادراً ويستحيل عليه كونه عاجزاً .

(والخامس عشر) كونه مريداً ويستحيل عليه كونه مكرهاً .

(والسادس عشر) كونه عالماً ويستحيل عليه كونه جاهلاً .

(والسابع عشر) كونه حياً ويستحيل عليه كونه ميتاً .

(والثامن عشر) كونه سميعاً ويستحيل عليه كونه اصم .

(والتاسع عشر) كونه بصيراً ويستحيل عليه كونه أعمى .

(والعشرون) كونه متكلماً ويستحيل عليه كونه أبكم وهـــذه الصفات الاخيرة وهي كونه قادراً الى آخرها تسمى صفات معنـــوية نسبة لصفات المعاني التي قبلها لأنها تلازمها .

ومن ثم أسقطها بعضهم وجعل الصفات ثلاثة عشر إذ يلزم من اتصافه تعالى بالسبـع التي هي صفات المعاني اتصافه بالمعنوية لأنها تابعة لها كعالم فانه تابـــع لثبوت العلم وقادر فانه تابـع لثبوت القدرة وهكذا في بقية الصفات وهذا مبني على الطريقة القائلة بان الاشياء ثلاثة موجودات ومعدومات واعتبارات ، فالمـوجودات كذات زيد ، المشاهـدة والمعدومات كولده قبل أن يخلق ، والاعتبارات كثبـوت القيام لزيد ومن جعل الصفات عشرين عد الصفات المعنوية احــــوالاً ومشى على الطريقة القائلة بان الاشياء أربعة موجودات ومعدومات واعتبارات وأحوال وهي الواسطة بين الموجودات والمعدومات .

﴿ تنبيه ﴾ زاد الماتريدية في صفات المعاني صفة ثامنة وسموهـا التكوين واعترضهم الاشاعرة بانه مافائدة التكوين بعد القدرة لأن الماتريدية يقولون ان الله يوجد ويعدم بالتكوين فاجابوا بان القدرة تهيء الممكن للوجود والتكوين بعد ذلك يوجده بالفعل . ورده الاشاعرة بان الممكن قابل للوجود من غير شيء ومن اجل كونهم زادوا هذه الصفة قالوا ان صفات الافعال قديمةوذلك كالخلق والرزقوالاحياء والاماتة الى غير ذلك بناء على ماقالوه من انها عين صفة التكوين . وعند الاشاعرة ان صفات الافعال حادثة لأن دوالها اسماء اتعلقات القدرة التنجـــيزية الحادثة فهي من تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة . وقد علمت مما تقدم ان هذه الصفات الاربعين عشرون منها واجبة وعشرون مستحيلة (والصفة الحادية والاربعون) الجائز في حقه تعالى وهو فعل كل ممكن او تركه بحسب مشيئته ، فلا يجب عليه تعالى شيء فله ان يعذب الطائع وينعم الـكافر . ولا قبـح في فعله بل كل مايفعله حسن وان كان لا يفعل ذلك اذ ليس كل جائز واقعاً بل بعض الجائز واقع لا محالة بالوعدالصادق منه

كتنعم الطائع وتعذيب الكافر والحشر والميزان ونحوها لا لوجوبه في ذاته بل لاخباره تعالى أنه يقع ولا خلف في خبرة وبعضها لا يقع البتة كالنبوة بعده ﷺ وتنعيم الكافر لا ستحالته عقلا بل لاخبار الله انهما لا يقعان فاستحال وقوعها شرعاً لا عقلا بل هما جائزان عقلا من غير نظر الى ماورد به الشرع ، والحاصل ان الجائز عقلا لايمتنع وجود شيء منه ولاعدمه الا مااخبر الشرع بوقوعه . فيجب شرعاً لا عقلا وما اخبر الشرع بعدم وقوعه فيمتنع لا لذاته بل لاخبار الشرع بذلك قال تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار) .

وعلم من تنزهه تعالى عن النقائص استحالة كل نقص عليه من اضداد الصفات الواجبة وغيرها وانه لاغرض له في فعل من افعاله أو حكم من أحكامه بحيث تعود مصلحة به اليه او الى خلقه على سبيل الوجوب ، اذ لو كان له غرض لكان محتاجاً الى تحصيل مافيه المصلحة العائدة اليه ليتكمل بها او العائدة على خلقه على سبيل الوجوب ليدفع بها الوجوب عليه . بل لايجب عليه شيء نعم أفعاله وأحكامه تعالى وان كانت منزهة عن الغرض لاتخلو عن حكمة وان لم تصل اليها عقولنا لانها لو لم تكن لحكمة لكانت عبثاً وهو محال عليه تعالى ، ولا يعارض مامر من أفعاله وأحكامه لا تتصف بالاغراض قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ونحوه لان اللام فيه للعاقبة والصيرورة .

قال العلماء الفرق بين الغرض والحكمة ان الغرض مقصود من الفعل والحكم بحيث يكون باعثاً وحاملاً عليه . والحكمة لاتكون كذلك ومثلوا ذلك تقريباً بما لو غرس شجرة لثمرها فثمرها غرض باعث على الغرس وظلها بعد حكمة اي مصلحة مترتبة على الفعل من غير ان تكون باعثة عليه . فحكم الله تعالى بالنسبة لافعاله وأحكامه كالظل بالنسبة للغرس .

ثم ان وحدانيته تعالى تقال على أربعة أنواع وحدانية في الذات ومعناه عدم التركب في الذات الاقدس وعدم التعدد فيها بحيث يكون متركباً من اجزاء

او يكون هناك اله ثان فاكثر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وقد ذكر المولى سبحانه وتعالى دليل وحدانيته في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وهذا يسمى ببرهان التمانع لتمانعهما وتخالفهما ، النوع الثاني الوحدانية في الصفات والمراد بها انتفاء النظير له تعالى والشبيه والمثيل في كل صفة من صفاته فيمتنع ان يكون له تعالى علوم وقدرات وارادات متعددة بحسب المعلومات والمقدورات بل علمه تعالى واحد ومعلوماته كثيرة وقدرته واحدة ومقدوراته كثيرة وارادتهواحدة ومراداته كثيرة وعلى هذا جميع صفاته .

النوع الثالث الوحدانية في الافعال ومعناها عدم ثبوت فعل لغيره تعالى وعدم مشاركة غيره له تعالى في فعل بل هو منفرد بالايجاد والاعدام والتحريك والتسكين لاشريك له في ذلك ولا تأثير لغيره في شيء من الممكنات اصلاً . ومنه يعلم ان النار لاتحرق والماء لايروي والسكين لاتقطع وان المؤثر هو الله تعالى اجرى العادة ان يوجد الاحراق والري والقطع عند ملامسة النار وما بعدها . وقد توجد النار ولا يوجد الاحراق كما وقع لسيدنا ابراهيم حين رمي بالمنجنيق في النار وحفظه الله تعالى وقد توجد السكين ولا يوجد القطع ، فمن اعتقد ان هذه تؤثر بطبعها فلا خلاف بكفره ان لم يكن غبيا او اعتقد انها تؤثر بقوة خلقها الله فيها ، فلا خلاف في بدعته وفي كفره قولان والراجح عدم كفره فبطل معتقد المعتزلة القائلين بان العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية . والحق ماذهب اليه اهل السنةوالجماعة من انه ليس للعبد في الاختياري الا الكسب والله سبحانه وتعالى هو الخالق للافعال كلها قال تعالى (والله خلقكم وما تعلمون) ومنها المعصية والطاعة وينبني على ذلك ان الاثابة بالفضل والتعذيب بالعدل وليسا واجبين اذ ليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب وانما هما امارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى .

ويدل لمذهب اهل السنة ان طاعات العبد وان كثرت لاتفي بشكر بعض ماانعم الله به عليه فكيف يتصور استحقاقه عوضاً عليها . والثواب والعقاب في

افعالنا انما هو من حيث مالنا فيها من الاختيار والا فهي مخلوقة لله تعالى ، واختلف العلماء في جواز نسبة فعل الشرور والقبائح اليه تعالى والراجح جواز ذلك في مقام التعليم لا في غيره . وهذا الخلاف جار ايضاً في نسبة الامور الخسيسة اليـــه تعالى والاصح الجواز في مقام التعليم لا في غيره ومع ان الفعل خيره وشره من الله فالادب ان لا ينسب له الا الحسن فينسب الخير لله والشر للنفس كسباً وان كان منسوباً لله ايجاداً قال تعالى ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابكم من سيئة فمن نفسك، أي كسب كما يفسره قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ، واما قوله (قل كل من عند الله) فرجوع للحقيقة ومن الادب قول الخضر عليه السلام (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) نسب ذلك الى الباري لكونه حسناً ونسب غيره الى نفسه فقال فاردت ان اعيبها، وقال الخليل ابراهيم على نبينا وعليه السلام (الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت) الآية فلم يقل امرضني تأدباً والا فالكل من الله تعالى .

وأما قوله ﷺ في الحديث المار وان محمداً رسول الله فلان الاقـرار برسالته ﷺ يستلزم التصديقه في كل ماجاء به فيدخل فيـه الايمان بجميـع النبيين والمرسلين وسائر الملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر . ويندرج فيه ايضاًوجوب صدق الرسل واماناتهم وتبليغهم لما أمروا بتبليغه للخلق وفطانتهم واستحالة الكـذب عليهم والخيانة وكتمان شيء مما امروا بتبليغه والبلادة ، فهذه ثمان عقائـــد في حق الرسل أربعة واجبة وأربعة مستحيلة . والجائز في حقهم ماهو من الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية ، إذ لا تقدح في رسالتهم وعـلو منزلتهم عند الله تعالى . بل تقتضي جواز ذلك تحقيقاً لمقام العبودية ورفقاً بضعفاء العقـول لئلا يظنوا بهم ماهو من خصوص الألوهية . ودليلاً على صدقهم في انهـم رسل الله وان الخوارق الظاهرة على ايديهم بمحض خلـق الله تعالى تصديقاً لهـم وتعظيماً لاجورهم . وتنبيهاً على خسة الدنيا اذ لو كانت كريمة عنده لما كان الانبياء أشد بلاء فيها وتسلية للامة من مشاق الدنيا ، وعلم من وجوب الامانة لهم انهم معصومون اذ الأمانة حفظ الظواهر والباطن من منهي عنه فهم معصومون من الكبائر والصغائر وقد بان بجميـع ماتقدم ان الشهادتين تضمنتا لجميع العقائد .

(القسم الثاني في الايمان والاسلام) اعلم ان الايمان لغة هو التصديق مطلقاً. وشرعا التصديق بجميع ماعلم بالضرورة مجيء النبي ﷺ به الشامل لثبوت الوحدانية وثبوت الرسالة لمحمد ﷺ وغير ذلك من الاحكام المعلومة من الدين بالضرورة. ويحصل ذلك بالنطق بالشهادتين فهو شرط لاجراء احكام المؤمنين عليهم من التوارث والتناكح والصلاة خلفه والدفن في مقابر المسلمين ومطالبته بالصلوات والزكوات وغير ذلك، لان التصديق القلبي وان كان ايماناً الا انه باطن خفي فلا بد له من علامة ظاهره تدل عليه لتناط به تلك الاحكام.

وقيل النطق ليس شرطاً بل شطراً اي جزءاً داخلاً في مسمى الايمان فيكون للايمان على هذا القول اسماً لعملي القلب واللسان جميعاً وهما التصديق والاقرار. وعلى هذا فمن صدق بقلبه ولم يتفق له الاقرار في عمره مع القدرة على ذلك لايكون مؤمناً لا عند الله تعالى ولا عندنا. وذهب كثير من محققي الماتريدية والاشاعرة وغيرهم الى القول الاول، وعليه فمن صدق ولم يقر بلسانه لا لعناد ولا لعذر منعه بل اتفق له ذلك فهو مؤمن عندالله تعالى غير مؤمن في الاحكام الدنيوية. ومن اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن في الاحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله تعالى.

(وأما الاسلام) فمعناه لغة مطلق الامتثال والانقياد. وشرعا الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة. وعلى هذا فالايمان والاسلام وان تلازما شرعا متغايران مفهوما باعتبار المحل. فلاً يصح ان يحكم على احد بانه مؤمن وليس بمسلم وبالعكس بدليل قوله تعالى (فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وهذا في الايمان الكامل والاسلام المعتبر شرعاً والا فلا تلازم بل بينهما العموم والخصوص الوجهين يجتمعان فيمن صدق بقلبه وانقاد بظاهره وينفرد الايمان فيمن صدق بقلبه فقط. والاسلام فيمن انقاد بظاهره فقط. ولذلك قال الله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) ثم ان معنى الايمان بالله التصديق الذي هو الاعتقاد الجازم بوجوده تعالى

وبما يجب له من صفات الكمال ، وبما يستحيل عليه من صفات النقص . وبما يجوز في حقه تعالى مما تقدم ذكره .

(واما الايمان بالملائكة) فمعناه التصديق بانهم (عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ، ولا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون ، مايؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وبانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله الى البشر في انزال كتبه وتبليغ نهيه وأمره . فهم رسل الله الى رسله وهم المتصرفون كما اذن لهم في خلقه الصادقون فيما اخبروا به عن الله ذووا أجسام لطيفة نورانية مبرأة عن الكدورات الجسمانية قادرة على التشكل باشكال مختلفة لا يوصفون بذكورة ولا بانوثة فمن وصفهم بذكورة فسق ، ومن وصفهم بانوثة كفر ، لمعارضته قوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عبادالرحمن اناثا) الآية وانهم بالغون من الكثرة مالا يعلمه الا الله تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو فمنهم حملة العرش ، ومنهم الموكلون بالحجب وبالسموات والجنة والنار والجبال والسماء والسحاب والمطر ينزل مع كل قطرةملك . وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ انه قال :إني أرى مالاترون واسمع مالاتسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ، مافيها موضع اربع اصابع إلا وملك واضع جبهته فيه وبالجملة فهم خدمة الكون ولا موضع في السماء والارض الا وهو معمور بهم ، ولذلك أمر النبي ﷺ ان لا يستقبل احد القبلة ولا يستدبرها عند قضاء الحاجة ، ويكفي الايمان بهم اجمالا الا عشرة فيجب الايمان بهم تفصيلاً وهم : جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ورضوان خازن الجنة ومالك خازن النار ورقيب وعتيد . لكل مكلف اثنان يكتبان اعماله ولا يفارقانه الا عند قضاء الحاجة والجنابة والغسل ، فاذا مات قعدا عند قبره واذا حشر حشرا معه ومنكر ونكير .

(وأما الايمان) بكتب الله ، فمعناه التصديق بانهامن عندالله وبأنها كلامه تعالى الازلي القديم القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت ، فما سمعه موسى عليه السلام ليس بحادث بل كلامه القديم الذي ليس بحرف ولا صوت ولا جهة ولا

مقابلة ولا غير ذلك مما يلزم الحوادث ، وبأنه تعالى أنزلها أعني كتبه على بعض رسله بالفاظ حادثة في ألواح أو على لسان الملك وبأن كل ماتضمنته حق وصدق ، وبأن الله أمر خلقه بأحكامها وفهم معانيها وبأن بعض أحكامها نسخ وبعضها لم ينسخ ، وهي مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل منها خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرة على آدم وعشرة على ابراهيم والتوراة على موسى والزبور على داوود والانجيل على عيسى والفرقان على محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم اجمعين ويكفي الايمان بها اجمالاً الا الاربعة الاخيرة فيجب الايمان بها تفصيلا .

(واما الايمان بالرسل) فمعناه التصديق بانهم صادقون فيما اخبروا به عن الله تعالى ، وان الله تعالى ارسلهم الى الخلق لهدايتهم وتكميل معاشهم ومعادهم ، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم فبلغوا عنه رسالته ، وبينوا للمكلفين ما أمروا ببيانه ، وانه يجب احترامهم جميعهم وان لا يفرق بين أحد منهم ، بأن يحترم بعضهم دون بعض او ان يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، لأن الله تعالى لا يقبل ايمان عبد شهد بالتوحيد حتى يؤمن بجميع الرسل ، وان الله تعالى نزههم عن كل وصمة ونقص فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها ، قال العلامة ابن حجر وما جاء في القرآن من اثبات العصيان لآدم ومن معاتبة جماعة منهم على امور فعلوها فانما هو من باب ان للسيد ان يخاطب عبده بما شاء وان يعاتبه على خلاف الاولى معاتبة غيره على المعصية انتهى .

ثم انه يجب الايمان بهم اجمالا الا من ثبت تعيينه فيجب الايمان به تفصيلا وهم خمسة وعشرون وفي تلك حجتنا ثمانية عشر وآدم وادريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم وقد نظموا في قول بعضهم :

حتمٌ على ذي التكليف معرفةٌ	بانبياء على التفصيل قد عُلموا
في تلك حجتنا منهم ثمانيةٌ	من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
إدريسُ هودٌ شعيبٌ صالحٌ وكذا	ذو الكفل آدمُ بالمختار قد ختمو

ومعنى كون الايمان يجب بهم تفصيلا وبمن ذكر من الملائكة أنه لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته ، وليس المراد انه يحفظ اسماءهم ،وعدد الانبياء مائة الف نبي وأربعة وعشرون الف نبي ، وعدد الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر او وخمسة عشر . ولا يخفى ان بين الرسول والنبي عموم وخصوص مطلق ، فالرسول أخص من النبي لأنه انسان ذكر من بني آدم اوحى اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه . وأما الرسول فهو انسان ذكر حر من بني آدم أوحى اليـــه بشرع وأمر بتبليغه . سواء له كتاب انزل عليه لتبليغه ناسخاً لشرع من قبـــله أو غير ناسخ له او على من قبله وأمر بدعوة الناس اليه ام لم يكن له ذلك بان امر بتبليغ الـوحى من غير كتاب ولذلك كثرت الرسل وقلت الكتب .

﴿ **تتمة** ﴾ مما يجب على الشخص ان يعرف أنه ﷺ ولد بمكة وبعث بها وهاجر الى المدينة ومات فيها ، حتى يجب على الآباء تعليم اولادهم ذلك على رأي ابن حجر وزاد انه لابد من تعليمه من أوصافه ﷺ الظاهرة ما يميزه عن غيره ولو بوجه ككونه من قريش ، وان اسمه كذا ، واسم ابيه كذا ، ويجب معـرفة كونه ليس بالطويل ولا بالقصير وأنه أبيض مشرب بحمرة يتلألأ وجهه الشريف تلألأ القمر في ليلة البدر ولله در القائل مشيراً الى نزر من محاسنه صلى الله عليه وسلم :

لِمَ لا يضيء بك الوجودُ وليلُه ... فيه صباحٌ من جمالك مسفرُ
فبشمسِ حسنِك كلُ يومٍ مشرقٌ ... وببدرِ وجهك كلُ ليلٍ مقمرُ

وقد افردت شمائله ﷺ في مؤلفات فينبغي الاعتناء بمعرفتها لأن معرفة صفاته السنية ونعوته البهية وسيلة الى امتلاء القلب بتعظيمه ، وهـــو وسيلة الى تعظيم شريعته لأن حرمة الكلام على قدر حرمة المتكلم ، ويجب ايضاً معرفة كونه آخر الانبياء . وأما نزول عيسى بعده فالحكم بشريعة نبينا لا بشريعته ، ومما يجب ايضاً ان يعرف نسبه الشريف ﷺ من جهة ابيه ومن جهة أمه فاما نسبه من جهة ابيه فهو سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمـــة

بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وليس فيما بعـــده الى آدم طريق صحيح فيما ينقل .

وأما نسبه من جهة امه فهو سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب ابن عبدمناف بن زهرة بن كلاب . والتحقيق كما قاله غير واحد انه ﷺ مرسل لجميع الانبياء والامم السابقة لكن باعتبار عالم الارواح ، فان روحه قد خلقت قبـــل الارواح وارسلها الله لهم فبلغت الجميع والانبياء نوابه في عالم الاجسام فهو ﷺ مـــرسل لجميع الناس من لدن آدم الى يوم القيامة حتى الى نفسه لدخول الجميع تحت قوله عليه الصلاة والسلام وبعثت الى الناس كافة وقوله (وما أرسلناك الا كافة للناس) لكن ارساله الى جميع المكلفين من الثقلين ارسال تكليف اتفاقاً ، واما المـلائكة فارساله اليهم ارسال تشريف ، لان طاعتهم جبلية لايكلفون بها ، وقال جمـــع محققون انه ارسل اليهم ارسال تكليف واعتمده الشهاب ابن حجر مخالفاً للشمس الرملي في ذلك . وقد نسخ شرع نبينا محمد ﷺ المنصور بالعلماء المجددين والاولياء المؤيدين شرائع كل المرسلين والانبياء فلا حكم بعد بعثته ﷺ لغير شريعته ويدل لذلك قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا) الآية واما الاحاديث في ذلك فقد بلغت مبلغ التواتر ، وقد اجمع المسلمون على انه ﷺ أفضل المخلوقات على العموم الشامل للعلوية والسفلية من البشر والجن والملائكة في الدنيا والآخرة في سائر خصال الخير قال صاحب الجوهرة :

وأفضلُ الخلقِ على الاطـلاقِ نبيُّنا فمِلْ عنِ الشقـاقِ

(وأما الايمان باليوم الآخر) فمعناه التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من بعث الاجساد والارواح بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ،وانها دارا الثواب وجزاء للمحسنين والمسيئين الى غير ذلك مما بينه العلماء ، ومنه مايقع من الموت الى ذلك اليوم لأن من مات قامت قيامتــه ، فيجب الايمان بما يقع بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين لمن مات ،

قال العلماء لايسئل الميت في قبره بعد اعادة الروح الى جميع البدن عن غير الاعتقاد فمنهم من يسئل عن بعض اعتقاده ، ومنهم من يسئل عن كله والسؤال لكل مكلف إلا من استثني كالانبياء والشهداء والصديقين والمرابط وملازم قراءة سورة تبارك أو حم السجدة كل ليلة والميت بالطاعون او يوم الجمعة وكـذا كل شهيد كما قاله القرطبي . ومن لايسئل في قبره لايعذب فيه وكل مؤمن يوفق للجواب ولو عاصياً ولو بعد تلجلج . والنعيم والعذاب للروح والجسد وان صار تراباً يخلق الله فيه ادراكاً بحيث يسمع ويعلم ويلتذ والله على كل شيء قدير .

(وأما الايمان بالقدر) فمعناه التصديق بايجاد الله الاشياء على قدر مخصوص وتقرير معين في ذواتها وأحوالها طبق ماسبق به علمه تعالى وبان الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق ، وان جميع الكائنات بقضائه وقدره وارادته لقوله تعالى (خلق كل شيء ، والله خلقكم وما تعملون . إنا كل شيء خلقناه بقدر) فكلما قدره الله في أزله لا بد من وقوعه وما لم يقدره يستحيل وقوعه ولله در الشيباني حيث قال في عقيدته :

فما شاء رب العرش كان كما يشا ومالا يشا لا كان في الخلق موجدا

ويجب الايمان بالقضاء وهو ارادته تعالى الاشياء في الازل على ماهي عليه فيما لايزال ، فهما اعني القضاء والقدر راجعان الى العلم والارادة والقدرة ، والايمان بالقدر مستلزم للايمان بالقضاء ثم من القضيات ماأحبها باريها فيجب علينا حبها كالطاعات والايمان ، ومنها كرهها خالقها كالفسوق والعصيان فيلزم علينا الرضا بها من حيث كونه مقضياً ومقدراً وكراهتها وبغضها من حيث ان الباري لم يرض بها ولم يأمر بها وان كانت بارادته اذ الارادة قد تتعلق بما لايرضي به الله تعالى ولايجوز الاحتجاج بالقضاء توصلا الى الوقوع في المعاصي بل ربما يؤدي ذلك الى مذهب الجبرية القائلين ان العبد مجبور على الافعال كالحجر الملقى لايتحرك الا بمحرك ولذا قال شاعرهم :

ماحيلةُ العبدِ والأقدارُ جاريةٌ عليهِ في كل حال أيها الرائي

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياكَ إياكَ أن تبتلّ بالماءِ

وأجابه بعض أهل السنة بقوله:

إن حفّه اللطف لم يمسسه من بللٍ ولم يبالِ بتكتيف والقاءِ
وان يكن قدر المولى بغرقته فهو الغريق ولو ألقي بصحراء

والحق الذي ذهب اليه اهل السنة مما تقدم بيانه ان جميع أفعال العبد الاختيارية والاضطرارية مخلوقة لله تعالى، لكن للعبد من أفعاله الاختيارية الكسب وبه ثبت التكليف وعليه ترتب الثواب والعقاب لما له فيها من الاختيار، وهي مخلوقة لله تعالى خلافاً للمعتزلة في اثباتهم الكسب والفعل له والجبرية في نفيهما. واختلفوا فيمن آمن بجميع ما تقدم ولم ينظر في علم العقائد ولم يقف على شيء من علم التوحيد وانما كانت بمجرد التقليد عقيدته. وحاصل الخلاف فيه أقوال ستة:

الاول: عدم الاكتفاء بالتقليد.

الثاني: الاكتفاء بالتقليد مع العصيان مطلقاً اي سواء كان فيه أهلية للنظر ام لا.

الثالث: الاكتفاء به مع العصيان ان كان فيه اهلية للنظر والا فلا عصيان.

الرابع: من قلد القرآن والسنة القطعية صح ايمانه لاتباعه القطعي ومن قلد غير ذلك لم يصح ايمانه لعدم الامن من الخطا على غير المعصوم.

الخامس: الاكتفاء به من غير عصيان مطلقاً لأن النظر شرط كمال فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر فقد ترك الاولى.

السادس: ايمان المقلد صحيح ويحرم عليه النظر وهو محمول على المخلوط بالفلسفة أو على القاصر عن تحصيل اليقين فيؤدي الى الارتياب والشك كما اشار اليه البيهقي ولذا أنشد بعضهم:

عاب الكلامَ أناسٌ لاخلاق لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضررِ
ماضرَّ شمسَ الضحى في الافق طالعةً ... أن لا يرى ضوءَها من ليس ذا بصرِ

والقول الحق الذي حققه ومشى عليه العلماء المعول عليهم في المعقول والمنقول هو القول الثالث وهو التقليد مع العصيان ان كان فيه أهلية . هذا اذا كان تقليده مع الجزم القوي من دون تردد بحيث لو رجع المقلد لم يرجع المقلد اذ الايمان مع أدنى تردد لايصح . ومن الادلة على صحة ايمان المقلد اكتفاؤه صلى الله عليه وسلم بايمان الاعراب الخالين عن النظر لمجرد التلفظ بكلمة الشهادة .

ثم ان أول مايجب على المكلف معرفة الله سبحانه وتعالى المعرفة الايمانية وهي معرفة صفاته وسائر أحكام الالوهية لا معرفة ذاته وكنه حقيقته فان ذلك ممتنع . قال الصديق العجز عن درك الادراك ادراك والبحث عن ذات الله اشراك ، وكما تجب المعرفة يجب النظر المؤدي اليها إذ هو وسيلة لها كالنظر الى مصنوعات الله تعالى ليستدل بها على وجود صانعها وهو الله سبحانه وتعالى كالنظر الى النفس التي هي أقرب الاشياء الى الناظر وكذا العالم العلوي والسفلي الى غير ذلك من الصور الممكنة قال الله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) أي وفي أنفسكم آيات ودلائل أتتركون التفكر فيها فلا تبصرون أي لاينبغي ترك النظر فيها وذلك لأن النفس اشتملت على سمع وبصر وكلام وطول وعرض وعمق ورضا وغضب وبياض وحمرة وسواد وعلم ولذة وألم وغير ذلك مما لايحصى وكلها متغيرة من عدم الى وجود ومن وجود الى عدم فتكون حادثة . وهي قائمة بالذات لازمة لها وملازم الحادث حادث وذلك دليل الافتقار الى صانع حكيم واجب الوجوب والقدرة والارادة متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص . وقد ورد من عرف نفسه بالحدوث والفقر عرف ربه بالقدم والغنى .

وقيل هو اشارة الى التعجيز أي أنت لاتعرف نفسك فلا تطمع في معرفة كنه ربك ، ذكره الشريف المقدسي في مفاتيح الكنوز وحل الرموز وقال الله تعالى : (أولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض) وفي ذلك دلالة على الصانع

الحكيم الموجد للاشياء ، ومن نظر لاتقان الصنائع وتناسقها على ما فيها من غاية الاحكام وجودة الانتظام من غير انخرام في أوان ولا اختلال في زمان شهد بوحدانية الصانع وأنه لاشريك له ولا منازع قال بعض العارفين .

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

ولله در أبي نواس حيث قال :

تأمل في رياض الارض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... باحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بان الله ليس له شريك
وان محمداً عبداً رسولا ... إلى الثقلين أرسله المليك

ويحكى أنه رؤي في المنام فاخبر أنه غفر له بهذه الابيات ، وروي أن أبا حنيفة كان سيفاً قاطعاً على الدهرية وكانوا يطلبون الفرصة لقتله فهجموا عليه وهو قاعد في المسجد بسيوف مسلولة فهموا بقتله ، فقال لهم اجيبوني على مسئلة ثم افعلوا ماشئتم ، فقالوا هات ؟ فقال : ماتقولون في رجل يقول لكم اني رأيت سفينة مشحونة في لجة البحر قد احتوتها أمواج متلاطمة ورياح مختلفة . وهي مع هذا تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها هل يجوز ذلك في العقل . فقال أبو حنيفة ياسبحان الله اذا لم يجز في العقل سفينة تجري مستوية من غير ملاح فكيف يجوز قيام هذا العالم العلوي والسفلي مع اختلاف احواله من غير صانع ، فبكوا جميعاً وأسلموا على يده .

وسأل بعض الحكماء الشافعي رحمه الله تعالى ماالدليل على وجود الصانع قال ورقة الفرصاد طعمها وريحها ولونها واحد عندكم . قالوا نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحلة فيخرج منها العسل ، والشاة فيخرج منها البعر والظباء فيعقد في نوافجها المسك ، فمن ذا الذي جعلها كذلك مع ان الطبع واحد فاستحسنوا منه ذلك وآمنوا على يده .

وسئل اعرابي عن الدليل فقال : البعرة تدل على البعير والروث على الحمير وآثار الاقدام على المسير . فسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج أي طريق متسعة وبحار ذات أمواج أفلا تدل على العالم القدير .

(واعلم) أن للسلف طرقاً كثيرة في الاستدلال فمنها وهي أعظمها النظر الى احوال النفس كما تقدم ، ومنها ان ينظر الانسان الى مبدأ خلقه ، قال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الى غير ذلك من الآثار الكونية وهذا هو الدليل الاجمالي وهو متيسر لكل أحد وواجب وجوباً عينياً بخلاف التفصيلي فليس واجباً على عموم الناس وإلا كان فيه افراط وحرج شديد .

قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى أسرفت طائفة فكفروا عوام المسلمين وزعموا أن من لم يعرف العقائد بالادلة التي حرروها فهو كافر فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بطائفة من المتكلمين .

ثم ان الايمان على خمسة أقسام ايمان عن تقليد وهو الايمان الناشىء عن الأخذ بقول الشيخ من غير دليل . وايمان عن علم وهو الناشىء عن معرفة العقائد بادلتها وصاحبه من أهل علم اليقين ، ويعد من هذا القسم التلميذ بعد ان يرشده الشيخ للادلة فهو حينئذ عارف بها لا مقلد . وضرب الشيخ السنوسي مثلا بين من أرشد الى الدليل فعرفه وبين المقلد بجماعة نظروا للهلال فسبق بعضهم لرؤيته فاخبرهم به . فان صدقوه من غير معاينة كانوا مقلدين ، وان ارشدهم بالعلامة حتى عاينوه لم يكونوا مقلدين ، وايمان عن عيان وهو الناشىء عن مراقبة القلب لله فلا يغيب ربه عن خاطره طرفة عين بل هيبته في قلبه كأنه يراه . وايمان عن حق وهو الناشىء عن مشاهدة الله بالقلب وهو معنى قولهم العارف يرى الله في كل شيء وايمان عن حقيقة وهو الناشىء عن كونه لا يشهد الا الله ، فالقسم الاول للعوام ، والثاني لاصحاب علم اليقين ، وكلاهما صاحبها محجوب . والقسم الثالث لاصحاب عين اليقين والمراقبة ويسمى مقام المراقبة . والرابع للعارفين وهم اصحاب حق

اليقين ويسمى مقام المشاهدة . والقسم الخامس للواقفين الذين لايشهدون الا اياه ويسمى مقام الفناء لانهم يفنون عن غير الله ولا يشهدون سواه . والواجب على الشخص احد القسمين الاولين واما الثلاثة الإخيرة فعلوم ربانية يختص بها من يشاء من عباده بحسب المواهب وسبق الاقدار . جعلنا الله واحبابنا ممن سبقت له العناية .

ومما يجب الايمان به علامات الساعة الكبرى المتوقع نزولها وهي عشرة اولها ظهور المهدي . ثم خروج الدجال . ثم نزول عيسى ابن مريم ، ثم خروج يأجوج ومأجوج . وخروج الدابة التي تكتب بين عيني المؤمن مؤمناً فيضيء وجهه وبين عيني الكافر كافراً فيسود وجهه . وطلوع الشمس من مغربها ، وظهور الدخان يمكث في الارض اربعين يوماً يخرج من انف الكافر وعينيه واذنيه ودبره حتى يصير كالسكران ويصيب المؤمن منه كهيئة الزكام . وخراب الكعبة على أيدي الحبشة بعد موت عيسى ، ورفع القرآن من المصاحف والصدور ، ورجوع اهل الارض كلهم كفاراً .

وأما العلامات الصغرى فمنها ماقد وقع ومنها مالم يقع . واختلف في وجوب المعرفة هل ثبت وجوبها بالعقل أم بالشرع على ثلاثة مذاهب ، فذهب الاشاعرة الى انها بل وسائر الاحكام ثبتت بالشرع لكن بشرط العقل . وذهبت الماتريدية الى ان وجوب المعرفة ثبت بالعقل دون سائر الاحكام . وهذان المذهبان لاهل السنة والجماعة ، والثالث مذهب المعتزلة وهو ان الاحكام كلها ثبتت بالعقل بناء على التحسين والتقبيح العقليين عندهم . فالحسن عندهم ماحسنه العقل ، والقبيح ماقبحه العقل فان أدرك ان هذا الفعل حسن بحيث يذم على تركه ويمدح على فعله حكم بوجوبه ، وهكذا . وأما عند اهل السنة فالحسن ماحسنه الشرع والقبيح ماقبحه الشرع .

(وأعلم) ان مباحث فن التوحيد ثلاثة اقسام : إلهيات وهي المسائل التي يبحث فيها عن صفات المولى . ونبوات وهي التي يبحث فيها عن احوال النبوة . وسمعيات وهي المسائل التي لاتتلقى احكامها إلا من الشرع ولا تؤخذ إلا من الوحي وتصديق ذلك واجب وذلك كالحشر وسؤال الملكين وعذاب القبر والجنة والنار

والميزان والصراط الى غير ذلك مما اخبر به الصادق المصدوق وورد به الكتاب العزيز. ثم ان مايجب معرفته في حق المولى جل وعز قسمان. تفصيلي فيجب اعتقاده كذلك وهو العقائد التي تقدم ذكرها فيجب اعتقادها كذلك وهي معلومة بالكتاب والسنة والادلة العقلية، واجمالي فيجب على سبيل الاجمال وهو ان تعتقد ان المولى جل وعلا تجب له كمالات لانهاية لها وتستحيل عليه نقائص في مقابلة تلك الكمالات لانهاية لها. ويجوز في حقه جائزات لانهاية لها. ولنذكر مايجب الأخذ به على كل مسلم. وهو ان نعتقد اعتقاداً جازماً ان الله تعالى واحد منزه عن الشريك والمعين والصاحبة والولد، فرد لامثل له، صمد لاضد له، منفرد لاند له، قديم لا أول له، أزلي لابداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدي لانهاية له، مفتقر اليه كل ماعداه، ومستغن هو عن كل ماسواه، قائم بنفسه ليس بجوهر متحيز ولا بجسم مركب، فيحتاج الى مكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، استوى على العرش كما قال وعلى المعنى الذي أراد، كما ان العرش وماحواه به استوى له الآخرة والاولى منزه عن الجهات الست لانها من لوازم الجسيمة، مقدس عن القبل والبعد لان ذلك من صفات الزمان، وأنه خلق الجنة والنار وجعلهما داري ثواب وعقاب، ونعتقد أنه لايجب عليه شيء بل هو الفاعل المختار العدل يخلق مايشاء ويختار، أوجد الكل على وفق ارادته وعلمه من غير احتياج اليه، لم يجر في الكون الا ما أراده، أحاط علمه بجميع الموجودات والمعدومات، يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور، ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء. وأنه منزه عن صفة الحلول بأنواعها الثلاثة حلول النصارى المعتقدين بان الله حال في عيسى عليه السلام حلول الصفة في الموصوف وحلول اليهود المعتقدين ان الاله تعالى مستقر على العرش وحلول الباطنية القائلين بان الله يحل في الانسان فتنكشف له الحقائق ولا يحل في الذات الا المعاني وهم كفار انتسبوا لاهل التصوف وأخذوا ذلك من شطحاتهم تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، متكلم سبحانه وتعالى بكلام قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت، كما انه يسمع بلا اذن، ويرى من دون حدقة، حكيم لا يفعل شيئاً إلا بحكمة، وأفعاله منزهة عن الاغراض، وسئل بعض العلماء عن الله تعالى فقال ان

سألت عن اسمائه فقد قال : (ولله الاسماء الحسنى) وإن سألت عن أقواله فقد قال (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وان سألت عن أفعاله فقد قال (كل يوم هو في شأن) وان سألت عن ذاته فقد قال (ليس كمثله شيء) ونعتقد ان الله أرسل الى الخلق رسلاً مبشرين ومنذرين ، وجعل النبي الهاشمي العربي القرشي محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وعلى آلهم وصحبهم اجمعين . ونعتقد انه بلغ الرسالة ونصح الامة وان جميع ماأخبر به حق ، ونعتقد وجوب تأويل ماورد في القرآن مما يوهم وقوع معصية من الانبياء لوجوب اعتقاد عصمتهم . ونعتقد أفضلية الصحابة الخلفاء الاربعة على ترتيب الخلافة ، ونمسك عما وراء ذلك هذه عقيدة اهل السنة والجماعة نسأل الله ان يثبتنا عليها ويميتنا عليها بجاه سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المتقين ورسول رب العالمين .

﴿ خاتمة ﴾ اعلم انه لابد في الحكم باسلام الكافر الاصلي والمرتد من التلفظ بالشهادتين ولو بكلمات عجمية مفيدة لمعنى مطابق لمعناهما . ولا بد من ترتيب الشهادتين وموالتها وفهم معناهما فلو قال محمد رسول الله لا إله إلا الله او شهد لله بالالهية والوحدانية وبعد مدة شهد برسالته ﷺ او لقن الشهادتين وهو لا يفهم المراد منهما لايحكم باسلامه ولا تجري عليه احكام المسلمين . ويشترط الاعتراف برسالته ﷺ الى غير العرب ممن ينكرها كالعيسوية المعتقدين انه ﷺ رسول الى العرب خاصة ، والبراءة من كل دين يخالف دين الاسلام ويزيد المشرك كفرت بما كنت أشركت به وكذا يشترط رجوع المرتد عن الاعتقاد الذي ارتد بسببه كان يقول برئت من كذا .

(واختلفوا) في زيادة الايمان ونقصانه ، فذهب الامام ابو حنيفة ومن تبعه الى ان الايمان لا يزيد ولا ينقص لانه تصديق قلبي وهو لايتصور فيه زيادة ولا نقصان وبحث فيه بان التصديق له مراتب تختلف باختلاف أوصاف ذويه إذ تصديق المقلد ليس كتصديق العارف بالدليل ، وهو ليس كتصديق المراقب ، وهو

ليس كتصديق المشاهد ، وهو ليس كتصديق المستغرق ، الذي لايشاهد الا الله
وذهب جمهور الاشاعرة الى أنه يزيد وينقص بزيادة ثمراته ونقصانها وهي الاعمال
واحتجوا في ذلك بحجة عقلية ونقلية ، أما العقلية فهي أنه لو لولم تتفاوت حقيقة
الايمان بالزيادة والنقص لكان ايمان الامة بل المنهمكين على الفسق والمعاصي مساوياً
لايمان الانبياء والملائكة واللازم وهو المساواة باطل فكذا الملزوم الذي هو عدم
التفاوت بالزيادة والنقص ، وأما النقلية فهي النصوص الكثيرة الواردة في هذا
المعنى كقوله تعالى (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) وكقوله (ليزدادوا ايماناً مع
ايمانهم) وقوله (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وكقوله عليه الصلاة والسلام لابن عمر لما
سأله الايمان يزيد وينقص . قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى
يدخل صاحبه النار . نعم ايمان الملائكة لايزيد ولا ينقص ، وأما ايمان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام فيزيد بزيادة الطاعة ولا ينقص اذ ليس عليهم معصية تنقصه لعصمتهم .
وعندنا معاشر أهل السنة والجماعة ان الاعمال خارجة عن حقيقة الايمان لان
النصوص قد دلت على ثبوت الايمان قبل النواهي والأوامر على ان الايمان والعمل
الصالح متغايران وعلى أن المعاصي والايمان قد يجتمعان ، قال الله تعالى : (يا أيها
الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) ولم يقل سبحانه وتعالى شرط لصحة ايمانكم ، وقال
تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان اصل العطف للمغايرة وقال تعالى (ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحاً) وقال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وقال تعالى
(الذين آمنوا ولم يهاجروا) وقال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) استفيد من
هذه الآيات ان الاعمال خارجة عن حقيقة الايمان فمن أتى بالعمل فقد حصل له
الكمال ومن تركه فهو مؤمن فوت على نفسه الكمال اذا لم يكن مع ذلك استحلال
او عناد للشرع أو شك في مشروعيته وذهب المعتزلة الى ان الايمان النطق
والعمل والاعتقاد ومشى على ذلك صاحب الشيبانية من اهل السنة حيث قال
في منظومته :

وايماننا قولٌ وفعلٌ ونيةٌ   ويزداد بالتقوى وينقص بالردا

والحق ماعليه جماهير اهل السنة كما مر آنفاً ، ثم قال رضي الله عنه:

﴿وترجح عندالوزن أعمالك التي تسرّ بها في موقف الحشر والنشر﴾

قوله وترجح فعل مضارع حلقي اللام من باب فعل يفعل بفتح العين منصوب لأنه معطوف على المنصوب وأما تسر فهو مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم وجملته صلة للتي ، وقوله في الحشر متعلق بقوله ترجح . وأفهم كلامه رضي الله عنه ان الاعمال التي ترجح عند الوزن في الحشر والنشر وهي الاعمال الصالحة يحصل لصاحبها السرور بها في الدنيا وفي الآخرة . أما في الآخرة فلما يشاهده من ثمراتها التي هي الفوز بالسعادة الابدية والنجاة من الاهوال الفظيعة ، وأما في الدنيا فبالاستبشار بها لتوفيق الله اياه لما فيه رضاه وذلك وصف المؤمنين الذين شرح الله صدورهم للايمان والاسلام .

قال ﷺ من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ، والمعنى اذا شئت ان ترجح عند الوزن في عرصات القيامة اعمالك التي تسر بها فعليك بتحسين اليقين الآتي ذكره وبيانه ، وفي البيت نوع من البديع يسمى الجناس اللاحق وهو ماابدل من احد ركنيه حرف واحد بغيره من غير مخرجه سواء كان الابدال في الوسط او في الآخر أو في الاول كالذي في القصيدة بان اشتمل كل من اللفظين على حرف لم يشتمل عليه الآخر وهو في بيت القصيدة قوله الحشر والنشر فان مخرج النون بعيد عن مخرج الحاء ، ومن الجناس اللاحق قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) وقوله تعالى : (ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) ومنه قول البحتري :

عجبَ الناس لاغترابي وفي الاط راف تلقَ منازلَ الأشرافِ
وقعودي عن التقلّب والار ض لمثلي رحيبة الاكناف
ليس عن ثروةٍ بلغت مداها غير اني امرؤ كفاني كفافي

ولابي هلال العسكري :

أراعي تحت حاشية الدياجي شقائقَ وجنة سقيت مُدَاما
وان ذُكرتْ لواحظ مقلتيه حسبتَ قلوبنا مطرت سهاما
وان مالت بعِطفيه شمولٌ سقانا من شمائلهِ سقاما

ولبعضهم من أبيات :

إن الغنيَ هو الغنيُ بنفسهِ ولو أنه عاري المناكب حافي
ما كل مافوق البسيطةِ كافياً واذا قنعت فكل شيء كافي

وقلت من قصيدة غرامية :

أبكتْ عيونَ العاشقين بصدها وعليّ قد جارت بعادلِ قدّها

(واعلم) ان الجناس قد اعتنت بشأنه العلماء إذ هو من أجل أنواع البديع ، وفائدته كما في كنز البراعة الاصغاء الى الكلام ، فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلاً واصغاء اليها ، ولان اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوف اليه . ثم ان انواعه كثيرة ففي استيفاء الكلام عليها تعسير وترك الكلام عليها رأساً قصور وتقصير .

وقد أحببت أن أذكر من أنواع الجناس بعضاً في خلال هذا الشرح . واذكر هنا الجناس التام باقسامه وهو أحسن الجناسات . قال بعضهم وجه حسن الجناس التام مطلقاً ان صورته صورة الاعادة وهو في الحقيقة افادة ، أما الجناس التام فهو ان يتفق اللفظان في انواع الحروف واعدادها وهيآتها وترتيبها وهو أقسام احدها المماثل بان يكونا من نوع واحد كاسمين او فعلين ، او حرفين كقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون . مالبثوا غير ساعة) واستنبط شيخ الاسلام ابن حجر ان من هذا القبيل في القرآن قوله تعالى (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار . يقلب الله الليل والنهار ، ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) وللنابلسي في بديعته :

إن العقيق بدمعي العقيقُ جرى فحيّ ياصاح عني الحيّ من إضم

ومراده بالعقيق اسم واد بمكة والثاني الحجر المعروف . وللقاضي برهان الدين القيراطي من قصيدة يصف فيها الراح :

راحا بها راحتي في راحتي حصلت — فتم عجبي بها وازدان بي العجبُ
عاطيتها من بني الاتراك غانية — لحاظُها لأسود القلب قد غلبوا
هيفاءَ جارية للراح ساقية — من فوق ساقيةٍ تجري وتنسكبُ

وللشيخ صفي الدين من قصيدته البائية :

اسبلن من فوق النهود ذوائباً — فتركن حبات القلوب ذوائبا

القسم الثاني المستوفى بان يكونا من نوعين كاسم وفعل واسم وحرف او فعل وحرف كحديث الصحيحين ، انك لن تنفق نفقة وتبتغي بها وجه الله الا اجرت عليها حتى ماتجعله في في امرأتك ، وقول الشاعر :

وسميته يحيى ليحيى فلم يكنْ — لامرِ قضاء الله في الناس من بُدِّ

وكقول ابي تمام عفا الله عنه :

ما مات من كرم النفوس فانه — يحيى لدى يحيى بن عبدالله

وكقول الشيخ الخطيب تاج الدين ابن عارف المنوفي في قصيدة يمدح بها تاج الرؤس مولانا السيد عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس قدس الله سره ونفعنا به وباسلافه وسائر الصالحين :

يابغيتي من شويخ كامل وصي — بحبكم زال ما أشكوه من وصبِ

القسم الثالث جناس التركيب وهو التام الذي أحد ركنيه مفرد والآخر مركب فان تركب من كلمتين او ثلاث كلمات سمي ملفوفاً ، وان تركب من كلمة وبعض اخرى أو كلمة وحرف من حروف المعاني سمي مرفواً وكل منهما أما متشابه بان يتفق الركنان لفظاً وخطاً أو مفروق بأن يتشابها لفظاً لا خطاً ثم قد يكون ذلك في متفقتين أو مختلفتين مثال الملفوف المتشابه قول البستي كما في عقود الجمان :

إذا ملكٌ لم يكن ذا هيبةْ فدْعــــه فــــدلته ذاهبة

ومن أمثلته قول بعضهم :

رب سفيه جليس سوء مفترس عرضنا بـــه
يقدح فينا بكل عيب وكل مــا قاله بنـــا به

وقوله الآخر :

عضنا الدهر بنابه ليت ما حل بنا بـــه
وكل من مال إليـــه خامــل ليس بنابـــه

وللامير الميكالي :

إن لي في الهوى لساناً كتوماً وفؤاداً يخفي حريقَ جواهُ
غير إني اخاف من دمع عيني ستراه يغشى الـذي ستراه

وما احسن قول بعضهم :

يامغرماً بوصال عيش ناعـــم ستصد عنه طـائعاً أوكارها
إن الحوادث تزعج الاحرارَ عن أوطانهم والطيرَ عن أوكارها

وقال بعضهم :

ان تلقك الغربةَ في معشر قد أجمعوا فيكَ على بغضهم
فـدارهم مادمتَ في دارهمْ وأرضهم مادمت في أرضهمْ

وما أحسن قول بعضهم :

حار في سقمي من بعـــدهم كل من في الحي داوى اورَقا
بعدهم لا طل وادي المنحنى وكذا بانُ الحمـــالا اورقـا

ومثال الملفوف المفروق قول البستي :

كلكم قد أخذ الجام ولا جامَ لنا
ماالذي ضرّ مديرَ الجــام لو جاملنا

وقوله أيضاً :

وإن أقر على رق أناملـــه ... أقر بالرق كتّاب الانـام له

ومثل ذلك قول بعضهم :

خيول وجدي الى الاحباب تجري بي ... فليس ينفعني عقلي وتجـــربي

هذا وسمعي لتهـــذيبي به صممٌ ... من كل عاذلة في الحب تهذي بي

وقول الآخر :

لا تعرضنَّ على الرواة قصيدةً ... مالم تكن بالغتَ في تهـذيبها

وإذا عرضت الشعر غير مهذبٍ ... عدوه منك وساوساً تهذي بها

وما ألطف قول بعضهم :

ولم أر مثل نشر الروض لمّا ... تلاقينا ببنت العامـــري

جرى دمعي وأومض برق فيها ... فقال الروض في ذا العام ريٌّ

ويعجبني ما انشده سيدي عبدالغني النابلسي بقوله :

يقول الشافعي اعمل بتحقق ... مناك فمـــا ترا كالشـافعي

فكم من صحبه من بحر علمٍ ... ومن حبرٍ ومن كشاف عي

وله قدس الله سره :

أرى في الجودرية ظبي أنس ... فيـــاشغفي به من جودري

لبارق فيه سحت سحبُ دمعي ... فقال الروض إن الجوبريّ

وقال ابن الاسد الفاروقي :

غدونا بآمالٍ ورحنا بخيبةٍ ... اماتت لنا افهامنا والقرائحا

فلم تلق منا غاديا نحو حاجةٍ ... لتسأله عن حاجة والق رائحا

(وأما الجناس) المرفو فحده ان يكون احد الركنين جـــزءاً مستقلا

والآخر مجزوا من كلمة اخرى كما قد سبق وقد يكون مفروقاً ومتشابهاً فمثال المفروق منه قول الحريري :

والمكر مهما اسطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمة

وكقوله عفى الله عنه :

ولا تله عن تذكار يومك وابكه بدمع يحاكي المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ولوعة ملقاه ومطعم صابه

ولبعضهم :

ياليت ظبياً هواه في الحشا رسخا لو بالتلفت مذ أبدى النفار سخا

وقول الآخر واجاد :

كف عن الناس إن شئت أن تسلم من قول جهول سفيه
من قذف الناس بما فيهم تقذفه الناس بما ليس فيه

ومثال المتشابه من الجناس المرفو قول السيوطي كما في عقود الجمان :

وكلما ملت لنحو حب لا بد لي فيه من رقيب
فليس ينأى فوا عنائي وليس ينفك قدر قيب

وقول الآخر :

فلاح لي أن ليس فيهم فلاح

انتهى ما اردت ايراده من الجناس المركب وأقسامه ، ولنرجع الى ما نحن بصدده من الشرح فنقول المراد بالرجح في قوله وترجح عند الوزن الى آخره تبين ثقل الاعمال وخفة ماسواها عند الميزان . والمعنى اذا شئت ان ترجح عند الوزن اعمالك الصالحة التي تنال بها وافر السرور بما يلقاك من رحمة ربك الغفور ، فعليك بتحسين اليقين وبالعمل بما اورده في النظم قال الله تعالى (ولقاهم نضرة وسرورا) واعلم ان الميزان واحد على الراجح له قصبة وعمود وكفتان كل واحد منهما اوسع

من طباق السموات والارض ، قال العلماء انما توزن الاعمال اذا انقضي الحساب لان الوزن للجزاء فلذلك كان بعد المحاسبة وهي لتقدير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ) وقال تعالى (والوزن يومئذ الحق) وقال تعالى (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فاؤلئك الذين خسروا انفسهم) ولا يعارض قولهم ان الميزان واحد ماورد في الكتاب العزيز من ذكره بلفظ الجمع لانه للتعظيم ، قال الباجوري فان قيل وزن اعمال المؤمنين وجهه ظاهر اذ لهم من الحسنات ما يقابل السيئات ، وأما الكفار فليس لهم حسنات حتى تقابل بها سيآتهم ، اجيب بانه يكون منهم صلة الرحم ومواساة الناس وعتق المماليك ونحوها من الاعمال التي لاتتوقف صحتها على نية فتجعل هذه الامور ان صدرت منهم في مقابلة سيآتهم غير الكفر ، اما هو فلا فائدة في وزنه لان عذابه دائم انتهى كلامه .

واعلم انهم اختلفوا في الموزون وقد ذهب اكثر المفسرين الى ان الموزون والكتب المشتملة على الاعمال بناء على ان الحسنات مميزة بكتاب والسيآت باخرى ، وذهب بعضهم الى ان الموزون أعيان الاعمال بان يجعلها الله تعالى أجساماً نورانية في الحسنات والظلمانية في السيآت ثم تطرح تلك الاجسام في الميزان الاولى في اليمين والثانية في الشمال ، قال اللقاني في جوهرته :

ومثلُ هذا الوزنُ والميزانُ ... فتوزَنُ الكتبُ أو الاعيانُ

﴿ وقوله في موقف الحشر والنشر ﴾ هو المحل الذي تنتهي اليه الخلائق للحساب ، والحشر هو سوق الناس اليه حفاة عراة الا الشهداء وأهل الزهد ، واما النشر فهو الاخراج من القبور .

واعلم ان مراتب الناس في الحشر متفاوتة فمنهم الراكب وهو المتقي ومنهم الماشي على رجليه وهو قليل العمل ، ومنهم الماشي على وجهه وهو الكافر . والحشر في الآخرة من حيث هو على ضربين الاول سوق الناس الى الموقف كما مر آنفاً ، الثاني صرف الناس من الموقف الى الجنة والنار قال تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمان

وفدا ، ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) ومن اهوال الموقف وشدائده طـــول الوقوف فيطول على الكفار ويتوسط على الفساق ويخف على الطائعين على قدر اعمالهم والعرق يبلغ آذان بعض الناس ويذهب في الارض سبعين ذراعاً والناس يكـونون فيه على قدر اعمالهم . ففي حديث مسلم (تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حـتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق . فمنهم من يكون الى كعبيه ، ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه) وفسر الميل بمرود المكحلة والمساحة المخصوصة .

قال بعضهم الثاني اقرب وهناك تتطاير الصحف من خزانة تحت العرش وتلزم الاعناق ويكون سؤال الملائكة لهم عن اعمالهم وتفريطهم فيها قال تعالى : (وقفوهم انهم مسؤلون) وشهادة الآلات والسمع والبصر والجلد والارض والليل والنهار والحفظة الكرام قال تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) الآية وهذا في غـــير الانبياء والعلماء العاملين لآية لايحزنهم الفزع الاكبر بل هم آمنون من عـذاب الله لكنهم يخافون ربهم خوف اجلال واعظام .

وكما ان في الموقف اهوالاً ففيه سرور اذ فيه احـوال شتى ومن ذلك اعطاء الكتب اي اخذ الملائكة لها من الاعناق واعطائهم اياها . فالطائع يعطي كتابه بيمينه . والـكافر بشماله وفي المؤمن العاصي خلاف المشهور انه يأخـــذها بيمينه واسباب النجاة من هذه الاهوال قضاء حوائج المسلمين وتفريج كـربهم والتجاوز لهم في معاملتهم اخذاً واعطاء واشباع الجائع وكسوة العريان وايواء ابن السبيل . ولعل الحكمة في الميزان مع ان الله مطلع على احوال العباد ولا يخفى عليه ان الغالب الحسنات او السيئات ان يعرفهم ذلك ليبين فضله وعدله عند العقاب .

روى الحسن ان رسول الله ﷺ (كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله ﷺ فانتبه ، فقال مايبكيك ياعائشة قالت ذكرت الآخرة . هل تذكـــرون اهليكم يوم القيامة ، قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فان احداً لايذكر الا نفسه ، اذا

وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم ايخف ميزانه ام يثقل . وعند الصحف حتى ينظر بيمينه يأخذ كتابه ام بشماله ، وعند الصراط .

وعن انس رضي الله عنه قال : يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك ، فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لايسعد بعدها ابداً ، وعند خفة كفة الميزان تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار ، قال رسول الله ﷺ في يوم القيامة ، انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار ، فيقول وكم بعث النار ، فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون ، فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى مااوضحوا بضاحكة . فلما رأى رسول الله ﷺ ماعند اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني ابليس قالوا ماهما يارسول الله قال : يأجوج ومأجوج . قال فسرى عن القوم . فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ماانتم في الناس يوم القيامة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة ، ثم ان الناظم نفع الله به وامدنا باسراره لما ذكر الوزن والحشر والنشر اشار الى ذكر الصراط والحوض وكلاهما مما يجب الايمان به فقال رضي الله عنه :

﴿ وتمضي على متن الصراط كبارقٍ

وتشربُ من حوضِ النبيِ المصطفى الطُهر ﴾

من اضافة المشبه للمشبه به والياء في الفعل المعطوف على المنصوب ساكنة لاجل الوزن والمعنى اذا شئت ان تمر على متن الصراط كبارق فعليك بتحسين اليقين الذي سيذكره بعد ثلاثة ابيات . ومعنى الصراط لغة الطريق الواضح مأخوذ من صرطه يصرطه اذا ابتلعه لانه يبتلع المارة ، وشرعاً جسر ممدود على متن جهنم يرده

الاولون والآخرون وهذا معنى وان منكم الا واردها ، وشمل ماذكر النبيين والصديقين ومن يدخل الجنة بغير حساب وكلهم ساكتون الا الانبياء فيقولون اللهم سلم سلم كما في الصحيح ، وفي بعض الروايات انه أدق من الشعر وأحد من السيف وهو المشهور . ونازع في ذلك العز ابن عبدالسلام والشيخ القرافي وغيرهما كالبدر الزركشي قالوا على فرض صحة ذلك هو محمول على غير ظاهره بان يؤول بانه كناية عن شدة المشقة وحينئذ فلا ينافيها ماورد من الاحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبيه وكون الكلاليب فيه ويمر على الصراط على قدر تقواه واستقامته في دار الدنيا (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولا هم يحزنون ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا) وفي قوله كبارق اشارة الى ان العباد يتفاوت مرورهم فمن خصهم بسابقة الحسنى يجوزون كطرف العين ومن العباد من يجوزون كالجواد السابق ، ومنهم من يجوزون سعياً ومشياً ، ومنهم من يجوزون كالبرق الخاطف ، وبعضهم كالريح العاصف ، وبعضهم يجوزون كالطير وهؤلاء السالمون اهل الاعمال الصالحة وأما غيرهم فبمجرد المرور عليه يقع في النار ، والحكمة في المرور على الصراط ظهور النجاة من النار وان يتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور ، جعلنا الله من السالمين الناجين بمنه ورحمته ، انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين .

قوله وتشرب من حوض النبي المصطفى الطهر وهو الحوض الذي اعده الله تعالى لنبيه الكريم وهو مما يجب الايمان به ، فيجب علينا تصديقنا بالحوض الذي يعطاه في الآخرة أفضل المرسلين ومع وجوب الايمان به لايكفر من انكره وانما يفسق ، وقد نفته المعتزلة وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الارض المبدلة وهي الارض البيضاء كالفضة من شرب منه لايظمأ ابداً ترده هذه الامة ، وقد ورد ان لكل نبي حوضاً ترده امته ، فعن الحسن مرفوعاً (ان لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه وبيده عصا يدعو من عرفه من امته ألا وانهم يتباهون أيهم اكثر تبعاً واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعاً ، وتخصيص حوض نبينا بالذكر لوروده

بالاحاديث البالغة مبلغ التواتر ، واختلف في محله فقيل قبل الصراط وهـــو قول الجمهور وصححه بعضهم لان الناس يخرجون من القبــور عطاشا فيردون الحوض الشرب منه . وقيل بعده وصححه بعضهم لأنه ينصب فيه الماء من الكوثر وهو النهر الذي داخل الجنة فيكون الحوض بعد الصراط بجانب الجنة على ظاهر الاحاديث كما قاله ابن حجر ، والواجب علينا ان نعتقد ان له حوضاً ولا يجب علينا غير ذلك . وفي الصحيحين من حديث عبدالله رضي الله عنه (حـوضه مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك ، من شرب منه فلا يظمأ ابدا ، ويذاد عنه من بدل وغير) وقد ورد تحديده بجهات مختلفة ففي رواية لاحمد (ان الحوض كما بين عدن وعمان وذلك نحو شهر) . وفي رواية للصحيحين (مابين صنعاء والمدينة وذلك نحو شهرين) وفي رواية لابن ماجه (مابين المدينة الى بيت المقدس) فان قيـل ما سبب اختلاف هذه الالفاظ اجيب بانه ﷺ تحدث بحديث الحوض مرات وذكر فيه تلك الالفاظ المختلفة فكان يخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها فلا تنافي من حيث تقدير المسافة بنحو شهر في بعض الروايات وبنحو شهرين في بعض آخـــر وآنيته على عدد الكواكب وفي رواية اباريقه ولذلك قال صاحب الشيبانية :

وحوضُ رسولِ الله حقاً أعدّه — له الله دون الرسلِ ماءً مبرّداً

ويشرب منه المؤمنون وكلُ من — سُقي منه كأساً لم يجد بعده صدًا

قوله رضي الله عنه المصطفى الطهر اي الذي اصطفاه الله كما رواه الترمذي وصححه عن النبي ﷺ (ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل . واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) واصل اصطفى اصتفي لأنه مشتق من الصفوة ولكن لما جاورت التاء الصاد وهو حرف استعلاء ابدلت طاء كما هـو شأن نظرائه والطهر كما في القاموس نقيض النجاسة وهو مصدر وعليه فـوقوعه نعتاً له ﷺ أما على التأويل بالمطهر اسم مفعول او على المبالغة بجعله ﷺ نفس المعنى او على المجاز المرسل الذي علاقته التعلق وهو ظاهر في التأويل باسم المفعول .

ومن اسمائه ﷺ المصطفى والطاهر ، ومما يجب علينا الايمان بشفاعته صلى الله عليه وسلم . والشفاعة لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير من الشفع ضد الوتر كأن الشافع ضم سؤاله الى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين فيما قاله اللقاني . فشفاعته ﷺ هي درجة الوسيلة والمقام المحمود في فصل القضاء في الخلق بعد شدائد الموقف واهواله من طول القيام وغيره وتردد الناس من نبي الى نبي حتى تنتهي الى نبينا عليه الصلاة والسلام فيقول انا لها انا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى .

وهذه هي الشفاعة العظمى المختصة به ﷺ قطعاً وهي المقام المحمود او اوله المذكور في قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) اي يحمده فيه الاولون والآخرون وله ﷺ شفاعات اخر غيرها فيمن استحق دخول النار فلا يدخلها . وفي اخراج اقوام من النار بعد الدخول . ورفع درجات اقوام في الجنة ، ورفع العتاب عن بعض الصلحاء . وفي اخراج الموحدين من النار حتى من في قلبه مثقال ذرة ولغيره ﷺ من الانبياء والعلماء والملائكة شفاعات لكن فيمن في قلبه اكثر من ذلك ، وردت في ذلك احاديث صحيحة فهم يشفعون في ارباب الكبائر للاخبار الدالة على ذلك كما اجمع عليه اهل السنة ، وفي الاربعين في اصول الدين للفخر الرازي قال في الاحتجاج على ثبوت الشفاعة انه تعالى أمر محمداً ﷺ بالاستغفار للمؤمنين فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، ثم قال نفع الله به واذاقنا حلاوة مشربه :

✻ وتخلدَ في أعلا الجنان منعماً

حظياً بقربِ الواحد الاحدِ الوترِ ✻

قوله وتخلد بالنصب ايضا معطوف على تحيا ، والمعنى اذا شئت ان تدخل اعلا الجنة وتقيم فيها قياما مؤبدا حال كونك منعما في دار النعمة بالنعم التي لا عين رأت

ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فعليك بتحسين اليقين الآتي ذكره ، والمراد بالخلود هنا المكث من حيث هو بلا تحديد اذ الجنة محل رضا الله عز وجـل على عباده المؤمنين ، كما ان النار محل سخطه عز وجل على العصاة الكافـرين . فهما باقيتان الى مالانهاية له لا تفنيان ولا تزولان ابد الآبدين لقوله تعالى في حق اهـل الجنة (وماهم منها بمخرجين ، عطاء غير مجذود) وقوله في حق الفريقين (خالدين فيها) وهذا فيمن دخل النار بموجب الكفر لا في المسلم العاصي فانه وان استحق دخول النار فغير مخلد ولو قاتلا متعمداً وحملوا ما في الآية على مستحل القتل ، قال صاحب الشيبانية رحمه الله تعالى :

ولم يبق في النار الجحيم موحدٌ • ولو قتل النفس الحرام تعمّدا

ثم ان المراد باعلا الجنان جنة الفردوس التي هي اوسط الجنان وأفضلها واعلاها وهي سبع متجاورات : جنة الفردوس ، وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة النعيم ، وجنة عدن ، ودار السلام ، ودار الجلال ، ورجح جماعة انها اربع لآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ثم قال (ومن دونهما جنتان) وقـال بعضهم انها واحدة والاسماء والصفات جارية عليها لتحقيق معانيها كلها فيها ، والجنان كلها متصلة بمقام الوسيلة لتنعم اهل الجنة بمشاهدته ﷺ لظهوره لهم منها لانهـا تشرق على اهل الجنة كما ان الشمس تشرق على اهل الدنيا ، ولا تنافي المجاورة علو الفردوس وفوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر أنهار الجنة ، والجنة لغة الحديقة ذات النخل والشجر كما في القامـوس وتطلق على دار الثواب في الآخرة وهي المرادة هنا بجميع انواعها .

وأما النار اعاذنا الله منها فهي جسم لطيف محرق يطلب العلو مركزاً وهي سبع طباق اعلاها جهنم وهي لعصاة المؤمنين ثم تصير خالية : فلظى ، فالحطمة ، فالسعير ، فسقر ، فالجحيم ، فالهاوية ، وباب كل داخل الاخرى على استواء كما نبه عليه ابن عطية وغيره وهي موجودة كالجنة اذ لا يحيل العقل خلقهما كما قاله امام الحرمين ، وقد دل على ذلك من كتاب الله تعالى قوله (وجنة عرضها السموات

والارض أعدت للمتقين) والاعداد يصرح بثبوت الشيء وتحقيقه وقال تعالى (ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، وتواترت الاخبار في قصة آدم عليه السلام عن الجنة وادخال آدم اياها واخراجه عنها لتكميل فضائله ، وقال اللقاني ما ملخصه ان الجنة والنار موجودتان الآن في عالم يعلمه الله تعالى الذي احاط بكل شيء علما ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أتى رجل الى النبي ﷺ فقال : يامحمد ارأيت جنة عرضها السموات والارض ، فأين النار ، قال : ارأيت الليل إذا ألبس كل شيء فأين جعل النهار ، فقال السائل الله اعلم ، فقال النبي ﷺ كذلك يفعل مايشاء .

• (قوله) حظيا المراد بالحظى المحظو بمعنى المعطي ، قال الاصمعي رحمه الله والمراد بالمحظي من حظي أي نال غاية المطلوب من الحبيب المحبوب ، وقوله بقرب الواحد الخ ... الواحد الحقيقي من هو منزه الذات عن التركيب والتعدد ومايستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة المقتضية للالوهية . فالباري منزه عن ذلك لاشريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله .

والاحد لغة في الواحد كوحد ووحيد وحاد واحاد وموحد وواحد فكل ذلك راجع الى معنى الواحد وان كان في ذلك معان لطيفة ولم يجيء في صفات الله تعالى الا الواحد والاحد وهما والوتر بمعنى واحد وذكر للتوكيد . وفي الجامع الصغير عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم (ان الله يحب الوتر) قال الحفني أي واحد في ذاته وصفاته وأفعاله يحب الوتر أي صلاة الوتر أو الاعم كالفطر على تمراه والمراد بالقرب الذي ذكره الناظم نفع الله به هو القرب اللائق به تبارك وتعالى لا كقرب المخلوقين . وقد قال العلماء ان قربه قرب علم لاقرب مسافة تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، قال تعالى : (ونحن اقرب اليه منكم) أي بالعلم ، وقال تعالى (ونحن اقرب اليه) أي بالعلم (من حبل الوريد) وفي الحديث القدسي (من تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً) فالقرب في كل قرب معنوي من حيث العلم لاحسي تعالى الله عن

مشابهة خلقه له . وعلى هذا فينبغي لكل عبد ان يرجع كل كلام يوهم ظاهره التشبيه إلى مايليق في حقه تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . فما ورد في الكتاب والسنة مما يوهم ماهو منزه عنه فمصروف عن ظاهره اجماعاً للمخالفة للادلة العقلية أذ الدليل الشرعي اذا خالف الدليل العقلي علم أنه ليس المراد به ظاهره فوجب صرفه عن ظاهره اجماعاً اما مع التفويض اليه تعالى وهو مذهب السلف ، أو مع التأويل وهو مذهب غالب الخلف لاحتياجهم لذلك لكثرة المبتدعة الملبسين فيقولون معنى الوجه الذات واليد القدرة والفوقية بالتعالي في العظمة دون المكان والاتيان باتيان رسوله وعذابه ورحمته وثوابه وكذا النزول كما في حديث ينزل ربنا ومن التشابه قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فيؤولونه بالاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشرٌ على العراقِ ــ من غير سيفٍ ودمٍ مهراقِ

وسأل رجل الامام مالكاً عن هذه الآية فاطرق رأسه ملياً ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اظنك إلا ضالاً فأمر به فأخرج ، وسأل الزمخشري الغزالي عن هذه الآية فاجابه بقوله اذا استحال ان تعرف نفسك بكيفية أو اينية فكيف يليق بعبوديتك ان تصفه تعالى بأين أو كيف وهو مقدس عن ذلك ثم جعل يقول :

قلْ لمن يفهمُ عني ما أقولْ ــ قصّر القولَ فذا شرحٌ يطولْ
ثمّ سرٌ غامضٌ من دونِهِ ــ قصُرت واللهِ اعناقُ الفحولْ
أنت لا تعرفُ اياكَ ولا ــ تدرِ من أنت ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ ركّبتْ ــ فيكَ حارت في خفاياها العقولْ
أين منك الروح في جوهرها ــ هل تراها فترى كيف تجولْ
وكذا الأنفاسُ هل تحصُرها ــ لا ولا تدرى متى عنك تزولْ
أين منك العقل والفهم إذا ــ غلبَ النومُ فقل لي يا جهول
أنت أكلُ الخبز لا تعرفه ــ كيف يجري منك أم كيف تبول
فاذا كانت طواياك التي ــ بين جنبيك كذا فيها ضلول

كيف تدري من على العرش استوى　　لا تقل كيف استوى كيف النزول

كيف يحكي الرب أم كيف يُرى　　فلعمـــري ليس ذا الافضول

فهـــو لا أين ولا كيف له　　وهو رب الكيف والكيف يحول

وهو فوق الفوق لا فـــوق له　　وهو في كل النـــواحي لا يزول

جـــل ذاتاً وصفـــاتٍ وسما　　وتعالى قـــدرة عمـــا تقول

وبما تقرر علم قطعاً وهو الذي يجب اعتقاده ان قربه تعالى غير قـــرب خلقه وفعله غير فعلهم ، بل انه تعالى تنزل لخلقه لطفاً بهم اذ خاطبهم بمـــا يفهمون وتقبله عقولهم . قال ابو الحسن الثوري رضي الله عنه في نشر المحاسن لليافعي بعد كلام له أما القرب بالذات فتعالى الله عنه فانه مقدس عن الحدود والاقطار والنهـــاية لا اتصل به مخلوق ، ولا انفصل عنه حادث ، مسبوق جلت صمدانيته عن قبـــول الوصل والفعل . فتقرب في نعته هو محال وهو تداني الذوات ، وقرب هو واجب وهو قرب العلم والرؤية وقرب هو جائز في صفته يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفعل باللطف انتهى .

ومن هذا القول البديع الحسن والتحقيق يعلم ان القرب اللائق في حقه تعالى حيث اطلق له معان يقصد في كل مقام بما يناسبه ، والمراد به هنا تعظيم المنزلة لان دنو الله من العبد ودنو العبد من الله بالرتبة والمكانة والمنزلة لا بالمكان والمسافة والنقلة لاستحالة ذلك في حقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وكل ماأوهم مستحيلا في حقه تعالى من أسمائه العظام فيفسر في حقه باللائق كالرحمن الرحـــيم ، فانهما صفتان مأخوذتان من الرحمة ، ومعناها الاصلي رقة في القلب فهي لاستحالةذلك في حقه تعالى يراد بها غايتها من التفضل والانعام ، فالرحمن الرحيم في حقه بمعنى المحسن او مريد الاحسان ، وكالصبور والشكور والحليم فان الصبرر يوهم وصول مشقة له تعالى اذا الصبر حبس النفس على المشاق فيفسر في حقه تعالى بالذي لا يعجـــل بالعقوبة على من عصاه ، والشكور يوهم وصول احسان اليه لان معناه كثيرالشكر لمن احسن اليه مع ان الاحسان كله من الله فيفسر في حقه بالذي يجازي على يسير

الطاعات كثير الدرجات ويعطي بالعمل في ايام معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة ، وهكذا سائر اسمائه تعالى ، ثم ان الناظم نفع الله المسلمين به لما ذكر اهـــل الجنة ونعيمهم لأنه اول مايلقونه بعد محاسباتهم على الاعمال اعقبه بما يستأنسون به من زيادة النظر الى الكبير المتعال فقال رحمه الله تعالى ونفع به :

﴿ وتَنظرَه بالعـين وهـو مقدَّس

عن الاينِ والتكييفِ والحدِ والحصرِ ﴾

قوله وتنظره فعل مضارع منصوب لانه معطوف على المنصوب وفي هذا البيت نوع تسميه اصحاب البديع جناس المضارع وذلك بين قوله العين والاين ، وقل من فرق بينه وبين الجناس اللاحق الذي مر ذكره ، والمراد بالمضارع المشابه وهو ماابدل في احد ركنيه حرف واحد بغيره من مخرجه كالهمزة والعين هنا او قريباً اليه كقول الشيخ جمال الدين بن نباته رحمه الله تعالى :

رقّ النسيمُ كرقتي من بعدكم لكننا من حبكم نتغايرُ
ووعدتَ بالسلوان واش عابكم فكأننا في كربنا نتحايرُ

ومن لطائف الصفي الحلي :

قيل أن العقيقَ قد يبطل السحرَ بتحقيقه لسرٍّ حقيقي
وأرى مقلتيكَ تنفثُ سحراً وعلى فيكَ خاتمٌ من عقيقي

وقال آخر :

تعشقتُه أميّ حسنٍ فماله أتى بكتابٍ ضمنهُ سورةُ النملِ
ومالي أنا المجنونُ فيه وشعرُه إذا مر بالكثبان خط على الرملِ

وللشريف الرضي :

لا يذكرُ الرملَ إلا حنّ مغترباً له إلى الرملِ أوطارٌ وأوطانُ

ومن الجناس المضارع قوله تعالى : (وهم ينهون عنه وينأون) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة) ومثله قول بعضهم البرايا أهداف البلايا قلت ومن اصحاب البديع من يسمي كل ما اختلف بحرف تجنيس التصرف سواء كان من المخرج ام من غيره انتهى الكلام على الجناس المضارع (ومن أنواع الجناس) الملفق وهو قسم المركب وغالب المؤلفين ما فرق بينهما ، وحده ان يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين . وهذا الفرق بينه وبين المركب وهو من احسن الجناس مسلكاً وأصعبه مدركاً ، ولذلك سومح فيه باختلاف الحركات فمن الملفق في النظم قول الشاعر :

وكم لجباه الراغبين اليه من مجال سجود في مجالس جود

وللقاضي ابي علي عبدالباقي ابن ابي حصين في هذا النوع وقد ولي القضاء بالمعرة وهو ابن خمس وعشرين سنة واقام في الحكم خمس سنين وهو قوله :

وليتُ الحكم خمساً وهي خمسٌ لعمري والصبا في العنفوان
فلم تضع الاعادي قدر شاني ولا قالوا فلانٌ قد رشاني

وقال بعضهم :

ومعشوق يتيه بوجه عاج شبيه الشدغ منهُ بلا مزاج
إذا استسقيتُه راحاً سقاني رُضاباً بالرحيق بلا مزاج

وللصفي الحلي :

لو أفادتنا العزائمُ حالاً لم نجدْ حسنَ العزاء محالا

والآخر :

رعى الله دهراً بكم قد مضى بلغتُ الاماني به في امان
وأيامَ أنس تولت لنا باحلام عانٍ باحلى معان

والآخر :

فتىً حلمه كالطور أصبح للورى ... فمن خاف فليأوي مجالس طوره
سطور طروس الناس لم تحص فضله ... فمن ذا يجارى في مجال سطوره

وقريب منه قوله :

وقلتُ لها لاتهجري الصب وارجعي ... وعودي لوصالك لاعدمتك عودي
فقالت ستعطى ماتشاء فمل إلى ... مجالِ سعودٍ في مجالس عودي

انتهى الكلام على الملفق (ومن أنواع البديع) النوع المسمى بالادماج وهو ان يدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحاه من جنسه أو من غير جنسه ليوهم السامع انه لم يقصده ، وإنما عرض في كلامه لتتمة المعنى المقصود ، واحسن ماوقفت عليه من شواهد الباب قول عبدالله ابن سليمان حين وزر للمعتضد وكان عبدالله قد اختلت حاله فكتب للمعتضد مهنئاً ومصرحاً له بانه أحق بالتقديم بعد ان سبق منه في كلامه مايشعر بالتأسف :

أبى دهرُنا اسعافنا في نفوسنا ... واسعفنا فيمن نحبُّ ونكرمُ
فقلنا له نعماك فيم أتمها ... ودع أمرنا ان المهم المقدَّم

أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الحال في ضمن التهنئة ، ومن لطيف الادماج تغزل ابن نباتة بقوله :

ولا بد لي من جهلةٍ في وصاله ... فهلْ من حليم أودع الحلم عنده

أدمج الفخر بكون حلمه لايفارنه في الغزل ثم أدمج شكوى الزمان بالاستفهام عن الخل الذي يصلح لايداعه حلمه عنده وله كان الله له :

وبدرِ تمامٍ بت ألثم رجله ... وأكبرُه عن ان أقبلَ خدَّه
تعشقتُ فيه كل شيء يحبُه ... من الجور حتى كدت أعشق صدَّه

فقد أدمج في ضمن وصف نفسه وصف محبوبه ومن هذا القبيل قولي بفضل الله من ابيات خطرت على بالي البالي :

بُليتُ بحب مايهوى حبيبي | سوى الهجر المبرح في الفؤاد
نعم أهواه وفق رضاه كيما | يكون مراد من أهوى مرادي

ولي من قصيدة قصدت بها لبعض الموالي في أيام سياحتي وارتحالي :

من لي وقد عبثَ الزمانُ برحلتي | وغدوت في طلب المنى معذورا
أن ابلغ الشرف الذي حلف النهى | أن لا أكون لغيره مأسورا

فقد أدمجت في المعنى شكوى الزمان حيث استفهمت عن من يقوم بأمري ويزيل عسري ثم أدمجت فيه الفخر بكون شرفي ثابتاً لم يختلف فيه اثنان بل حلفت العقول ان لا اكون مأسوراً لغيره اعني الشرف ولا ينافي هذا طلبي بلوغه اذا الكامل يطلب الكمال (ومن انواع البديع النوع المسمى بالمدح في معرض الذم) ويسمى ايضاً تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو ان ينفي صفة ذم ثم يستثني صفة مدح للشيء الذي نفى عنه الذم كقول القائل :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم | بهن فلولٌ من قراع الكتائب

ومن الشواهد القرآنية على هذا النوع قوله تعالى (لايسمعون فيها لغواً ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما) وقال الشاعر :

ولا عيبَ فيكم غير أن ضيوفكم | تعاب بنسيان الاحبة والوطنْ

ولآخر :

مدحتكم بمديحٍ لو مدحتُ به | بحرَ الحجازِ لاغنتني جواهره
لاعيب لي غير أني من دياركم | وزامرُ الحي لم تطرب مزامره

ومن هذا النوع نحو قوله ﷺ (أنا أفصح العرب بيد اني من قريش) وكقول النابغة :

فتى كملت أوصافه غير أنه | جوادٌ فما يبقي على المال باقيا

قال سيدي عبدالغني النابلسي ان الاستدراك في هذا النوع كالاستثناء فيه كقول أبي الفضل بديع الزمان الهمداني يمدح خلف بن احمد السجستاني :

هو البدرُ إلا انه البحرُ زاخرٌ سوى أنه الضرغامُ لكنه الوبلُ

وقلت من قصيدة مدحت بها أهل البيت الاطهار :

وهم شمسُ الضحى في كل عصرٍ ولكن لاتميـــلُ الى الزوالِ

ومن أنواع البديع التوجيه وهو توجيه المتكلم بعض كلامه أو جملته الى أشياء متلائمة اصطلاحاً من اسماء اعلام أو قواعد علوم او غير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي وبهـذا المعنى يخالف التوجيه التورية كما يخالفها في انه لايصح الا بعدة الفاظ متلائمـة والتورية تكون باللفظة الواحدة كقول النابلسي في بديعيته :

ياجعفرَ الدمعِ ماأنت الرشيدُ فقف كلا ولا أنتَ مأمونٌ على حكمي

ففي هذا البيت ذكر جعفر والمراد به النهر الصغير أو الكبير الواسع، أو النهر الملآن ، وتوجيهه لاسم هرون الرشيد وذكر المـأمون المشتق من الامانة ضد الخيانة وتوجيهه لاسم ولد الرشيد المشهور وللصلاح الصفدي :

يذوب فؤادي عند رؤية وجهه وكم ذاب من شمس النهار جليد
ويحيى به وجدي وحزني خالد كما ان دمع المقلتـين يزيد

ولابن الساعاتي :

ايا قمراً من حسن صورته لنا وظلٌ عذاريه الضحى والاصائل
جعلتك للتمييز نصباً لناظري فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(ومن انواع البديع) معاتبة المرء نفسه وذلك ان يوجه الانسان الخطاب الى نفسه ويعاتبها على أمر من الامور كقول الحماسي :

أقول لنفسي في الخلاء ألومها لك الويل ماهذا التجلد والصبر

ولابي تمام من ابيات زهدية :

أقول لنفسي حين مالت بصفوها الى خطرات قد تتجن أمانيا
هبيني من الدنيا ظفرت بكلما تمنيت او اعطيت فوق منائيا
ألسنَ الليالي غاصباتي مهجتي كما غصبت قبلي القرون الخواليا

وللامير ابن المقرب :

ردي ماء الحتوف ولا تراعي فما خوف المنية من طباعي
فان بارضنا بقر شباع ولكن بين آساد جياع
ومن هاب المنية أدركته ومات أذل من فقع بقاع
ذريتي والملوك بكل أرض اكايلها الردى صاعاً بصاع
فما أيمانهم تعلو شمالي ولا ابواعهم تعلو ذراعي

(ولنرجع الى مانحن بصدده) فنقول قوله وننظره بالعين اي بالعين الشحمية وهو الذي عليه اهل السنة والجماعة بالنصوص القاطعة قوله وهو مقدس الواو للحال اي حال كونه مقدساً ، ومعنى المقدس المنزه عن صفات الحوادث ومنها الاين فهو سبحانه وتعالى منزه عنه وهو المكان . وعن التكيف اي ومنزه عن ان يكون مكيفاً بكيفية لان الكيفية والابنية من صفات الحوادث فلا تميزه الالوان ولايحويه مكان ولايشتمل عليه زمان ، لانه موجود قبل الزمان والمكان . وتنزه ايضاً عن متى لانه قديم لابتداء لاوليته باق لاانتهاء لآخريته ، والادلة على ذلك سمعاً وعقلا مشهورة مذكورة في المطولات ، وبالجملة فالباري منزه عن كل ماتحصل صورته في الذهن او العقل من العلوم والافهام والاوهام لانها مخلوقة والمخلوق لايحيط بكنه الخالق ، ثم رؤيته سبحانه وتعالى جائزة الوقوع لعباده المؤمنين في الجنة . وهذا ماعليه اهل السنة ، ولقد اجاد منهم المؤلفون رحمهم الله تعالى بابراز الحجج المثبتة للرؤية وجدوا في بيان استدلالهم لذلك من القواعد العقلية والبراهين النقلية الجلية فاهتدى كل ذي طبع سليم الى صراطهم المستقيم ونهجهم القويم ، وأشبع علماء الملة الحنيفية رحمهم الله في جواز الرؤية من الكلام مايستحليه ذوق الافهام ولم يغادروا

في ذلك مبحثاً الا سلكوه باشعة انوارهم مسلكاً جميلاً ، ومن استضاء بنور الكتاب والسنة لم يحتج من غيرهما دليلا غير ان من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ، وفي مؤلفات اهل السنة والجماعة المطولات والمختصرات في اثبات الرؤية مايغني ويكتفي به عن ايراد شيء من ذلك في هذا الشرح ولكن نشير الى نبذة يسيرة من ذلك ، فنقول ذهب اهل الحق كلهم الى ان الباري سبحانه وتعالى مع تنزهه عن سمات الحدوث يصح ان يرى وان المؤمنين في الجنة يرونه منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان ومن غير اتصال شعاع يخرج من بصر الرائي فيقع عليه تعالى وثبوت مسافة بينه وبين الرائي ، ولما أنكر المعتزلة وقالوا باستحالة ذلك بناء على شبهتهم ان الرؤية لاتتعلق عقلا الا بما هو في جهة ومكان ومسافة مخصوصة، وخالف الكرامية بأعتقادهم الرؤية في الجهة والمكان لكونه عندهم جسما تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، احتاج اهل السنة الى ازاحة الشبهة بايراد الادلة السمعية والبراهين العقلية ، اما من نفوا الرؤية فقد تمسكوا بشبهة سمعية وعقلية اقواها شبهة المقابلة وقالوا انه تعالى لو كان مرئياً لكان مقابلا للرائي بالضرورة فيكون في جهة وحيز وهو محال ، ولكان اما جوهراً او عرضاً لان المتحيز بالاستقلال جوهر، وبالتبعية عرض ولكان المرءى اما كله فيكون محدوداً متناهياً محصوراً وأما بعضه فيكون متبعضا متجزئاً الى غير ذلك .

وأما الشبهة السمعية فمنها قوله تعالى لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وبهذا قالوا بان نفي ادراكه تعالى بالبصر وارد مورد التمدح به مدرج في اثناء المدح فيكون نقيضه وهو الادراك بالبصر نقصاً وهو على الله تعالى محال ، ومنها قوله تعالى (قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة) لقد استكبروا واجيب بان ذلك للتعنت في الطلب لا لكون المطلوب محالا .

ومنها قولهم ان الله تعالى خاطب موسى عليه السلام عن سؤاله الرؤية بقوله لن تراني وكلمة لن للنفي في المستقبل على سبيل التأييد فيكون نصاً في ان موسى عليه السلام لايراه في الجنة ، أو على سبيل التأكيد فيكون ظاهراً في ذلك

لأن الأصل في مثله عموم الاوقات واذا لم يره موسى عليه السلام لم يره غيره إجماعاً، وقد أجاب اكابر علماء السنة الجامعين بين الشريعة والحقيقة عن هـذه الشبه بما لايجد الخصم الى معارضتهم سبيلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ، ولنورد مااحتجوا به في الرد عليهم . اما الجواب عن شبهة المقابلة فقد قال اهل الحق ان لزوم المقابلة والجهة ممنوع ، وانما الرؤية نوع من الادراك يخلقه الله متى شاء ولأي شيء شاء ، والباري سبحانه وتعالى يرى بلا كيف اي بلا تكييف المرئى من مقابلة واحاطة ، بل يجب تجرده عنه .

والمراد بالرؤية بلا كيف وجوب خلوها عن الشرائط والكيفيات المعتبرة في رؤية الاجسام والاعراض لابمعنى خلو الرؤية والرائي او المرئي عن جميع الحالات والصفات على مايفهمه ارباب الجهالات ، فيعترضون بان الرؤية فعل من افعال العبد او كسب من اكسابه فبالضرورة يكون واقعاً بصفة من الصفات، وكذا المرئى بحاسة العين لابد ان يكون له كيفية من الكيفيات .

والجواب عن الشبهة السمعية قال اهل الحق انا لانسلم ان الادراك بالبصر هو مطلق الرؤية بل هو رؤية مخصوصة وهي التي تكون على وجه الاحاطة بجوانب المرئى ، فالادراك المنفي في الآية أخص من الرؤية ملزوم لها بمنزلة الاحاطة من العلم ، فلا يلزم من نفى الادراك على هذا نفي الرؤية ولا من كون نفيه مدحاً كون الرؤية نقصاً ، على ان حقيقة الادراك كما مر آنفاً هو الاحاطة بجوانب المرئى والوقوف على حدوده ونهاياته والتمدح به انما يكون على تقدير صحة الرؤية وانتفاء امارات الحدوث وسمات النقص اذ لاتمدح بنفي الادراك فيما تمتنع رؤيته التي هي سبب الادراك كالمعدوم ولا في ماتصح رؤيته لكن عرف حدوثه ونقصه كالاصوات والروائح والعلوم .

(وأما الجواب) عن جوابه تعالى لموسى على نبينا وعليه السلام بقوله لن تراني انه لم يثبت ان كلمة لن للتأبيد ممن يوثق به من أئمة اللغة الا من شذ كالزمخشري بناء على مذهبه الفاسد وهو مردود كما قاله السيوطي . ولنا في سؤال موسى عليه

السلام حجة وأي حجة اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها ، ولا يجوز على احد من الانبياء الجهل بشيء من احكام الالوهية وخصوصاً بما يجب له تعالى وما يستحيل ، ودعوى انه عليه السلام سألها لاجل جهلة قومه مردود بان سياق الآية حيث قال ارني انظر اليك صريح في حال نفسه . وبان النبي ﷺ لايجوز له تأخير رد الجاهل في مثل هذا كما قال انكم قوم تجهلون .

(واما) أدلة اهل السنة من الكتاب العزيز التي تدحض شبهات المخالفين فمنها قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ومعنى ناضرة حسنة وهو صفة للوجوه وهو المسوغ للابتداء به وناظرة خبره ، وحمل المخالف النظر في الآية على الانتظار وجعل الى اسما بمعنى النعمة فتعسف ، وقد اجيب بان سوق الآية لبشارة المؤمنين وبيان انهم في غاية الفرح والسرور يومئذ والاخبار بانتظارهم النعمة والثواب لا يلائم ذلك بل ربما ينافيه لان الانتظار موت احمر فهو بالغم والحزن والقلق وضيق الصدر اجدر وان كان مع القطع بالحصول ، ومن ادلة اهل السنة والجماعة على الرؤية قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) حقر شأن الكفار وخصهم بكونهم محجوبين فكان المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله تعالى (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) وقد فسر جمهور أئمة التفسير الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر الى وجهه الكريم .

(اما الدليل العقلي) فبيانه على وجه الاختصار ان الباري سبحانه وتعالى موجود وكل موجود يصح ان يرى . ودعوى ان بعض الموجودات لاترى كالاصوات توصلا الى نقض الدليل مجرد استبعاد اذ لا يستحيل ذلك عقلا وانما لم تتعلق بها الرؤية بناء على جري العادة بان الله تعالى لايخلق فينا رؤيتها لا بناء على امتناع ذلك (واما الدليل من السنة) فكحديث (سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون في رؤيته) والمعنى تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك لاتشبيه المرئي بالمرئي تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن أدلة اهل السنة على امكان الرؤية كون الباري علقها بوجود أمر

تمكن وهو استقرار الجبل حيث سألها موسى عليه السلام ولهذه الادلة السمعية والعقلية اطبق اهل السنة والجماعة على جواز الرؤية غير ملتفتين الى من انكرها كيف وقد قال الله تعالى لعباده المؤمنين ولكم فيها ماتشتهي انفسكم الآية ، وغاية مايحبه اهل الله من القرب في الجنة النظر الى وجهه الكريم ، وانظر لو قال لك احد من اهل الكمال والكرم سل ماتشاء فسألته اعز ماتهواه من قصدك هل تراه يرجع عن ذلك فكيف باكرم الاكرمين ولابن القيم رحمه الله تعالى من قصيدة مشهورة :

وتله أبصارٌ ترى الله جهرةً ... فلا الضيمُ يغشاها ولا هي تسأمُ

فيانظرة اهدت الى العين نضرة ... اما بعدها يسلو المحبّ المتيّم

فحي على جنات عدن فانها ... منازلك الأولى وفيها المخيم

تجلى لهم ربُ السموات جهرة ... فيظهر للاحباب ثم يكلم

سلامٌ عليكم يسمعون جميعُهم ... بآذانهم تسليمه إذ يسلم

يقول سلوني ماالشتهيتم فكل ما ... تريدون عندي إنني أنا أرحمُ

فقالوا جميعاً نحن نشئالك الرضا ... فانت الذي تولي الجميل وترحم

ولما أثبت اهل السنة الرؤية بلا كيف كما مر نحتوا منه البلكفة وانشد الزمخشري في الكشاف :

لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمري موكفه

قد شبهوه بخلقه فتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفه

(ولنورد هنا) ماقاله جهابذة السنة في الرد عليه ليتميز الغث من السمين ويبين الصدق من المين ؛ قال ابن المنير حيث انتقل للهجو فقد اذن النبي ﷺ لحسان فيه فنقتدي به ونقول :

وجماعة كفروا برؤية ربهم ... هذا لوعد الله ما ان يخلفه

وتلقبوا الناجين كلا إنهم ... إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه

(وقال ابو حيان) :

شبهت جهلا صدر امة احمد … وذوي البصائر بالحمير الموكفه

وجب الخسار عليك فانظر منصفاً … في سورة الأعراف فهي المنصفه

أترى الكليم أتى بجهل ما أتى … واتوا شيوخك ماأتوا عن معرفه

إن الوجوه إليه ناظرة بذا … جاء الكتاب فقلتمو هذا سفه

نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى … فهوى الهوى بك في المهاوي المتلفه

(وقال الجار بردي) :

عجباً لقوم ظالمين تستروا … بالعدل مافيهم لعمري معرفه

قد جاءهم من حيث لا يدرونه … تعطيل ذات الله مع نفي الصفه

(وقال التاج السبكي) :

لجماعة جاروا وقالوا إنهم … للعدل أهل مالهم من معرفه

لم يعرفوا الرحمن بل جهلوا ومن … ذا اعرضوا بالجهل عن لمح الصفه

(وقال ابو الحسن البكري) :

يا جامعاً بين الضلالة والسفه … ومشبثا في دينه بالفلسفه

ومذمماً في عدله جور بلا … عرف ويزعم وصفه بالمعرفه

فبزعمه لم ينصرف عن غيه … بل ظل في حجج تلوح مزخرفه

قد قلت في قول الله حق ثم لم … تؤمن برؤياه وذلك متلفه

ومنعت من قدم الصفات ضلالة … فلظى لذاتيك في الورى مستشرفه

فلك الذي قد قلته في رؤية … وجزيت بالعدل السيوف المرهفه

فاما رؤيته تعالى في الدنيا يقظة فلم تقع لغير نبينا محمد ﷺ وثبتت له ﷺ ليلة المعراج والاسراء بالبصر ، وبالجملة اتفق اهل السنة على جواز رؤية الباري سبحانه واستدلوا على ذلك بدلائل عقلية ونقلية قاطعة كثيرة جلية ، واتفقوا ايضاً على وقوعها للمؤمنين في الدار الآخرة بالابصار . واستدلوا على ذلك بادلة صحيحة واضحة نقلية اذ وقوع الجائزات الغيبية كالحشر والنشر والحساب والرؤية لا يمكن

اثباته الا بالسمع وما زعمه من ينكرها من انها مستحيلة لانه لا بد المرؤية من جهة ومقابلة باطل فان الله تعالى يرانا من غير مقابلة ولا جهة ، ومن انكر ذلك منهم فهو محجوج بقوله تعالى : (الم يعلم بان الله يرى وهو السميع البصير) فكما انه تعالى يرى خلقه من غير مقابلة ولا جهة يراه الخلق كذلك لان الرؤية تحقق الشيء بالبصر كما هو ان كان في الجهة يرى في الجهة وان كان لا في الجهة يرى لا في الجهة كالعلم فان كل شيء يعلم كما هو فان كان في الجهة يعلم في الجهة وان كان لا في الجهة يعلم لا في الجهـــة ، فكما جاز ان يعـــلم الباري من غـــير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك .

(ومما يجب) علينا الايمان بمعراجه ﷺ اعني وقوع عـــروجه وصحة صعوده ﷺ بالبراق بعد الاسراء به عليه يقظة بجسمه وروحه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فصعد من صخرة بيت المقدس الى سدرة المنتهى وحيث شاءالله ، قال الشهاب ابن حجر المكي في شرح همزية البوصيري عن بعض الائمة ان المعاريج ليلة الاسراء عشرة سبعة في السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة اي المواجهة والكشف الحقيقي .

وفي مواهب القسطلاني وقد اختلف العلماء في الاسراء هل هو اسراء واحد في ليلة واحدة يقظة او مناماً او اسرا آت كل واحد في ليلة ومرة بروحـــه وبدنه ومرة مناماً او يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى العرش او هي اربـع اسرا آت ثم قال : والحق إنه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل مايحيله .

واعلم ان المنتهى اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء او مصدر ميمـــي بمعنى الانتهاء فانه من منتهى الجنة اما من اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا

فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك ولا روح من الارواح ، او من اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها او فيها منتهى العلوم او المراد بالمنتهى هو الله تعالى ، وحينئذ يكون التقدير المنتهى اليه قال تعالى (وان الى ربك المنتهى) فاضافة السدرة الى المنتهى من اضافة الملك الى من ملكه فالاضافة اليه كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم قاله الغيطي وانما قيل لها سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي عندها لايجاوزها ولم يجاوزها احد الا رسول الله ﷺ وقيل لانه ينتهي اليها مايهبط من فوقها فيقبض منها واليه ينتهي مايعرج من الارض كما رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود . وقيل لانه ينتهي اليها من مات على سنة النبي ﷺ وهم المؤمنون حقاً .

وقد جاء في وصف السدرة احاديث كثيرة منها مافي صحيح مسلم وغيره عن ابن مسعود وابن عباس مرفوعاً ان النبي ﷺ قال (رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكاً يسبح الله) واخرج عبد بن حميد عن مسلمة وهرام في قوله تعالى إذ يغشى السدرة مايغشى قال : استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى ان ينظروا الى النبي ﷺ فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا الى النبي ﷺ .

واعلم ان الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثابت بالكتاب والسنة فمن انكره كفر والمعراج من المسجد الاقصى الى السموات السبع ثابت بالاحاديث المشهورة لكن لايكفر من انكره وانما يفسق عندنا . وصح انه ﷺ نصب له المعراج مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ثم صعد هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما ، وهكذا الى السابعة .

ورأى في الاولى آدم ورأى النيل والفرات ورأى في الثانيه يحيى وعيسى وحكمة كونهما في سماء مع ان كل واحدة غير الثانية فيها نبي واحد ان عيسى ينزل آخر الزمان فيبقى فيها يحيى فلا تخلو سماء عن نبي وفي الثالثة يوسف وفي

الرابعة ادريس ، وفي الخامسة هرون ، وفي السادسة موسى ، وفي السابعة ابراهيم، واختلف في رؤيته هؤلاء الانبياء في السموات فقيل لارواحهم إلا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول ، وقيل لارواحهم واجسادهم فرفعوا الى تلك المواضع اكراماً في تلك الليلة . وصح ان نبي الله موسى على نبينا وعليه السلام سأل سيدنا رسول الله عما فرض عليه وعلى امته فاخبره بان في كل يوم وليلة خمسين صلاة فاشار اليه ان يرجع الى ربه فيسأله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسأل فحط عنه خمساً ثم رجع الى موسى فسأله عما حط عنه فاخبره فامره بالرجوع ايضاً وسؤال التخفيف فرجع وحط عنه خمساً ولم يزل هكذا الى تسع مرات فامره بالرجوع ايضاً الى ان جعل خمساً ومن كلام ابن وفا ايضاً انما كان ترجيع موسى عليه الصلاة والسلام للنبي ﷺ في شأن الصلوات ليتكرر مشاهدة انوار المرات وانشد يقول :

والسر في قول موسى إذ يراجعه ليجتلي النور منه حين يشهده
يبدو سناه على وجه الرسول فيا لله در رسول إذ يردده

ثم شرع الناظم رحمه الله تعالى يتكلم في الجواب المرتب عليه نيل ماذكر من هذه الاوصاف من حرف الشرط الذي هو اذا شئت ان تحيا الخ .. فقال رضي الله عنه ونفع به وبعلومه :

﴿ عليك بتحسين اليقين فانه إذا تم صار الغيب عينا بلا نكر ﴾

هذا جواب اذا التي في صدر القصيدة على حذف الفاء لان الجملة الاسمية اذا وقعت جواباً لا بد من اقترانها بالفاء والمسوغ للحذف هنا ضرورة الشعر كقول القائل : من يفعل الحسنات الله يشكرها ، وقوله :

ومن لا يزل ينقاد للغي والصبا سيلقى على طول السلامة نادما

وعليك اسم فعل بمعنى تمسك واعلم ان عليك يرد اسم فعل في الكلام لكنه تارة يرد مع الباء وتارة بدونها فالذي يرد مع الباء يفسر بتمسك والذي يرد

بدون الباء يفسر بالزم نص على ذلك بعضهم ومما ورد بدون الباء قوله تعالى (عليكم انفسكم) والمعنى اذا شئت ايها المخاطب ان تحظى من الله بالمطامع فالزم تحسين اليقين وكن متصفاً به في كل ما كلفت به من العمل ، ثم انه رضي الله عنه اناط حصول الامنية باليقين وجعل تحسينه اقوى سبب لنيل السعادة وما عطف عليها من الرؤية وغير ذلك من المطالب الجليلة التي رتبها في النظم وماهو الا ان الايمان اصله اليقين اذ الايمان الكامل هو التصديق بما جاءت به الرسل من عنـــــد الله مع الخضوع والانقياد للاعمال الصالحة الاسلامية ولا يحمل على العمل الخالص من الشوائب الا اليقين الغالب على القلب .

قال الرازي واليقين مركب الاخلاص في هذا الطريق وهو غاية درجات العامة وأول خطوة الخاصة ، واعلم ان اليقين على ثلاث مراتب : عين اليقين ، وعلم اليقين ، وحق اليقين . وهذه عبارات من علوم جلية مع تفاوتها في القوة بناء على ان اليقين مقول على افراده بالتشكيك فاليقين هو الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق عرف العلماء ولا يطلق في وصف الحق سبحانه وتعالى لعدم التـوقيف عليه بخلاف العلم وان كان الثلاثة علوماً جلية ، فعين اليقين هو اليقين وكذلك علم اليقين نفس اليقين وحق اليقين نفس اليقين والاول على موجب اصطلاحهم هو الاعتقـاد الجازم الحاصل عن شهود العيان والثاني هو الحاصل عن دليل وبرهان والثالث هو تحقيق ضرورة العيان بالوجدان ومثل بعضهم لهذه المراتب فقال مثاله ماالستفيـــد بالعلم المتواتر علم اليقين ورؤيته عين اليقين والحلول به حق اليقين وذلك كمكة حرسها الله تعالى واعلم ان اعلا هذه المراتب واكملها المرتبة الاولى كما قرره البيضاوي في تفسير قوله تعالى ثم لترونها عين اليقين قال اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان عـلم المشاهدة اعلا مراتب اليقين انتهى . ولعلها المرادة هنا بقوله اذا تم الخ .. لان التام هو الحائز الكمال كما قال بعضهم :

لقد حزتَ أوصافَ الكمال بأسرها   وتم لك الايجابُ في الحكم والسلبِ

والمعنى الزم تحسين اليقين لانه اذا كمل صارت الامور الغيبية الغـــير

المشاهدة عيناً اي مشاهدة (وقوله بلا نكر) اي بلا انكار من أحد لذلك ممن منحهم الله الذوق والعرفان والايقان لان لليقين نوراً تترآى به حقائق الامور على ماهي عليه فاذا اشرق في قلب العبد أبصر به ما كان غائباً عنه حاضراً ، ولان الايمان الذي هو اصل اليقين اذا توالى على القلب بحيث صار غالباً عليه صار ماتضمنته من المغيبات كالمشاهد بالعين وحينئذ يورث صاحبه المتصف بهذه الصفة الزهد في الدنيا والاعراض عن الشهوات والرغبة في فعل الخيرات مع الاقبال على الآخرة لانه يراها في تلك الحالة حاضرة ويبصر الدنيا قد انكسف نورها وأسرع الفناء اليها وعند ذلك تموت الشهوات فلا يكون همه الا المبادرة لاغتنام الساعات والاوقات .

قال احمد بن عاصم رحمه الله تعالى : اليقين نور يجعله الله تعالى في قلب العبد حتى يشاهد به امور الآخرة ويخرق به كل حجاب بينه وبينها حتى يطالع الآخرة كالمشاهد لها والى هذا الاشارة بحديث حارثة حيث قال رسول الله ﷺ (كيف اصبحت ياحارثة فقال اصبحت مؤمناً بالله حقاً ، قال انظر ماتقول فان لكل قول حقيقة فقال يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزاً وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني انظر الى اهل النار يتعاوون فيها فقال أبصرت فالزم عبدنور الله الايمان في قلبه ، انتهى) .

قلت وهذا يؤخذ منه مقام الاحسان وهو ان تعبدالله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولعل في كلام الناظم نفع الله المسلمين بعلومه اشارة الى معنى ماأخبر به سيدنا علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه عن نفسه حيث قال لو كشف لي الغطاء ماازددت يقيناً ، لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل فيما جاؤوا به مالايزيد اليقين فيه عند رؤية ذلك عياناً لان برسوخه وتمامه صار عياناً وبهذا ظهر قول الناظم اذا تم الخ .

والمراد بتحسين اليقين تقويته وهي تحصل بكثرة الاعمال الصالحة ومجالسة الصالحين ومطالعة كتبهم والمشي على سيرهم والتأدب بآدابهم والتخلق باخلاقهم ، قال رسول الله ﷺ (تعلموا علم اليقين) فان شيخنا العلامة السيد احمد

ابن زيني في تقريب الاصول ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل انتهى ومن جملة تحسين اليقين حسن الظن كما في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء) اي من الخير لان حسن الظن ينفع صاحبه في الدنيا قبل الآخرة خصوصاً اذا كان مع العمل الصالح قال ابن عباد في شرح الحكم حسن الظن بالله تعالى أحد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة ، فالخاصة حسنوا الظن بالله لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لايخاف من الانقلاب والتغيير في احدهما مايخاف في الآخر لان ارباب المقام الاول لما تحققوا في المعرفة بالله تعالى واحتظوا بانوار اليقين اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء الظن وارباب المقام الثاني لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهي متلونة عليهم في كل حال وعند وقوع مايلائمهم منها ربما تضعف على تحمل مكارهها قوي قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن وتحدث النفس بما يقتضي وجود هلع وجزع ، فليكن العبد عند ذلك مشاهداً لمعنى قوله عز وجل (وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم) وما اشبهه وليقس النادر على الغالب (انتهى) وللناظم نفعنا الله به في بعض منظوماته مشيراً الى الحديث القدسي على طريق العقد لا الاقتباس :

حسّن ظنونك بالمولى ترى البشرى ... فالرب عند ظنون العبد فلتدري

جاء الحديث بذا فاصغ الى الذكرى ... والبس من الصبر سربالا لذى الضجر

والعقد والاقتباس نوعان من انواع البديع وهما متقاربان الا ان الاقتباس لا يكون الا من الحديث او القرآن بان يضمن الكلام شيئاً منهما على وجه لا يكون فيه اشعار بانه من القرآن او الحديث كما يقال في اثناء الكلام ، قال الله تعالى وقال النبي ﷺ او نحو ذلك فانه لا يكون اقتباساً ثم انه يكون في النظم ويكون في النثر في الخطب وفي غيرها فهو اخص مورداً واعم متعلقاً بخلاف العقد فانه اعم مورداً

وأخص متعلقاً ، وهو كما عرفه البيانيون ، ان يؤخذ المنثور من قرآن او حديث او حكمة او غير ذلك بجملة لفظه أو بمعظمه فيزيد الناظم فيه او ينقص ليدخل في ضمن الشعر موزوناً فهو ضد الحل ، ثم ان كان النثر الذي قصد نظمه من غير القرآن والحديث فنظمه عقد على اي طريق اذ لا دخل فيه للاقتباس وان كان قرآناً او حديثاً فانما يكون عقداً اذا غير تغييراً كثيراً لا يتحمل في الاقتباس او لم يغير تغييراً كثيراً ولكن اشير الى انه من القرآن او الحديث كما فعله الناظم وكقول القائل :

عمدةُ الخيرِ عندنا كلماتٌ	أربعٌ قالهنَّ خيرُ البرية
إتقِ المشبهاتِ وازهد ودع ما	ليس يعنيك واعملنَّ بنية

عقد حديث انما الاعمال بالنيات والحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات الحديث رواهما الشيخان وازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس رواه ابن ماجه ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه رواه الترمذي وكقول الشاعر :

انلني بالذي استقرضت خطا	واشهد معشراً قد شاهدوه
فان الله خلاقَ البرايا	عنتْ لجلالَ هيبته الوجوهُ
يقول اذا تداينتم بدين	الى اجل مسمى فاكتبوه

ومن عقد المثل والحكمة قول ابي الطيب :

يراد من القلب نسيانُكم	وتأبى الطباعُ على الناقل

عقد قول بعضهم روم نقل الطباع من ردىء الأطباع شديد الامتناع وما أحسن قول بعضهم من الوافر :

وصالُك والثريا في قرانِ	وهجرُك والردى فرسا رهانِ
فديتُك ماحفظتَ لسوء بختي	من القرآن إلا لن تراني

وقال سيدي عبدالغني النابلسي :

يااخا البدرِ قد صفا لك ودي	وغدا سالماً من التمويهِ

ان طلبتُ الوصالَ منك فجد لي ... وانلني منـــكَ الذي اشتهيه
هو خيرٌ وفي الحديث روينـا ... اطلبوا الخيرَ من حسان الوجوه

انتهى الكلام على العقد ، واما الاقتباس فقد تقدم ذكره وقد اشتهر عن بعض الائمة تحريمه والاصح جوازه عندنا وهو على ثلاثة اقسام كما اشار الى ذلك السيوطي في عقود الجمان في عملي المعاني والبيان بقوله :

قلتُ وأما حكمـــهُ في الشرع ... فمالكٌ مشدّدٌ في المنـــع
وليسَ عنـــدنا له صراحهَ ... لكن يحيى النووي اباحــه
في النثر دون نظم شعر مطلقاً ... والشرف المقري فيـه حققـا
جوازهُ في الوعظ والزهد وفي ... مدح النبي ولو بنظم فاقتفي
وتاجنا السبكي جـوازه نصر ... اذ التميمي الجليل قـد شعر
وقد رأيتُ الرافعي استعمـــله ... وغيره من صلحاء كمـــلة

واعلم ان الامام الرافعي محرر المذهب استعمله كما اشار له في النظـــم والحافظ ابن حجر استعمله في الغزل وكفى بهما اسوة قال صاحب التلخيص ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن كقوله :

قد كان ماخفت ان يكونـا ... إنـــا الى الله راجعـــونـا

قال بعض العلماء ان الظاهر حمـــل المنع على ماذا تضمن اساءة ادب كقول البها زهير :

خطٌ في الارداف مسطـــرٌ ... من بديـع الشعر موزونٌ
لن تنالو الـــبر حـــتى ... تنفقـــوا ممــا تحبـون

ومن الاقتباسات المباحة قول الشاعر مقتبساً من القرآن :

إن كنت ازمعت على هجـرنـا ... من غير ماجُرم فصبرٌ جميـلٌ
وان تبدلتَ بنا غـــيرنـا ... فحسبُنا الله ونعـم الوكيلٌ

وقال الامام الرافعي قدس الله سره :

الملك لله الذي عنت الوجـو ه له وذلت عنده الارباب
متفردٌ بالملك والسلطان قـد خسر الذين يحاربوه وخابوا
دعهم وزعم الملك يوم غرورهم فسيعلمون غداً من الكذابُ

وما أعذب قول بعضهم :

رأيت حبيبي في المنامِ معانقي وذلك للمحبوب مرتبةٌ عليا
وقد رق لي من بعد هجرٍ وقسوةٍ وما ضرّ ابراهيم لو صدّق الرؤيا

والاقتباس من الحديث الشريف كقول ابن عباد كما في نسمات الاسحار :

قال لي ان رقيبي سيءُ الخلقِ فداره
قلت دعني وجهك الجنةُ حفت بالمكاره

وللشيخ جمال الدين ابن نباتة رحمه الله تعالى مقتبساً من القرآن :

وأغيدَ جارت في القلوب لحاظُهُ وأسهرتِ الاجفانَ اجفانهُ الوسنى
أجل نظراً في حاجبيه وطرفه ترى السحر منه قابَ قوسين أو أدنى

وما ألطف قول الامام العلامة الحافظ الشيخ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني وهو :

خاضَ العواذلُ في حديث مدامعي لما جرى كالبحر سرعةَ سيره
فحبسته لاصونَ سر هـواكمُ حتى يخوضوا في حديث غيره

ولبعضهم :

ما مصرُ إلا منزلٌ مستحسنٌ فاستوطنوه مشرقاً ومغربا
هذا وان كنتمْ على سفر بـه فتيمموا منه صعيداً طيبا

انتهى الكلام على الاقتباس ، ومن أراد الاستقصاء في هذا الباب وفي

غيره من انواع البديع فعليه بالبديعيات ومما ينبغي التنبيه له الاجتناب من الاقتباس المؤدي الى تشبيه بالله تعالى او استخفاف بكلامه القديم ونعوذ بالله تعالى أو بالرسول صلى الله عليه وسلم أو بحديثه الشريف ؛ وهنا فائدة استحسنا ايرادها لان لها تعلقاً بما تقدم في الجملة فنقول حيث اشرنا الى اليقـــين ونبهنا على أنه نور يشرق في قلب العبد الخ ماتقدم فينبغي ان نذكر نزراً من العقل وفضله اذ هو من الأنوار الموضوعة في باطن الانسان كنور الطبع ونور الروح ونور سويداء القلب ونور السر وهـو اعظم الانوار وأجلها وأكملها ولـكل من هذه الانوار شرح بالتأويـــل والتنزيل والتحويل والتنقيل ولـكل مقام فيها شرح لاتسعه العقول فضلاً عن السطور ، ثم ان العقل قد فسره بعضهم بانه جوهر يدرك به الغـــائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة وفي كلام حجة الاسلام الامام الغزالي أنه جوهر مجرد . وقد اختلف في محله والصحيح ان محله القلب وله نور متصل بالدماغ كما ذهب اليه الامام الشافعي والامام مالك رضي الله عنهما وجمهور المتكلمين .

(واعـلم ان العقل) على خمسة انواع :

غريزي وهو غريزة يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية كما قال شيخ الاسلام .

والثاني كسبي وهو مايكتسبه الانسان من معاشرة العقل .

والثالث عطاءي وهو مايعطيه الله للمؤمنين ليهتدوا به الى الايمان .

والرابع عقل الزهاد وهو الذي يكون به الزهد .

والخامس شرفي وهو عقل نبينا ﷺ لانه اشرف العقول .

وقد اختلف في تفضيل العقل على العلم او العكس والراجح تفضيل العلم على العقل لان العلم من صفاته تعالى وما يروى في فضل العقل على العلم فهوموضوع لا اصل له كما صرح به الجلال السيوطي ويوضح ذلك قول بعضهم :

علمُ العليمِ وعقلُ العاقل اختلفا ... من ذا الذي منها قد احرز الشرفا

فالعلمُ قال انا قد حـزتُ غايته ... والعقل قال أنا الرحمنُ بي عـُرفا

فافصح العلمُ افصاحاً وقال له   باينا اللهُ في تنزيله اتصفا
فبانَ للعقلِ أنَ العلمَ سيدهُ   فقبّل العقلُ رأس العلم وانصرفا

وهنا كلام لطيف ومعنى ظريف للشيخ احمد الرفاعي (قال) قدس الله سره لا يتم شرف العلم للمخلوق الا بالفعل ، وقال ايضاً قال جماعة باعلاء قدر العلم على العقل ولكن ذلك بالنسبة الى الله لان العلم صفته تعالى والعقل صفة المخلوق واما بالنسبة الى علمنا وعقلنا فعقلنا اجل مرتبة وارفع منزلة من علمنا اذ لولا العقل لما تم لنا العلم انتهى .

• وفي الاحاديث مايدل على شرفه ، فمنها عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ انه قال (ان الرجل ليكون من اهل الصلاة والزكاة والحج والعمرة والجهاد حتى ذكر سهام الخير وما يجزى يوم القيامة الا بقدر عقله) اخرجه الطبراني في الاوسط وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (انا الشاهد على الله ان لا يعثر عاقل الا رفعه ثم لا يعثر عاقل الا رفعه ثم لا يعثر الا رفعه حتى يصيره الى الجنة) وقال ﷺ (لكل داء دواء ودواء القلب العقل ولكل حرث بذر وبذر الآخرة العقل لكل شيء فسطاطاً وفسطاط الاسرار العقل) وقال مطرف مأأوتي العبد بعد الايمان بالله تعالى افضل من العقل وفي كتاب ادب الدنيا والدين للعلامة المحقق علي بن محمد الماوردي بعد ان ذكر جملة من القول في العقل الغريزي مانصه (وأما العقل) المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزي وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة واصابة الفكرة وليس لها حد لانه ينمو ان استعمل وينقص ان اهمل ونماؤه باحد وجهين اما بكثرة الاستعمال اذا لم يعارضه مانع من هوى ولا صاد من شهوة كالذي يحصل لذوي الاسنان من الحنكة وصحة الرؤية بكثرة التجارب وممارسة الامور ولذلك حمدت العرب آراء الشيوخ حين قال بعضهم المشائخ اشجار الوقار ، ومناجع الاخبار ، لايطيش لهم سهم ، ولا يسقط لهم وهم ، ان رأوك في قبيح صدوك ، وان ابصروك على جميل امدوك ، وقيل عليكم بآراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم

آثار العبر ، وقيل في منثور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله وقيل فيه لاتدع الايام جاهلا الا أدبته ، وقال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدباً وبتقلب الايام عظة ، وقال بعض البلغاء التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل ، وقال بعض الادباء كفى مخبراً عما بقي مامضى وكفى عبراً لأولي الالباب ماجربوا وقال بعض الشعراء :

ألم تر أن العقل زين لاهله ... ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر :

إذا طال عمر المرء من غير آفة ... افادت له الايام في كرها عقلا

وأما الوجه الثاني فقد يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس في زمان غير مهمل للحدس فاذا امتزج بالعقل الغريزي صارت نتيجتها نحو العقل المكتسب كالذي يكون في الاحداث من وفور العقل وجودة الرأي حتى قال هرم بن قطبة حين تنافر اليه عامر ابن الطفيل وعلقمة بن علاثة ، عليكم بالحديث السن الحديد الذهن ولعل هرماً اراد ان يدفعها عن نفسه فاعتذر بما قال لكن لم ينكرا قوله اذعاناً للتحق فصارا الى ابي جهل لحداثة سنه وحدة ذهنه فأبى ان يحكم بينهما فرجعا الى هرم فحكم بينهما وفيه قال لبيد :

يا هرم ابن الاكرمينا ... إنك قد أوتيت حكماً معجبا

وقد قالت العرب عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجعون رأياً لم ينله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم وقد قال الشاعر وهو ابراهيم بن حسان :

يزين الفتى في صحة عقله ... وان كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله ... وان كرمت اعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه ... على العقل يجري علمه وتجاربه
اذا كمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

﴿ تتمة ﴾ وهنا فائدة يتعين ذكرها في هذا الباب وهي ان لكل شيء

مضاداً وان الهوى للعقل مضاد لان الهوى ميل النفس للشهوات واذا اطلق الهوى انصرف الى الميل الى خلاف الحق غالباً نحو ولا تتبع الهوى ، وقد يستعمل في الميل للحق كما في قول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها لا أرى ربك الا يسارع في هواك تخاطبه ﷺ لما نزل قوله تعالى (ترجي من تشاء) الآية ولا شك ان الهوى محل الفتنة ومزل الفطنة ثم ان النفس هي الامارة بالسوء وهي اشد من الشيطان في الكيد ولذلك قال بعضهم :

توقَّ نفسك لا تأمن غوائلها ... فالنفسُ أخبثُ من سبعين شيطانا

وروي ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اردعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلاقة تنزع الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مري وان الباطل خفيف وبي ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلا اي لان الهوى اذا استحكم في صاحبه استولت عليه دواعيه حتى تغلبه فيكل عن دفعها العقل وينحط حينئذ عن رتبة الفضل ، قال الشاعر :

الا أن ظلم المرء نفسه بين ... اذا لم يصنْها عن هوى يغلبُ العقلا

وفي المجالس السنية المحتوية على بعض ما لسيدي أحمد الرفاعي نفعنا الله به من غرائب حكمه فاياك أخي ان تقدح زناد همتك لاحراقك وان تسبح في لج هواك لاغراقك الله الله بك انتصر لله على نفسك وانصف الناس من هزيمتها وطيشها الكاذب تسلم من ذل المآرب وفزع الحساب ومقاطعة الاحباب وندخل الباب وتحسب من خير الاحزاب :

النفسُ معنى الفتى يعلو اذا اتضعت ... وان تعالت فقدرُ الشخص موضوعُ

انتهى كلامه نفع الله به وهو يرشدك الى اكمل الحالات وأسنى المقامات ، وفي شرح العينية لسيدي احمد بن زين الحبشي علوي نفع الله به وباسلافه ما نصه ، وقد اجمع العلماء على ان السعادة لاتنال الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة شهواتها ، قال

الله تعالى (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وفي الحديث (قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ، قالوا وما الجهاد الاكبر يارسول الله قال مجاهدة النفس) وفي الحديث الآخر : المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر السوء انتهى . فمجاهدة النفس فرض لازم ويرجع حاصلها الى قهر الشهوة والغضب تحت حكم الشرع المدرك بنور العقل فمن قاهر لجميع شهواته ومن قاهر لبعضها وهو الاكثر ، ومن تارك لمجاهدة هواه بالكلية وهم اكثر واليه الاشارة بقوله (افرأيت من اتخذ الهه هواه) الى آخر الآية ، انتهى كلامه بلفظه وبمعناه .

واعلم ان الانسان لاتظهر مرتبته الا بمقدار مااوتي من العقل ولا يستحق وصفه بذلك الا بانطباق افعاله على افعال العقلاء كما قال الشاعر :

المرء لا يعرف مقدارهُ ... مالم يبين للناس افعالهُ

ثم ان من نتائج العقل وثمراته اتخاذ الناس اصدقاء بمحبة الموالين ومداراة المخالفين الذامين ، والاغضاء عما يصدر منهم وعدم الانكار على المنكرين عليك منهم ، فانهم قد غلبت عليهم الصفات البشرية ومن ذلك مراعاة مايقتضيه الوقت والاوان ومايناسب اهل الزمان مالم يكن فيه محذور ، قال بعض الحكماء كل عقل لا يداري به الكل فليس بعقل تام ولبعض الشعراء :

مادمت حياً فدار الناس كلهمُ ... فانما أنت في دار المداراتِ

من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليلٍ قريناً للندامات

ومن ذلك النظر في عواقب الامور قبل التلبس بها والاقدام عليها ، فعلى اللبيب ان يقدح زناد فكره قبل دخوله فيما يروم من اعمال فان كان في امر يحمد عاقبته وغلب الرجاء فعله ، وان غلب عليه عدم الرجاء فليحذر ان يكون له متعرضاً وليختر أيسر الامرين اذا تعارضا عليه ، فقد ورد ان رسول الله ﷺ (ماخير بين أمرين الا اختار ايسرهما مالم يكن في ذلك اثم) وعنه ﷺ أنه قال (اذا هممت بأمر ففكر في عاقبته فان رشداً فامضه ، وان كان غياً فانته عنه) وقالت الحكماء

طلب هم لا يدرك عجز ولبعض الشعراء :

فاياك والأمرَ الذي إن توسعتْ مواردُه ضاقت عليه المصادر
فما حسن ان يعذر المرء نفسَه وليس له من سائر الناس عاذرُ

ولنرجع الى مانحن بصدده من الشرح فنقول لما كانت اعمال المرء على حسب عقيدته اشار الناظم نفع الله به مرشداً ومرغباً في اقوم العقائد واعدلها فقال:

﴿ وكن أشعرياً في اعتقادِك انه
هو المنهلُ الصافي عن الزيغ والكفر ﴾

أي ولتكن عقيدتك ايها العبد السالك على مذهب الأشعري رضي الله عنه والعقيدة اسم لما يعقد عليه القلب من المعاني الدينية والاعتقاد لا يكون الا بالقلب وأما مايقال باللسان فهو حكاية الاعتقاد لا الاعتقاد نفسه فمن حفظه بلسانه وذكره ولم يكن صحيحاً في القلب فليس بصاحب اعتقاد صحيح بل حاكي الاعتقاد الصحيح فنافق فيه فهو من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم (قوله عن الزيغ والكفر) اعلم ان الكفر لغه الستر يقال كفر يكفر كفراً وكفوراً كشكر يشكر شكراً وشكوراً وقيل الليل كافر لانه يستر بظلمته ، وللكافر لانه يستر الحق المبين ، وهو اما بالاعلان أو بالاخفاء فالاخفاء ان يقر بلسانه ويكفر بقلبه ويسمي من أبطنه منافقاً ، وفي غير عهد رسول الله زنديقاً ، ثم ان انواعه والعياذ بالله ستة الاول شرك استقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس ، وشرك تبعيض كشرك نصارى نجران الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة والآخر عيسى وامه لعنهم الله جميعاً ، وقد رد الله عليهم بقوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد) ، ولله در صاحب الهمزية حيث قال مخاطباً أهل التوراة والانجيل :

خبرونا أهلَ الكتابينِ من أين أتاكم تثليثُكمْ والبداء

ما أتى بالعقيدتين كتابٌ واعتقادٌ لا نصٌ فيه ادعاءُ
والدعاوي مالم تقيموا عليها بينات أبناؤها ادعياءُ
ليت شعري ذكر الثلاثة والوا حد نقص في عدكم ام نماءُ
كيف وحدتمْ الهاً نفى التو حيدَ عنه الآباءُ والابناءُ
أإلهٌ مركب ما سمعنا باله لذاته اجزاءُ
ألكلٍ منهم نصيب من الملـ ك فهلا تميز الانصباءُ

(النوع الثالث) من انواع الكفر شرك تقريب وهو عبادة غير الله لتقرب الى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية قالوا مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (النوع الرابع) شرك تقليد وهو عبادة غير الله للفتى كشرك الجاهلية قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثاهم مقتدون (النوع الخامس) شرك الاسباب كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك . (النوع السادس) شرك الاغراض وهو العمل لغير الله تعالى فحكم الاربعة الاولى الكفر بالاجماع وحكم السادس المعصية من غير كفر بالاجماع ، وحكم الخامس التفصيل ، فمن قال في الاسباب العادية تؤثر بطباعها كالنار في الاحراق والماء في الري والطعم في الشبع والضرب في المضروب فهو كافر . ومن اعتقد انها تؤثر بقوة أودعها الله تعالى فهو فاسق مبتدع كما حرر ذلك في عقائد السنوسي رحمه الله . والمراد بالاشعري هو سيدنا ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه .

ثم ان الائمة الاربعة رضي الله عنهم معتقدون بعقيدته وبعقيدة الامام ابي منصور الماتريدي رحمها الله تعالى ورضي عنها ،وفي اليواقيت والجواهر للشعراني مانصه ، واعلم ياأخي ان المراد بأهل السنة والجماعة في عرف الناس اليوم الشيخ ابو الحسن الاشعري ومن سبقه بالزمان كالشيخ ابي منصور الماتريدي وغيره رضي الله عنهم ، وقد كان الماتريدي اماماً عظيماً في السنة كالشيخ ابي الحسن الاشعري على اصحاب الماتريدي ، كان الماتريدي اقل شهرة فان اتباع الماتريدي ماوراء نهر سيحون فقط .

واما اتباع الشيخ ابي الحسن الاشعري فهم منتشرون في اكثر بلاد الاسلام كخراسان والعراق والشام ومصر وغيرها من البلاد فلذلك صار الناس يقولون فلان عقيدته صحيحة أشعرية ، وليس مرادهم نفي صحة عقيدةغيرالاشعري مطلقاً ، كما اشار الى ذلك في شرح المقاصد . وليس بين المحققين من كل من الاشعرية والماتريدية خلاف محقق بحيث ينسب كل واحد صاحبه الى البدعة والضلال وانما ذلك اختلاف في بعض المسائل .

وكان سفيان الثوري يقول اهل السنة والجماعة هم من كان على الحق ولو واحداً ، وكذلك يقول اذا سئل عن السواد الاعظم من هم وكذلك كان يقول الامام البيهقي ، ثم اعلم ياأخي ان من كان تابعاً لاهل السنة والجماعة يجب ان يكون قلبه ممتلئاً انساً باتباعهم وبالضد من خالفهم فيمتلىء قلبه غماً وضيقاً والحمد لله رب العالمين انتهى ببعض حذف. وقوله فانه هو المنهل الصافي ضميران يعود على الاشعري على حذف مضاف اي مذهبه واعتقاده والكلام من باب الاستعارة المصرحة على رأي السعد او من باب التشبيه البليغ على رأي الجمهور حيث قالوا في نحو رأيت اسداً يجب ان يكون من باب التشبيه البليغ ولا يجوز ان يكون من باب الاستعارة لانه لا يجمع فيها بين طرفي التشبيه أعني المشبه به والمشبه ، والخلاف بين الجمهور والسعد في ذلك مشهور ، ولا يخفى ان المحسوس اظهر من المعقول فلذا شبه الاعتقاد لكونه معقولا بالمنهل لكونه محسوساً وآثر ذكره لكونه اكثر مايجذب القلوب اليه لاسيامع وصفه بالصفا وهو مطلق الشبه وذلك ان يقال كما ان صفاء الماء لايكون الا حيث صدق عليه ذلك بان لم يخالطه مايشينه ولا مايغيره ناسب ان يشبه به اعتقاد الاشعري لكونه اعتقاداً صافياً عن كل مايشينه منقا من الاغيار مصفا من الاكدار كأنه الشمس في رابعة النهار لايأتيه الباطل فلا ينكره العاقل فهو بعيد عن الزيغ والحيف مبرأ عن الكفر والتحريف ، فهو اعتقاد اهل السنة والجماعة وهو بحمدالله اعتقادنا الى قيام الساعة نسأل الله ان يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وان يمتعنا بالنظر الى وجهه في الدار الآخرة .

﴿ تتمة ﴾ ثبت ان رسول الله ﷺ قال (من أحدث في امرنا هذا ماليس منه فهو رد) أي مردود على فاعله لبطلانه وعدم الاعتداد به وقال ﷺ (اياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة) وهذان الحديثان مما رواه الثقات العدول وتلقاه المسلمون بالقبول . وقد تكلم على هذا الحديث الجهابذة الائمة وبين المراد منه فضلاء الامة وحاصل ماقاله العلماء في ذلك ان المراد بالمحدث الذي هو بدعة ماليس له اصل في الشرع وانما الحامل عليه مجرد الشهوة والارادة فهذا باطل قطعاً بخلاف محدث له في الشرع اصل فانه حسن اذ هو سنة الخلفاء الراشدين والائمة المهديين ثم انها كما قال العلماء تعتريها الاحكام الخمسة ، والطريق الى معرفة ذلك ان تعرض البدعة على قواعد الشرع فان دخلت في قواعد الايجاب فهي واجبة . او في قواعد التحريم فمحرمة ، او في الندب فمندوبة ، او المكروهة فمكروهة ، او المباح فمباح ، والواجبة امثلة منها الاشتغال بعلم النحو والمعاني وبقية العلم الآلية المتوقف عليها فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله الكريم وذلك واجب لان حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها الا بذلك وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، ومنها تدوين اصول الفقه والكلام في الجرح والتعديل وتمييز صحيح الاحاديث من سقيمها ومنها الرد على المخالفين من القدرية والجبرية والمجسمة قبحهم الله . وقد دلت قواعد الشريعة على ان حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين ولا يتأتى ذلك الا بما ذكر ، وللبدع المحرمة امثلة منها مذاهب القدرية والجبرية وللمندوبة امثلة وذلك كاحداث الربط والمدارس وتأليف الكتب الشرعية وكل محمود لم يعهد في العصر الاول منها التراويح .

ومن ثم قال فيها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعمت البدعة هي يعني التراويح ، ومن البدع المندوبة الكلام في دقائق التصوف والجدل ، ومنها جمع المحافل للاستدلال في المسائل الشرعية ان قصد به وجه الله تعالى ، وللبدع المكروهة امثلة وذلك كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف ، ومن امثلة البدعة المباحة المصافحة عقب الصبح والعصر اذا صافح من هو معه قبلهما بخلاف من ليس

معه قبلها فمصافحته حينئذ مندوبة لانها عند اللقاء سنة اجماعاً ، قاله شهاب الدين ابن حجر في بعض كتبه والحاصل ان كل ماوافق الكتاب او السنة او الاجماع او القياس فهو سنة ، وما خرج عن ذلك فهو بدعة مذمومة ، لا يقال مالا يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل به فان الاجماع حجة ولم تجتمع امته على ضلالة قط ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فان علم الشرع مبني اصله على الكتاب والسنة وكم قاسوا من قياسات واستنبطوا منه استنباطات ، ثم ان عقيدة الاشعري قد حررها ونقحها الائمة الاعلام اهل الحل والعقد والنقض والابرام ومنهم هذا الامام الذي ذكره الناظم نفع الله به وبعلومه قوله :

﴿ وقد حرر القطبُ الامامُ ملاذُنا

عقيدتَه فهي الشفاء من الضُّرِ ﴾

(قوله وقد) اعلم ان قد كما اوضحه النحاة وقرروه تختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجـــرد من ناصب او جازم وسين التنفيس ماضياً كان او مضارعاً فخرج بالمتصرف والخبري والمثبت الجامد كعسى والانشائي كافعل والمنفي وبالمجرد من ناصب او جازم وسين التنفيس مالم يتجرد عن واحد منهن وقد تحذف الفعل بعدهـا ويؤتى بالتنوين عوضاً عن المحذوف كقول النابغة من الـكامل :

أزفَ الترحُّل غير ان ركابَنا لما تزُل برحالِنـا وكأن قدِ

ولها خمسة معان ، التحقيق مع الماضي نحو قد افلح المؤمنون من زكاها ، والتقريب مع الماضي ايضاً تقربه من الحال تقول قام زيد فيحتمل الماضي القـــريب والماضي البعيد ، والتقليل مع المضارع قال في المغني وهو ضربان تقليل وقوع الفعل نحو قد يصدق الكذوب وقد يجود البخيل وتقليل متعلقة نحو قد يعلم ما انتم عليه اي ان ماهم عليه اقل معلوماته تعالى .

(الرابـع) التوقع وذلك مع المضارع نحو قد يقدم الغائب اليوم لمن يتوقع

قدومه وينتظره وقد قامت الصلاة لانتظار الجماعة لها .

(الخامس) التكثير وخرج عليه الزمخشري كما في الاتقان قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء) قال أي ربما نرى ومعناه تكثير الرؤية ومما استشهدوا به على ان من معانيها التكثير قول الشاعر :

قد اشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملني جرداءُ معروقةُ اللحيين سرحوب

ثم ان قدمنا في كلام الناظم نفع الله به للتحقيق والمعنى ان العقيدة الاشعرية قد نقاها واتقنها الامام القطب اللاذ والمراد به كما صرح به عقب هذا البيت فخر الاسلام محمد بن محمد الغزالي ومعنى القطب هو الولي الذي هو حقيق الولاية والقائم في احوال الاولياء على الغاية والنهاية . قال المناوي في شرحه على الجامع قال ابن عربي قدس الله سره من رجال الله تعالى رجل واحد وقد يكون امرأة في كل زمان وهو القاهر فوق عباده له الاستطالة على كل شيء شهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق يقول حقاً انتهى وفي زبدة الاعمال قال سراج الحرم السكستاني قدس الله سره النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والابدال اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد .

(واعلم) ان تسميته القطب بالغوث فباعتبار التجاء الملهوف اليه والقطبية الكبرى لا تكون الا لواحد لكن قد يتوسعون في هذا الاطلاق اذ القطب في العرف كل من جمع الاحوال والمقامات فلذا يسمى كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به عن ابناء جنسه في البلد قطباً فرجل البلد قطب ذلك البلد ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة ، وهكذا ولكن الاقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم في الزمان الا واحد كما صرح به الشعراني في الجواهر واليواقيت ، وهو موضع نظر الله تعالى في كل زمان اعطاه الله الطلسم الاعظم ، قال العلماء وهو باطن نبوة محمد ﷺ فلا يكون الا لورثته لاختصاصه ﷺ بالاكملية فلا يكون خاتم الولاية وقطب الاقطاب الا على باطن خاتم النبوة ، وقد قرر ذلك غير واحد ممن جمع بين علمي الظاهر والباطن . قال الشعراني نفعنا الله به اعلم ان لكل بلد او

قرية او اقليم قطباً غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء كان اهلها مؤمنين أو كفار او كذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه انتهى .

ثم ان مسكن النقباء المغرب ، ومسكن النجباء مصر ، ومسكن الابدال الشام ، والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ، ومسكن الغوث مكة ، فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل فيها الغوث فلا تتم مسئلته حتى تجاب دعوته انتهى .

قال المناوي رأيت في شرح مقدمة الوصول للشيخ ابراهيم المواهي نقلا عن شيخه العارف ابي المواهب التونسي رضي الله عنها ، ثم انتقلت منها الى ابي بكر عمرو ثم عثمان ثم علي ، ثم الحسن رضي الله عنهم انتهى .

لكن نقل عن العارف المرسي رضي الله عنه ان اول الاقطاب مطلقاً الحسن بن علي رضي الله عنها والله اعلم انتهى .

وقد اشار سيدنا الناظم نفع الله به الى اوصاف القطب اجمالا في قصيدته اللامية التي من بحر الكامل ولله دره حيث اشار في اثنائها الى ذلك بقوله :

فاشرب شرابَ العارفين الاوليا	الجامعينَ لكل وصفٍ فاضلِ
واخضعْ لساقيهم وقطبِ مدارهم	وامامِ سالك سبلهم والواصلِ
غوث البرية كلها ومغيثها	عن اذن سيده الكريم العادلِ
إن شئتَ تعرفُه وتعلمُ وصفهُ	بطريقةِ الاجمالِ فاسمع سائلي
هو سيدٌ متواضع متخشع	ورع تقي زاهدٌ في العاجلِ
الشرعُ سيرتُه الحقيقة حاله	ومن العبودةِ بالمقام الحافلِ
برٌ رحيمٌ بالخلائق كلهمْ	يرعى الوجودَ بعين لطفٍ شاملِ
يمتد من بحر البحورِ محيطها	خير الانام بعاجل وبآجل
صلى عليه الله ماهب الصبا	اوسار حاد قصده برواحل

قوله رضي الله عنه ونفع به الامام ملاذنا ، اعلم ان الامام لغة المتبع

بفتح الباء واصطلاحاً من يصح الاقتداء به ويطلق على اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى (وكل شيء احصيناه في امام مبين) وقد يراد به صحائف الاعمال وقد يطلق على الامام الاعظم ويجمع كثيراً على أئمة وقد وصفه رضي الله عنه به لتحقق المعنى في الموصوف به اذ قد صحت للغزالي مرتبة التقدم مطلقاً وصح به الاقتداء في الاحوال والاقوال والافعال ، واما الملاذ فهو اسم مفعول ومعناه المستجار به عند الخطوب وقوله عقيدته الى آخر البيت قد تقدم معنى العقيدة والضمير راجع الى الاشعري المقدم ذكره قريباً اي هذه العقيدة الاشعرية شفاء من الضر ، والكلام على التشبيه البليغ اى من علل العقائد الفاسدة الاديان التي فيها الزيغ والتحريف ويجمعها لك قوله ﷺ (افترقت بنو اسرائيل احدى وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة ثلاثة وسبعين فرقة)الحديث بطوله .

﴿ تتمة ﴾ يظهر ان الضمير المجرور بالاضافة في قول الناظم نفع الله به وغالب طرائق من يرجع الضمير اليهم وهم السادة العلويون غزالية ، ولا بأس هنا بذكر الطريقة والمراد بها وبيان شيء من كلام العلماء في الشريعة والحقيقة تكميلا للفائدة ومناسبة لما نحن فيه .

(اعلم) ان الطريق يؤنث ويذكر ويجمع على طرق بضمتين وهو مرادف للسبيل قال الله تعالى (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) ويرجع معنى الطريقة الى سلوك طريق الشريعة والتمسك بعزائمها ، واما الشريعة فما شرعه الله من الاحكام وكذلك العلم بها فانه يسمى شريعة كما يعلم ذلك من كلام قطب الارشاد صاحب النظم قدس سره .

وأما العمل بها فيسمى شريعة كما تقدم ، وللطريقة حقيقة وهي العلوم الباطنية التي يحظى بها العبد بعد الاغتراف من عين الشريعة اذ الحقيقة هي الفرع المستخرج منها ومن ثم شبهوها بالدر وبالثمر ، والفرق بينهما مع ان المراد من الطريقة والحقيقة والشريعة اقامة العبودية انما هو بمشاهدة انوار الربوبية وبالنظر الى الغلبة في حال العابد والعارف فان العابد لما كان يغلب عليه الوقوف مع العمل والاخلاص على

وجه الاتقان سمي صاحب شريعة ، والعارف لما كان يغلب عليه حال الحق وشهود المنة المحضة يسمى صاحب حقيقة ، فقول العبد اياك نعبد حفظ للشريعة واياك نستعين اقرار بالحقيقة ، نعم بين اهل المقامين فرق من حيث علم صفات القلب والتمسك بالعزائم ، فأهل الحقيقة لهم اعتناء واهتمام على معرفة صفات القلب لتوقف سلوك طريقتهم على التحلي بالمحمود منها والتخلي عن المذموم منها ، واكثر اهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به ولهم مجاهدات على سبيل العزائم من حيث عملهم لا من حيث العلم والاعتقاد فانهم لا يشكون في رحمة الله بعباده ، واما السير الى الله فمعناه كما يؤخذ من كلامهم تزكية القلب والقالب في جميع المثالب .

• ثم ان الحقيقة هي من الامور الذوقية التي لا يتحققها الا من ذاقها فسرها تقصر عن ادائه العبارات ولا يؤديها على ماهي عليه الاشارات والى هذا اشار القطب ناصر الدين محمد بن عبدالدائم المعروف بابن بنت الميلق بقوله نفع الله به :

للقوم سرٌ مع المحبوب ليس له ... حدٌ وليس سوى المحبوب يحصيه

ولسيدي قطب الارشاد في هذا المعنى :

• وأتحفوني بسر لو أبوحُ به ... لشاع في الناس لُوامي وحُسّادي

ثم ان لكل من الطريقة والشريعة والحقيقة ادباً ، فأدب الشريعة امتثال الاوامر واجتناب المناهي ، وادب الطريقة شهود المنة ؛ وادب الحقيقة معرفة العبد مالكه وماله سبحانه وتعالى من صفات الكمال ونعوت الجلال فللعبد الفقر والضعف والعجز وللرب سبحانه وتعالى الغنى والقوة والقدرة وهذا ماتيسر ايراده هنا ملخصاً من كلامهم ومنقولا من فوائدهم مع الاعتراف منابعدم الاهلية وقدعلمت بأني متطفل في هذا الكلام ، والمقصود من هذا التبرك والاستخدام والله يهدي للحق والصواب ويرزقنا الانابة وحسن الختام ، ونعني بطريقة السادة العلويين الحضرميين الذي مر ذكرهم اما طريقتهم فهي الحرز المصون والحصن الحصين اذ هي على الكتاب والسنة وما استنبطه الائمة المجتهدون منهما فهي ولله الحمد لم تخرج عن

الكتاب والسنة ولا عن آثار السلف الصالحين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وقد استمرت ولله الحمد هذه العصابة الطاهرة الى يومنا هذا على طريقتهم التقية وسيرة اسلافهم المرضية فلم يدخل عليها شيء من التغيير على تطاول الاعصار بل هم مستمرون على المنهج الاسلم والسبيل الاقوم يتوارث هذه الطريقة الآباء عن الاجداد ، ولذلك لم تبرح أنوار بركتها على العالمين بحقوقها لائحة ، وانفاس طهارتها من شمائل المتخلقين باخلاقها فائحة ولم تزل معارف الحق لمتون بواطنهم شارحة ، وعوارف اليقين على رياض قلوبهم سارحة ، ولا زالت فضلاء الاقطار فيها يتنافسون كيف وقد اذعن لفضلهم الائمة العارفون .

ولنذكر مايحضرنا من كلام السلف في سيرتهم الحميدة تبركا بذكر اخبارهم وترغيباً للنفس والاخوان على اقتفاء آثارهم .

قال الامام العارف بالله والداعي اليه السيد احمد بن زين الحبشي العلوي رضي الله عنه ونفع به سمعت شيخنا الامام القطب الحبيب عبدالله بن علوي الحداد رحمه الله يقول : ان طريقة السادة العلوية هي الصراط المشار اليه في قوله تعالى (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله) وهو المشروح في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ويقول النبي ﷺ وفعله وتقريره المشاهد من احواله في سيرته واخلاقه كما عليه اكابر صحابته وأهل بيته ثم صالحوا السلف والتابعون لهم باحسان فتابعوهم وقد نقل دلك الامامان ابو طالب المكي في قوته ، وأبو قاسم القشيري في رسالته ومن نحا نحوه . ثم فصل ذلك وهذبه وحرره وبوبه وقرره الامام حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي فهي طريقة تلقاها بنو علوي طبقة عن طبقة وأب عن جد وتوارثوا ذلك عن جدهم الحسين وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وغيرهم من اكابر اسلافهم الى ان قال ومن خالف طريقة السادة بني علوي بحيث يضادها فهو من السبل المتفرقة عن سبيل الله انتهى .

(وقال الامام) الحبيب عبدالرحمن ابن عبدالله بلفقيه العلوي رضي الله عنه ليس بين السادة بني علوي تخالف في طريقتهم وانما اختلف الشهود بحسب المشاهدة واختلاف الشهود فظاهر بالجمال شاهد الفضل في مشاهد الافضال باح بالنوال واستباح مافعل وقال بحسب البسط والحال وباطن ظاهر الجلال فاستعفى واستقال ولازم الانكسار والافتقار في جميع الاعمال والاحوال فلا فرق بينهم يقتضي التفريق ولا مباينة على التحقيق .

واما طريقة غير السادة بني علوي من طرق الصوفية الوفيه فلاتخالفها في الاصول ولا في حقيقة السلوك والوصول وانما الخلاف في اوضاع ومشارب غايتها كالاختلاف في الفروع بين اهل المذاهب ، ومن حيث انه في اشياء تابعة وفروع دقيقة فكأنه لا خلاف على الحقيقة انتهى .

ولا يخفى ان طرائق السالكين الى الله تعالى على اختلاف هيآتها متفرعة من كتابه العزيز وسنة رسوله الكريم وما كان خارجا عنهما فليس بشيء وغاية مايرام من ذلك رضاء الله سبحانه وتعالى الموصل الى نيل السعادة الأبدية فالمرجع واحد كما قيل :

عباراتُنا شتّى وحسنُك واحدٌ وكلٌّ إلى ذاك الجمالِ يشيرُ

ثم ذكر الناظم نفع الله به هذا القطب بنعته فقال :

﴿ وأعني به من ليسَ يُنعت غيره

بحجة الأسلامِ فيالكَ من فخرِ ﴾

اي ان الذي عناه هو الذي اشتهر نعته بحجة الاسلام وهو لقب له لا كنية اذا اللقب مااشعر برفعة مسماه كما تقرر عند النحاة كزين العابدين واما الكنية فهو ماصدر بأب او ام كأبي بكر وام هانيء قال العلامة الصبان .

واعلم أنه قد يقصد بالكنية التعظيم والفرق بينها حينئذ واللقب المقصود به

التعظيم ان التعظيم في اللقب بمعناه وفي الكنية لا بمعناها بل بعدم التصريح بالاسم انتهى . وأما اسم هذا المنعوت فهو محمد بن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري رحمه الله تعالى حظي من الله في جميع أحواله بحسن التصانيف وجودتها وجزالة العبارة وسهولتها كيف لا وهو صاحب العلم الغزير والقلب المستنير الذي لم يوجد في الطائفة الشافعية مثله لما منحه الله من المعارف الالهية والعلوم الصمدانية مع ماخصه الله سبحانه وتعالى من حسن السيرة وطهارة السريرة وكمال الاستقامة وحقيقة الزهد والتجافي عن دار الدنيا والاعراض عنها وعن جاهاتها مع تيسيرها ، وكانت ولادته رضي الله عنه في بطوس سنة خمسين واربعمائة من الهجرة النبوية ووفاته ايضاً بطوس سنة خمس وخمسمائة ولم يعقب الا البنات رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه .

والمراد بحجة الاسلام الثقة المحقق الذي يعتمد على قوله وقول الناظم نفع الله به فيالك من فخر اي عز وعظمة اي ان العز والفخر الحاصلين له عظيم ينبغي ان يتعجب منه كيف .

وقد باهى نبينا محمد ﷺ نبي الله موسى ونبي الله عيسى عليهما السلام في رؤيا حق من امام قطب هو السيد الجليل الشيخ ابو الحسن الشاذلي رأى النبي ﷺ يقول لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أفي امتكما حبر هكذا فقالا لا .

وذكر انه لما قال نبي الله موسى للغزالي في عالم الارواح ماسمك قال محمد بن محمد بن محمد الغزالي فقال له موسى انما سألتك عن اسمك فقط ، فقال له انت لما سألك ربك عما تلك بيمينك فقلت هي عصاي اتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى فهو انما سألك عما تلك بيمينك فقط وهو ادرى بمآربك كلها ، فقال موسى عند ذلك اللهم اجعلني من امة محمد ﷺ .

والذي تقرر انه المجدد لاهل المائة الخامسة فهو المجدد في ذلك الوقت وقد روي عن النبي ﷺ ان الله سبحانه وتعالى (يبعث لهذه الامة من يجدد لها

دينها على رأس كل مائة سنة) . وعن الامام احمد بن حنبل ان على رأس المائةالاولى عمر بن عبدالعزيز الخليفة ، وعلى رأس المائة الثانية محمد بن ادريس الشافعي ، وذكر بانّ على رأس المائة الثالثة ابا الحسن الاشعرى ، والرابعة ابا بكر الباقلاني ، وفي ذلك خلاف ، وفي الخامسة الامام الغزالي كما تقدم ، وهكذا لم يزل على رأس كل مائة من يجدد الى وقتنا هذا فنسأل الله تعالى ان يؤيد هذا الدين القويم ببركة نبيه الرسول السيد السند الكريم .

واعلم ان المراد بمن يجدد أمر الدين من يقرر الشرائع والاحكام وشرطه كما قرروه ان تمضي المائة وهو باق يشار اليه وينصر السنة في كلامه وانّ يكون جامعاً لكل فن ليتمكن من ذلك لا كونه بلغ رتبة الاجتهاد المطلق فانه قد انقطع من نحو الثلثمائة ، وادعى السيوطي بقاءه الى آخر الزمان مستدلا بالحديث ورد بان المراد بمن يجدد امر الدين من يقرر الشرائع والاحكام كما تقدم وهل المجدد يكون واحداً على رأس كل مائة ام لامانع من تعدد المجددين بان يكونوا في اقاليم متفرقه فينتفع اهل كل اقليم بالمجدد فيها لم أر من تعرض لذلك لكن تصريحهم بان المرادبالمجدد من يقرر الشرائع والاحكام غير مانع من تعددهم اذ غالب الاقاليم لايخلو فيه عمن هو على هذه المثابة كما يشاهد وان كان ثم فاضل ومفضول وبالغ رتبة الكمال والقاصر عنها بحسب الفيوضات الالهية والمنح الربانيه ، ثم الناس في الاجتهاد على ثلاث مراتب المجتهد المطلق ومجتهد المذهب ومجتهد الفتوى فالاول من يستنبط الاحكام من الكتاب والسنة وشرطه ان يحوي علم الكتاب المتعلق بمعرفة الاحكام بمعانيه افراداً وتركيباً فيفتقر الى مايعلم في اللغه والنحو والصرف والمعاني والبيان وبمعانيه شرعاً وأقسامه من الخاص والعام والمجمل والمبين والمطلق والمقيد والنص والظاهر والناسخ والمحكم والمتشابه وان يحوي علم السنة المتعلقه بمعرفة الاحكام بلفظها الدال على المعنى لغة وشرعاً واقسامها من الخاص والعام وغير ذلك وسندها وهو طريق وصولها الينا من تواتر وغيره .

قال العلماء وهذا يضمن معرفة حال الرواة والجرح والتعديل والتصحيح

والضعيف وطريقه في زماننا الاكتفاء بتعديل الأئمة الموثوق بهم لتعذر الاطلاع على حقيقة الرواة بل ماتواتر ناقلوه . وأجمع السلف على قبوله لا يبحث عن عدالة ناقليه وان يحوي علم موارد الاجماع لئلا يخالفه في اجتهاده وان يعرف أحكام القياس بانواعه الثلاثة من الجلي والمساوي والادون كما هو مبسوط في محله . وفي التحفة بعد ماذكر شروط المجتهد مانصه قال ابن الصلاح اجتماع ذلك انما هو شرط للمجتهد المطلق الذي يفتي في جميع ابواب الفقه اما مقيد لا يعدو مذهب امام خاص فليس عليه غير معرفة قواعد امامه وليراع فيها ماراعيه المطلق في قوانين الشرع فانه مع المجتهد كالمجتهد مع نصوص الشرع ، ومن ثم لم يكن له عدول عن نص امامه كما لا يجوز الاجتهاد مع النص .

وقال السيوطي رحمه الله تعالى في نقايته في المجتهد شرطه العلم بالفقه اصلا وفرعاً خلافاً ومذهباً والمهم من تفسير آيات واخبار ولغة ونحو وحال الرواة ، قال ابن دقيق العيد لا يخلو العصر عن مجتهد الا اذا تداعى الزمان وقربت الساعة . واما قول الغزالي كالقفال ان العصر خلا عن المجتهد المستقل فالظاهر ان المراد مجتهد قائم بالقضاء لرغبة العلماء عنه وكيف يمكن القضاء على الاعصار بخلوها عنه والقفال نفسه كان يقول لسائله وفي مسائل الصبرة تسئلني عن مذهب الشافعي ام ماعندي وقال هو وآخرون منهم تلميذه القاضي حسين لسنا مقلدين للشافعي بل وافق رأينا رأيه . قال ابن الرفعة ولا يختلف اثنان ان ابن عبدالسلام وتلميذه ابن دقيق العيد بلغا رتبة الاجتهاد .

وقال ابن الصلاح امام الحرمين والغزالي والشيرازي من الائمة المجتهدين في المذهب اه ووافقه الشيخان فاقاما كالغزالي احتمالات الامام وجوها وخالفه ابن الرفعة والذي يتجه ان هؤلاء وان ثبت لهم الاجتهاد فالمراد التأهل له مطلقاً او في بعض المسائل اذ الاصح جواز تجزيه اما حقيقته بالفعل في سائر الابواب فلم يحفظ ذلك من قريب عصر الشافعي الى الآن ، كيف وهو متوقف على تأسيس قواعد اصولية وحديثية يخرج عليها استنباطاته وتفريعاته وهذا التأسيس هو الذي اعجز

الناس عن بلوغ حقيقة مرتبة الاجتهاد المطلق ولا يعني عنه بلوغ الدرجة الوسطى فيما سبق فان ادون اصحابنا ومن بعدهم بلغ ذلك ولم يحصل له مرتبة الاجتهادالمذهبي فضلا عن الاجتهاد النسبي فضلا عن الاجتهاد المطلق اه مانقلته عن التحفة الثاني من المجتهدين مجتهد المذهب وهو من يتمكن من تخريج الوجوه والاقوال على نصوص امامه في المسائل اي استنباطها منها كأن يقيس ماسكت عنه على مانص عليه لوجود معنى مانص عليه فيما سكت عنه او يستخرج حكم المسكوت عنه من دخوله تحت عموم ذكره او قاعدة قررها جارياً على طريق امامه في الاستدلال مراعياً لقواعده وشروطه بخلاف المجتهد المطلق فانه لايتقيد بطريق غيره كما تقدم وصاحب هذه المرتبة كالمزني .

واما المرتبة الثالثة فهي مرتبة مجتهد الفتيا وهو المتبحر في مذهب امامه المتمكن من ترجيح قول له على آخر اطلقهما كالشيخين لا كابن حجر والرملي فلم يبلغا رتبة الترجيح بل مقلدان ، وقال بعضهم بل لهما الترجيح في بعض المسائل بل وللشبراملسي ايضاً وفي حاشية العلامة البناني على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع مانصه : قال السيوطي ولم يذكر في جمع الجوامع مرتبة بعد ذلك يعني بعد مجتهد الفتيا .

وقد ذكر في شرح المهذب مرتبة رابعة وهو ان يقوم بحفظ المذهب ونقله وفهمه في الواضحات والمشكلات ولكن عنده ضعف في تقرير ادلته وتحرير اقيسته فهذا يعتمد نقله وفتواه فيما يحكيه من مسطورات مذهبه وما لم يجده منقولا ان وجد في المنقول معناه بحيث يدرك بغير كبير فكر انه لافرق جاز الحاقه به والقبول به . وكذا مايعلم اندراجه تحت ضابط ممهد في المذهب وماليس كذلك يجب امساكه عن الفتوى فيه الا انه يبعد كما قال امام الحرمين ان تقع مسألة لم ينص عليها في المذهب ولا هي في معنى المنصوص ولا مندرجة تحت ضابط وشرطه كونه فقيه النفس ذا حظ وافر من الفقه اه وضابط هذه المرتبة ليس من الاجتهاد في شيء قاله سم انتهى مانقلته من الحاشية.

فمثال مااندرج تحت الضابط ان الصبي يملك مااخذه مما اعرض عنه مالكه المطلق التصرف وذلك مندرج تحت الضابط الذي صرحه الاصحاب من ان مااعرض عنه مالكه المطلق التصرف يملكه كل من اخذه فيشمل قوله كل من اخذه الصبي وغيره ، وكذا قول الفقهاء ان البنت المخلوقة من الزنا يجوز لابيها ان يتزوجها وهذا مندرج تحت ضابط وهو ان ماء الزنا غير محترم لايتعلق به حكم ، وعلى هذا كل جزئي مندرج تحت كلي ومثال ماوجد معناه في المنقول انه يحرم على شخص عرض متاع بثمن أقل على مشترى متاع نظير المتاع المعروض من بائع بعد الاتفاق على الثمن وذلك في معنى المنقول من انه يحرم البيع على بيع الغير . والمعنى في كل اضرار البائع بالفسخ وفي معنى المنقول ايضاً ما لو كان عند شخص متاع مخزون فاخرجه ليبيعه بسعر يومه فتعرض له من يفوضه له يبيعه له تدريجاً باغلى فانه حرام والمنقول هو بيع حاضر لباد والمعنى في كل الاضرار على الناس بالتضييق وعلى هذا كل فرع قيس باصله الجامع بينهما .

﴿ تتمة ﴾ اعلم انه يجب على المكلف الذي لم يبلغ رتبة الاجتهاد التزام مذهب معين من مذاهب الائمة الاربع المجتهدين في الأحكام الفروعية ، وقد جزم بذلك الاصوليون وجمهور المحدثين والفقهاء بقوله تعالى (فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) فاوجب السؤال على من لم يعلم ويترتب عليه الاخذ بقول العالم وذلك تقليد له فلا يجوز لمن شأنه التقليد الاستدلال بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية لقصوره عن الاستنباط الذي هو شأن المجتهدين قال الله تعالى (ولو ردوه الى الله والى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ولا يخفي ان الذين يستنبطونه هم الذين تأهلوا للاجتهاد دون غيرهم .

اما من كان فيه اهلية الاجتهاد المطلق فانه يحرم عليه التقليد في جميع الابواب ان تمكن من الاجتهاد فيها والا فيحرم عليه التقليد فيما يقع له اذ الصحيح جواز تجزي الاجتهاد كما تقدم بان يكون العالم مجتهداً في باب دون باب ، وقد علمت ان المجتهد المستقل مفقود (ثم ان التقليد) هو اخذ القول اعتقاداً من غير معرفة

دليله ، ويجوز للمقلد الافتاء لانه ناقل لما يفتى به عن امامه وان لم يصرح بنقله عنه وهو الواقع في الاعصار المتأخرة ، ومن ثم ليس له ان يعدل عن نص امامه وان لم يصرح بنقله عنه وهو الواقع في الاعصار المتأخرة ، ومن ثم ليس له ان يعدل عن نص امامه في الحكم والافتاء . كما لا يسوغ للمجتهد ان يعدل عن نص الشرع وليس له الفتوى بخلاف المرجح من المذهب ولا ينفذ حكمه بذلك كما قاله النووي والسمهودي والسبكي وغيرهم ، واما مريد العمل لنفسه ممن ليس اهلا للاجتها فله تقليد من شاء من المجتهدين على المعتمد ، وكذا يجوز الاخذ والعمل لنفسه بالاقوال والطرق والوجوه الضعيفة الا بمقابل الصحيح فان الغالب انه فاسد ؛ ويجوز الافتاء بها للغير بمعنى الارشاد سيما عند الضرورة (وشروط التقليد ستة) الاول ان يكون مذهب المقلد مدوناً لتتمكن فيه عوائب الانظار ويتحصل له العلم اليقيني بكون المسئلة المقلد بها من هذه المذاهب .

(الثاني) حفظ المقلد شروطه في تلك المسئلة .

(الثالث) ان لا يكون التقليد فيما ينقض فيه قضاء القاضي بان لا يكون خلاف نص الكتاب والسنة أو الاجماع او القياس الجلي .

(الرابع) ان لا يتتبع رخص المذاهب ويتخذه دينا بان يأخذ من كل مذهب بالاسهل فتنحل عنه ربقة التكليف ، قال الشيخ ابن حجر ومن ثم كان الاوجه انه يفسق به . وقال الشيخ الرملي الاوجه انه لا يفسق وان اثم به اهـ وهذا ليس شرطاً لصحة التقليد كما صرح به المتأخرون بل هو شرط لدرء الاثم كنهي الصلاة في الارض المغصوبة .

(الخامس) ان لا يلفق بين قولين تتولد منها حقيقة واحدة مركبة ، ويقول كل من الامامين بها سواء كان التركيب بين قضيتين او بين قضية واحدة عند الشيخ ابن حجر . فمثاله بين قضيتين تقليد الشافعي في مسح بعض الرأس ومالك في طهارة الكلب في صلاة واحدة ، ومثاله بين قضية واحدة تقليد الشافعي في القصد وابي حنيفة في مس الذكر في صلاة واحدة لاتفاق الامامين على بطلان طهارته

وكتزوج بلا ولي مع حضوره وعدم عضله وبلا شهود تقليداً لابي حنيفة في الاول ومالك في الثانية في نكاح واحد لاتفاق الامامين على بطلان النكاح ، وقال العلامة المحقق ابن زياد رحمه الله تعالى في فتاويه ان الذي فهمناه من امثلتهم اذا توضأ ولمس تقليداً لأبي حنيفة وافتصد تقليداً للشافعي ثم صلى فصلاته باطلة لاتفاق الامامين على بطلان ذلك . وكذلك اذا توضأ ومس بلا شهوة تقليداً للامام مالك ولم يدلك تقليداً للشافعي ثم صلى فصلاته باطلة لاتفاق الامامين على بطلان طهارته بخلاف ماإذا كان التركيب من قضيتين فالذي يظهر ان ذلك غير قادح في التقليد ، كما اذا توضأ ومسح بعض رأسه ثم صلى الى الجهة تقليداً لابي حنيفة فالذي يظهر صحة صلاته لان الامامين لم يتفقا على بطلان طهارته ، فان الخلاف فيها باق بحاله اي في تلك الطهارة فهي صحيحة على مذهب الشافعي وباطلة على مذهب ابي حنيفة ، لا يقال اتفقا على بطلان الصلاة لانا نقول هذا الاتفاق نشأ من التركيب في قضيتين والذي فهمناه انه غير قادح في التقليد ، انتهى .

وفي بغية المسترشدين لسيدي العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور بعد نشره الخلاف بين ابن حجر وابن زياد مانصه وكلام ابن حجر احوط وابن زياد اوفق بالعوام فعليه يصح التقليد في مثل هذه الصورة .

(الشرط السادس) مختلف فيه وهو ان لا يعمل بقول في مسئلة ثم يعمل بضده في عينها ، كأن اخذ نحو دار بشفعة الجوار تقليداً لابي حنيفة ثم باعها ثم اشتراها فاستحق واحد مثله بشفعة الجوار فأراد ان يقلد الشافعي ليدفعها فانه لا يجوز لان كلا من الامامين لا يقول به حينئذ ومقتضى كلام العلماء في هذا الجواز لان عدم جوازه مبني على امتناع التقليد بعد العمل والاصح جوازه ثم قال الناظم نفعنا الله به وبعلومه :

﴿ وخذ من علوم الدين حظاً موفّراً
فبالعلم تسمو في الحياة وفي الحشرِ ﴾

قوله وخذ الواو هنا عاطفة كغيرها من الواوات وخذ فعل امر وفاعله كل من يصلح للخطاب اذ المراد تعميم النصيحة كما تقدم وفعل الامر هو من اقسام الفعل اذ الافعال ثلاثة : ماض ، ومضارع ، وأمر . وقد تقدم الكلام عليهما وأمر ، وعلامته دلالته على الطلب مع قبوله ياء المخاطبة ، وحكمه البناء على السكون كاضرب الا المعتل بواحد من حروف العلة وهي : الواو والياء والالف ، فبناؤه على حذف حرف العلة نحو اغز واخش وارم ، وقد يبنى على حذف النون اذا اتصل به ضمير تثنية نحو قوما او واو جمع نحو قوموا أو ياء مخاطبة نحو قومي ، فهذه ثلاثة احوال للأمر ايضاً ، كما ان الماضي ثلاثة احوال وقد مرت .

• وقد يبنى على سكون مقدر للتخلص من التقاء الساكنين وذلك اذا اتصلت به نون التوكيد خفيفة او ثقيلة نحو اضربن يازيد بفتح الموحدة او اضربن ياهند بكسر الموحدة أو اضربن يازيدون بضم الموحدة ، فالاول مبني على سكون مقدر منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض ، والثاني والثالث مبنيان على حذف نون الرفع لانهما من الافعال الخمسة وادخلت فيها نون التوكيد .

والموجب للحركات المختلفة المذكورة تمييز المسند للواحد والمسند للجماعة والمسند للواحدة . وقد يقدر السكون في الامر للادغام في الفعل المضعف الثلاثي نحو شدّ وصدّ عنه ورده ، واختار النحاة فتح المدغم فيه قبل هاء الغائبة نحو رده ولم يرده فان لم يتصل بالفعل هاء ففيه ثلاث لغات الفتح مطلقاً نحو رد وفر وغض وهي لغة أسد والكسر مطلقاً نحو رد وفر وغض وهي لغة كعب ، والاتباع لحركة الفاء نحو رد وفر وغض فعلى اللغة الاولى والثانية رد وما بعده مبني على سكون مقدر منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام وعلى الثانية منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم العارض لاجل الاتباع اي اتباع الدال للراء والتزم اكثر النحاة الكسر قبل ساكن فقالوا رد القوم لانها حركة التقاء الساكنين في الاصل وحينئذ فالمانع من ظهور السكون المبني عليه اشتغال المحل بالكسر العارض للتخلص من التقاء الساكنين .

ثم ان الامر من فعل رباعي بزيادة همزة القطع كاكرم فهو مبني على افعل بهمزة قطع مع كسر ماقبل آخره كقولك اكرم زيداً وأعلم عمرا والق عصاك وادخل يدك ، اما الامر من غير الرباعي فبناؤه على وزن مضارعه مجزوم مقطوع حرف مضارعه عنه فنقول في يقوم ويبيع ويخاف ويدحرج ويتعلم ويتأنى قم وبع وخف ودحرج وتعلم وتأن كما تقول في المجزوم منها لم يقم ولم يبع ولم يخف ولم يدحرج ولم يتعلم ولم يتأن ، قال ابن مالك في لامية الافعال التي هي من بحر البسيط :-

من افعل الامر افعل وأعزه لسوا ٭ كالمضارع ذي الجزم الذي اختزلا

ومعنى البيت حصل بالجد والتشمير من العلوم الشرعية نصيباً موفراً لان بالعلم تعلو في الحياة وفي الحشر يعني يوم القيامة ومن هنا تبعيضية اي ولو بعضاً منه يصلح به عملك ويزكو به فعلك اذ العامل مع الجهل كحمار الطاحون ويكون مايفسده اكثر مما يصلحه بل كراكب متن عمياء وخابط خبط عشواء فلا معرفة الا لمن تعلم واهتدى وتجنب طرق الردى والا كان من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً .

والمراد بعلوم الدين في قوله نفع الله به سائر العلوم المحمـــودة كالعلوم الشرعية الثلاثة الحديث والفقه والتفسير وعلم اصول الفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والعروض والمنطق وعلم القراءة وعلم التصوف وعلم اصول الدين .

فحد الاول رواية علم يشتمل على نقل ماأضيف الى النبي ﷺ قولا او فعلا او تقريراً او صفة .

والثاني علم بالاحكام الشرعية المكتسب من ادلتها التفصيلية .

والثالث علم يعرف به معاني كلام الله تعالى من الاوامر والنواهي وغيرهما.

والرابع علم يعرف به ادلة الفقه الاجمالية وطرق استفادة جـــزئياتها وحال مستفيدها وهو المجتهد وكيفية الاستدلال اي كيفية الاستنباط .

والخامس علم باصول يعرف بها احوال اواخر الكلم اعراباً وبناء .

والسادس علم باصول يبحث عن ابنية الكلم واحوالها صحة واعتلالا .

والسابع علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.

والثامن علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه .

والتاسع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال .

والعاشر علم باصول يعرف بها صحيح اوزان الشعر وفاسدها .

والحادي عشر علم باصول يعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر وهو من العلوم المحمودة ، واما الذي نهى عنه السلف فالمخلوط بضلالات الفلاسفة المكفرة وغيرها بخلاف الخالي عن ذلك فلا ينهي عنه بل هو مطلوب لانه يتوقف عليه رد الشكوك في علم الكلام .

والثاني عشر علم باصول يعرف بها احوال الحفاظ للقرآن من حيث النطق بها وما يقرأ به كل من ائمة القراءة .

والثالث عشر علم باصول يعرف بها صلاح القلب وسائر الحواس لانه يبحث عن النفس وتصفيتها من الصفات المذمومة والتنبيه على مايعرض للعبادات والمعاملات من الآفات المهلكة ويبين الطرق المخلصة من ذلك . فالتصوف حده علم يعلم به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس وصفاتها المذمومة كالحقد والحسد والغش والغل وطلب العلو ويقال هو حفظ الحواس ومراعاة الانفاس مبناه على التمسك بآداب الشريعة والتباعد عن الشبهات وموضوعه افعال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية . وفائدته اصلاح الانسان ظاهراً وباطناً فان الصوفي من تصفى من الكدر وامتلأ من العبر وانقطع لعبادة ربه عن الشبه واستوى عنده والمدر ، واصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها وليس من الصوفي كمن قيل فيه :

لبست مرقّعاً وقلتا أنا الصوفي لست كما زعمتا

وقال بعضهم :

ليس التصوفُ لبسَ الصوف ترقعهُ	ولا بكاؤك إن غنّى المغنونا
ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طرب	ولا اضطرابٌ كأن قد صرت مجنونا
بل التصوفُ ان تصفو بلا كدرٍ	وتتبعَ الحقّ والقرآنَ والدينا
وان ترىَ خاشعاً لله مكتئبا	على ذنوبك طولَ الدهر محزونا

وحكم هذا العلم الوجوب العيني فيجب على كل ان يتعلم منه مايطهره من الاخلاق الرديئة ليحترز به عن امراض القلب المعنوية فيعلم حدها وسببها وعلاجها وقال بعض العلماء فيه تفصيل فمن رزق قلباً سليماً من هذه الامراض المحرمة كفاه الله ذلك ومن لم يسلم وتمكن من تطهير قلبه بغير تعلم العلم المذكور وجب تطهيره وان لم يتمكن الا بتعلمه وجب . واما علم اصول الدين فهو علم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية . وحكمه انه واجب عينيا بالدليل ولو اجمالياً وكفائياً بخصوص التفصيلي ، فيجب على كل مكلف ان يتعلم منه مايصحح اعتقاده على وفق أهل السنة والجماعة . وذلك ليحترز عن الاعتقادات الفاسدة كاعتقاد المعتزلة والمجسمة ، وواضعه ابو الحسن الاشعرى ومتابعوه والماتريدي ومتابعوه ، وأول من ألف فيه عمر بن عبيد وواصل بن عطاء من المعتزلة وهو اول من اظهر الخلاف وذلك انه كان في مجلس الحسن البصري فقال له بعضهم ياامام زعم اناس كفر من فعل كبيرة وآخرون انه لاتضر مع الايمان معصية فما الحق في ذلك ، فاطرق الامام لينظر في المسألة فأسرع واصل بن عطاء باثبات منزلة بين المنزلتين وعقد له مجلساً خاصاً وصار يقول الناس ثلاثة اقسام : مؤمن ، وكافر ، ولا مؤمن ولا كافر .

فلما بلغ ذلك الحسن قال اعتزلنا واصل فلذلك سمي ومن تبعه المعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن وكونهم وضعوه بمعنى انهم دونوا كتبه والا فقد جاء به كل نبي من لدن آدم . واستمداده من الكتاب والسنة والعقل ، وتسميته بعلم الكلام فلأن المستقدمين كانوا يقولون في الترجمة عن مباحثه الكلام في كذا ولانه قد كثر الاختلاف في مسئلة الكلام وماقيل من الطعن فيه والمنع منه فانما هو للمتعصب في

الدين والقاصر عن تحصيل اليقين والقاصد افساد عقائد المسلمين والخائض فيما لايحتاج اليه من غوامض المتفلسفين والا فكيف يتصور المنع عما هو اصل الواجبات وأساس المشروعات ولا يصح الحكم بوضوء شخص ولا بصلاته ، بل ولا بشيء من جميع عباداته الا اذا كان عالماً بهذه العقائد ولذا أنشد بعضهم :

ايها المقتدي لتطلب علما كل علم عبد لعلم الكلام
تطلب الفقه كي تصحح حكما ثم اغفلت منزل الاحكام

ثم انه أعنى التوحيد أفضل العلوم المقصودة فالقراءة فالتفسير فالحديث فاصول الفقه فالفقه وهو بعد صحة الايمان اهمها ونهايته مبادي التصوف المسماة بالطريقة وغايتها علم الحقيقة فالطب وهو تالي الفقه في الاهمية ولهذا قال الشافعي رحمه الله العلم علمان علم الفقه وعلم الطب للابدان والآلات أفضل من الطب ، وأهمها ثلاثة: النحو واللغة والحساب المراد لتصحيح المسائل .

(واعلم) أن الامام الغزالي رحمه الله قد بين العلوم المفروضه وغيرها في كتابه احياء علوم الدين وهانحن نورد هنا عبارته وهي : اعلم ان الفرض لايتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم ،والعلوم بالاضافة الى الغرض الذى نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية مااستفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ماهو محمود والى ماهو مذموم والى ماهو مباح فالمحمود مارتبط به مصالح امور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ماهو فرض كفاية والى ماهو فضيلة وليس بفريضة . اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امر الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين . فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة

والخياطة؛ فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك ، فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه ، فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله .

وإما مايعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه .

واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لاسخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه .

(أما العلوم الشرعية) وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها مايظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي اربعة اضرب :

(الضرب الاول الاصول) وهي اربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثالثة . وكذا الاثر فانه ايضاً يدل على السنة لان الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ماغاب عن غيرهم عيانه وربما لاتحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن .

(الضرب الثاني) الفروع وهو مافهم من هذه الاصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام لايقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضى اذا كان حاقناً او جائعاً او متألماً بمرض . وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا ، والثاني مايتعلق بمصالح الآخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المحمودة والمذمومة وماهو مرضي عند الله تعالى وما هو

مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهـــو الذي يحويه الشطر الاول من هذا الكتاب .

(والضرب الثالث) المقدمات وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هـــذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لاتظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ، ومن الآلات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضرورياً اذ كان رسول الله ﷺ امياً ولو تصور استقلال الحفظ بجميع مايسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضرورياً .

(الضرب الرابع المتممات) وذلك في علم القراءة فانه ينقسم الى مايتعلق باللفظ كتعلم القراءة ومخارج الحروف والى مايتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضاً على النقل اذ اللغة بمجردها لاتستقل به والى مايتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة ايضاً .

(واما المتممات) في الآثار والاخبار فالعلم بالرجال واسمائهم وانسابهـــم واسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليميز المرسل عن المسند ، وكذلك مايتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات اهـ ثم ان العلوم متعاونة بعضها يرتبط ببعض فينبغي للطالب الراغب ان لايستغرق عمره في فن واحد بل يأخذ من كل فن ولكن مع تقديم الاهم فالاهم ، وقد قيل اذا اردت ان تكون عالماً فاقتصر على علم واحد وان اردت ان تكون اديباً فعليك بكل العلم وقيل شعر :

إحرص على كل علم تبلغ الامـــلا فلا تموتن بعلم واحـــد كسلا

النحلُ لما رعت من كلِ مثمرةٍ ابدت لنا الجوهرينِ الشمعَ والعسلا
الشمع نورٌ منير يستضاء بـــه والعسل يُبري باذن الواحدِ العِللا

ثم ان العلم اي تعلمه وتعليمه ارفع وأفضل من سائر الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى لادلة اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر كقوله تعالى (شهد الله انه لا اله الأ هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط) وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعـالى (وقل رب زدني علما) وقال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) واما الاحاديث الصريحة الدالة على فضيلة طلب العلم والحث على تحصيله فقوله ﷺ (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) وقال ﷺ (لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس) وقال ﷺ لعلي رضى الله عنه (لان يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم) وقـال ﷺ (من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيأ ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ) وقال ﷺ (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية ، او علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له) وقال ﷺ (من سلك طريقاً يبتغي فيه علما سهل الله له طريقاً الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وان العالم يستغفر له ما في السموات وما في الارض حتى الحيتان في الماء ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافـــر) ومن الآثار عن علي رضي الله عنه قال (كفى بالعلم شرفاً ان يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه وكفى بالجهل ذماً ان يتبرأ منه من هو فيه) وقال معاذ رضي الله عنه : تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه قربة ، وبذله صدقة .

وقال الشافعي رضي الله عنه من لا يحب العلم لا خير فيه فلا تكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فان العلم حياة القلب ومصباح البصيرة ، وقال طلب العلم

أفضل من صلاة النافلة ، وقال رضي الله عنه من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم فانه يحتاج اليه في كل منهما وقال بعضهم :

وكلُّ فضيلةٍ فيهـا سناءُ ... وجدتُ العلم من هاتيك أسنَى
فلا تعتد غـير العلم ذخـراً ... فان العـلم كنزٌ ليسَ يفنى

(ولبعضهم)

تعلمْ فليس المرءُ يولدُ عالمـاً ... وليس اخو علمٍ كمن هو جاهلُ
وان كبيرَ القومِ لاعلمَ عندَه ... صغيرٌ اذا التفتْ عليه المحافـلُ

(قال بعضهم) لاشك ان العلم من اعظم المستزادات والفضائل المستجادات ولهذا كان الاشتغال به من اعظم الطاعات واولى ماانفقت فيـه نفائس الاوقات خصوصاً وقد وفق الله له الصفوة والخلاصة من عباده المكرمين واحباءه المقربين ، والعلماء أفضل الناس وأرفعهم قدراً وأحسنهم ذكراً وأشرفهم فخراً كما قيل :

ماالفخرُ إلا لاهلِ العلمِ إنهمُ ... على الهدى لمن استهدى ادلاءُ
وقدرُ كل امرىء ما كان يحسنُه ... والجاهلونَ لاهل العلم اعـداءُ
ياطالبَ العلم لاتبغي به بـدلاً ... فالناس موتى وأهلُ العلم أحياءُ

(ولله در القائل) :

تعلمْ فان العلم زينٌ لاهـله ... وفضلٌ وعنوانٌ لـكل المحامدِ
وكن مستفيداً كل يوم وليـلةٍ ... من العلمِ واسبحْ في بحورِ الفوائدِ

ثم ان ثمرة العلم ونتيجته هو العمل به طلباً لمرضاة الله عـز وجل فالعلم الـكامل هو العامل بعلمه وهو الذي وردت فيه الآيات والاخبار ، ويظهر حصول ادنى مراتب العلماء بالأتصاف بوصف العدالة كما قاله الشهاب ابن حجر فينبغي للعاقل ان يكون علمه مقروناً بعمله حتى يدخل في زمرة العلماء العاملين الذين اثنى عليهم الله في كتابه المبين فقال تعالى (شهدالله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) فقرن شهادتهم وشهادة الملائكة واثبت لهم العلم بقوله تعالى (والراسخون

في العلم) واثنى عليهم بان جعلهم منذرين لقوله (اذا رجعوا اليهم لعلهم يحـــذرون)
(ثم ان العلم بالتعلم) والتلقي من اربابه، وللاشتغال به آفات كثيرة منها الوثوق بالزمن المستقبل والوثوق بالذكاء فيفوته العلم بركونه الى ذكائه وتأخيره ايام الاشتغال ومنها التنقل من فن قبل اتقانه الآخر فانه هدم لما بني ومنها طلب الدنيا وولاية المناصب فهي شاغلة مانعة كما ان ضيق الحال مانع ايضاً ومنها التكاسل والتسويف فانهما مفوتان لكل مأرب وقد قيل شعر :

العلمُ مغرِسُ كل فخرٍ فاجتهدْ	ان لا يفوتنك فخرُ ذاك المغرِسِ
واعلمْ بانَ العلم ليسَ ينالهُ	مَنْ همُّه في مطعمٍ او ملبسِ
إلا اخو العزمِ الذي يُعنى به	في حالتيهِ عارياً أو مكتسي
فاجهدْ لتدركَ منه حظاً وافراً	واهجر له طيبَ الرقادِ واغلس
فلعلَّ يوماً ان حضرتَ بمجلس	كنتَ الرئيسَ وصدرَ ذاك المجلسِ

وقلت بفضل الله محرضاً لنفسي ولغيري على طلب العلم وبذل الهمـــة في تحصيله :

لك الفضلُ فانهض للفضائلِ جاهداً	وشمرْ لنيلِ المكرماتِ لتسعدا
وواظبْ على كسبِ العلوم فان في	تكسّبه الفضلَ المؤثّلَ والندى
هو العزُ للدارينِ فاقصده راغباً	لتبلغَ في الدارين عزاً مؤبـــدا
هو الذخرُ للعقبى وخيرُ تجارة	تنجّيك عن سبلِ الغواية والردّا
فشمر له ماساعفَ الدهرُ واعتصم	بحبلِ التقى ان النجاة به غدا

ومن فوائد العلم وثمراته التعليم للناس قال ﷺ (إنما بعثت معلمـــا) وينبغي لمن تصدى للتعليم بذل النصيحة للمتعلمين ، ومن النصيحة تذكـــيرهم فضيلة العلم ليكون سبباً لنشاطهم وزيادة رغبتهم في الخير ويزهدهم في الدنيا ويصرفهم عن الركون اليها والاغترار بها وتذكيرهم بان الاشتغال بالقرآن وسائر العلوم الشرعية هو طريقة عباد الله الصالحين العارفين ، قال بعضهم اذا جمع المتعلم العقل والادب وحسن

الفهم والمعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق فقد تمت النعم عليها وأنشد آخر فقال:

أخي لن تنال العلمَ إلا بستةٍ ... سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ
ذكاءٍ وحرصٍ واجتهاد وبلغةٍ ... وارشادِ استاذ وطولِ زمانِ

وقال ابن الوردي رحمه الله تعالى :

اطلب العلم ولا تكسل فما ... ابعدَ الخيرَ على اهلِ الكسلْ
واحتفل للفقه في الدينِ ولا ... تشتغلْ عنهُ بمالٍ وخولْ
واهجُرِ النومَ وحصّله فمن ... يعرفِ المطلوبَ يحقرْ مابذلْ
لاتقلْ قد ذهبتْ أربابهُ ... كلّ من سارَ علىالدربِ وصلْ
قيمةُ الانسان مايحسنهْ ... أكثر الانسان منهْ أو اقلْ

وأن للعلم آداباً فمنها ان لايخالف قول العالم فعله لئلا يدخل في عموم قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وفي الحديث القدسي عن ابي هريرة رضي الله عنه (اوحى الله الى عيسى ابن مريم عليه السلام ياعيسى عظ نفسك بحكمتي فان انتفعت فعظ الناس والا فاستحِ مني) رواه الديلمي ومن هذا قال الابوصيري :

استغفرِ اللهَ من قولٍ بلاعملٍ ... لقد نسبتُ به نسلاً لذي عُقمِ
امرتكَ الخيرَ لكن ماأئتمرتُ به ... وما استقمتُ فما قولي لكَ استقمِ

(وقال غيره) :

وغيرُ تقي يأمرُ الناسَ بالتقى ... طبيبٌ يطب الناسَ وهو عليلُ

(وقال آخر) :

يا ايها الرجلُ المعلم غيرَهُ ... هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
ابدأْ بنفسك فانهها عن غيّها ... فاذا انتهتْ عنه فانت حكيمُ
لاتنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

وفي الحديث معنى من علم ولم يعمل بما علم عذب قبل عبـــدة الاصنام وهذا هو العالم المذموم الذي هو كمثل السراج يضيء لغيره ويحرق نفسه ، وقدكان ابراهيم بن ادهم يقول قد غلب على العباد والنساك التهاون بالذنوب حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لايشعرون ، اقبلوا على أكل الحرام ، وتركوا طلب الحلال ورضوا عن العمل بالعلم ، يستحي احدهم ان يقول فيما لا يعلم لا أعلم هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة اذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح ان سألوا ألحوا وان سئلوا شحوا لبسو الثياب على قلوب الذئــاب اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه لرفع اصواتهم باللغو والجدال والقيل والقال واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا فاياكم ومجالستهم اه وقال بعض اهل الاشارات :

تعلمْ ماالستطعتَ لقصدِ وجهي — فانَّ العلم من سفنِ النجاةِ
وليس العلمُ في الدنيا بفخــرٍ — اذا ماحلّ في غـــيرِ الثقــاةِ
ومن طلب النجاة لغـير وجهي — بعيدٌ أن تراه من الهـــداةِ

ولعل في كلام الحبيب نفع الله به باشارته الى سمو العالم بعلمــه في الحشر معنى الحديث المروى عن عمر ان ابن عطيــة رضي الله عنه حيث قال : قال رسول الله ﷺ (اذا كان يوم القيامة وضعت منابر من ذهب عليها قباب من فضة مفضضة بالدر والياقوت والزبرجد حللها السندس والاستبرق ، ثم ينادي مناد اين من حمل الى امة محمد ﷺ علماً يريد به وجه الله عز وجل وهو سبحانه وتعالى اعلــم ، فيجاء بالعلماء الذين ارادوا بعلمهم وجه الله تعالى فيقال لهم اجلسوا على هذه المنــابر فلا خوف عليكم اليوم حتى تدخلوا الجنة) انتهى .

وقد كان بشر الحافي يقول يا طالب العلم انما انت متلذذ متفكه بالعلم تسمع وتحكي لاغير ولو عملت بما علمت لتجرعت مرارة العلم ويحك انما يراد بالعلــم العمل فاسمع ياأخي وتعلم ثم اعمل واهرب ألا ترى الى سفيان الثوري رضي الله عنه كيف طلب العلم وتعلم وهرب فان طلب العلم يدل على الهرب من الدنيا لا على حبها (وكان يقول) كان العلماء رضي الله عنهم موصوفين بثلاثة اشياء : صدق اللسان ،

وطيب المطعم ، وكثرة الزهد في الدنيا ، وأنا اليوم لاأعرف في هؤلاء احداً فيه واحدة من هذه الخصال ثم يقول : ويحكم ياعلماء السوء أنتم ورثة الانبياء وانما ورثوكم العلم فحملتوه ، وزغتم عن العمل به ، وجعلتم علمكم حرفة تكسبون بها معاشكم ، انتهى .

ومما ينبغي للعالم بل يتأكد ذلك سيما في هذا الزمان ان لايشوب علمه بالطمع وان يكون شريف النفس غير مخالط لاهل المعاصي وأبناء الدنيا مالم يكن لمصلحة عامة او خاصة فلا بأس بذلك ، وفي البخاري لاينبغي لاحد عنده شيء من العلم ان يضيع نفسه ولذا قيل في هذا المعنى شعر :

ولم أبتذلْ فيخدمة العلم مهجتي	لاخدمُ من لاقيتَ لكن لاخدما
أأشقى بــه غرساً واجنيه ذلةً	اذاً فاتباعُ الجهلِ قدكان أحزما
ولو أناهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموهُ في الصدور لعظما
ولكنْ أهانوه فهانوا ودنسوا	محيّاه بالاطماع حتى تجهما

وينبغي ايضاً لمن اراد تحصيل العلم ان يلاحظ مافي هذين البيتين من الارشاد فانه يلغ بمجموع ذلك المراد من رب العباد :

شكوتُ الى وكيع سوء حفظي	فارشدني الى ترك المعاصي
واخبرني بان العلم نورٌ	ونورُ الله لايُهدى لعاصي

(قال ابن عباد) في شرح الحكم قال الشيخ ابو عبدالرحمن السلمي رضي الله عنه كل علم لايورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم ولا يحمله على حسن معاملة الله تعالى واداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لاينفع ، وهو الذي استعاذ منه النبي ﷺ فقال (أعوذ بك من علم لاينفع) ووصف الله تعالى العلماء بالخشية فقال (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال رجل للشعبي ايها العالم فقال اسكت ، العالم من يخشى الله تعالى ، وقال بعض السلف من ازداد علماً فليزدد خشوعاً ، وقال رجل للجنيد أي العلم انفع قال

مادلك على الله تعالى وأبعدك عن نفسك ، قال والعلم النافع مايدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة ابواب اربابها وترك مافيها على من فيها من اهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم اولياء الله تعالى والاقبال على مايعنيه اهـ .

(ولا يخفى ان كل ماورد) في فضل العلم انما هو فيمن طلبه مريداً به وجه الله عز وجل فمن اراده لغرض دنيوي كمال او رياسة او منصب او شهرة او نحو ذلك فهو مذموم ، قال الله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) وقال ﷺ (من تعلم علماً ينتفع به في الآخرة يريد به غرضاً من الدنيا لم يرح رائحة الجنة) اي لم يجد ريحها وقال ﷺ (اشد الناس عذاباً يوم القيامة اي من المسلمين عالم لا ينتفع بعلمه) وفي ذم العالم الذي لم يعمل بعلمه اخبار كثيرة فلا نطيل بذكرها وهذا القدر كاف لمن ألقى السمع وهو شهيد .

﴿ تنبيه ﴾ اعلم ان حديث سيدنا جبريل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قد تضمن اقسام العلوم الثلاثة : الاسلام ـ والايمان ـ والاحسان . فالاول هو علم الفقه ، والثاني هو علم اصول الدين ، والثالث هو علم التصوف . ومن المعلوم بداهة ان فائدة الفقه الذي هو حكم الاسلام امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولذا يجب تعلم مايتوقف عليه صحة مايجب على المكلف ان يفعله من الفروض العينية من مسائلها الظاهرة مما لاتصح العبادة وشروطها ولا يمكنه أداؤها الآن به ويتعين تعلم الاحكام الظاهرة دون الدقائق والمسائل التي لاتعم بها البلوى ويلزم من له مال دون غيره تعلم احكام الزكاة ومن اراد التلبس بحج أو عمرة تعلم احكامها وتعلم احكام كل مايريد تعاطيه من البيوع واحكام مايحتاج اليه في المعاملات والناكحات ونحوها اذ التلبس بالعبادة الفاسدة وتعاطي المعاملات الفاسدة حرام والا كان كمن ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء ولذا كان علم الفقه أجل نفعا .

إذا ما اعـتزّ ذو علم بعلم ... فعلمُ الفقهِ أولى باعتزازِ

(وأما) التصوف الذي هو حكم الايمان فلا يعتد بصاحبه من دون فقه اذ هو حكم الاحسان وقد بين الشارع الاسلام قبل الاحسان كما مر مبسوطاً في حديث سيدنا جبريل عليه السلام فليكن التعلم كذلك ، قال الامام الغزالي من حصل العلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل الفقه خاطر بنفسه (وقال) سيدي علي الخواص لا يكون الرجل معدوداً عندنا من اهل الطريق حتى يكون عالماً بالشريعة المطهرة مجملها ومفصلها ناسخها ومنسوخها خاصها وعامها ومن جهل حكماً واحداً سقط عن درجة الرجال .

قال الامام الشعراني فقلت له ياسيدي ان غالب مسلكي هذا الزمان على هذا ساقطون عن درجة الرجال قال نعم ان هؤلاء يرشدون الناس الى بعض امور دينهم ، وأما السالك فهو من لو انفرد في جميع الوجود لكفى الناس كلهم من العلم في سائر مايطلبونه اه وقد قيل ان وجود الشيخ كالكبريت الأحمر وكالعنقاء ولذلك قال الغوث أبو مدين نفعنا الله به :

واعلمْ بأن طريقَ القوم دارسةٌ ... وحالُ من يدعيها اليوم كيف ترا
متى اراهمْ وأنىّ لي برؤيتهـمْ ... أو تسمعُ الأذنُ مني عنهم خبرا
من لي وأنىّ لمثلي أن يزاحمهم ... على مواردَ لم ألف بها كدرا
أحبُّهم وادارِيهم وأوثرُهم ... بمهجتي وخصوصاً منهم نفرا
قومٌ كرام السجايا حيثما جلسوا ... يبقى المكانُ على آثارهم عطرا
يهدى التصوف من اخلاقهم طرفاً ... حسنُ التألف منهم راقني نظرا
هم أهل ودي واحبابي الذي همو ... ممن يجرُّ ذيول العز مفتخرا

(وهاهنا) فائدة احببت ذكرها لان لها تعلقاً بغرضنا في الجملة وهي ان الاخذ من شيخ كامل يقتدي بآثاره ويهتدي بأنواره مما يتعين على مريد السلوك اذ لم يبلغ أحد قط الى حالة شريفة الا بملاقات المشائخ ومعانقة الادب معهم وملازمة

خدمتهم ، قال الامام القشيري رحمه الله تعالى يجب على المريد ان يتأدب بشيخ فانه من لم يكن له استاذ لا يفلح أبداً هذا ابو يزيد يقول من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان . وقال حجة الاسلام الامام الغزالي رحمه الله تعالى في ربع المهلكات ان المريد يحتاج إلى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طرقه ، فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خبير خاطر بنفسه وأهلكها ، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي نبتت بنفسها فانها تجف على القرب ، وان بقيت مدة وأورقت لم تثمر ، فمعتصم المريد شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطيء البحر بالقائد ، بحيث يفوض امره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقي في متابعته شيأ ولا يذر ، ويعلم ان نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب ، انتهى كلامه .

وقال ابو العباس المرسي نفعنا الله به واذاقنا من حلاوة مشربه وكل من لم يكن له استاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف له عن قلبه القناع فهو في هذا الشرع لقيط لا اب له دعي لا نسب له ، انتهى .

ولا بد ان يكون المرشد كاملا في العلم والعمل . وقد ذكر بعضهم الاوصاف التي ينبغي ان تكون في الشيخ فقال :

إذا لم يكن في الشيخ خمس فوائد	وإلا فدجال يقود الى الجهل
بصيرٌ باحكام الشريعة عارفٌ	ويبحث في علم الحقيقة عن أصل
يبادر للوراد بالبشر والقرى	ويخضع للمسكين في القول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره	جدير بتمييز الحرام من الحل

(وكان) سيد الطائفة الامام الجنيد قدس سره يقول : لا يستحق الرجل أن يكون شيخاً حتى يأخذ حظاً من كل علم شرعي ، وان يتورع عن جميع المحارم وان يزهد في الدنيا ، وان لا يشرع في مداواة غيره الا بعد فراغه من مداواة نفسه ثم قال فاياك ومتابعة من لم يكن على هذه الاوصاف فانه من جنود الشيطان ، واعتبر

اقواله وافعاله واحواله وزنها بميزان الشريعة والطريقة ، فان رأيت شيأ مخالفاً لهما فرده فان كان صاحب حال صحيح ورددته فما عليك من رده بحكم الشرع ولا تتخذه شيخاً ومرشداً ولسيدي الناظم نفعنا الله به في تائيته الكبرى :

ولا بد من شيخ نسير بسيره ... الى الله من اهل النفوس الزكية
من العلماء العارفين بربهم ... فان لم تجد فالصدق خير مطية

(واعلم) ان المسلك الآهل يكاد ان يكون في زماننا كالعنقاء ، كما ان ان المريد على سبيل السلوك قليل اذ هو من له ارادة صادقة وهمة عالية وصبر على المجاهدة وعلى الخروج من اوامر نفسه واختياراتها ودخوله في اوامر شيخه واختياراته . ويكون كالميت بين يدي الغاسل كما قرره اهل هذا المقام . بل قالوا بان التفات المريد الصادق الى غير شيخه المستجمع للخصال الحميدة موجب للحرمان عن الحصول على مابه الوصول . اما اذا كان المريد لقصور همته لاله طلب في السلوك والتجريد بل طلبه على سبيل التبرك كما عليه الاكثر بل العامة في زماننا الا القليل جداً فلا بأس بالاخذ ممن اتصف بالعدالة وبعض الخصال المحمودة آخذ من شيخ محمود الخصال كذلك اذ القصد حينئذ الاتصال بسلسلة القوم فهو كالواسطة مثل الروايات وغيرها وهو شبيه بفتوى مقلد المجتهد فالحكم هنا كالمفتي هناك والمقاصد عائدة الى الله تعالى وما ألطف قول الامام الجيلي قدس سره :

وان ساعد المقدور أو ساقك القضا ... الى شيخ صدق في الحقيقة بارعُ
فقم في رضاه واتبع لمراده ... ودع كلما من قبل كنت تصانع
وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبهُ ماشاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من امره ... عليه فان الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه وان يكن ... على غير مشروع فثم مخادع
ففي قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل غلام والكليم يدافع
فلما اضاء الصبح عن ليل سره ... وسل حساماً ما للمحاجج قاطع
أقام له العذر الكليم وانه ... كذلك علم القوم فهو بدائع

هذا اذا كان الشيخ ثبتت المزية المعتبرة لثبوت هذا الحكم له حينئذ اما اذا كان ممن قيل فيهم من بعض واصفيهم :

اما الخيامُ فانهـا كخيامهمْ وأرىَ نساءَ الحي غيرَ نسائها

فلا يكون هذا الحكم له ولا ينبغي حينئذ ان يتقيد بشيخ واحد ، قال الامام الشعراني في الانوار القدسية رحمه الله تعالى احذر ان تقتصر على شيخ واحد في هذا الزمان فانه تحجير عليك وقلة نفع لك ، بل اعتقد في كل شيخ يحصل لك الخير على يديه او انما كان اهل العصر الخالي يفيدون بذلك تلامذتهم لانهم كانوا اولياء عارفين بالله وبالاحكام حتى لو فقد الجواب من طريق النقل اجابوا من طريق الكشف ، واما مشائخ هذا الزمان فليس لهم من العلم اللدنى شيء اه .

(وقال) الامام الغزالي : ان متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة من السماع والرقص والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر وتنفس الصعداء وخفت الصوت في الحديث الى غير ذلك فظنوا بذلك انهم منهم فلم يتعبوا انفسهم في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية ، وكل ذلك من اوائل منازل المتصوفة ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا أنفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا حولها ، بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الفلس والرغيف والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ، ويمزق بعضهم اعراض بعض وليسوا من الرجال ، بل هم أعجز من العجائز في المعارف ، فاذا كشف عنهم الغطاء فوافضيحتاه على رؤوس الاشهاد اه .

﴿ تتمة ﴾ الخرقة الصوفية المعروفة عند الصوفية لاسيما صوفية وعلماء وأولياء الجهة الحضرمية ومن شأنها استمداد بعضهم من بعض فهي محمودة عمل بها كثيرون من علماء وأولياء الجهة الحضرمية كما يعلم ذلك من اطلع على الكتب المؤلفة في مناقبهم وسيرهم لانها من اسباب عقد الصحبة والتحكيم المستحبين عند الصوفية ، قد استحسنها جماعة من الشيوخ العارفين والائمة المحققين وصفة التحكيم معلومة عند

اهله ، ومن تأمل كلام القوم ظهرت له فوائدها وثمرتها ، والامام السهروردي كلام نفيس في ذلك ، حاصله ولبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ نفسه والتحكيم شائع في الشرع لمصالح دنيوية فماذا ينكر المنكر في لبس الخرقة على طالب صادق في طلبه يقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكمه في نفسه ومصالح دينية يرشده ويهديه ويعرفه طرائق المواجيد ، ويبصره بآفات النفوس وفساد الاعمال ومداخل الشيطان ،فيسلم نفسه اليه ويستسلم لرأيه في جميع تصاريفه فيلبسه الخرقة اظهاراً للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ، ودخوله في حكم الشيخ دخول في حكم الله وحكم رسوله ، واحياء لسنة مبايعته ﷺ ثم انها كما قاله الولي الصالح الشيخ ابو بكر بن عبدالله السقاف في الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف ثلاث خرق من حيث رسوم الاحكام خرقة مجازية ، وهي خرقة التأليف ، وخرقة جوازية وهي خرقة التعريف ، وخرقة اجازية وهي خرقة التصريف فالخرقة المجازية للمحبين المتشبهين وبها يتألفون مشاهد الطرق والخرقة الجوازية للمريدين المتمسكين وبها يتعرفون وبها يتصرفون في مقاعد احكام العلم والتحقيق ، فخرقة الطبقة الاولى لطلابها رعاية ، وخرقة الطبقة الثانية لاصحابها هداية ، وخرقة الطبقة الثالثة لاربابها ولاية ، وكون الخرقة الاولى مجازية هو لعدم تحقق لابسها بحكمها ، وكون الثانية جوازية هو لجواز المريد بها على منهاج حكمها وعلمها ، وكون الثالثة اجازية هو لتنصلها بحكم الاجازة لولى رسمها وانما سمي هذا اللباس خرقة وخصص بهذه التسمية ، وهي تقع عبارة عن الطاقية والقميص والعمامة والطيلسان وغير ذلك مما يقع به اسم اللبس ويصح عليه حكم اللباس لان هذا الاسم باشتمال بركته وعموم اشارته يقع في جميع الملبوسات ، فيجوز ان يسمى جمع الملبوسات من الازر والقميص والاردية والعمائم والاقبية وما فوق ذلك وما دون ذلك كلها خرقاً حسنها وخشنها وكثيفها ولطيفها .

(واما الاجازة) فهي في الاصطلاح كما قاله السيوطي نقلا عن السمين اذن في الرواية من المجيز للمجاز بلفظ او خط يفيد الاخبار الاجمالي عرفاً ، وقد

عملها السلف والخلف وقد يراد بها في زماننا اخذ الطريقة وتلقين الذكر ممن تأهل لذلك حرصاً على الاتصال بسلسلة القوم الى من عليه المعول ليحصل له المدد بحسب النية . واصل التلقين ماروي عن شداد ابن اوس انه قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال (هل فيكم غريب يعني من اهل الكتاب ، قلنا لا يارسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال ارفعوا ايديكم وقولوا لا إله إلا الله ، فرفعنا ايدينا وقلنا لا إله إلا الله ثم قال رسول الله ﷺ ابشروا فان الله قد غفر لكم) .

وروي ان علياً كرم الله وجهه قال يارسول الله دلني على اقرب الطرق الى الله واسهلها عبادة فقال ﷺ (أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ثم قال علي كيف اذكر يارسول الله ، فقال اغمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ، ثم قل انت ثلاث مرات وانا اسمع ، فقال ﷺ لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته ، وعلي يسمع ثم قال علي لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته والنبي ﷺ يسمع قلت لازال الكمل العارفون يلقنون مريدهم على هذه الكيفية عملا باصل هذا السند ، ثم يأمرون المريد بما يليق به من الاوراد والاذكار ، ويرشدونه الى الآداب وهي مذكورة في كتبهم .

﴿ تتمة ﴾ ذكر العلامة المرشد سيدي عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس المقبور في مصر رحمه الله تعالى ونفعنا به انه يعدم المربون في آخر الزمن ويصير مايوصل الى الله تعالى الا الصلاة على النبي ﷺ مناماً ويقظة وان جميع الاعمال منها المقبول ومنها المردود الا الصلاة على النبي ﷺ فانها مقطوع بقبولها اكراماً له ﷺ ، وحكي اتفاق العلماء على ذلك ، انتهى .

(واما العلوم الشرعية) فقد افهم تعبير الناظم نفع الله به بقوله وخذ من علوم الدين الخ .. ان الاخذ من شيخ له تمام الاطلاع مما يتعين على طالب العلم واما مجرد المطالعة بغير شيخ اتكالاً على الفهم فقليلة الجدوى اذ لا بد ان تعرض عليه مشكلات لاتتضح له إلا ان حلها شيخ ولذا قال الشاعر :

من يأخذ العلمَ عن شيخٍ مشافهةً ... يكنْ عن الزيغ والتحريف في حرم

ومن يكن آخذاً للعلم عن صحف ... فعلمه عند اهل العلم كالعدم

(وقال آخر) :

أمدعياً علماً وليس بقارىء ... كتاباً على شيخ به يسهل الحزنُ
أتزعم ان الذهن يوضح مشكلا ... بلا مخبر تالله قد كذب الذهنُ
وإن ابتغاء العلم دون معلم ... كموقد مصباح وليس له دهنُ

(وقال آخر) :

يظنُّ المرء ان الكتب تجدي ... أخا فهم لادراكِ العلومِ
وما يدري الجهول بان فيها ... غوامض حيرت عقل الفهيمِ
اذا رمتَ العلوم بغير شيخ ... ضللت عن الصراط المستقيمِ
وتلتبسُ الامورَ عليك حتى ... تصيرَ أضل من توما الحكيمِ

(وقال آخر) :

ليس في الكتب والدفاتر علم ... انما العلم في صدور الرجال
كل من يطلب العلوم فريداً ... دون شيخ فانه في ضلال

ولما كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة كما في الحديث ذكروانثى وحر وعبد قدمه الناظم قبل دراسة القرآن فقال نفعنا الله به وبعلومه .

﴿ وواظب على درسِ القُرآن فان في

تلاوتِه الاكسيرَ والشرحَ للصدرِ ﴾

المواظبة هي المداومة وفي الحديث (خير العمل مادووم عليه وان قل) والقرآن عند اهل اصول الفقه اللفظ المنزل على محمد ﷺ المعجز بسورة المتعبد بتلاوته ، وهو الذي اراده الناظم هنا ، وأما عند اهل أصول الدين فاسم لمدلول ذلك وهو المعنى النفسي القائم بذاته تعالى ؛ ومذهب أهل السنة أنه غير مخلوق اعني

القرآن بمعنى الكلام النفسي القائم بذاته تعالى . ومذهب اهل السنة انه غير مخلوق اعنى القرآن بمعنى الكلام النفسي بل هو غير موجود أزلاً وابداً كبقيات الصفات القديمة ، ولا يوصف بالحدوث ولا بالاصوات لحدوثها ، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي تقرأه فهو مخلوق لكن يمتنع ان يقال انه مخلوق ويراد به اللفظ الا في مقام التعليم لانه ربما أوهم ان القرآن بمعنى كلامه مخلوق ، ولذا امتنعت الائمة من القول بخلق القرآن وقد وقع في ذلك امتحان كبير لخلق كثير من اهل السنة فخرج البخاري فاراً وقال اللهم اقبضني اليك غير مفتون فمات بعد اربعة ايام ، وسجن عيسى بن دينار عشرين سنة ، وسئل الشعبي فقال اما التوراة والانجيل والزبور والفرقان فهذه الاربعة حادثة واشار الى اصابعه فكان سبب نجاته . واشتهرت ايضاً عن الامام الشافعي رضي الله عنه وحبس الامام احمد وضرب بالسياط حتى غشى عليه .

(قال الامام الشعراني) في القواعد الكشفية واعلم يأخي ان مسئلة كيفية كلام الله تعالى والكلام على حدوثه وقدمه من عضال المسائل وقد حصل بسببهما ضرب وقتل لبعض الائمة فلنذكر لك احسن مارأيناه من كلام العارفين فنقول وبالله التوفيق ، اعلم ان القرآن يطلق بالاشتراك على معنيين كما قال الكمال ابن ابي شريف احدهما الكلام القائم بالذات الاقدس ، الثاني اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان القرآن بالمعنى الاول محل نظر علماء اصول الدين وبالمعنى الثاني محل نظر علماء العربية والفقه ووجه الاضافة في تسميته كلام الله تعالى بالمعنى الاول انه صفة الله تعالى ، وبالمعنى الثاني انه تعالى انشاه برقومه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) او بحروفه في لسان الملك لقوله تعالى (انه لقول رسول كريم) ثم قال وقد منع السلف الصالح القول بكون القرآن مخلوقاً بالمعنى الثاني أدباً واحتراماً عن ذهاب الوهم الى القرآن بالمعنى الاول الذي هو كلام الله النفسي القائم بذاته تعالى .

وقال الامام ابن العربي في الباب التاسع والستين وثلاثمائة المراد بقوله تعالى

ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث انه محدث الاتيان لهم لا الوجود فهو قديم في العين حادث في الاتيان ثم قال ومما يدلك على ان الكلام لله والترجمة للمتكلم قوله تعالى مقسما انه يعني ان القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما اضافه تعالى الى نفسه فاجره حتى يسمع كلام الله ، فاذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى عليه السلام لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السامعين ابعد من بعد المشرقين لان الذي يدركه من سمع كلام الله بلا واسطة لايساويه من يسمعه بالواسطة .

وقال في باب الاسرار ذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان انه كلام الرحمن مع تقطع حروفه في اللسان ونظم حروفه فيما رقم باليراع والبنان فحدثت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكم على العقول والاوهام بما عجزت عن ادراكه الافهام . وقال فيه ايضاً الذكر القديم ذكر الحق وان حكى مانطق به الخلق كما ان الذكر الحادث مانطق الخلق وان كان كلام الحق اذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان عبده ، فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من تسنيم ، لايعرف الحق في هذه المسألة الا من كان الحق قواه ولا يكون قواه الا ان ايده وقواه .

ثم قال : فان قال قائل فهل كان يجوز لرسول الله ﷺ ان يتصرف فيما انزل عليه بعبارة اخرى نظير جواز رواية الحديث بالمعنى للعارف ، فالجواب لايجوز لاحد ان يعتقد ان رسول الله ﷺ تصرف في اللفظ المنزل عليه او انه رواه بالمعنى لانه لوصح في حقه ذلك لكان مبيناً لنا صورة فهمه ﷺ لا صورة مانزل عليه وقد قال تعالى (لتبين للناس مانزل اليهم) وقال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك) اه مع تصرف واعلم ان القرآن العزيز يطلق عليه شرعاً اطلاقاً حقيقياً لامجازياً انه مكتوب في الالواح والمصاحف باشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه قال ﷺ (لاتسافروا بالقرآن الى ارض العدو مخافة ان يناله العدو) وانه مقروء بالالسنة بحروفه الملفوظة المسموعة بآذاننا ، وانه محفوظ بالاذهان في الصدور واتصاف القرآن بهذه الثلاثة وبانه غير مخلوق اي موجود وجوداً في

الخارج ووجوداً في الذهن ووجوداً في العبارة ووجوداً في الكتابة فهي تدل على العبارة وهي على مافي الذهن وهو على مافي الخارج ، فباعتبار الوجود الذهني محفوظ في الصدر وباعتبار الوجود اللساني مقروء بالالسنة وباعتبار الوجود البناني مكتوب في المصاحف وباعتبار الوجود الخارجي وهو المعنى القائم بالذات المقدسة ليس في الصدور ولا في الالسنة ولا في المصاحف ، لان المعنى القائم بالذات لايمكن انفكاكه عن الذات ويقوم بالغير ، اما حيث يراد بالقرآن المعنى القائم به تعالى فوصفه بهذه الثلاثة مجاز قطعاً كما في حاشية العلامة البناني على شرح جمع الجوامع من وصف المدلول بصفة الدال لكون المقروء دالاً على المعنى المذكور وكذا المحفوظ والمكتوب .

(ثم) ان في دراسة القرآن فضائل عظيمة دلت عليها الآيات وصرحت بها الاحاديث النبويات قال تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله) الآية ، وقال تعالى (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا تتلى عليهم) الآية .

وورد عنه ﷺ (افضل عبادة امتي قراءة القرآن) وقال ﷺ يقول الرب تبارك وتعالى (من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي اعطيته افضل ماأعطى السائلين) وقال ﷺ (يا ابا ذر لان تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من ان تصلي مائة ركعة) الحديث ، وقال رسول الله ﷺ (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران) رواه البخاري ومسلم .

وقال رسول الله ﷺ (ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين) رواه مسلم .

وقال رسول الله ﷺ (أقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لاصحابه) رواه مسلم :

وقال رسول الله ﷺ (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة

والحسنة بعشر امثالها لا اقول الٓمٓ حرف ولكن الف حرف ولام حـــرف وميم حرف) رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيـح .

وقال ﷺ (خيركم من تعلم القـرآن وعلمه) ولا ينافي استحبـاب المواظبة على درس القرآن قوله تعالى (فاقرؤا ماتيسر منه) لان المراد به الاعم من المقدار والجنس او النوع كما قاله في خزينة الاسرار .

وقال ﷺ (من قرأ القرآن وعمل بما فيـــه ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمـــل بهذا) رواه ابو داود .

وروى الدارمي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال (اقرؤا القرآن فان الله لايعذب قلباً وعى القرآن ، وان هذا القرآن مأدبة الله ، فمن دخل فيه فهو آمن ، ومن احب القرآن فليبشر) .

ويروى عن النبي ﷺ انه قال (القرآن افضل من كل شيء فمن وقر القرآن فقد وقر الله . ومن استخف بالقرآن استخف بحق الله حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله ، المعظمون كلام الله ، الملبسون نورالله ، فمن والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد استخف بحق الله عز وجل) .

وعن سيدنا علي كرم الله وجهه (من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة فله بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأ في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ، ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات) .

وفي الحديث (القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه) .

(قال الامام النووي) الاوقات المختارة للقراءة افضلها ما كان في الصلاة ، ثم الليل ، ثم نصفه الاخير وهي بين المغرب والعشاء محبـــوبة ، وأفضل النهار بعد الصبـح .

وقال الامام السيوطي والأفضل الختم اول النهار أو أول الليل لما رواه الدارمي بسند حسن عن سعيد ابن ابي وقاص قال : اذا وافق ختم القرآن اول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وان وافق ختمه اول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي) قال في الاحياء ويكون الختم اول النهار في ركعتي الفجر واول الليل في ركعتي سنة المغرب عن ابن المبارك يستحب الختم في الشتاء اول الليل ، وفي الصيف اول النهار (ويستحب كما في الاتقان) التكبير بعد قراءة كل سورة من الضحى الى آخر القرآن العظيم واستحباب ذلك عند كثير من العلماء .

(وفي النشر) اختلف القراء في ابتدائه هل هو اول سورة الضحى او آخرها وفي انتهائه هل هو سورة الناس أو آخرها وفي وصله باولها وقطعه والخلاف في الكل مبني على أصل وهو انه هل هو لاول السورة او لآخرها وفي لفظه فقيل الله اكبر وقيل لا اله الا الله والله اكبر ، وسواء في التكبير الصلاة وخارجها صرح به السخاوي وابو شامة ، ومن المستحب عمل الحال المرتحل وهو ان يقرأ من اول سورة البقرة شيأ بعد ان يختم قل اعوذ برب الناس في الصلاة وغيرها لخبر الترمذي وغيره (احب الاعمال الى الله الحال المرتحل) الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل واخرج الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن ابي ابن كعب ان النبي ﷺ (كان اذا قرأ قل اعوذ برب الناس افتتح من الحمد ثم قرأ من البقرة الى اولئك هم المفلحون ، ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام) .

قال الامام النووي : في الاذكار ينبغي ان يحافظ على تلاوته ليلا ونهاراً سفراً وحضراً .

وقد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه فكان جماعة منهم يختمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وختم بعضهم في اليوم والليلة ثماني ختمات أربعاً في الليل واربعاً في النهار ، والمختار ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم مايقرأ ، وكذا من كان مشغولا

بنشر العلم او فصل الحكومات بين المسلمين او غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه اخلال بما هو مرصد له ولا فوات كماله ، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما امكنه من غير خروج الى حد الملل او الهذرمة في القراءة ، وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة ويدل عليه ما رويناه بالاسانيد الصحيحة في سنن ابي داود والترمذي والنسائي وغيرها عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لا يفقه من قرأ القرآن في اقل من ثلاث واما وقت الابتداء والختم فهو الى خيرة القارىء فان كان يختم في الاسبوع مرة فقد كان عثمان رضي الله عنه يبتدي ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس .

وقال الامام ابو حامد الغزالي في الاحياء الافضل ان يختم ختمة بالليل واخرى بالنهار ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل اول النهار وآخره اه .

(فائدة) قال الامام السيوطي الاجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدي للاقراء والافادة فمن علم من نفسه الاهلية جاز له ذلك وان لم يجزه احد وعلى ذلك السلف الاولون والصدر الصالح . وكذلك في كل علم وفي الاقراء والافتاء خلافاً لما يتوهمه الاغبياء من اعتقاده كونها شرطاً وانما اصطلح الناس على الاجازة لان اهلية الشخص لا يعلمها غالباً من يريد الاخذ عنه من المبتدئين ونحوهم لقصور مقامهم عن ذلك . والبحث عن الاهلية قبل الاخذ شرط ، فجعلت الاجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بالاهلية ، وقال ايضاً لا يحتاج قراءة القرآن الى نية كسائر الاذكار الا اذا نذرها خارج الصلاة فلا بد من نية النذر او الفرض ولو عين الزمان فلو تركها لم يجز نقله القمولي في الجواهر اه .

﴿ واعلم ﴾ ان القرآن العظيم من افضل المعجزات الظاهرة على يده ﷺ لكونه آية باقية بعد موته ﷺ لا تعدم الى يوم القيامة وتكفل الله تعالى بحفظه عن التحريف والزيادة والنقصان بقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الخ) قال

الباجوري ولا خلاف في ان القرآن بجملته معجز وانما الخلاف في اقل مايقع به الاعجاز من ابعاضه واختار جمهور اهل التحقيق ان اقـــله اقصر سورة منه او ثلاث آيات ، وقال القاضي عياض ان اقله سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية او آيات في قدرها الى ان قال : والذي ذهب اليه الجمهور ان وجه اعجازه كونه في اعلا طبقات البلاغة والفصاحة مع اشتماله على الاخبار بالمغيبات ودقائق العلوم وأحـــوال المبدأ والمعاد وغير ذلك مما لايحصى ، انتهى باختصار .

والحاصل ان ماانتهت اليه عقول البشر من بلاغته ظاهر لكل احـــد ظهور الشمس من بلوغه من مراتب البلاغة المرتبة العليا لفظاً ومعنى ، حتى ان اعرابياً سمع قارئاً يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وقرأ رسول الله ﷺ ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية على الوليـــد بن عتبة القرشي فقال الوليد اعد فأعاد فقال والله ان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغـــدق وان له حلاوة وان عليه لطلاوة ومايقول هذا بشر وسمع نصراني قوله تعالى (ومن يخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) فقال جمعت هذه الآية ماأنزل على موسى من امور الدنيا والآخرة ، وفصل بعض بلغاء المتأخـــرين كلاماً رام ان يشابه بعض السور فسمع صبياً يقرأ (وقيل ياارض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر) فتاب ومحى ماعمل فقد اجتمع في هـــذه الآية المختصرة من لطـــائف المناسبات والاشارات البليغة مايبهر عقول البلغاء مما يوجب ان تكـــون هذه الآية بمفردهـا معجزة مستقلة ، وقد اشار الامام السيوطي في الاتقـان الى مافيهـــا من انواع البديع فذكر (المناسبة) التامة بين أقلعي وابلعي (والاستعارة فيهما) (والطباق) بين الارض والسماء (والمجاز) في قوله ياسماء فان المراد قطر السماء (والاشارة) في وغيض الماء فانه عبر عن معان كثيرة لان المـاء لايغيض حـــتى يقلع مطر السماء وتبلغ الارض مايخرج منها من عيون الماء فينقص الحـــاصل على وجه الارض من الماء (والارداف) في واستوت (والتمثيل) في وقضي الامر (والتعليل) فان غيض الماء علة الاستواء (وصحة التقسيم) فانه استوعب فيه اقسام الماء حال نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء والماء النابع من الارض وغيض المـاء الذي على ظهـــرها

(والاحتراس) في الدعاء وهو قوله وقيل بعداً للقوم الظالمين لئلا يظن الهلاك عم الظالم وغيره (وحسن النسق) لانه قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب (وائتلاف اللفظ في المعنى) والايجاز فانه تعالى قص القصة مستوعبة باخصر عبارة (والتسهيم) لان اول الآية يدل على آخرها (والتهذيب) لان مفرداتهما موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب (وأحسن البيان) من جهة ان السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء منه (والتمكين) لان الفاصلة مستقرة في محلها مطمئنة في مكانها غير قلقة ولا مستدعاة (والانسجام) و (الاعتراض) ومجموع ذلك يسمى الابداع ولا بأس ببيان هذه الانواع وذكرها على سبيل الاختصار تكميلا للفائدة ، فنقول اما المناسبة فهي قسمان معنوية ولفظية اما الأولى فهي ...

جريح ظبا تلك العيون النواعس   طعين قنا تلك القدود الموائس

فقوله جريح ظبا وطعين قنا هذه المناسبة كما في نسمات الاسحار وليس كل لفظة من البيت كذلك حتى يقال ترصيع ومن امثلة المناسبة الغير التامة قول الشاعر :

حسدت نسيم الروض في كل حالة   ولا سيما يوماً قطفناه بالحمى
فكم ضم عطفاً للغصون مرنحاً   وعانق قداً للقضيب مقوما

فقد ناسب بين قوله عطفاً وقدا والغصون والقضيب ومرنحا ومقوماً مناسبة غير تامة ومن المناسبة المعنوية قول القائل :

وبدر بافلاك الخواطر طالع   وغصن بريحان العذار وريق
لئن بت في بحر من الفكر سابحاً   فانسان عيني في الدموع غريق

فان المناسبة بحسب المعنى بين السابح والغريق ومن المناسبة المعنوية قول سلطان العاشقين ابن الفارض :

لها البدر كأس وهي شمس يديرها   هلال وكم يبدوا اذا مزجت نجم

ومن امثلة الترصيع قول ابي فراس :

وأفعالنا للراغبين كريمة   وأموالنا للطالبين نهاب

واحسن منه قول ابن النبيه :

فحريق جمرة سيفه للمعتدي   ورحيق خمرة سيبه للمقتفي

ومن شرط الترصيع ان تكون كلماته متباينة في اللفظ والمعنى متفقة في الوزن والروي ومن ذلك قول الشاعر :

فيايومها كم من مناف منافق   وياليلها كم من مواف موافق

(ومن الانواع) المطابقة وقد مر حكمها فلا حاجة الى الاعادة (واما المجاز) فهو الكلمة المستعملة في غير ماوضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه

يصح مع قرينة عدم ارادته فخرج باصطلاح التخاطب وهو متعلق بوضعت الكلمة الموضوعة في غير اصطلاح التخاطب اذا استعملها اهل وضعها كالصلاة اذا استعملها اهل الشرع في الاركان المخصوصة فهي حقيقة مع انها بهذا المعنى عند اهل اللغة مجاز وحقيقة في الدعاء ، وبقوله على وجه يصح خرج الغلط كما تقول خذ هذا الفرس مشيراً الى كتاب وبقرينة عدم ارادته تخرج الكناية لانها مستعملة في غير ماوضعت له مع جواز ارادته ، وبقي المجاز شاملا للاستعارة وارسال المثل فافرد عنها لان علاقتها المشابهة ، وليس في المجاز غير تجوز الحقيقة وذلك بذكر الشيء باسم غيره أو اثبات مالغيره له فمن قبيل الثاني قول الشاعر :

ولرُبَّ ليلٍ تاه فيه نجمُهُ ... وقطعتُه سهراً فطالَ وعَسعسا
وسألتهُ عن صحةٍ فاجابني ... لو كان في قيد الحياة تنفسا

فان نسبة التيه والتنفس الى الليل مجاز وليس بحقيقة لانه نسبة الشيء الى غير ماوضع له وحق التيه والتنفس ان ينسبا الى من يعقل ومن قبيل الاول قول الصفي الحلي :

صالوا فنالوا الاماني من عُداتهمُ ... ببارقٍ في سوى الهيجاء لم تشمِ

فانه ذكره اعني السيف باسم غيره وهو قوله بارق وتجوز الحقيقة كقول الآخر :

ياليلة لي بحوارين ساهرةً ... حتى تكلم في الصبح العصافيرُ

قوله ساهرة مجاز (فائدة ينبغي ذكرها هنا للمناسبة) وهي ان المجاز جنس يشتمل على انواع كثيرة كالاستعارة ، والمبالغة ، والارداف ، والتمثيل والتشبيه واما المشبه او المشبه به ويريد الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به وذلك على ثلاثة اقسام ، الاول الاستعارة التصريحية وهي ان يكون المشبه به مذكوراً والمشبه مطوياً اي متروكاً نحو رأيت اسداً في الحمام فانه صرح فيه بذكر المشبه به فقط وهو لفظ الاسد وتقريرها ان يقال شبه الرجل الشجاع بالاسد

بجامع الجراءة في كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو لفظ اسد للرجل الشجاع استعارة تصريحية فالتشبيه بين المعاني والاستعارة للفظ لانه بمنزلة اللباس الذي استعير من احد فالبس غيره ، وقوله في الحمام قرينة مانعة من ارادة الاسد الحقيقي ، وما زاد على القرينة المانعة يسمى ترشيحاً ان كان مما يلائم اي يناسب المشبه به المستعار منه نحو رأيت اسداً في الحمام له لبد فالاستعارة في ذلك تصريحية ، والحمام قرينة ، واللبد له ترشيح لانه من ملائمات المستعار منه ، اما اذا كان الزائد على القرينة من ملائمات المستعار به لا المستعار منه فهو يسمى تجريداً نحو رأيت اسداً في الحمام له سلاح ، وتقرير الاستعارة فيه ان تقول شبه الرجل الشجاع بالاسد بجامع الجراءة في كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه استعارة تصريحية وذكر الحمام قرينة مانعة عن ارادته الاسد المعروف والسلاح تجريد وقد صح جعل السلاح تجريداً لانه من خواص الانسان الشجاع لا الاسد الحقيقي .

(والقسم الثاني والثالث) الاستعارة المكنية التخييلية وذلك ان تضمر التشبيه في النفس ولا تذكر المشبه به بل تذكر شيأً من لوازمه وهذا اللازم هو الذي يدل على المشبه به المطوي ، والاستعارة التخييلية هي اثبات ذلك اللازم فهي ملازمة للمكنية لان كلا منهما اعني التخييلية والمكنية لا يتحقق بدون الآخر فلا توجد استعارة بالكناية الا مع التخييلية مثالها قول القائل :

واذا المنيّة أنشبتْ أظفارَها ألفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

وتقرير الاستعارة فيها من هذا المثال ان يقال شبهت المنية بالسبع بجامع اغتيال النفوس في كل من غير تفرقة بين نفاع وضرار واستعير اسم السبع لها ثم طوي ذكره استعارة بالكناية ، ودل على المشبه به بذكر لازمه وهو الاظفار الذي هو القرينة واثبات الاظفار هو استعارة تخييلية ، وقوله انشبت ترشيح وفي قوله ﷺ بني الاسلام على خمس استعارة بالكناية حيث شبه دين الاسلام بحصن مبني على اقوى الدعائم واعظم الاركان بجامع الرصانة والصيانة في كل منها فان الحصن الرصين يصون ويمنع عن الوقوع في ايدي الاعداء كما ان الدين المتين يصون ويمنع عن

الوقوع في نار المخالفات في الدنيا والسقوط في نار جهنم في الآخرة واستعير المشبه به للمشبه وطوي ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو البناء على طريق الاستعارة المكنية واثبات البناء استعارة تخييلية .

(واعلم انه كما يعد) مازاد على قرينة المصرحة من ملائمات المشبه به ترشيحاً كما مر كذلك يسمى مازاد على قرينة المكنية من الملائمات ترشيحاً لها ففي قوله أنشبت ترشيح لانه زائد على القرينة اذ القرينة ذكـــر الالفاظ . اما اذا لم تقترن الاستعارة التصريحية او المكنية بشيء من الملائمات فهي تسمى مطلقة لاطلاقها عن التقييد بشيء من ملايمات المستعار منه والمستعار له نحو رأيت اسداً في الحمام واذا اجتمع التجريد والترشيح باقـــتران مايلايمهما معاً فالاستعارة في قوة المطلقة كقول الشاعر :

لدى اسد شاكي السلاح مقذف　　　له لبد اظفاره لم تقـلم

وقد اطلق علماء البيان اعنة الاقلام في هذا المجال وهذا ماتيسر ايراده هنا بغاية الاستعجال (واما الاشارة) فقد قال البديعيون في تعريفها انها ايماء المتكلم بقليل من الكلام الى كثير من المعاني ومنه اشارة اليد لان المشير بها دفعة واحدة الى اشياء لو عبر عنها باللفظ لاحتاج الى كثير منه وهي قسمان قسم للكلام وقسم لليد والاشارة التي في الآية الكريمة من قبيل الاول فانه سبحانه وتعالى اشار بقـــوله (وغيض الماء) الى انقطاع مادة الماء من نبـع الماء ومطر السماء وذهاب الماء الذي كان حاصلا على وجه الارض قبل الاخبار ولو لم يكن كذلك لما غاض الماء ، ومنه قوله تعالى (وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) لان فيها ماتميل اليه النفـــوس من اختلاف الشهوات التي لايحصيها الا الخالق جل وعلا ومـــلاذ الاعين في اختلاف المرئيات ومنه قوله تعالى (فاوحى الى عبده ماأوحى) ومن المنظوم في هذا النوع قول بهاء الدين زهير) :

عفا الله عنــكم اين ذاك التودد　　　واين جميـل منكم كنت اعهد
بما بيننا لاتنقضوا العهد بيننـا　　　فيسمع واش أو يقـول مفند

فقد اشار بقوله مالى مالايحصى من دواعي المحبة (ولبعض الشعراء من أبيات) :

ايا ساكني الوادي الى كم يدالهوى   تحملني مالا اكاد أطيق
وأصبر حتى انصبري على الاسى   يزيد اتساعاً والزمان يضيق

(ومن امثلة هذا النوع قول امرىء القيس)

بعـزهم عززت فان بذلوا   فـذلهم أنا لك ما أنا لا

فقد اشار الى كثير من انواع الذل تحت قوله انا لك مالانا لا (واما الارداف) فهو ان يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه يؤدي معناه بها وهو شبيه بالكناية من جهة كون المراد لم يعبر بلفظه الموضوع له بل قيل باتحادهما ورد بوضوح الفرق بينهما اذ الارداف عبارة عن تبديل الكلمة بردفها والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء الى مايلزم لان الارداف ليس فيه انتقال من لازم الى ملزوم ، ووجه الارداف في الآية الكريمة ان حقيقة قوله تعالى (فاستوت على الجودي) جلست على المكان فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى الى لفظ هو رديفه . ومن الامثلة الشعرية على الارداف قول أبي عبادة البحتري :

فاوجزته أخرى فاحالت نصلها   بحيث يكون اللب والرعب والحقد

ومراده القلب فذكر بلفظ الارداف (ولابي الطيب المتنبي) :

لو كنت حشو قميصي فوق نمرقها   سمعت للجن في غيطانها زجلا

ومراده بقوله حشو قميصي نفسه (واما التمثيل)فهي ان يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظ الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وإنما يأتي بلفظ هو بعيد من لفظ الارداف يصلح ان يكون مثالا للفظ المعنى المراد كما في الآية الكريمة أعني (وقضي الأمر) فان هذا التمثيل العظيم في غاية الايجاز والحقيقة أي هلك من قضي هلاكه ونجا من قدرت نجاته وما عدل عن اللفظ الخاص الى لفظ التمثيل

إلا لما فيه مما لا يوجد في الخاص فان في لفظ التمثيل لاختصار البلاغة الايجاز وفيه كون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص ومن شواهد ذلك في السنة الشريفة قول النبي ﷺ حكاية عن بعض النسوة في حديث ام زرع(زوجي كليل تهامة لاحر ولابرد ولا مخافة ولا سآمة) فانه أرادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت عن اللفظ الموضوع له الى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة وذلك تمثيلها الممدوح بليل تهامة المجمع على وصفه بأنه معتدل فتضمن ذلك وصف الممدوح باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب وطيب العشرة ، وخصت الليل بالذكر لما في الليل من راحة الحيوان وخصوصاً الانسان لانه يستريح فيه من الكدر والفكر ولكون الليل جعل سكناً والسكن محل الاجتماع بالحبيب لاسيما وقد جعلته معتدلاً بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة لان الليل يبرد فيه الجو مطلقاً بالنسبة الى النهار لغيبة الشمس وخلوص الهواء من اكتساب الحر فيكون في البلاد الباردة شديد البرودة وفي البلاد الحارة معتدل البرد مستطاباً والحق بعض البديعيين بباب التمثيل مايخرجه المتكلم مخرج المثل السائر (وهذا النوع) هو عبارة عن ان يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل السائر من حكمة أو نعت او غير ذلك مما يحسن التمثيل به كقوله تعالى (ليس لها من دون الله كاشفة) وقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء) ومما جاء من ذلك في السنة الشريفة لايلدغ المؤمن من جحر مرتين ، ومن أمثلته في الشعر قول زهير :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجة وتغرس الا في منابتها النخل

وقول أبي الطيب المتنبي :

خذ ماتراه ودع شيأ سمعت بة في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ومن أمثلته قول ابي تمام :

فلو صورت نفسك لم تزدها على مافيك من كرم الطباع

وكقوله :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الاول

وكقول الطغرائي :

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

اعلل النفس بالآمال ارقبها ... ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

ومازال يورد التربية بالاساليب العجيبة الى ان قال :

فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وأنت يكفيك منه مصة الوشل

ومن أمثال أبي الطيب المتنبي من قصيدة :

أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه إنتقالا

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مراً به الماء الزلالا

وقال عفا الله عنه من قصيدة :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له مامن صداقته بد

وقال من قصيدة :

وأحسب أني لو هويت فراقكم ... لفارقتكم والدهر أخبث صاحب

فياليت مابيني وبين أحبتي ... من البعد مابيني وبين المصائب

يهون على مثلي اذا رام حاجة ... وقوع العوالي دونها والقواضب

كثير حياة المرء مثل قليلها ... يزول وباقي عيشه مثل ذاهب

بأي بلاد لم اجر ذوائبي ... وأي مكان لم تطأه ركائبي

وتخلص الى مدح طاهر بقوله :

كأن رحيلي كان من كف طاهر ... فأثبت كوري في ظهور المراكب

وقال من قصيدة :

فمالي وللدنيا طلابي نجومها ... ومسعاي منها في شدوق الاراقم

من الحلم ان يستعمل الجهل دونه — اذا اتسعت في الحلم طرقُ المظالمِ
ومن عرف الايام معــــرفتي بها — وبالناس روّى رمحــه غير راحم
ولولا احتقارى الاسد شبّهتها بهم — ولكنهــا معدودةٌ في البهــائم
وكاد سروري لايفي بنــدامتي — على تركه في عمـــــري المتقادم

وقال من قصيدة :

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الاذى — حتى يراقُ على جـــوانبه الدّمُ
والظلمُ من شيم النفوس فانْ تجدْ — ذا عفـــة فلعـــلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوي — عن جهله وخطاب من لا يفهم
والذلّ يظهر في الذليــــل مودة — وأودّ منه لمن يودّ الارقــم
ومن المداوة ماينالك نفعُـــــه — ومن الصداقة مايضرّ ويؤلم
افعال من تلد الكرام كــــريمةٌ — وفعال من تلدُ الاعاجم أعجم

ولبعضهم :

وفي الحب تعذيبٌ وفيه عذوبةٌ — فسل عنه صاحنّكتهُ التجاربُ
وكل امرىء يهوى على قدر عقله — وللنـــاس فيما يعشقون مـــذاهب

وعدوا من هذا الباب قول مصعب المشهور وهو :

أما والله لو تجــدين وجـــــدى — لـــا وسعتك في بغـــداد دارُ
تبسم ضاحكاً من غـــير ضحك — كلامُ الليـــــل يمحوه النهــار

ولابي الطيب المتنبي :

فدع كل صوت غير صوتي فانني — انا الصائح المحكي والآخر الصدى
وقيدت نفسى في ذراك محبــــةً — ومن وجد الاحـــان قيداً تقيّدا

ومن أراد أن يقف على كثير من أمثلة هذا الباب فعليه بما اورده أهل البديعيات من كلام فحول الشعراء لاسيما المتنبي فامثاله كثيرة في ديوانه على اختــلاف أنواعها بحسب وقائعها (وأما التقسيم) فقد مشى بعض أهل البديعيات في تعريفــه

أنه استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه كالآية الكريمة فانه سبحانه وتعالى استوعب فيها اقسام الماء حال نقصه ، اذ ليس الا احتباس ماء السماء والماء النابع من الارض وغيض الماء الذي على ظهرها ، ومن امثلتهم الشعرية قول زهير بن ابي سلمى في معلقته :

وأعلمُ علمَ اليومِ والامس قبله ولكنني عن علم مافي غد عمي

ومن هذا الباب اعني التقسيم قوله ﷺ (من أقام الصلاة كان مسلماً ، ومن آتى الزكاة كان محسناً ، ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصاً) فانه صلوات الله عليه استوعب الوصف الذي من الدرجات العلى والوسطى والسفلى ومنه قول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهة : أنعم على من شئت تكن اميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، فانه استوعب أقسام الدرجات وأقسام أحوال الانسان بين الفضل والكفاف والنقص . (وأما الاحتراس) فقد قال فيه البديعيون بأنه عبارة بأن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل أو يوهم ذلك أو يحصل في ظاهره أشكال أو يورد عليه بعض العقول الضعيفة ايراداً فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك ومن أمثلته في كتاب الله عزوجل (أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) فاحترس بقوله سبحانه وتعالى من غير سوء عن امكان ان تدخل في البرص والبهق وغير ذلك ومثال ذلك في الشعر قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها صوبُ الغمام وديمةٌ تهمي

فقوله غير مفسدها احتراس من مقابله وهو محو معالمها ومن لطائف المتنبي في هذا الباب قوله :

ويحتقر الدنيا احتقار مجربٍ يرى كل مافيها وحاشاك فانيا

فقوله حاشاك احتراس من دخوله في كل مافيها وقال أيضاً :

إذا خلت منك حمصُ لا خلت ابداً فلا سقاها من الوسمي باكرُهُ

فقوله لاخلت ابداً احتراس من توهم الدعاء عليه (وقال ابن حزم) :

أتعجب من دمعي وأنت أسلته ... ومن نارِ احشائي وأنت لهيبها

وتزعم أنَّ النفسَ غيركَ علقت ... فانتَ ولا من عليك حبيبها

(وأما حسن النسق) فهو ان يأتي المتكلم بالكلمات من النثر او الابيات متتاليات من الشعر متلاحمات تلاحماً مستحسناً لا مستهجناً بحيث يكون البيت اذا أفرد تاماً بنفسه معناه مستقل بلفظه ومن هذا الباب يقول ابو نواس عفا الله عنه :

وإذا جلستَ إلى المدامِ وشربها ... فاجعل حديثك كلَّه في الكاسِ

وإذا نزعتَ عن الغوايةِ فليكنْ ... لله ذاك النزعُ لا للناسِ

قال ابن حجة في خزانة الادب لما أورد هذا البيت حسن النسق هنا لامرين بين فنين متضادين في هذين البيتين وهما المجون والزهد حتى صار كأنهما فن واحد (وأما ائتلاف اللفظ مع المعنى) فقال فيه البديعيون هو عبارة عن ان يكون الفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى ان كان المعنى غريباً كانت ألفاظه غريبة محضة ، وان كان مولداً كانت ألفاظه مولدة ، وان كان متوسطاً كانت ألفاظه متوسطة ، وان كان متداولاً كانت مثله . ومن الأمثلة التي أوردوها في هذا الباب قول ابي تمام :

وفي الكلة الوردية اللون جؤذرٌ ... من الانسِ يمشي في رقاقِ المجاسد

رمته بخلف بعد ان عاش حقبة ... له رسفانٌ في قيود المواعد

وفاعل رمته البين في الابيات قبله ولما كان معنى البيت الاول متوسطاً بين الغرابة والتوليد أتى له بالفاظ كذلك والبيت الثاني غريب فأتى له بالفاظ مثله (ولابي العلاء المعري) :

وخوف الردى آوى إلى الكهف أهله ... وعلم نوحاً وابنه عمل السفن

وما استعذبته روح موسى وآدمٍ ... وقد وعدوا من بعده جنتي عدن

فان معنى هذين البيتين لما كان متولداً جاء له بالفاظ كذلك (وأما

الايجاز) عند البديعيين فهو اداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف وغالب كلام العرب مبني على الايجاز والاختصار واداء المقصود من الكلام بأقل عبارة ثم ان الايجاز على قسمين (ايجاز قصر) وهو ان يأتي المتكلم بقصة لا يغادر منها شيأ في الفاظ قليلة لو أتى بها غيره ممن هو دونه في البلاغة أتى بها في اكثر من تلك الالفاظ من غير حذف كالآية الكريمة المتقدمة فانه تعالى قص القصة مستوعبة باخصر عبارة وكقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) فان معناه كثير ولفظه يسير ولا حذف فيه (وايجاز) الحذف هو اسقاط بعض الالفاظ من الكلام لدلالة الباقي عليه ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناه على هرم

أي فساءنا ومنه قولهم علفتها تبناً وماء بارداً أي وسقيتها ماء بارداً ومنه قول العرجي :

أنا ابنُ جلا وطلاّعِ الثنايا متى أضعِ العمامةَ تعرفوني

أي انا ابن رجل جلا أي جلا الأمور (وأما التسهيم) فتعريفه ان يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ ومن أمثال التسهيم قول الشاعر :

إذا الفتى ذمّ عيشاً في شبيبته ماذا يقولُ إذا عصرُ الشباب مضىَ

فان الحاذق في صناعة الكلام اذا سمع المصراع الاول علم ان مقتضى الكلام ان يتلوه اذا عصر الشباب مضى لا سيما بعد معرفة القافية ومثل ذلك قوله :

جهول بالمناسك ليس يدري أغياً بات يفعلُ أم رشادا

فان الكلام يقتضي ان يكون آخره ام رشاداً ومن امثلتهم قول البحتري :

أحلّتْ دمي من غير جرمٍ وحرمت بلا سبب يومَ اللقا كلامي
فليس الذي قد حللّت بمحلّل وليس الذي قد حرّمتْ بحرام

فان المصراع الثالث يدل على الرابع بتمامه دلالة ذوقية غير خفية (وأما التهذيب) فهو نوع من محسنات البديع وليس له شاهد يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح محرر ، وهو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله وامعان الفكر في تهذيبه وتنقيحه نظماً كان أو نثراً ، وتغيير مايجب تغييره ، وكشف مايشكل من غريب معانيه واعرابه ، وطرح مايتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه وان كانت معانيه غير مبتكرة ، قال البديعيون وكل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها او لو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم ، او لو تم هذا النقص بكذا او لو حذفت هذه اللفظة او لو اتضح هذا المقصد لكان الكلام أحسن . والمعنى أبين كان ذلك الكلام غير منتظم في سلك هذا النوع ، وللبديعيين في هذا الباب كلام يتضمن وصايا لمن تصدى للقريض ، وقد أوردوا من ذلك كثيراً على هذا النوع في مؤلفاتهم فلنقتصر منها على ماينبغي به الاهتمام وماهو اللائق بالحال والمقام ، فمن جملة ماذكروا انه ينبغي للمتصدي للشعر من اولى الرغبات ان يحصل المعنى قبل الشروع في النظم أو القوافي قبل الابيات ، وان لايعمل نظماً ولا نثراً عند الملل فان الكثير معه قليل ، والنفيس معه خسيس ، والخواطر ينابيع اذا رفق بها جمت واذا كثر استعمالها نزحت ، وان يكتب كل معنى يسنح ويقيد كل فائدة تعرض ، فان نتائج الافكار كلمحة البصر ولمحة الطرف ان لم يقيدها شردت وندت ، وان لم يستعطف بالتكرار عليها صدت ، والترنم بالشعر مما يعين عليه قال الشاعر :

تغنَّ بالشعرِ إما كنتَ قائلَه ... إن الغناء لقول الشعر مضمارُ

وقد يكل خاطر الشاعر ويعصى عليه الشعر زماناً كما روى الفرزدق أنه قال لقد يمر علي زمان وقلع ضرس من اضراسي أهون علي من ان اقول بيتاً واحداً واذا كان كذلك فاتركه حتى يأتيك عفواً وينقاد اليك طوعاً ، وينبغي ان لايخرج مانظم الا بعد تدقيق النقد وامعان النظر ، وما يحلو في هذا الباب ويروق لاولي الالباب ماأحدثه الشعراء المولدون من التشبيهات التي تنشط القرائح وتجنح

الى أصبائها الجوانح ، والغراميات التي تهيج الاشواق الكامنة في القلوب وتنم الاسرار المتعلقة بالمحب والمحبوب ، والمدائح التي أفرغها في قوالبه الابداع وتحلت بدرر محاسنها الاسماع واللطائف التي تكاد برقتها تمتزج بالروح وترتاح اليها النفس كالغصن المروح .

(ومن وصايا بعضهم) مانصه واذا نثرت منظوماً فغير قوافي شعره من قرار سجعه ، واذا سرقت معنى فغير الوزن والقافية ليخفى ذلك واذا أخذت شعراً فزد على معناه وانقص من لفظه ، واحترز مما يطعن به عليك فحينئذ تكون احق من قائله وان لاتكاتب العامة بكلام الخاصة وبالعكس ، واكثر من حفظ النظم والنثر فعلى قدر ماتحفظ منه تقوى فيه ، ونقل عن ابي عبادة البحتري الشاعر قال كنت في حداثتي أروم الشعر وارجع فيه الى طبع سليم ولم اكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت ابا تمام وانقطعت اليه فكان أول ماقال يا أبا عبادة تخير الاوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم ، واعلم أن العادة في الاوقات إذا قصد الانسان تأليف شيء أو حفظه ان يختار وقت السحر ، انتهى ماأردت ايراده من وصاياهم ولاذكر البديعيون لنوع التهذيب شاهداً يخصه بل هو وصف يعم كل كلام منقح محرر كما تقدم .

(وأما التمكين) فهو أن يمهد الناظم لقافية بيته والناثر لسجعه فقرته تمهيداً تأتي القافية فيه متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة مما ليس له تعلق بلفظ البيت ، ومعناه بحيث ان منشد البيت إذا سكت دون القافية كملها السامع بجاذب من قلبه الى ذلك بدلالة قرائن اللفظ عليها (والفرق بينه) وبين التسهيم ان التسهيم قد يدل آخر الكلام فيه على اوله كما تقدم بيانه ، واكثر فواصل القرآن على الصورة المذكورة آنفاً والذي عقد البديعيون عليه الخناصر في باب التمكين قول أبي الطيب :

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلَّ شيء بعدكم عدمُ

وقال النابغة الذبياني :

كالاقحوان غداة غبٌ سمائه جفتْ أعاليه وأسفلُهُ ندا
زعم الهمامُ ولم أذقه بأنه يروي بريقته من العطش الصّدى

وقيل انه اجتمع السراج الوراق وابو الحسين الجزار وابن نفيس الشاعر فمر بهم غلام مليح الصورة فقال السراج :

شمائلُه تدل على اللطافه وريقتهُ تنوب عن السُّلافه

فقال أبو الحسين :

وفي وجناته وردٌ ولكن عقاربُ صدغه منعت قُطافه

وقال ابن نفيس :

فلو ولي الخلافة ذو جمال لحُقَّ له بان يعطى الخلافه

فالقوافي الثلاث متمكنات كما لايخفي (واما الانسجام) فهو ان يأتي الشاعر بالبيت او الفقرات من النثر خالية من العقادة وتكلف السبك كانسجام الماء في انحداره يكاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه ان يسيل رقة وعذوبة مع لطافة معناه ورشاقته وخلوه من الانواع البديعية الا ان يأتي في ضمن السهولة من غير قصد وان كان الانسجام في النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد لقوة انسجامه ، ولعمري ان طيور القلوب مابرحت على افنان هذا النوع واقعة. وبمحاسنه الغضة بين الأوراق ساجعة ، وأهل الطرق الغرامية هم بدور مطالعه وسكان مرابعه ،ومما جاء في القرآن العظيم موزوناً بغير قصد لقوة الانسجام قوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وتفعيله القياسي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن كقول الشاعر :

ألا ياصبا نجدٍ متى هجتَ من نجدٍ فقد زادني مسراك وجداً على وجدِ

وجاء في بحر المديد من العروض الثانية المحذوفة قوله تعالى (واصنع الفلك باعيننا) كقول الشاعر :

اعلموا إني لكم حافظٌ شاهداً مادمت او غائبا

وجاء في البسيط من العروض الاولى المخبونة قوله تعالى (فاصبحوا لاترى الا مساكنهم) كقول الشاعر :

مابالُ عينيك منها الماء ينسكبُ

وجاء في الوافر من العروض الاولى المقطوفة والضرب المقطوف قوله تعالى (ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) كقول الشاعر :

ألا هُبّي بصحنكِ فاصبحينا ولا تُبقي خمورَ الاندرينا

وجاء في الكامل من العروض الصحيحة المجزوة والضرب المجزو المذال قوله تعالى (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) كقول الشاعر :

أبُنيَّ لا تظلم بمكةَ لا الصغيرَ ولا الكبيرْ

وجاء في الهزج من عروضه المجزوة وضربها المحذوف قوله تعالى (فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا) كقول الشاعر :

وما ظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول

وجاء في الرجز قوله تعالى (وذللت قطوفها تذليلا) كقول الشاعر :

شالوا على جماليهم جمالَهم وسار حادي عيسهم يُغنّي

وجاء في الرمل من العروض الثانية المجزوة قوله تعالى (وجفان كالجوابي وقدور راسيات) :

مقفراتٌ دارساتٌ مثل آيات الزبورْ

وجاء في السريع من العروض الاولى الوافية قوله تعالى (فما خطبك يا سامري) ومنه (أو كالذي مر على قرية) كقول الشاعر :

ياهندُ يااخت بني عامرِ لستُ على هجرك بالصابرِ

وجاء في المنسرح من العروض الاولى الوافية قوله تعالى (إنا خلقنا الانسان من نطفة) كقول الشاعر :

زمّوا المطايا بالوادِ ماودّعوا

وجاء من الخفيف من العروض التامة الصحيحة قوله تعالى (أرأيت الذي يكذب بالدين) ومنه (لا يكادون يفقهون حديثاً) وجاء في المقتضب من العروض المجزوءة المطوية قوله تعالى (في قلوبهم مرض) وتفصيل ذلك فاعلات مستفعلن وجاء فيه من الشعر :

أقبلت فلاحَ لها عارضانِ كالسبجِ

وجاء في المجتث من العروض الصحيحة المجزوءة والضرب المجزو قوله تعالى (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم) كقول الشاعر :

البطنُ منها خميصُ والوجهُ مثلُ الهلالِ

وجاء في المتقارب من العروض الاولى الوافية قوله تعالى (وأملي لهم ان كيدي متين) فعولن فعولن فعولن فعولن كقول الشاعر :

فأما تميمُ تميمُ بن مرّ فالفاهمُ القومُ روبى نياما

ولا بأس هنا بذكر الانسجامات التي يكاد ان تسيل رقة لسهولتها وتنشط القرائح لعذوبتها فمنها قول امرىء القيس في معلقته :

أغرّكِ مني أن حبّك قاتلي وأنكِ مهما تأمري القلبِ يفعلِ

وقوله من غير المعلقة :

اجارتنا إنا غريبان ههنا وكلُ غريبٍ للغريب نسيبُ

ولطرفة بن العبد في معلقته :

فان كنتُ لاتسطيعُ دفع منيّتي فدعني أبادرْها بما ملكتْ يدي

وله منها :

فان متّ فانعيني بما أنا أهلهُ وشقّي عليّ الجيبَ يا أم معبدِ

وقال فيها :

ستبدي لك الايامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك بالاخبار من لم تُزوِّدِ
ويأتيكَ بالاخبار من لم تبع له ... بتاتاً ولم تضربْ لهُ وقتَ موعدِ
لعَمرُكَ ما الايام إلا مفازةٌ ... فما اسطعتَ من معروفها فتزودِ
عن المرءِ لا تسألْ وسلْ عن قرينه ... فكل قرينٍ بالمقارنِ يقتدي

ومن لطائف الانسجام قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

ومَن هاب أسبابَ المنايا ينلْنه ... وان يرْقَ أسباب السماء بسلّمِ
ومن يكُ ذا فضل فيبخلْ بفضله ... على قومه يُستغن عنه ويُذمَمِ
ومن يغترر يحسبْ عدواً صديقه ... ومن لا يكرمْ نفسَه لا يُكرمِ
ومن لم يذدْ عن حوضه بسلاحه ... يهدّمْ ومن لا يظلم الناسَ يظلمِ
ومن لم يصانعْ في امورٍ كثيرةٍ ... يضرّسْ بانياب ويوطأ بمنسمِ
ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عرضه ... يفرْه ومن لا يتق الشتمَ يُشتمِ
سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعش ... ثمانينَ حولاً لا أبالكَ يسأمِ

وأحسن ختامها في الانسجام بقوله :

وأعلمُ علمَ اليوم والامسِ قبله ... ولكنّني عن علم مافي غد عمي

ومثله قول لبيد بن ربيعة من معلقته :

فاقنعْ بما قسم المليكُ فانما ... قسم الخلائق بيننا علاّمُها
وإذا الامانة قسمت في معشر ... أوفى باعظم حظنا قسّامُها

ومن الغايات في باب الانسجام قول عنترة في معلقته :

فاذا شربتُ فانني مستهلكٌ ... مالي وعرضي وافرٌ لم يكْلمِ
وإذا صحوتُ فما أقصرُ عن ندى ... وكما علمت شمائلي وتكرمي

ومن ذلك قول عمر بن كلثوم في معلقته :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ... ونبطشُ حين نبطش قادرينا
إذا ما الملك سام الناس خسفاً ... ابينا أن نقر الخسفَ فينا

إذا بلغ الفطـــام لنا صبيٌ | تخرُّ لـه الجبابرُ ساجدينـا
ملأنا البرّ حـــتى ضاق عنا | وظهر البحر نملـــؤه سفينا
الا لايجهلَنْ أحـدٌ علينا | فنجهل فوق جهـل الجاهلينا

ويعجبني من الانسجامات المطربة قول مجنون ليلى في قصيدته المشهورة :

وقد خبروني أن تيماء منـزلٌ | لليلى اذا ماالصيفُ القى المراسيا
فهذه شهورُ الصيف عنا ستنقضي | فما للنوى ترمي بليلى المراميـا
اعد الليالي ليلةً بعـــد ليلةٍ | وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ اللياليا
وأخرجُ من بين البيوتِ لعلـني | أحدث عنك النفسَ بالليل خاليا

ومن الانسجام قول الشنفري بن مالك :

وفي الارض منئى للكريم عن الاذي | وفيها لمن خاف القـلى متحوّلُ

ويعجبنى من لامية العجم :

ان العلى حدثتني وهي صادقةٌ | فيما تحدثُ ان العزّ في النُقَلِ
لو ان في شرف المأوى بلوغ منى | لم تبرح الشمس يوماً دارة الحملِ

وعدوا من المطلوب في باب الانسجام قول جرير :

ان العيون التي في طرفها حورٌ | قتلننا ثم لم يحيين قتلانـا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به | وهن أضعف خلق الله اركانا

ويعجبني قول القائل وهو في غاية اللطف :

بطرفك والمسحور يقسم بالسحر | أعمداً رماني أم اصاب ولا يدري
رنا اللحظة الاولى فقلت مجرب | وكررها آخري فأحسست بالشر

ومما جاء في غاية الانسجام قول القائل :

من عـــذ يرى يوم شرقى الحمى | من هوى جد بقلبي مَزَحـا
الصَّبا إن كان لابد الصبا | انهـا كانت لقلبـــي أروحا

يا نداماي بسلع هـــل أرى ذلك المغبَق والمصطبحـــا
اذكرونا مثل ذكـــرانا لـكم رُبَّ ذكرى قربت من نزحـا
وارحمـــوا صباً إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحـا

وللشيخ تقي الدين السروجي رحمه الله تعالى في الانسجامات الغرامية :

انعم بوصالك لي فهـذا وقتـه يكفي من الهجران مافد ذقتـه
أنفقت عمري في هـواك وليتني أعطي وصولا بالذي انفقتـه
يامن شغلت بحبه عن غيره وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال في ميدان حبك فارسٌ بالصدق فيك الى رضاك سبقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه لكن عليه تصبري فرقتـــه
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة فسررت لما قلت قـد صدقته
بالله إن سألوك عني قـل لهم عبدي وملك يدي وما اعتقته
او قيل مشتاقٌ اليك فقل لهم أدري بـذا وانا الذي شوقته

وما ألطف ماقال منها :

ياحسن طيف من خيالك زارني من عظم وجدي فيه ماحققتـه
فمضى وفي قلبي عليـه حسرةٌ لو كان يمكنـــني الرقادُ لحقته

وعدوا من المرقص قول ظافر الحداد :

ونفّر صبح الشيب ليل شبيبتي كذا عادتي في الصبح مع من أحبه

ومن مطرب الانسجام الغرامي قول علية بنت المهدي :

وأحسن أيام الهوى يومك الذي تروع بالهجـران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخطٌ ولا رضا فاين حلاوات الرسائل والكتب

ولاسحاق بن ابراهيم الموصلي :

على عصر أيام الصبابة والصبا ووصل الغواني والتذاذي بالشرب
سلامُ امرىءٍ لم يبق منـه بقية سوى نظر العينين أوشهوة القلب

ومن الانسجامات العجيبه قول ابن خفاجة في مدح ابي اسحاق :

ارأيك أمضى أم حسامك يقطع ... ومرآك ابهى أم حديثك يُسمع
وكلٌ له في جانب الملك مسلكٌ ... كريمٌ ومن نفس الامارة موقع
لك الخير ماهداك والسهم صائبٌ ... يطيش وماعداك والخيل تمزع
ولا غير أطراف الأسنة مقول ... يبين ولا غير الفرائض مسمع
وما الوشي حسناً غير بيض محاسن ... لبست على عطفي علاك وتخلع
ولا النجم نأياً غير ذروة معقل ... تذود العلا عن جانبيه وتمنع
تفوت رجاء المرتجين وعوده ... ويدنو به سعد الامير فيطمع

ومن الانسجامات العجيبة نظم الصفي الحلي في مدح سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات :

كفى البدر حسناً ان يقال نظيرها ... فيزهى ولكنا بذاك نضيرها
وحسب غصون البان ان قوامها ... يقاس به ميادها ونضيرها
اسيرة حجل مطلقاتٌ لحاظها ... قضى حسنها ان لا يفك اسيرها
تهيم بها العشاق خلف حجابها ... فكيف إذا ما آن منها سفورها
وليس عجيباً ان غررت بنظرة ... اليها فمن شأن البدور غرورها
وكم نظرة قادت الى القلب حسرة ... يقطع أنفاس الحياة زفيرها
فواعجباً كم تسلب الاسد في الوغى ... وتسلبنا من اعين الحور حورها
فتور الظبى عند القراع يشينها ... وما يرهف الاجفان الا فتورها
وجذوة حسن في الخدود لهيبها ... يشب ولكن في القلوب سعيرها

الى ان قال في نظمه بعدما انجر الكلام الى وصف النوق وما أحسن ماقال :

حروفاً كنونات الصحائف اصبحت ... تخط على طرس الفيافي سطورها
إذا نظمت نظم القلائد في البرى ... تقلدها خضر الربا ونحورها
تسير بها نحو الحجاز وقصدها ... ملاعب شعبي بابل وقصورها

ولما ترامت عن زرود وملها ... ولاحت لها اعلام نجد وغورها
غدت تتقاضانا السير لانها ... الى نحو خير المرسلين مسيرها
ترض الحصى شوقاً لمن سبح الحصى ... عليه وحيا بالسلام بعيرها

ومن غراميات الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله في باب الانسجام :

عفا الله عن قوم عفى الصبر عنهم ... فلو رمت ذكرى غيرهم خانني الفم
تجنوا كأن لا ود بيني وبينهم ... قديماً وحتى ما كأنهم هُمُ
وبالجزع احباب اذا ماذكرتهم ... شرقت بدمع إنّ اخره دم
ومشبوب ناري وجنة وجنابة ... تعلمه الحاظه كيف يظلم
ألمَّ وما في الركب منا متيّمٌ ... وعاد وما في الركب إلا متيّمُ
وليس الهوى إلا التفاتة طامح ... يروق لعينيه الجمال المفعم
خليلي ماللقلب هاجت شجونه ... وعاوده داءٌ من الشوق مؤلم
أظنُّ ديار الحي منا قريبةٌ ... وإلا فمنها نفحةٌ تتنسم

وله عفا الله عنه :

ته كيف شئت فللحبيب تدللٌ ... ولصبه المضنى إليه تذللُ
واحكم بما ترضى فانت أحق من ... ملك الفؤاد يجور فيه ويعدل
إني وان عذلوا عليك واطنبوا ... لتزيد اشواقي اليك العذل
لكنني أبدي السلوّ تجملا ... للعاذلين وللمحب تجمل
واليك أفضل ما أثنيت مع الهوى ... ان الحبيب هو الحبيبُ الاولُ
يامن يصون على العيون تحرزا ... حسناً عليه كل روح تبذل
كم ذا ألين وتعتريك قساوةٌ ... وإلامَ اسمحُ بالوصالِ وتبخلُ
يامعدن الآمال أين لعاشق ... كلف بحبك عن جمال معدل

وقوله من الوافر :

أعــزُّ الله انصارَ العيون ... وخلّد ملك هاتيك الجفونِ

وضاعفَ بالفتورِ لهـا اقتداراً | وان تكُ اضعفتْ عقلي وديني
وأبقى دولةَ الاعطافِ فينا | وان جارتْ على قلبي الطعينِ
وأسبغ ظـل ذاك الشعر منه | على قدّ به هيف الغصون
وصان حجابَ هاتيك الثنايـا | وان ثنتِ الفؤادَ الى الشجون
فكمْ في الحب من تلك المعـاني | وان جعلتْ دمـوعي كالمعين
حلتْ تسهدي والشيبَ هـذا | على رأسي وذاك على عيـوني

قلت ومما يصلح ان يكون واسطة العقد في نوع الانسجام منظـومات شيخنا العلامة الكامل والمرشد العامل سيدي علي بن محمـد بن الحسين الحبشي علوي الحضرمي متع الله الوجود بوجوده ويعجبني من منظوماته الفائقة مانظمه على طريقة القوم وهو قوله نفعنا الله به وبعلومه :

غريبُ المعاني لايحـاولُ بالنطق | وسرُّ التعالي ليس يدرك بالسبق
توجه وحيث استحكم الحق فاستقم | وخذ قلماً ينبي عن الحق والصدق
مغـايرة الضدين في عالم الفنـا | تقرر حكم الفرق في عالم القرق
ولا يعرف المعـروف الا نزيلهُ | ولايشهدُ الاسرار الاذووالصدق
وفي نفس التقريب كم من عجيبة | تراءتْ عيانا في مشاهدة الذوق
عروسُ المعاني قد تجلت بلا اختفا | وحق الهوى العذري يلجيك للرق
تحققْ وسرْ بعد التحقق في سوى | سبيل العلاوا صعد الى المقصد الحقي
تنفس على قدر الزمان بما بـه | يدلك أهل الحق في مرتع الرفق
وغمض ولا يصخبك فكر به ترى | عجائب تطوير الحقيقة من افق
على كامل المعنى المحقق في عـلا | معالي اولي التحقيق فاستبق واستق
كتبت على متن الوسائط أسطراً | لتفهم سراً ليس يدريه ذو نطق
نطقت وعند النطق شاهدت مشهداً | نفيساً رأيت السرّ يبدو من الوفق
وفي العلم عرفان التقابل والذي | يريد الفتى المقبور في ساحة المشق
على نظرات الحب يارب ساقطُ | تلفق سرُّ النفح من خير من يلقى

يترجم سرّ السر من هو أهله | ويشرحُ علم الحق مستأصل الرق
سروري بما في شاهدي منه شاهدي | وتبين علمي في الحقيقة من ذوقي
لساني على مافي سطور العلى بها | نطقت وليس النطق ياصاح كالنطق
ولا يجتلي الامر النفيس سوى الذي | يسابق في سبلْ العلا غاية السبق
طوينا حبال العشق في حيث لا فنا | ومشروبنا أعلا المشارب في الذوق
غربنا باشراق الشموس التي انجلت | على افق التحقيق في البحر ذي العمق
وانسان عين الكشف يشهد مشهداً | لطيفاً وليس اللطف ينشأ عن ضيق
بوسع فضا علم الحقيقة قد سرتْ | ركابُ اولي التخصيص تمشي على البرق
ومن لابس المعنى النفيس فكيف لا | يبشر في الاشهاد والجمع بالعشق

وله كان الله له ونفعنا به وبعلومه :

أبدتْ سرائر روحي فيض اذواقي | فصار امري الى خوف واشفاقي
ان قمت بالعلم ألقتني حقائقه | غطمطم كشف منه قد كان اغراقي
او دمت في الكسب نادتني دقائقه | إني الى الحق تقييدي واطلاقي
اصلي وفصلي الى التحقيق مرجعه | وكل ملسوع عشق ماله راقي
الذوق يشهد بالعرفان والرتب العليا تنادي ألا هل راغب راقي

وله نفعنا الله به وبعلومه :

قضي الحكم إني فيك أبديت شاهدي | وهذا الهدى والنور هل من مشاهد
توجهت في سبل التحقق ذاكراً | حقيقة أمري فاستبانت فوائدي
فعين الهدى امري ومشهدها إذا | تمثّل سري والحقيقة قائدي
بعيني ونفسي ان سلمت من الهوى | فما شاهدٌ إلا بمضمون شاهدي
وقفنا على الجرعاء وقفة صامت | فكان الندا يبدي غريب المحامد
وفي نظرات العين يارب نظرةً | تريك الهدى مستحكماً في الموارد
وهبك استبان العلمُ فيك بما بدا | فغاية مايعطيك سرّ القواعد
واطف التفاني من حقائق ماترى | وعين التعالي من غريب المشاهد

فان كنت من اهل السجود بمشهد الـ | تحقق فالتأذين وصف المساجد
وان رمت ان تلقي العيان بوصفه | فدونك وصف العين في كل واحد
فهذا المصلى والنقا ومحجر | وهذا سبيل الرشد من كل راشد
وهذا الذي فيه اللطائف اظهرت | سجود المعاني من خفا كل ساجد
مظاهر علم فيه مشهد بسطه | ومورد فيض ذاقه كل وارد
وروح اصطفاء فيه غاية بهجة | ومظهر حمد ناله كل وارد
فما للنهي من حيث قربة سره | سوى غاية فيها انتهى كل قاصد

وللبارع الاديب العالم الاريب أمير دولة المعاني حسن باشا حسني الطويراني عفا الله عنه :

لصبا الحجاز بكى وان لم يطرب | صب تمسك من شذاه الطيب
يشكو الهوى مما به بلسانه | ويعيدها من قلبه المتلهب
بالله ياريح الصبا حيي الحما | وبث مايشكو اليه تقربي
وترددي بيني وبين أحبتي | فاذا بلغت فنا الديار فشببي
وتحملي عني السلام تحية | ولجي الى تلك الربى وتأدبي
وتبتلي وصفي مذلة واله | للاكرم الثاوي بطيبة يثرب
وقفي على الاعتاب ثم وسلمي | مني على قبر تشرف بالنبي

تخلص من هذه القصيدة الى مدح سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله اجمعين ٭ وقال في مدحه ﷺ في قصيدة من الطويل :

ارقت فرقت لي البدور الطوالع | ونحت فناحت بي الحمام السواجع
واسكرني مسرى الصبا عن أحبة | فملت فمالت بي الغصون اليوانع
فبت وليلي ليل يأس ووحدة | وقد شغلت عني العيون الهواجع
أردد في الاعقاب رأياً وفكرة | لها بين غارات الاماني مصارع
اناجي ضميري ذكر خل وصاحب | وقد ذهبت تترى العيون الهوامع
فشكراً لافكار الكرام ووحدتي | لقد واصلاني والاحبا قواطع

فللهم عندي اي أيدٍ كريمةٍ اقلُّ وفاها أنها لاتوادِعُ
ويعجب قوم أنني لا اذمها وتلك التي عني الفراغ تمانع
نعم انها وفت وقد خان غيرها فامست لها دون السرور الصنائع
وجمداً لدمع ردَّ نار حشاشتي وان فضحت اهل الهموم المدامع
ألا مرحباً بالهم والوقت وقته واهلاً به قد زار والغير خاشع
وبئساً لاوقات المسرات إنها سحابة طيف او بروق لوامع
تسيء اذا ولت بتذكار إنسها وان اقبلت كانت غروراً تخادع
يقولون لي ان الشدائد محنةٌ فقلت ولكن الرخاء مصانع
بلى انها تهدي التجارب للفتى فتعرف اخلاق وتصفو طبائع
وحسبي ركناً في المصاعب أنني لاعتاب سلطان النبوة راجع

(وللاديب الشيخ احمد بن محمد بن أبي ذئب الشبامي الحضرمي رحمه الله تعالى) :

لمعت لعينك في الظلام لوامع منها على خديك فضن مدامع
يا ايها الصب العميد الى متى رهباً تداهن في الهوى وتصانع
ماكنت احسب ان صباً يتقي لوما ويكتم أمره ويخادع
بُح بالهوى ودع العذول وعذله هملا وذره كما يشاء ينازع
إني رأيتك حين تخلو باكياً ترتج منك اذا انتحبت مدامع
ألريم رامة أم لغزلان اللوى ثمر الصبابة في فؤادك يانع
ام ذكر نعمان الاراك اراك ما يغني ولاعك لطلع و تالع
ان ادكارك حاجراً لك حاجرٌ عن لذة العيش الهنيء ومانع
والنفس كاظمةٌ هوى من حل في اطلال كاظمة ووجدك ذائع
تلك الديارُ ديارِ احبابٍ نأت عن دورهم دورٌ لنا ومرابع

وهذا ماتيسر ايراده في هذا الباب ومن اراد الاستطلاع على غالب ماذكر في باب الانسجام فعليه بما في البديعيات ، وهذا القدر في هذه العجالة كاف ،

ولنرجع الى مانحن بصدده قول الناظم (فان في تلاوته الاكسير) غرضه نفع الله به تبين مافي تلاوته من الخـــير العظيم والفضل الجسيم والـكلام من باب الاستعارة المصرحة لانه ذكر المشبه به دون المشبه ، وذلك ان يقال شبه مايحصل لتالي كتاب الله العزيز من النور والاسرار والمعارف بالاكسير المعروف بجامع حصول الذخائر المتفع بها حالاً ومآلاً بكل منها ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية كما تقدم ، والقرينة حالية أو ذكر التلاوة ، وفي بمعنى البـاء أي فان الاكسير أي الانوار والمعـــارف الشبيهة به حاصلة في القلب بسبب تلاوة القرآن العظيم نوراً واسراراً ومعارف تشبه الاكسير في النفع وحصول المقصود (قوله والشرح للصدر) معطوف على الاكسير والمعنى ان الشرح للصدر اي توسعته وتهيئته للمعارف والعوارف حاصل ايضاً بسبب تلاوة القرآن العظيم ثم قال نفعنا الله به واذاقنا حلاوة مشربه :

﴿ألا أنه البحـــرُ المحيط وغــيرُه
من الكُتْبِ أنهارٌ تمدُّ من البحرِ﴾

لايخفى على أهل الاذواق مافي هذا البيت من الانسجام والمثلاح الذي يقرب الى اذهان الانام ، والا هنا للتنبيه دالة على تحقيق مابعدها لانها تأتي على خمسة اوجه احدها ان تكون للتنبيه كما ذكر وتدخل على الجملتين نحو ألا انهم هم السفهاء الا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم ، ويقول المعربون فيها انها حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها (والثاني) التوبيخ والانكار كقوله :

ألا طعانَ الا فرسان عادية ... الا تجشؤكم حولَ التنانيرِ

وقوله :

الا ارعواء لمن ولّتْ شبيبتهُ ... وآذنتْ بمشيب بعده هَرَمُ

(والثالث) التمني كقوله :

ألا عُمرُ ولّى مستطاعٌ رجوعهُ ... فيرأبَ ماأرثاءت يدُ الغفلاتِ

ولهذا نصب يرأب لأنه جواب تمن مقرون بالفاء (الثالث) الاستفهام عن النفى كقوله :

ألا اصطبار لسلمى أم لها جلد ... اذا ألاقي الذي لاقاه أمثالي

(الخامس) العرض والتحضيض ومعناها طلب الشيء لكن العرض طلب بلين ، والتحضيض طلب بحث ، وتختص ألا هذه بالفعلية نحو ألا تحبون ان يغفر الله لكم ، الا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم ، ومنه عند الخليل قوله :

الا رجلاً جزاهُ الله خيراً ... يدلُّ على محصلة تبيتُ

والتقدير الا تروني رجلا هذه صفته فحذف الفعل مدلولا عليه بالمعنى وزعم بعضهم انه محذوف على شريطة التفسير الا جزى الله رجلا جزاء خيراً، والا على هذا للتنبيه على خلاف بين النحاة والكلام في قول الناظم نفع الله به هو البحر المحيط على التشبيه البليغ يعني ان القرآن العظيم هو كالبحر المحيط بجميع الدنيا بجامع الاحاطة في كل ، الا ان القرآن العظيم محيط بجميع مافي الكتب السماوية كما ورد في الحديث فاحاطته معنوية ، والبحر محيط بالدنيا احاطة حسية اومحيط بجميع العجائب الكائنة في الدنيا ، وغير القرآن من الكتب كالانهار التي تمد من البحر (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله) فان القرآن بحر لاساحل له فما من مفسر يبدي وجهاً موافقاً للغة والاصول الشرعية الا هو مقصود له تعالى .

قال بعض العارفين لان لكل آية ظهراً وبطناً واحداً ومطلعاً ولبطنه بطن الى سبعة أبطن الى سبعين .

وقال بعض العارفين لكل آية سبعون فهما وقيل اكثر مثال ذلك قوله تعالى (فامشوا في مناكبها) قيل في أسواقها وهذا للتجار ، وقيل في آمصارهاوهذا للمتمیشين ، وقيل في فيافيها للسواح وكلها صحيحة لاتعارض فيها .

وقال بعضهم لم يحط بعلوم القرآن الا الله ثم نبيه ﷺ فما عداماالستأثر

الله بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه كأبي بكر فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلي كرم الله وجهه لقوله ﷺ (انا مدينة العلم وعلي بابها) ومن ثم قال ابن عباس جميع ماابرزته لكم من التفسير فهو من علي كرم الله وجهه وكابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله . ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ماحمله اولئك من علومه فنوعوا علومه انواعاً ليضبط كل طائفة علماً وفناً ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ، ثم افرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون حتى كادت ان تخرج عن الحصر ، وعن الحسن البصرى انزل الله مائة واربعة كتب ، واودع علومها في اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ؛ ثم اودع علوم الثلاثة غير القرآن فيه مع زيادات لاتنحصر . وقال الشافعي جميع ماتقوله الائمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن ، وقال ايضاً جميع ماحكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ، وقال بعضهم علومه خمسون علماً واربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون الف علم من عدد كلم القرآن مضروبة في اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن واحد ومطلع .

ومما قيل في معنى البطن والظهر ان ظاهر الكلمة ماظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر ، وباطنها ماتضمنته من الاسرار التي تطلع عليها ارباب الحقائق ، والمراد بالحد أحكام الحلال والحرام ، والمراد بالمطلع كما في الاتقان اشراف على الوعد والوعيد ، وقال بعضهم اصول علومه ثلاثة : توحيد ،ووعظ ، وحكم . ولذا سميت الفاتحة ام القرآن لاشتمالها على هذه الثلاثة وكانت الاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول .

وقال ابن جرير الثلاثة : التوحيد ـ والاخبار ـ والديانات .

وقال آخر : اشتمل القرآن على كل شيء كما قال تعالى (وما فرطنا في الكتاب من شيء) .

أما العلوم فلا تجد مسألة هي اصل الا في القرآن مايدل عليها ، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض ، وما في الافق الاعلى وما تحت

الثرى ، وبدء الخلق واسماء مشاهير الاشياء ، والملائكة وعيون اخبار الامم السابقة وشأنه ﷺ وغزواته واخباره الى مماته ثم شأن امته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته ، وأمارات الساعة وجميع احوال البرزخ والحشر والجنة والنار ، ولما كانت قراءة القرآن العظيم لها شروط وآداب ولااعتداد على وجه الكمال لقراءة التالي الا بها اشار الناظم نفعنا الله به الى ذلك فقال :

﴿ تدبّرْ معانيه ورتّلْه خاشعاً

تفوزُ من الاسرارِ بالكنزِ والذخرِ ﴾

فذكر في هذا البيت التدبر والترتيل والخشوع أما التدبر فهو لمعاني القرآن قال الله تعالى (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها) قال ابو النصر السراج أقفال القلوب ماوقع عليها من الصدى بكثرة الذنوب واتباع الهوى ومحبة الدنيا وطول الغفلة وشدة الحرص اه .

وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مباركاً ليدبروا آياته وليتذكر اولو الألباب) وكلما كان العبد أوسع معرفة بالله كان اوسع تدبراً بالقرآن ، كما حكي ان الامام ابا حنيفة رحمه الله تعالى قام من العشاء الى الفجر يتدبر قوله تعالى (وقفوهم انهم مسؤولون) وقال تميم الداري بهذه الآية يرددها الى الصباح (ام حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا) الآية وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يقرأ الآية في قيامه من الليل فيتدبرها حتى ربما سقط من قيامه من شدة الخوف والخشية والخشوع . وحكايات الصالحين في ذلك كثيرة ولذا قال الامام النووي رحمه الله تعالى وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها الى الصباح ، قال وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة ومات جماعة منهم حال القراءة ، قال وروينا عن بهز بن حكيم ان زرارة بن أوفى التابعي الجليل رضي الله عنه أمهم في صلاة الفجر فقرأ حتى اذا بلغ (فاذا نقر في الناقور فذلك يوم عسير) خر ميتاً ، قال بهز فكنت فيمن يحمله .

وصفة التدبر كما في الاتقان ان يشغل قلبه بالتفكر في معنى مايتلفظ به فيعرف معنى كل آية ويتأمل الاوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك فان كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر ، واذا مر بآية رحمة استبشر وسأل أو عذاب أشفق وتعوذ ، أو تنزيه نزه وعظم ، أو دعاء تضرع وطلب .

روى ابو داود والنسائي وغيرهما عن عوف بن مالك قال : قمت مع النبي ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ

قال ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد نظمها بعضهم في قوله :

دواء قلبك خمسٌ عند قسوتِه ... فدُمْ عليها تفزْ بالخيرِ والظفرِ
خلاءُ بطنٍ وقرآنٌ تدبّرهَ ... كذا تضرعُ باكٍ ساعةَ السحرِ
كذا قيامُك جُنحَ الليل أوسطَه ... وأن تجالسَ أهل الخيرِ والخبرِ

واما الترتيل فهو تبيين الحروف وفصل كل حرف عن اختها واخراج كل حرف من مخرجه والوقف في محله قال الله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) وعن أم سلمة رضي الله عنها انها نعتت قراءة النبي ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح .

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه انه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم .

قال في شرح المهذب واتفقوا على كراهة الافراط في الاسراع قالوا وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل ، قالوا واستحباب الترتيل للتدبر ولانه اقرب الى الاجلال والتوقير وأشد تأثيراً في القلب ، ولهذا يستحب للاعجمي الذي لا يفهم معناه ، انتهى .

وفي النشر اختلف هل الافضل الترتيل وقلة القراءة او السرعة مع كثرتها واحسن بعض أئمتنا فقال : ان ثواب قراءة الترتيل أجل قدراً وثواب الكثرة أكثر عدداً لان بكل حرف عشر حسنات ، وفي البرهان للزركشي كمال الترتيل تفخيم الفاظه والابانة عن حروفه وان لايدغم حرف في حرف وقيل هذا اقله واكمله ان يقرأه على منازله فان قرأ تهديداً لفظ به لفظ التهديد او تعظيماً لفظ به على التعظيم .

وينبغي الاعتناء بالبحث عن معاني القرآن من أحكامه ووجوه اعرابه وتصاريفه وقصصه فتعلم سورة واحدة مع تفهم معانيها خير من تعلم القرآن كله مع عدم الفهم قال بعضهم ، وقال حجة الاسلام ومن لم يكن له فهم في القرآن ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفاً) الى آخر الآية ، انتهى .

ويجب اخذ القرآن العظيم عن اهل الاداء الآخذين عن افواه المشائخ وليحذر من الاقتصار على تعلمه من الورق وينبغي النظر في المصحف والقراءة فيه لما روي عنه ﷺ انه قال (اعطوا اعينكم حقها من العبادة قالوا وماهو قال النظر في المصحف) وروي عنه ﷺ انه قال (أديموا النظر في المصحف) ومن أدلة القراءة في المصحف ماأخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أوس الثقفي مرفوعاً (قراءة الرجل في غير المصحف الف درجة وقراءته في المصحف تضاعف الفي درجة) .

واستحسن الامام النووي في استحباب القراءة في المصحف انه يختلف باختلاف الاشخاص فيختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة فيه ومن الحفظ ، ويختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره ولو قرأ في المصحف .

(وأما الخشوع) فللقلب والجوارح قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم

وقلوبهم) قال بعض العارفين لا يتولد للقارئ الخشوع والتعظيم الا بمعرفة جلال الله ومعرفة حقارة النفس فبذلك يتم الخشوع الذي هو التعظيم لله تعالى فموجب الخشوع المعرفة بجلال الله واطلاعه على العبد ومعرفة تقصير العبد وما يتذكر الا من ينيب تبصرة وذكرى لكل عبد منيب .

وقال الناظم نفعنا الله به في كتابه النصائح الدينية ان للتلاوة آداباً ظاهرة وباطنة ولا يكون العبد من التالين حقيقة الذين تزكو تلاوتهم ويكون من الله بمكان حتى يتأدب بتلك الآداب ، وكل من قصر فيها ولم يتحقق بها لم تكمل تلاوته ولكنه لا يخلو في تلاوته من ثواب وله فضل على قدره . فمن اهم الآداب وآكدها ان يكون التالي في تلاوته مخلصاً لله تعالى ومريداً بها وجهه الكريم والتقرب اليه والفوز بثوابه وان لا يكون مرائياً ولا متصنعاً ولا متزيناً ولا طالباً بتلاوته شيأ من الحظوظ العاجلة والاغراض الفانية الزائلة ، وأن يكون ممتلئ السر والقلب بعظمة المتكلم عز وعلا خاضعاً لجلاله خاشع القلب والجوارح حتى كأنه من تعظيمه وخشوعه واقفاً بين يدي الله تعالى يتلو عليه كتابه الذى امره فيه ونهاه .

وحق لمن عرف القرآن وعرف المتكلم به ان يكون كذلك وعلى اتم من ذلك كيف وقد قال الله تعالى (ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فاذا كان هذا حال الجبل مع جموده وصلابته لو أنزل عليه القرآن فكيف يكون حال الانسان الضعيف المخلوق من ماء وطين لولا غفلة القلوب وقسوتها وقلة معرفتها بعظمة الله وعزته وجلاله اه .

ويستحب البكاء عند القراءة لأنه مما يزيد الخشوع للقارئ والمستمع قال الامام النووي رحمه الله تعالى فهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى (ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقرؤا القرآن وابكو فان لم تبكوا فتباكوا) .

وعن أبي صالح رضي الله عنه قال : قدم ناس من اهل اليمن على ابي بكر رضي الله عنه فجعلوا يقرؤن القرآن فيبكون ، قال أبو بكر هكذا كنا .

وفي مسند أبي يعلى حديث (إقرأوا القرآن بالحزن فانه نزل بالحزن .

وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود عن النبي ﷺ وفيه فاذا عيناه تذرفان .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله البكاء مستحب مع القراءة وعندها قال وطريقه في تحصيله ان يحضرَ قلبه الحزن بان يتأمل مافيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في ذلك فان لم يحضره حزن وبكى كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فانه من اعظم المصائب .

(قول الناظم نفعنا الله به تفوز من الاسرار بالكنز والذخر) القياس هنا تفز لأنه جواب الامر ولعل الرفع فيه لأجل الوزن فيكون من ضرورة الشعر وقوله من الأسرار بيان للكنز والذخر مقدم عليه أي أن المراد من الكنز والذخر الأسرار والأنوار المكنوزة المدخرة (ومعناه ان القرآن كنز لا يفنى وذخر لا يبلى وتجارته لن تبور وربحه في الدنيا ويوم النشور كما نصه الكتاب المسطور قال الله تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) ثم إنه لايورثه الله عز وجل إلا من سبقت له منه السعادة واصطفاه للخير الجزيل والوفر الكامل الكثير قال الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير .

وروي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال إذا قام العبد من الليل فتسوك وتوضأ ثم قام للصلاة فكبر وقرأ وضع الملك فاه على فيه ويقول الملك أتل أتل فقد طبت وطاب لك الأوان قراءة القرآن مع الصلاة كنز من كنوز الجنة وخير موضوع فاستكثروا منه مااستطعتم فان الصلاة نور والزكاة برهان ، والصبر

ضياء ، والقرآن حجة لكم وعليكم ، فاكرموا القرآن ولاتهينـــوه ، فان الله مكرم من اكرمه ومهين من أهانه ، واعلموا أن من تلا القرآن وحفظه وعمل به واتبع مافيه كانت له عندالله دعوة مستجابة يوم القيامة ان شاء عجلها في دنيـاه له أو ادخرها له في الآخرة ، واعلموا أن ماعند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون كذا في خواص القرآن .

وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يكترثون للحساب ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الاكبر ، حامـل القرآن يؤدي به الى الله تعالى يقدم على ربه سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ، ومن أذن سبع سنين لا يأخذ على اذانه طمعاً ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، كذا في الاتقان وبالسند المتصل إلى ابن عباس والضحاك رضي الله عنهم أنه قـال قال رسول الله ﷺ (أشرف أمتي حملة القرآن) وفي رواية الضحاك أشراف أمتي حملة القرآن أي ملازمو قراءته آناء الليل والنهار فانه أعظم النعم ومدار لجميـــع السعادات كذا في النشر .

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال عليـــه الصلاة والسلام : من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله تعالى كانت له نوراً يوم القيامة كذا في الجامع الصغير .

واعلم أن القرآن العظيم مظهر الاسم الهادي وهـــو كتاب الله الذي لم يترك شيأ من أمور الدنيا والدين إلا وتكفل ببيانه أما إجمالاً أو تفصيلا ، قال الله تبارك وتعالى (مافرطنا في الكتاب من شيء) وفيه أودع الله العلوم والاسرار وانما لم يحط بمعرفتها إلا المؤمنون العاملون بما فيه الذين اهتدوا بهدى سيدنا محمد ﷺ وأما غيرهم فبينه وبينه الحجب الساترات لأن الدلالات والاشارات لا تتضـــح إلا لاهلها ولا تجتلي العلوم والمعارف لمرآة القلوب إلا اذا جليت عنها اصداء الاغيـار وجاهدت في ذلك آناء الليل وأطراف النهار ولله در البوصيري حيث قال :

إنما تجتلى الوجـــوه إذا ما جُليت عن مرآتها الاصداء

ومن جملة أسرار القرآن أن فيه شفاء ورحمة وهدى وموعظة فالشفاء للظاهر والباطن والرحمة في الدنيا والآخرة والهدى للمتقين والموعظة للناس، قال الله تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وفي الحديث (خذ من القرآن ماشئت لما شئت) قال البوصيري رحمه الله تعالى:

أو لم يكفهم من الله ذكر ... فيه للناس رحمة وشفاء
أعجز الأنس آية منه والجن ... فهلا يأتي بها البلغاء
كل يوم يهدي الى سامعيه ... معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والأفواه ... فهو الحلى والحلواء

ثم قال الناظم نفعنا الله مرشدا إلى ما يستحب للقارىء أن يكون متصفاً به اقتداء برسول الله ﷺ لينال الثواب كاملا ببركة الاقتداء:

﴿ وكن راهباً عند الوعيد وراغباً
إذا ماتلوت الوعد في غاية البشر ﴾

الواو في قوله وكن عاطفة وما في قوله إذا ماتلوت زائدة وفي البيت جناس المضارع بين راغباً وراهبا، وقد تقدم الكلام على جناس المضارع ومعنى البيت كن خائفاً عند تلاوة آية الوعيد وطامعاً عند تلاوة آية الوعد. قال الله تعالى (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد).

وقد كان ﷺ إذا مر في قراءته على آية رحمة سأل الله من فضله، وإذا مر بآية عذاب استعاذ منه، كما تقدم في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي وغيرهما، ومما يورث الرغبة والرهبة استحضار القلب عند القراءة ومراعاة الآداب، فمنها أن يجلس مستقبل القبلة متخشعاً بسكينة ووقار مطرقاً تاركاً للكلام والعبث والنعاس والضحك والنظر إلى مايلهي، وأن يستاك قبل افتتاح القراءة تعظيماً

وتطهيراً . وقد روى ابن ماجه عن علي موقوفا والبزار بسند جيد عنه مرفوعاً (ان أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك) .

ومما يستحب للقارىء تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لانه مما يزيد الخشوع، وفي الحديث (حسنوا القرآن باصواتكم) فانالصوت الحسن يزيدالقرآن حسناً ، وأخرج البزار وغيره حديث (حسن الصوت زينة القرآن) .

قال الامام النووي رحمه الله تعالى : ولا بأس بإجتماع الجماعة في القراءة ولا بادارتها وهي أن يقرأ الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها .

وفي الاتقان وردت احاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالقراءة وأحاديث تقتضي الاسرار وخفض الصوت ، فمن الاول حديث الصحيحين (مأذن الله لشيء ماأذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن بجهرية) ومن الثاني حديث أبي داود والترمذي والنسائي (الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة) قال النووي والجمع بينها أن الاخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به المسلون أو نيام والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ولأنه يوقظ قلب القاري ويجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط ويدل لهذا الجمع حديث إبي داود بسند صحيح عن أبي سعيد (اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر ، وقال الاوان كلكم مناج لربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة) .

وقال بعضهم يستحب الجهر ببعض القراءة والاسرار ببعضها لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالاسرار ، انتهى .

وينبغي للقاري أن يصون قراءته عن الالحان المحدثة ،ففي الحديث (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، واياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق فانه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية لايجاوز حناجرهم مفتونة

قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم) (قول الناظم) اذا ماتلوت الوعد في غاية البشر اي طامعاً للثواب في غاية البشر وقد تقدم معنى البشر في اول الكتاب ، ولما كان امتثال الاوامر واجتناب المناهي مطلوباً من كل مكلف اشار الى ذلك بقوله نفع الله به :

﴿ بعيداً عن المنهي مجتنباً له
حريصاً على المأمور في العسر واليسر ﴾

اي وكن بعيداً عما نهاك عنه القرآن حريصاً على فعل المأمورات لتكون من المتقين اذ معنى التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ، وبذلك يصير العبد في وقاية من النار ودرجة عالية مع المتقين بدار القرار (والتقوى) ثلاث مراتب ، الاولى التوقي من العذاب المخلد صاحبه وذلك بالتبري من الكفر وعليه قوله تعالى (والزمهم كلمة التقوى) فان المراد بها لا اله الا الله محمد رسول الله ، والثانية التجنب عن كل مافيه لوم حتى الصغائر عند قوم ، وهذا المعنى هو المعنى بقوله تعالى (ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولادخلناهم جنات النعيم) والثالثة ان يتنزه العبد عن كل مايشغل سره عن الحق وهو المعنى المراد بقوله تعالى (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) وفي البيت الجناس المضارع بين قوله العسر وقوله اليسر وهما ضدان ، وذكرهما لان الانسان لايخلو عنهما اذ ما من يسر إلا وبعده عسر ، وما من عسر إلا ويعقبه يسر ، لان الله يبتلي عبده بالمرض والعافية والفقر والغنى وتقوى الله مطلوبة من العبد في كل حال في جميع الاقوال والافعال والحركات والسكنات .

قال الله تعالى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) ثم ان التقوى كلمة جامعة للخيرات مانعة للسيآت وبها تنال السعادة الدنيوية والكرامة الاخروية ، وكم وردت فيها من خصال وآثار (فمن ذلك المدحة والثناء) قال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) ومن ذلك الحفظ والوقاية من كيد الاعداء ، قال تعالى (وان تتقوا لايضركم كيدهم شيأ) ومن ذلك النصر

والتأييد قال تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ومن ذلك النجاة من الشدائد والرزق الحلال قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب) ومن ذلك اصلاح العمل وغفران الذنوب قال الله تعالى (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) ومنها محبة الله تعالى (ان الله يحب المتقين) ومن ذلك القبول قال تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) ومن ذلك الاكرام والاعزاز قال تعالى (ان اكرمكم عندالله اتقاكم) فجعل الكرامة عنده بالتقوى لا بالانساب ولا بالاموال ولا بشيء آخر ومن ذلك التيسير في الامور قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) ومن ذلك البشارة بكل خير في الدنيا والآخرة قال تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ومنها النجاة من النار قال تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ومنها الخلود في الجنة قال تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) وقال تعالى (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار) والآيات والاحاديث الواردة في وصف المتقين كثيرة نسأل الله تعالى ان يجعلنا من المتقين وان يدخلنا في عباده الصالحين مع الذين أنعم عليهم من النبيين والشهداء والصالحين .

وقال تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) اي اسراعاً بهم الى دار الكرامة وقيل وسيق مراكبهم اذ لايذهب بهم الا راكبين قاله البيضاوي (زمراً) اي جماعات في تفرقة ذكره الشيخ عزالدين وقال البيضاوي أفواجاً متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة وهو الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لايخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة ، وقال تعالى (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وقال تعالى (ولاجر الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون) وقال تعالى (ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين) وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) وقال تعالى (ولنعم دار المتقين) .

ومن الآيات الدالة على فضيلة التقوى قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤون كذلك يجزي الله المتقين) اي هكـــذا يكون جزاء المتقين ثم عاد سبحانه وتعالى الى وصف المتقين في الآية الكريمة الاخرى فقال (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة .

وقال البيضاوي ادخلوا الجنة حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لأن الامر بالدخول حينئذ .

وقال الخازن فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وبين قوله ﷺ (لن يدخل احد منكم الجنة بعمله ، قالوا ولا انت يارسول الله ، قال ولا أنا إلا ان يتغمدني الله بفضله ورحمته) أخرجاه في الصحيحين .

من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم رحمه الله اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقد ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ، ولا تثبت هـــذه الاشياء كلها ولا غيرها إلا بالشرع .

ومذهب أهل السنة ايضاً ان الله تعالى لايجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيها مايشاء فلو عذب المطيعين والصالحين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه ، واذا اكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهـــو فضل منه ، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ، ولكنـــه تعالى اخبر وخبره صدق انه لا يفعل هذا بل يغفر للمـــؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه .

وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقد ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في خبط طويل لهم ، تعالى الله عن اختـــراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر الحديث دلالة لاهل الحق انه لايستحق احد الثواب والجنـــة

بطاعته ، وأما قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون) ونحوها من الآيات التي تدل على ان الاعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله ، فيصح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ، ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والفضل والله سبحانه وتعالى أعلم ، انتهى .

وبالجملة فالتقوى منتهى درجات السالكين ووصية الله للاولين والآخرين وعن سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ انه قال : من اتقى الله عاش قوياً وسار في بلاد الله آمناً ، والكلام في التقوى كثير ولابي الدرداء رضي الله عنه :

يُريدُ المرء أن يُعطى مناهُ ... ويأبى اللهُ إلاّ ما أرادا
يقولُ المرءُ فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضلُ مااستفادا

وقال ابن الجوزي : قال بعض العلماء لبعض الاشراف شرفك يحتاج الى تقوى وصاحب التقوى لايحتاج الى شرفك ، وما أحسن قول القائل :

من عرفَ اللهَ فلم تغنه ... معرفةُ الله فذاك الشقي
مايصنعُ العبدُ بعز الغنى ... فالعز كلُّ العز للمتقي

وما ألطف ماقيل في وصف المتقين وذم الغافلين :

تشاغل في الدنيا اناسٌ فأصبحوا ... عن الباب محجوبين قد حجبوا القربا
وأهل التقى لله تسري نفوسُهمْ ... الى غاية نالوا بها المشربَ العذبا
فجالوا بنور العلم في روضة البقا ... بها انفسُ الابرار قد ملئت حبا
همو قطعوا الدنيا بخوف وعيدهم ... فذكرهمو للموت أورثهمْ كربا

وقال بعضهم :

ولا عيشَ الا مع رجال قلوبُهم ... تحنُّ الى التقوى وترتاحُ الذكر

قال الامام الغزالي رحمه الله اعلم ان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق وعلم جسيم وملك عظيم فكأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت في هذه الخصلة التي هي التقوى ، وتأمل مافي القرآن كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم اضاف اليها من سعادة اه .

وقال بعض العارفين من أخرجه الله من ذل المعصية بعز التقوى اغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس ، وللناظم نفع الله المسلمين بعلومه آمين في اثناء قصيدته العينية :

والقصدُ ذكرُ نصيحةٍ ووصيةٍ	للنفس والاخوان إن كانوا معي
تقوىَ الهِ العالمين فانها	عزٌ وحرز في الدنا والمراجع
فيها غنى الدارين فاستمسك بها	والزمْ تنل ماتشتهيه وتدعي

وله من قصيدة أخرى نفع الله به :

عليكَ بتقوى الله في السرو العلن	وقلبَكَ نظفهمن الرجس والدرن
وخالفهوىالنفسالتيليسقصدُها	سوى الجمع الدار التي حشوهاالمحن

وقد شرح هذه القصيدة سيدنا الامام العارف أحمد بن زين الحبشي نفع الله به شرحاً عجيباً سماه سبيل الرشد والهداية في الابيات المنظومة في وصية أهل البداية ، قلت وقد خمسها سيدنا العلامة الصوفي الداعي الى الله في عصره وأكمل المرشدين الى الله في سره وجهره القطب أحمد بن عمر بن زين بن محمد بن سميط نفعنا الله به وبسائر الصالحين ولنوردها برمتها مع التخميس تكميلاً للفائدة قال أذاقنا الله من حلاوة مشربه :

أخي إذا شئت الهدايةَ والمنن	وتكفى جميعَ الشر والضر والمحن
فخذ قول حداد القلوب أبي الحسن	عليك بتقوى الله في السر والعلن

وقلبك نظفه من الرجس والدرن

وجاهدهوىالشيطانوالنفس صدها	عن الغي واردعهاإذا رمت رشدها

وشهوتها امنعها ولا تكُ عبدها وخالف هوى النفس التي ليس قصدها

سوى الجمع للدار التي حشوُها المحن

وكن للرجال العارفين مسودا بصحبتهم تنجو وتحمى من الردا

ككلب أهيل الكهف اذ صار اسعدا واصحب ذوي المعروف والعلم والهدى

وجانب ولا تصحب هديت من افتتن

وإن شئت أن تضحى وتمسي مكرما فلا تحسدن من ذو الجلالة اكرما

وسل ربك الرحمن فضلا معظماً وإن ترض بالمقسوم عشت منعما

وإن لم تكن ترضى به عشتَ في حزن

أرى الزهد في الدنيا أجل الوسائل لاهل التقى والعلم من كل فاضل

به قد أقاموا للصلاة وسائل وصل بقلب حاضرٍ غير غافل

ولا تلهُ عن ذكر المقابر والكفن

وان رمت في الاخرى عظيم كرامة فما رمتَ في الدنيا فكن ذا استقامة

وصبراً على العيش الشديد وفاقة وما هذه الدنيا بدار اقامة

وماهي إلا كالطريق الى الوطن

وفارق قرين الحرص دمت موفقاً ورافق قرين العلم والزهد والتقى

تنل راحة الدنيا وتنجو من الشقا وما الدارُ إلا جنةٌ لمن اتقى

ونارٌ لمن لم يتق الله فاستمعن

سألتك ياربي رضاكَ بلا عنا وجنتك الفردوسَ حاليةَ الجنا

لنا ولمن فيك إلهي احبّنا فيارب عاملنا بلطفك واكفنا

بجودك واعصمنا من الزيغ والفتن

إلهي وسخرْ والياً عادلاً لنا لتصلح دنيانا وتحفظ ديننا

بفضلك الهمنا الذي فيه رشدنا ووفق وسدد واصلح الكل واهدنا

لسنة خير الخلق والسيد الحسن

وبلغ عُبَيْدَ السوء فضلا مرامه فقد باء بالعصيان والعفو رامه

بأحمد المحمود حقا مقامه عليه صلاة الله تتلو سلامه

صلاة وتسليما إلى آخر الزمن

﴿ تنبيه ﴾ ذكر العلامة المحقق محمد بن عمر بحرق الحضرمي في كتابه الحديقه الانيقة ماحاصله أن جميع المقامات مندرجة في اسم التقوى ، قال وقريب من معنى التقوى لفطة البر الا ان دلالة البر بالمطابقة على فعل المأمورات الشرعية كلها وعلى ترك المنهيات باللازمة ، والتقوى بعكس ذلك اي ان دلالتها على ترك المنهيات بالمطابقة وعلى فعل المأمورات باللازمة ، انتهى كلامه . وهو غير ظاهر والصواب كما يظهر أن دلالة التقوى على فعل المأمورات وترك المنهيات بالمطابقة ولا التزام هاهنا إذ من شرط دلالة الالتزام وجود اللزوم الذهني بحيث يلزم من تصور الملزوم واللازم وجود اللزوم بينهما عقلا ، ولو قلنا بدلالة التقوى على ترك المنهيات فأي لزوم عقلا بين ترك المنهيات والامتثال عقلا حتى يحكم العقل بلزوم الامتثال لترك المنهيات .

ومما تقرر يعلم ان التقوى عبارة عن الامتثال والترك ومفهوم التقوى مركب منهما .

قال سيدنا الناظم رحمه الله تعالى والتقوى عبارة عن امتثال أوامر الله واجتناب محارمه ظاهراً وباطنا مع استشعار التعظيم لله والهيبة والخشية والرهبة وقال بعضهم هي أربعة اقامة الفرائض واجتناب المحارم واتباع السنة ولزوم الادب اه .

وقال بعضهم ولو لم يكن في ذلك سوى قوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز

العظيم) لكفت . قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى قلت أليس الله سبحانه وتعالى أعلم بصلاح العبد وانصح له وارحم من كل أحد ، ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم للاجر وأجل في العبودية من هذه الخصلة التي هي التقوى لاوصى الله بها عباده لكمال حكمته وسعة رحمته ،فلما جمع الله في هذه الخصلة الاولين والآخرين واقتصر عليها علم انها الغاية التي لا يتجاوز عنها وانه تعالى قد جمع كل نصح وارشاد وتأديب وتعليم في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته انتهى ، ثم انه لما كانت قراءة القرآن أفضل الاذكار كلها قدمها الناظم نفعنا الله به في نظمه على بقية الاذكار ثم شرع في بيان فضائل الذكر فقال :

وان شئتَ أن تحظى بقلبٍ منوَّرٍ • نقي عن الاغيار فاعكُف على الذِكر

قوله فاعكف على الذكر هو جواب الشرط والخطاب للسالك ، والمراد من قوله تحظى ترزق (ومعنى البيت) ان قصدت أيها السالك او الناسك أن يتنور قلبك ويتصفى عن الاغيار التي تبعدك عن الله فاعكف اي داوم وواظب على ذكر الله تعالى ، والمراد بالنقي المطهر وفي الحديث (اللهم نقني من خطاياي كما ينقي الثوب الابيض من الدنس) قال بعض العارفين ان العبد بالاكثار من ذكر الله تعالى يتجوهر قلبه حتى تتفتح له شقائق نعمان الجنان ، ويهتف معناه حركات اللسان ، فاذا حصلت هذه الحالة الشريفة والخاصة المنيفة لازمتها ملكة يقتدر بها على قلب الاعيان في كل زمان ومكان وهي التي تصرف بها في القلوب حتى ترهبت فيه كل مرهوب باذن علام الغيوب ، وقال بعضهم الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد اعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل ولذلك قيل :

الذكرُ أعظمُ بابٍ أنت داخلهُ ... لله فاجعل له الانفاسَ حُرّاسا

فالذكر أعظم وانفع من جميع العبادات على اختلاف انواعها وتفاوت درجاتها قال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكري) وقال سبحانه وتعالى (فاسعوا الى ذكر

الله) وقال تعالى (ولكل جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله) الى آخره وقال تعالى (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله) وقال تعالى (لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكرالله) وقال تعالى (اذكروني اذكركم) وقال سبحانه وتعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

وقد سئل رسول الله ﷺ أي الاعمال أفضل فقال (ان تموت ولسانك رطب بذكر الله) وعنه عليه الصلاة والسلام (لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا) وقال ﷺ (ألا انبئكم بخير أعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قلنا بلى يارسول الله قال ذكر الله عز وجل) .

وفي الحديث القدسي (من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته أفضل ماأعطى السائلين) وبالجملة فوائد الذكر وفضائله لاتحصى قال تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيما) وقال ﷺ (ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وذاكر الله في الغافلين كالاحياء بين الاموات) .

قال الامام القشيري رحمه الله تعالى ونفعنا به الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقق الارادة وعلامة البداية ودلالة صفاء النهاية .

ثم ان انواع الذكر كثيرة وأفضلها التهليل لقوله تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله) وفي الحديث القدسي (لا اله إلا الله حصني ومن دخل حصني امن من عذابي) وقال ﷺ (أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) وانما كان افضل الاذكار لا اله الا الله لانها تجمع معاني الاذكار وثمراتها الباطنة والظاهرة ، وبها يؤمر أهل البداية واليها يرجع أهل النهاية ، قال ﷺ (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لااله الا الله خالصاً من قلبه) .

وورد أيضاً في الحديث (فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها) وفي الصحيح (من قال لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل) وفي رواية (من قالها كل يوم مائة مرة كانت عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك .

قال العلامة الامير ينبغي للذاكر بلااله الا الله ان يلاحظ كونها آية من كتاب الله ليكثر له الثواب وان لم يلاحظ المعنى ومعناه لامعبود بحق الا الله (ومن الاذكار الفاضلة) التسبيح وهو التنزيه قال تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) وقال تعالى (فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) وقد جاء في قوله سبحان الله وبحمده انها افضل الكلام وأنها أحب الكلام الى الله وانها تكتب لقائلها مائة الف حسنة وأربعة وعشرون الف حسنة ، وان من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله واتوب اليه كتبت لقائلها كما قالها ثم علقت بالعرش لايمحوها ذنب عمله صاحبها حتى يلقى الله يوم القيامة.وهي مختومة كما قالها . وورد في الحديث (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) .

وقد اعتنى العلماء رحمهم الله تعالى بجميع الاذكار الواردة عنه ﷺ كالامام النووي في الاذكار وهي كثيرة يضيق عنها نطاق الحصر ، وجمع العلماء رحمهم الله تعالى دعوات كثيرة استحسنوها واتخذوها اوراداً كورد الامام النووي وحزب البحر للشيخ أبي الحسن الشاذلي ، ولا يتيسر العمل بكل منها لامثالنا فينبغي مهما اقتصر السالك على البعض لعدم تيسر العمل بالكل ان يأتي بالمأثور عنه صلى الله عليه وسلم لانه افضل من غيره .

وقد جمع من ادعيته ﷺ سيدنا الحبيب العلامة طاهر بن حسين علوي في كتابه المسلك القريب ومنها ماروواه الطبراني والحاكم وابن حبان في صحيحيهما عن

عائشة رضي الله عنها ان النبي ﷺ علمها اياه وهو (اللهم اني اسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه وما لم اعلم واسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد ، واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد ، اللهم وما قضيت لي من امر فاجعل عاقبته رشداً ياأرحم الراحمين ، اللهم اني اسألك من خير ماسألك منه عبدك ونبيك سيدنا محمد ﷺ وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله) هكذا جاء على هذا الترتيب وقدم في المسلك هذا على قوله اللهم اني اسألك من الخير الخ ..

ولعله جاء في رواية كذلك قلت وحيث كانت الاذكار الواردة عنه ﷺ أفضل من غيرها فيكفي منها الورد اللطيف لسيدي قطب الارشاد عبدالله بن علوي الحداد لان الاذكار التي فيه هي امهات الاذكار المأثورة ولم تزل ساداتنا العلويون مواظبين عليه صباحاً ومساء وان اتوا بغيره من الادعية ويوصون به كذلك فليقتد بهم مريد التقرب الى الله تعالى .

والورد اللطيف المشتمل على مهمات اذكار الصباح والمساء هو سورة الاخلاص ثلاثا والمعوذتان ثلاثا رب اعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون ثلاثا ، أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وإنكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لااله الا هو رب العرش الكريم ، ومن يدع مع الله الهاً آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون ، وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاثا ، هو الله الذي لااله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لااله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح

له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ، سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ، اعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ثلاثا ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثا ، اللهم اني اصبحت منك في نعمة وعافية وستر فأتم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاثا ، اللهم اني اصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك انت الله لا اله الا انت وحدك لاشريك لك وان محمداً عبدك ورسولك اربعاً ، الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده ثلاثا ، آمنت بالله العظيم ، وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ثلاثا ، رضيت بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا ونبياً ثلاثا ، حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبعاً ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عشراً ، اللهم اني اسألك من فجأة الخير وأعوذ بك من فجأة الشر ، اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك مااستطعت ، اعوذ بك من شر ماصنعت ابوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ، اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم ، ماشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ، اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ، ياحي ياقيوم برحمتك استغيث ومن عذابك استجير اصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، اللهم اني اسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم اني اسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بعظمتك ان اغتال من تحتي ، اللهم انت

خلقتني وانت تهديني وانت تطعمني وانت تسقيني وانت تميتني وانت تحييني ، أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة نبينا ابراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور ، أصبحنا وأصبح الملك لله والحمدلله رب العالمين ، اللهم اني اسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه ، اللهم اني اسألك خير هذا اليوم وخير مافيه وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر مافيه ، اللهم ماأصبح بي من نعمة او باحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك فلك الحمد ولك الشكر على ذلك ، سبحان الله وبحمده مائة مرة ، سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، سبحان الله والحمدلله ولااله الا الله والله اكبر مائة مرة ، ويزيد صباحاً لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ويبدل فيه الصباح بالمساء واليوم بالليل والنشور بالمصير انتهى .

ولما كان حصول الواردات للانسان واستضاءة باطنه بأنوار اللطائف والاسرار بالمداومة والمثابرة على الذكر ، قال الناظم نفعنا الله به وأذاقنا من حلاوة مشربه :

﴿ وثابرْ عليه في الظلام وفي الضيا
وفي كل حالٍ باللسانِ وبالسرِ ﴾

قوله وثابر عليه هذه وصية وحث على الذكر والمثابرة هي المواظبة اي وواظب عليه في الظلام اى ظلام الليل وضياء النهار ، والمراد من عموم الاوقات اذ لايخلو الدهر من هذين كما قيل :

هل الدهرُ إلا ليلةٌ مع نهارِها والا طلوعُ الشمس ثم غروبها

وفي البيت الارداف لعدوله عن لفظ المعنى المراد الى رديفه اذ المراد بالظلام وبالضيا الليل والنهار فعدل عن لفظيها الموضوع لهما الى لفظي الليل والنهار اللذين يرادفان الليل والنهار كقول الشاعر :

إشربوها وكلُّ إثمٍ عليكم | ان شربتمْ بالرطل في ميزانِ
في ليالٍ لو أنها دفعتني | وسط ظهري وقعت في رمضانِ

ومراده بقوله ليال دفعتني الخ أواخر شعبان ، ومر الفرق بين الارادف والكناية عند ذكر أنواع البديع التي اجتمعت في قوله وقيل يأرض ابلعي ماءك باوضح واخصر عبارة ، وفي البيت التورية المجردة عن لازم الموري به ولازم الموري عنه ، اذ يحتمل أن المراد بلفظ السر معناه البعيد الذي هو القلب ، ويحتمل ان المراد به معناه القريب الذي هو ضد الجهر ، ويصح المعنيان إذ الذكر مطلوب بكل منهما كما يأتي بيان ذلك قريباً ،ويشبه هذا النوع من أنواع البديع نوع الاشتراك وهو أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكاً أصلياً أو فرعياً فيسبق ذهن السامع الى المعنى الذي لم يرده الشاعر فيأتي بعدها في البيت أو بيت آخر بما يؤكد أن المقصود غير ماتوهمه السامع فمن شواهده قول كثير عزة :

وأنتِ الذي حببتِ كل قصيرةٍ | إليّ ولم تعلم بذاك القصائرُ
عنيت قصيراتِ الحجالِ ولم أرد | قصارَ الخطا شر النساء البحاترُ

فانه أثبت في البيت ماأزال وهم السامع بأنه أراد القصار مطلقاً ولسيدي عبدالغني النابلسي قدس سره العزيز :

كتمتُ حبّك حتى لا أبوح به | يامن إذا ازدتْ شوقاً زاد هجرانا
فليس يعرفُ سري غيرُ خالقهِ | سر الغرام الذي يزداد كتمانا

ويشبه هذا النوع نوع الايضاح من حيث وضوح المعنى ببقية الكلام ، ولنرجع الى مانحن بصدده من شرح البيت فنقول ، المراد بالمثابرة في الليل والنهار وفي كل حال كما قاله الناظم ان لايزال ذكر الله تعالى في جميع أحواله وعلى دوام اوقاته ، اذ غفلة العبد عن ذكر ربه كثيرة الضرر بل ربما تسلط الشيطان على الغافل واستولى عليه بسبب الغفلة قال الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) وقال جل وعلا في وصف

المنافقين (يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) ومن المعلوم كما قاله العلماء ان الذكر مأمور به على الدوام للمحدث والجنب والفارغ ، حتى أنه ينبغي على الحال الذي يكره له فيها باللسان كالخلاء والجماع ان لا يغفل عن الذكر بقلبه ولا هكذا غيره من الاعمال فان لها شرائط تتوقف عليها ، وأوقات لاتصح إلا فيها ، ولكن من الذكر ماهو مقيد بالزمان والمكان كالاذكار التي في الصلاة وعقبها والحج وقبل النوم وبعد اليقظة وعند الخروج إلى المسجد ، وقد أوضح ذلك العلماء سيما حجة الاسلام ، ومنه ماهو مطلق لايتقيد بزمان ولا مكان ولا وقت كالتسبيح والتحميد وهو سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ومنه التكبير قال الله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا .

(ثم إن المقصود) من الذكر حضور القلب وحياته بالمذكور ومحو الاذكار منه سوى ذكر الله تعالى .

قال الشيخ محي الدين في الاذكار المراد من الذكر حضور القلب فيه فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر مايذكر فيتعقل معناه والتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة لاشتراكهما في المعنى المقصود ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله لا إله إلا الله لما فيه من التدبر وأقوال السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة ، وقال أيضاً في موضع آخر ولا إله إلا الله رأس الذكر ولذلك اختار الأجلة من صفوة هذه الأمة أهل تربية السالكين وتأديب المريدين لأهل الخلوة قول لا إله إلا الله وأمروهم بالمداومة عليها وقالوا أنفع علاج في دفع الوسوسة الاقبال على ذكر الله تعالى والاكثار منه ، انتهى .

والذكر على ضربين ذكر اللسان على الانفراد وذكر القلب على الانفراد فذكر اللسان يوصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب لأنه الأصل والأساس وسواه من الجوارح تابع له في الصلاح والفساد فاذا كان العبد ذاكراً

بلسانه وقلبه معاً فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه ، وذكر القلب على الانفراد أنفع من لهج اللسان بغير الحضور . وقد سئل العلامة ابن الصلاح متى يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات فاجاب بانه من واظب على المأثور من الاذكار في الصباح والمساء والاوقات المختلفة فهو من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات انتهى .
واعلم أن للذكر آداباً ينبغي مراعاتها لتحصيل ثمرتها للمـــريد ، وله كما قالوا بداية ونهاية فبداية الذكر باللسان ونهايته شهود المذكور بالدخول في مقام الاحسان ، وأحسن الذكر ما كان بالقلب واللسان أي احضار القلب يجعل صورة الذكر جارية على القلب والجنان وهذا مراد الناظم نفع الله به بقوله باللسان وبالسر .

وفي الحديث (أن القلوب لتصدي كما يصدىء الحديد وقيل وما جلاؤها يارسول الله قال ذكر الله عز وجل .

واعلم أن ذكر القلب على الانفراد أنفع من لهج اللسان به مـــع الغفلة ولكنه لايترك لوجود الغفلة إذ العمل مطلقاً خير من البطالة .

وقد أشار إلى ذلك صاحب الحكمة بقوله لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز ، انتهى .

وكان سيدي أبو العشائر يقول الاصول التي يبنى عليها المريد أمره أربعة اشتغال اللسان مع حضور القلب بذكر الله ، وجبر القلب على مراقبته ، ومخالفـة النفس والهوى في آجله ، وتصفية اللقمة لعبوديته ، وهي القطب وبها تزكو الجوارح ويصفو القلب . ثم ان الذكر ثقيل على الذات الخبيثة لأنها سقيت بالظلام وفي الذكر نور وهي لاتقبل مالا يوافق طبعها إلا بالمجاهدة ولذا تعين على المريد الصادق الهمـــة قبل الاشتغال بالذكر السلوك على يد شيخ عارف باصول الطريق ليرشده إلى التحلي والتخلي المؤثرين لصفاء الباطن وإلى الرياضة فهو الواسطة للخير والوسيلة إلى المنع من

الضير وناهيك في اكتساب هذه الفضيلة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) ولله در القائل :

وغنمُ مريدٍ في انقياد لكاملٍ ... له خبرةٌ بالعلم والوقتِ والحالِ
هو الكنز والاكسيرُ والكيميا لمن ... أراد وصولاً أو بغي نيلَ آمالِ

ولسيدي قطب الارشاد أذاقنا الله تعالى من حلاوة مشربه :

ولا بد من شيخٍ تسيرُ بسيرهِ ... إلى الله من أهل النفوس الزكية
من العلماء العارفين بربهم ... فان لم تجد فالصدق خيرُ مطية

أي لأن النفس التي هي مريدة الشيطان كثيرة التلبيس عظيمة التدليس توهم العبد أنه صادق وهو كاذب ، وأنه موف بعهده وهو ناكث . وأنه زاهد وهو راغب ، وإنما يعرف ذلك من نفسه بتنبيه شيخ يلقي اليه قياده أو فقيه يستفتيه في جميع اموره وقد قيل :

من لم يكن خلفَ الدليل مسيرُهُ ... كثرتْ عليه طرائقُ الأوهام

﴿ تنبيه ﴾ وردت أحاديث تقتضي استحباب الأسرار بالذكر وأحاديث تقتضي استحباب الجهرية والجمع بينهما إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والاشخاص وحاصل مااستحسنه جماعة من العلماء أن الذاكرين إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالاولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة ، وأما إذا كان الذاكر وحده فالاولى له الاخفاء إن لم يرد تعليم الحاضرين وإلا فالاولى رفع الصوت .

وقد جرى الخلاف في اشتراط فهم معنى الاذكار سوى كلمة التوحيد وافق بذلك السبكي والشيخ الشرجي وتكلم بعض المتأخرين من العلماء في ملازمة اسم الجلالة الذي هو مفرداً مع تكريره طلباً لجمع الهمة وكمال الحضور وليستغرق القلب في الخضوع والخشوع وقال الله مفرداً كلام غير مفيد ، ولا بد في الفائدة معنى مستقلا من أنه يضاف اليه زيادة كقوله الله معي أو ناظر إلى أو راحي أو نحو ذلك وهذا منه وان صح معناه في اللغة من حيث أن الاسم المفرد المبتدأ به إنما تكمل

قائدته بالخبر عنه فهو لايخرج عن كونه ذكراً أو متضمناً لفائدة ودالاً على وجود ذات موصوفة بالالوهية باعتبار اضافة التأله اليه سبحانه وتعالى وهو التعبد او العلو او الرفعة ، فكلما كرر العبد الاسم الشريف تكررت هذه المعاني على قلبه فيحصل ماأشاروا اليه من معنى نحو معي لان ذلك ملازم للقلب لايفارقه ابداً اذ هو معتقد وهذا كلام نفيس .

ثم ان آداب الذكر الموصل الى الله تعالى ان يكون الذاكر لله على اكمل الحالات وأحسن الهيئات ظاهراً وباطناً ، وان يكون على طهارة ونظافة تامة ، وان يكون خاشعاً وقت الذكر مراقباً لله تعالى مستقبلا للقبلة مطرقاً ساكن الاطراف كأنه في الصلاة صادقاً في الذكر بأن يستوي عند السر والعلانية والظاهر والباطن مخلصاً فبالصدق والاخلاص يصل العبد الذاكر الى درجة الصديقية ولله در القائل شعراً :

إذا السرُّ والاعلانُ في المؤمن استوى	فقد عزَّ في الدارين واستوجب الثنا
وان خالفَ الاعلانُ سراً فماله	على سعيه شيء سوى الكدِّ والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافقٌ	ومغشوشهُ المردودِ لا يقتضى المُنا

وقال الناظم اذاقنا الله تعالى من حلاوة مشربه في رسالة المريد ومن سره أن يذوق شيأ من اسرار الطريقة ويكاشف بانوار الحقيقة فليعكف على ذكر الله تعالى بقلب حاضر وادب وافر واقبال صادق وتوجه خارق ، مما اجتمعت هذه المعاني في شخص الا كوشف بالملكوت الاعلى وطالعت روحه حقائق العلم الاصفى وشاهدت عين سره الجلال الاقدس الاسما .

﴿ خاتمة ﴾ نسأل الله تعالى حسنها ينبغي اغتنام عمارة الوقت باتخاذ الاوراد الموصلة الى الله تعالى وقد بين ذلك وفصله حجة الاسلام في كتبه لاسيما كتاب ترتيب الاوراد من الاحياء ، ومن كلامه فيه مانصه (ومن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة ، ومن اراد ان ترجح كفة حسناته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته ، فان خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً فامره مخطر

ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى ان يعفو بجوده وكرمه) انتهى .

ومن كلام سيدي الشيخ عبدالرحمن السقاف من لاورد له فهو قرد ومن ليس لهُ اذكار فليس بذاكر . وقد علم مما مر ان المريد يتخذ مايأمره به شيخه من الاذكار ، واذا فقد الشيخ المربي الذى صار في زماننا كالكبريت الاحمر فليشتغل بالاذكار النبوية الواردة عن النبي ﷺ فهي أفضل من غيرها وأقرب لحصول الاجابة وكذا يكفيه تلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ فانه يصل الى المقصود (وينبغي) اغتنام الاوقات الفاضلة النفيسة التي هي احرى للاجابة بل كل وقت جوهر نفيس لان مافات منه بلا خير لايمكن تعويضه ، ومن مواعظ قطب الارشاد وغوث العباد سيدي الناظم عبدالله بن علوي الحداد :

ومن لم يكن في طاعة الله شغله … على كل حالٍ لايفوزُ ببغيةِ
ولاينشقُ الفياحَ من طيب حضرة الوصالِ إذا هبتْ نسيمُ العنايةِ

ومنها :

عجبتُ لمن يوصي سواه وأنه … لاجدر منه باتباعِ الوصيةِ
يقولُ بلا فعل ويعلمُ عاملا … على ضد علم يالها من خسارة
علوم كامثال الجبال تلاطمت … واعمالها في جنبها مثل قطرة
وقد انفق الايام في غير طائل … كمثل الليالي اذا تقضتْ وولت

ومنها :

ولم ينتهز من فائت العمر فرصةً … ولم يغتنمْ حاليْ فراغ وصحة
ولم يخش ان يفجأه موتٌ مجهز … فان مجيء الموت غيرُ موقت

ومن الاوقات التي لازال السلف يوصون باحيائها بأوراد وعبادة من ذكر وتلاوة قرآن مابين العشائين وبعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس . فان هذين الوقتين من انفس الاوقات بل قال أنس رضي الله عنه في قوله تعالى (تتجافى

جنوبهم عن المضاجع ، ان هذه الآية نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ وعنه قال (مارأيت رسول الله ﷺ راقداً قبل العشاء ولا متحدثا بعدها) فان هذه الآية نزلت في ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال هم الذين لاينامون قبل العشاء فاثنى عليهم ولله در ابن رواحة في مدحه رسول الله ﷺ بقوله :

نبي تجافى جنبه عن فراشهِ ... اذا اشتغلت بالمشركين المضاجعُ

واما عمارة مابين صلاة الصبح الى طلوع الشمس بوظائف الخير من ذكر وفكر وقراءة قرآن ودعاء فهي غنيمة باردة لايتركها الا محروم متهاون بل قيل ان في هذا الوقت الشريف خاصية قوية لجلب الارزاق الدنيوية فضلا عن السعادة الاخروية التي هي غاية مطمح المتقين قال ﷺ (من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة) قال حجة الاسلام الغزالي ان هذا الوقت اعني مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال (والصبح اذاتنفس) وتمدحه به اذ قال (فالق الاصباح) وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) وقوله عز وجل (ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى) وقوله تعالى (واذكرُ اسم ربك بكرة وأصيلا) واذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان تكون وظيفته الى طلوع الشمس اربعة انواع ادعية واذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر وكيفيته ترجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ، يدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير . ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه . ويحضر في قلبه النيات الصالحة من اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين .

(الفن الثاني) فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم

الله تعالى وتواتر الآية الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بقدرة الاله واستغنائه ، ويزيد خوفه منها ومها تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة امرين احدهما زيادة المحبة اذ لايحب القلب الا من اعتقـد تعظيمه ، ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وتعالى الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب افعاله ، فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة ، انتهى ملخصاً .

ثم ان اوراد المشائخ العارفين على اختلاف انواعها عـديدة الكيفيـات لكثرة طرائقهم في ذلك فكلّ انشأ كيفية واستحسنها لنفسه ورتبها حسب ماالهمـه الله تعالى على ان القصد واحد كما قيل :

عباراتنا شتى وحسنك واحدٌ ... وكلٌ الى ذاك الجمـالِ يشيرُ

أفاض الله تعالى علينا من بحر معارفهم ، وألحقنا بزمرة اهـل النور والحبور ، ورزقنا التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار السرور ، وأوصلنا الى درجة اهل الشهود والحضور ، قال بعض العارفين ان احزاب المشائخ صفة حالهم ونكتة منازلهم وميراث علومهم وأعمالهم وأحوالهم مؤيدة بعلومهم مسددة بالهـامهم مصحوبة بكراماتهم .

وذكر بعض العارفين ان الصلاة المنسوبة لسيدي القطب الـكامل احمد البدوي رضي الله عنه سبب لحصول كثير من الانوار وانكشاف كثير من الاسرار وهي من اعظم الاسباب للاتصال بالنبي ﷺ في المنام واليقظة ، وهي سبب في وصول كثير الى رتبة القطبانية وفيها اسرار في تسهيل الارزاق الظاهرة والباطنة اعـني الارزاق الحسية وهي ارزاق الاشباح والارزاق المعنوية وهي المعارف والعلوم ولها خواص كثيرة لاتحصى وينبغي لقارئها ان يكون في وقت القراءة مستحضراً لانوار النبي ﷺ وعظمة ذاته في قلبه وأنه الواسطة العظمى والسبب الاقوى في وصول كل خير ، فمن واظب على قراءتها بهذه الشروط كل يوم مائة مرة واستمر على ذلك اربعين يوماً مع الاستقامة يحصل له من الانوار والخير مالا يعلم قدره الا الله تعالى ،

ومن واظب على قراءتها كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح وثلاثا بعد المغرب يرى لها اسراراً كثيرة والله الموفق للصواب ، والصلاة المذكورة هي هذه :

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد شجرة الاصل النورانية ولمعة القبضة الرحمانيـــة ، وأفضل الخليقـة الانسانية ، واشرف الصورة الجسمانية ، ومعدن الاسرار الربانية ، وخزائن العلوم الاصطفائية ، صاحب القبضة الاصلية والبهجة السنية والرتبة العلية ، من اندرجت النبيـون تحت لوائه فهم منه واليه وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، عـــدد ماخلقت ورزقت وأمت وأحييت الى يوم تبعث من أفنيت وسلم تسليمـــاً كثيراً والحمد لله رب العالمين .

ومما ينسب لسيدي احمد البدوي ايضاً :

اللهـــم صل على نور الانوار وسر الاسرار ، وترياق الاغيـار ومفتاح باب اليسار سيدنا محمد المختار وآله الاطهار واصحابه الاخيار عدد نعم الله وأفضاله .

ذكر كثير من العارفين انها مجربة لقضاء الحاجات وكشف الكـــربات ودفع المعضلات وحصول الانوار والاسرار بل مجربة لجميع الاشياء وعدة وردهـا يكون مائة مرة كل يوم .

(وذكر بعض العارفين) ان كما جرب لرؤية النبي ﷺ الاكثار من الصلاة عليه ﷺ يقرأ مائة مرة قول الابوصيري رضي الله عنه في همزيته :

ليتـه خصّني برؤيـــة وجه زالَ عن كل من رآهُ الشقاءُ

ولتثبيت الايمان كما جرب عن كثير من العارفين باعلام النبي ﷺ وأمره بذلك في المنام بين سنة الصبح والفريضة ياحي ياقيوم لا اله الا انت اربعين مرة .

﴿ فائدة ﴾ وردت عن النبي ﷺ في احاديث صحيحة كثيرة امر بها بعض اصحابه لتوسعة الرزق قال بعض العارفين وهي مجربة لبسط الرزق الظاهري

والباطني وهي هذه : لا اله الا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة ، واستحسن كثير من المشائخ العارفين ان تكون بين سنة الصبح والفريضة ، فان فاتت في ذلك الوقت فبعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس ، فان فاتت في ذلك الوقت فعند الزوال فلا ينبغي للعبد ان يخلي يومه عنها انتهى .

ولما أمر الناظم نفعنا الله به على سبيل الارشاد بالعكوف على الذكر لما يفهم من كلامه رضي الله عنه ان العكوف عليه سبب لتنوير القلب وصفاء السريرة وحث على المثابرة عليه في عموم الاوقات أخذ يتكلم على مايبدو للعبد من نور المعرفة الذي يقذفه الله في قلبه فقال :

﴿ فانك ان لازمته بتوجه •

بدا لك نورٌ ليس كالشمس والبدرِ ﴾

اي قدم على ماذكر لانك ان لازمت الذكر بتوجه اي بقلبك نحو المذكور ظهر لك نور ليس كنور الشمس والقمر ، وذلك لان الشمس والقمر يطرأ عليهما الكسوف ونور القلوب المعنوي اذا استحكم فيه وأشرق فيه لا كسوف له ولذلك قال قائلهم :

ان شمس النهار تغرب بالليـ ـل وشمس القلوب ليست تغيب

قال بعض العارفين لو كشف الحق عن مشرقات قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر في مشرقات انوار قلوبهم ، وأين نور الشمس والقمر الا ان يطرأ عليهما الكسوف والغروب من انوار قلوب أوليائه التي لا كسوف لها .

(وعلم) من كلام الناظم نفعنا الله به ان توجه المريد بكليته من اقوى الاسباب الموصلة الى مرتبة العارفين أهل الكشف والعيان لان المجاهدة وان لم تكن شرطاً في تحصيل هذه المرتبة اذ قد يحظى العبد ويرزق من خزائن مولاه بحسب المواهب والاقدار بطلب وبغير طلب فهي سبب موصل اليها غالباً كالسبب في تحصيل

الرزق والولوج ، وأما العجز فداء عقيم (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وفي الحديث القدسي (ومازال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه الخ ..) (وورد ان لله في ايام دهركم نفحات فتعرضوا لها) ولا يصدق التعرض الا بالتوجه التام للحضرة العلية المقدسة عن الجهات الكونية بتزكية وقطع الحجب الساترة على القلب كحب الدنيا واتباع الهوى والشهوات وغيرها وانفاق الاوقات في القربات والطاعات مع قطع المقامات التي لا بد للسالك من قطعها كالتوبة والمحاسبة والمراقبة والاخلاص والصدق والزهد والحضور مع الله تعالى بالقلب والتسليم والتوكل وغير ذلك مما هو في كتب القوم مشحون، والتبري من الحول والقوة والرجوع الى حوله وقوته ثم مع سبق العناية والتوفيق اذا تحلى العبد بما ذكر وتخلى عما ذكر بمراعاة الشروط المعلومة عندهم كشف له الامر الذي هو غاية المقصود ونال مانال الرجال من فضل ربك المعبود وانتظم في سلك المعنيين بقول بعض الواصفين :

رجال سَمَوْا بالصدق أعلا المنازل ... على المنهج الاسنى بسير المحافل
عبادٌ صَفَوْا بالله واستغرقوا به ... وأفنو وأبقوا بعد محو الرذائل
تجوهرت الاسرارُ منهم وقد علوا ... مقاماً لهم في المجد اسنى المنازل
حُظُوا باتباع المصطفى فتصيقلت ... مرايا قلوبٍ أشرقت بالفضائل
وأسرى اليهـا من نوافح سره ... عواطف سر لا لها من مماثل
وامدادهُ من فيض بحـر كماله ... مدادٌ طمى هطاله بالفواضل
زكت منهم الاسرار مع كل حاضر ... ومشربهم يُزرى بعرف المناهل

ويحق لمن اقتفى هؤلاء السادة الابرار واقتبس من مشكاة اسرارهم فاشرقت عليه الانوار ان يقول بلسان المقال بعد مساعدة الحال .

نحن في عيشة الوصال الهنية ... نجتلي الراح في الكؤوس السنية
قد لبسنا هيـا كل النور لما ... فارقتنا الهيـاكلُ البشرية

(وأما) من زعم انه يبلغ مقامات الرجال على ماهو عليه من التلبس

بالاخلاق المذمومة فهو ذو امنية محضة وغرور باطل ، فعلى اللبيب السالك سبيل الانصاف المتجنب مهاوي الاعتساف ان يعرف قدره ولا يدعي بلوغ درجة العارفين اولى الحقائق والاحوال وهو ساقط عن مقام الرجال ، وليعلم ان الله سبحانه وتعالى مطلع عليه في جميع الاقوال والأحوال وليحذر عند قوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) .

(قال بعضهم) اذا جلست للناس واعظاً فكن واعظاً لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله تعالى يراقب باطنك .

(وروي) ان الواعظ اذا جلس ليعظ الناس قال له كاتباه ياعبدالله عظ نفسك بما تعظ به اخاك واستحِ من سيدك فانه يراك ، وعلى ماتقرر فلا فلاح ولانجاة الا بترك علائق الدنيا الشاغلة وصدق الله تعالى في المعاملة وقد قيل شعر :

بالذوق والشوق نالوا عزة الشرف ... لا بالداوق ولا بالعُجب والصلف

ومذهبُ القومِ اخلاقٌ مطهرةٌ ... بها تخلقت الاجسادُ في النطفِ

والزهدُ في كل فانٍ لابقاء له ... كما مضتْ سنة الاخيار والسلفِ

قوم لتصفيةِ الارواح قـد عملوا ... وسلموا عارضَ الاشباح للتلفِ

لا بالتخلف في المعروف تعرفهم ... ولا التكلف في شيء من الكلفِ

ماضرَّهم رثُّ أطمارٍ ولا خلق ... كالدرِ ماضره مخلوقُ الصدفِ

وا شقوتي ان تولّت امـة سلفت ... حتى تخلقتُ في خلقي من الخلف

ينمّقون تزاوير الغـرور لنـا ... بالزُور في القول والبهتان والخلف

ليسَ التصوفُ عكازاً ومسبحة ... كلا ولا الفقر رؤيا دلقك الترف

وان تروحَ وتغـدو في مرقعة ... وتحتها موبقاتُ الكبر والسرف

وتظهر الزهد في الدنيا وانت على ... عكوفها كعكوف الكلب في الجيف

الفقرُ سرٌ وعنك النفس تحجبه ... فارفع حجابك تجلو ظلمة السدف

وفارق الجنس وافن النفس في نفسٍ ... وغب عن الحس واجلب دمعة الاسف

وقف على عرفاتِ الذلِ منكسراً ... وحول كعبة عرفان الصفا فطُف

وادخل الى خلوة الافكار مبتكراً ... وعد الى حانة التذكار بالصحف
وان سقاك مدير الراح من يده ... كأس التجلي فخذ بالطاس واغترف

وللامام المقدسي رحمه الله تعالى

ذهب الرجال وحال دون مجالهم ... زمر من الاوباش والانذال
زعموا بانهمو على آثارهم ... ساروا ولكن سيرة البطال
لبسوا الدلوق مرقعاً وتقشفوا ... كتقشف الابطال والابدال
قطعوا طريق السالكين وأظلموا ... سبل الهدى بجهالة وضلال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى ... وحشوا بواطنهم من الادغال
ان قلت قال الله قال رسوله ... همزوك همز المنكر المتغالي
ويقول قلبي قال لي عن خاطري ... عن سر سري عن صفا احوالي
عن حضرتي عن فكرتي عن خلوتي ... عن جلوتي عن شاهدي عن حالي
عن صفو وقتي عن حقيقة حكمتي ... عن ذات ذاتي عن صفات فعالي
دعواه ان حققتها الفيتها ... القاب زور لفقت بمحال
تركوا الشرائع والحقائق واقتدوا ... بطرائق الجهال والضلال
جعلوا المرا فتحاً والفاظ الخطا ... شطحاً وصالوا صولة الادلال
وترصدوا اكل الحرام تخادعاً ... كتخادع المتلصص المحتال
فاحذرهمو واحفظ مودة سادة ... قاموا بذكر الله في الآصال
القانتين المخبتين لربهم ... الناطقين باصدق الاقوال
التاركين حظوظهم ونفوسهم ... المؤثرين بخالص الاموال
ماشأنهم في شأنهم كذب ولا ... عمل لقصد ريا ولا لجدال
عملوا بما علموا وجادوا بالذي ... وجدوا وما بخلوا بفضل نوال
واذا بدا ليل سمعت أنينهم ... وحنينهم بتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم ... مثل انهمال الوابل الهطال
متفاوتين بقربهم وبحبهم ... كتفاوت العمال في الاعمال

في الليل رهبانٌ لخدمة ربهم ... وتخالهم في الجود كالأبطال
تاهوا على كل الملوك وإنهم ... لهم الملوكُ بعزة الاقبال
ولرب أشعث حقّرتُه دلوقه ... ولدى المليك هو العزيز الغالي
خمص البطون لما بهم من فاقة ... شعثُ الرؤس لروعة الاهوال
لم تخل أرض منهمو قد حكموا ... ذات اليمين بها وذات شمال
سوّى لهم بين الثريا والثرا ... والعرش والفرش الرفيع العالي
لا ينظرون الى سوى محبوبهم ... شغُلاً به عن سائر الأشغال
فهموا اليك وسيلتي ياسيدي ... إلا وصلت حبالهم بحبالي

(واعلم) ان من انفع الوسائل الى تهذيب النفس والتخلق باخلاق الصالحين مطالعة الكتب النافعة المتضمنة بيان طريق الآخرة بالترهيب والترغيب المشحونة من ذكر الاخلاق المذمومة وعلاجها ككتب حجة الاسلام الغزالي ، وقد لخص سيدنا الناظم في بعض مصنفاته نفعنا الله به زبدة كلام حجة الاسلام وقال ان الاولى للمريد السالك ان يطالع الكتب الغزالية أولاً ثم يطالع الكتب الشاذلية الى آخر ماقال ، وقال نفعنا الله به وبسائر الصالحين في مدح الاحياء العظيم الشأن الشارح للكتاب والسنة ابياتاً وهي هذه :

بإحياءعلوم الدين نحيي قلوبنا ... ويكشف عنا غمنا وكروبنا
كتابٌ حوى علم الكتاب وسنة ... وما قاله أوّاهنا ومنيبُنا
مواريثُ اسلاف لنا وأئمةٌ ... مضوا وعلى آثارهم مستجيبُنا
اذا نُشرت اعلامهُ وعلومُه ... وأبصرها علامنا ومصيبنا
تحقق أن العلم فيه باسره ... ولم يسترب في مثل هذا أريبنا
وقد أطنب الشيخ الامام بوصفه ... أبو المكرمات العيدروسُ حبيبُنا
وكم غيرُه من عارف ومحقق ... وحبر عليم والاله حسيبُنا

(وقال الامام الشبلي) في الشرح ان من أنفع العلوم واكثرها لخيري الدنيا والآخرة جمعا واشدها في حياة القلوب وقعا معرفة سير الأولياء العارفين

الذين باقوالهم وافعالهم على الله دالين ، فيحصل بذلك حسن الظن بهم ومحبتهم الموصلة الى اعلا الرتب لقوله ﷺ (المرء مع من احب) انتهى ، وخصوصاً الاعصار القريبة لكونهم اقبلوا على الله في زمان الادبار ، وبصرهم الله حين عميت الابصار ، وزهدوا وقنعوا باليسير لما عم الحرص والطمع في هذه الدار ، فتمسك ياأخي بأذيالهم تكن ان شاء الله على بالهم وتظفر بخيرات الدنيا والآخرة ببركاتهم جعلنا الله ممن يحب اولياء الله آمين .

وفي فتح المبين لسيدي عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس قدس الله سره العزيز ومن نتائج الوصول حسن الظن في المشائخ وحسن الظن في اولياء الله الى ان قال بعد ان ذكر ماذكر مما يتعلق بذلك ، فان قلت اين المشائخ اين الاولياء فالجواب من جد وجد ولو طلبتهم طلبك للماء البارد عند العطش لوجدتهم فانه لابد في كل عصر من وجود أهل الدرك فيه مثل القطب والامامين والارتاد وغيرهم ، ولا بد في كل عصر من وجود مائه الف ولي وأربعة وعشرين الف ولي على عدد الانبياء وقد يزيدون ولا ينقصون فافهم ، وعلى تقدير عدم وجدانهم لعدم رؤيتك اياهم لا لعدمهم كما قال شيخنا العلامة الوجيه السيد عبدالرحمن بن عبد الله بلفقيه العلوي قدس سره :

وماقل أهل النور والفضل والصفا ولكنها قلت عيون البصيرة

فقد كان سيدي العارف بالله تعالى ابو العباس احمد بن عقبة الحضرمي تلميذ العيدروس يقول : وعليك بدوام الذكر وكثرة الصلاة على النبي ﷺ فهي سلم ومعراج اذا لم يلق الطالب شيخاً ومرشداً ، انتهى .

﴿ تتمة ﴾ ينبغي معرفة شيء من مصطلحات القوم لاسيما لمريد السلوك وذلك ان كل طائفة من العلماء لهم الفاظ اصطلحوا عليها تقريباً على المخاطبين وتفهيماً للطالبين ، وللقوم رضي الله عنهم الفاظ يستعملونها فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لبعضهم مع بعض والاجمال والستر على من باينهم في طريقهم لتكون معاني الفاظهم مشتبهة على الاجانب غيرة منهم على اسرارهم ان تشيع في غير اهلها لانها

معادن اودعها الله قلوبهم واستخلص لها اسرارهم ، قال سيدنا الناظم نفعنا الله به مشيراً الى قليل منها ومحرضاً على معرفتها :

وحقق طريق القوم واعلم أصولهم وكل اصطلاح بينهم في الطريقة
كفرق وجمع والحضور وغيبة وصحو ومحو وانفصال ووصلة

ولنقتصر على بيان ذلك على وجه الاقتصار من كلامهم ، فنقول ان من اصطلاحهم مقام الفرق والجمع فالجمع هو الاستغراق في شهود عظمة الله وصفات جماله وجلاله فصاحب هذا المقام دائم المراقبات مغمور بالرحمات رضيع ثدى المشاهدات باشراق انوار التجليات ، والفرق يقال له التفرقة مأخوذة من تفرقته في الكائنات مع الحق فمن اشهده الحق سبحانه وتعالى أفعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة ، ولا بد للعبد في حال سلوكه من هذين المقامين أعني الفرق والجمع ، فمن لا فرق له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له ، ففي قولك اياك نعبد اشارة الى الفرق المقتضى للتفرقة بين العابد والمعبود واستقلال باعتبار ظاهر الحال ، وفي قوله واياك نستعين اشارة الى الجمع المقتضى للتبري من الحول والقوة الا بالحق ورجوع الى الكبير المتعال ، وعلى ماتقرر فالمراد بلفظ الجمع المواهب وبلفظ التفرقة المكاسب ولمقام الجمع اشار بعضهم حيث يقول :

ولما تجلى من أحب تكرماً وأشهدني ذاك الجمال المعظما
ترفع لي حتى تيقنت أنني أراه بعيني جهرة لا توهما
وفي كل حال أجتليه ولم يزل على طول قلبي حيث كنت مكلما
وما هو في وصف بمتصل ولا بمنفصل عني وحاشاه منهما
وما قدر مثلي ان يحيط بقدره وان الثرا من رفعة البدر أينما
أشاهده في صفو سري فاجتلي جمالا تعالى عزه أن يقسما
كما ان بدر التم يظهر وجهه بصفو غدير وهو في افق السما

وهذا وأمثاله مما يدق على الفهم ادراكه ولا يتحققه الا من حظي به

ذوقا وقد قال الجنيد شيخ الطريقة رضي الله عنه التصديق بطريقتنا هـــذه ولاية صغرى ، فلا ينبغي لمن لا يعلم الا التسليم لمن يعلم ليكون على اي حالتيه اسلم (ومن ذلك الغيبة والحضور) فالغيبة غيبة القلب عن علم مايجري من احوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن احساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو عقاب ، واما الحضور فقد يكون حاضراً بالحق لانه اذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى انه يكون كأنه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين ربه فعلى حسب غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق .

(ومن ذلك المحو والصحو) فالصحو رجوع الى الاحساس بعد الغيبة مطلقاً ، والمحو رفع اوصاف العادة بغيرها ، والاثبات اقامة احكام العبادة ، ومن نفى عن احـــواله الذميمة واتى بدلها بالافعال والاحـــوال الحميدة فهو صاحب محو واثبات .

(ومن ذلك الوصل) وهو تلذذ القلب بشهود الحق بعد زوال الحجب الظلمانية والنورانية ، فان دام له الشهود يقال له وصل الوصل الكامل كقولهم سر السر وعين العين مبالغة في كمال الشيء ، ومن ذلك الشرب والذوق ويعـــبرون بذلك كما قاله القشيري عما يجدونه من ثمرات التجلي ونتـائج الكشوفات وبوارد الواردات في اول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الري .

(ومن ذلك الستر) والتجلي فالعوام في غطاء الستر والخواص في دوام التجلي وهو كما قال السيد الشريف في تعريفاته هـو ماينكشف للقلوب من انوار الغيوب والستر . كما قال القشيري للعوام عقوبة وللخواص رحمة وقال غيره وليس كذلك بل رحمة اي للعوام لاشتغالهم بقوام الدنيا من الحرف والصنائع وهي فرض كفاية في حقهم والله اعلم .

(ومن ذلك المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة) فالمحاضرة تكون ابتداء ثم المكاشفة ، ثم المشاهدة ، فالمحاضرة حضور القلب مع الحق تعالى بالبرهان ، وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضراً باستيلاء سلطـان

الذكر ثم بعده المكاشفة وهي حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة الى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعي الريب ولا محجوب عن نعت الغيوب ، ثم المشاهدة وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة وتطلق المشاهدة على رؤية الاشياء بادلة التوحيد وعلى رؤية الحق في الاشياء وعلى حقيقة اليقين .

(ومن ذلك) التلوين والتمكين فالتلوين لارباب الاحوال والتمكين صفة اهل الحقائق ، فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لانه يترقى من حال الى حال واذا وصل تمكن فاتصل .

ومن ذلك (القرب والبعد) وأول رتبة في القرب من الله القرب من طاعته بدوام عباداته ، وأما البعد فهو التدنس بمخالفته والتجافي عن طاعته فاول البعد بعد عن التوفيق ثم بعد عن التحقيق .

(ومن ذلك المقام) بفتح اوله وهو مايتحقق به العبد بمنازلته اي بالتحلي به من الآداب والرياضة وشرطه ان لا يرتقي من مقام الى آخر حتى يستوفي احكام ذلك المقام فان من لاقناعة له لايصح له التوكل ومن لاتوكل له لايصح له التسليم ومن لاتوبة له لايصح له الانابة ومن لاورع له لايصح له الزهد قال بعضهم متمثلا بهذه الابيات عند ذكر المقام :

ولا تلتفتْ في السير غيراً فكلُّما	سوىَ الله غيرٌ فاتخذ ذكره حصناً
وكل مقامٍ لاتقم فيه إنه	حجابٌ فجد السير واستنجدالعونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي	عليكَ فحُلْ عنهافعنْ مثلها حُلْنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلبٌ	فلا صورةٌ تجلى ولا طرفه تجنى
وسيرْ نحو أعلام اليمين فانها	سبيلٌ بها يُمنٌ فلاتترك اليُمنا

(ومن ذلك الحال) قال القشيري وهو مايرد على القلب من غير اجتلاب ولا اكتساب كالفرح والحزن والقبض والبسط والشوق والازعاج والهيبة والابتهاج فالاحوال مواهب من عين الجود والمقامات مكاسب ببذل المجهود .

(ومن ذلك القبض والبسط) وهما حالتان بعد ترقي العبد عن حالتي

الخوف والرجا ، فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف ، والبسط له بمنزلة الرجاء للمستأنف ومن الفرق بين الخوف والرجاء والقبض والبسط ... ان الخوف يكون من شيء مستقبل من فوت محبوب او هجوم محذور ، وكذلك الرجا يكون بتأميل مستقبل او تطلع الى زوال محذور وكفاية مكروه مستقبل ، وأما القبض فمعنى حاصل في الوقت ومثله البسط وقبض كل احد على حسب بسطه وبسطه على حسب قبضه .

(ومن ذلك) التواجد والوجدان والوجود ، فالتواجد استدعاء الوجد بضرب اختيار ورخص فيه للفقراء المتجردين المترصدين لوجدان هذه المعاني لحديث فان لم تبكوا فتباكوا وليس لصاحبه كمال الوجد وقال قوم التواجد غير مسلم لصاحبه لتضمنه التكلف وبعده عن التحقيق ، والوجد مايرد على القلب بغير تكلف واستدعاء ولهذا قالوا الوجد المصادفة والمواجيد ثمرات الاوراد فمن لا ورد له بظاهره لا وارد له في سرائره ، وأما الوجود فهو بعد الارتقاء عن الوجد ولا يكون وجود الحق الا بعد خمول البشرية لأن البشرية لا بقاء لها مع ظهور سلطان الحقيقة وهذا معنى قول الجنيد رحمه الله تعالى علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مباين لعلمه وفي معناه انشدوا :

وجودي ان اغيبَ عن الوجودِ بما يبدو عليّ من الشهودِ

(ومن ذلك النفَس) بالفتح وهو ترويح القلوب بلطائف الغيوب وصاحب الانفاس ارق وصفاً من صاحب الاحوال فكان صاحب الوقت مبتدي وصاحب الانفاس منتهي وصاحب الاحوال بينها فالاوقات بداية والانفاس نهاية والاحوال وسائط ومن ذلك النفس والقلب والروح والعقل والسر والكلام على ثلاثة الاول كثير شهير ، وأما السر فقال القشيري لطيفة مودعة في قالب الانسان كالروح قال واصول الصوفية تقتضي انه محل المشاهدة كما ان الارواح محل للمحبة والقلوب محل للمعارف فعلى موجب مواضعتهم ومقتضى اصولهم يكون السر الطف من الروح والروح اشرف من القلب . قال وقد يطلق لفظ السر على مايكون مصوناً مكتوماً بين العبد وبين الحق من الاحوال اي كالاخلاص والمحبة والخوف والرجا ونحو ذلك من المواهب .

(ومن ذلك) الخواطر وهي خطاب يرد على الضمائر، وقد يكون بالقاء ملك، وقد يكون بالقاء شيطان، وقد تكون احاديث نفس، وقد تكون من قبل الحق سبحانه وتعالى بلا واسطة، فاذا كان من الملك فهو الهام وهو القاء معنى في القلب بطريق الفيض، واذا كان من قبل الشيطان قيل له الوسواس، واذا كان من قبل الله سبحانه وتعالى والقائه في القلب فهو خاطر حق وجملة ذلك من قبيل الكلام النفسي الملقى في الضمائر.

(ومن ذلك) علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين، وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطاً، وهذا ماتيسر ايراده منقولا من كلامهم ومأخوذاً من فوائدهم وهذه الاصطلاحات معانيها ذوقية لاتعلم الا بالذوق والعبارة عنها لاتفيد شيأ اذ المقصود غير منضبط بالعبارة وانما المقصود منها التقريب والاشارة وهذا امر لايسعه الا الايمان حتى يمن الله على السالك بمقام الاحسان.

(واعلم) انه ينبغي كما قال العلماء توجيه كلام القوم لمن طالعه واشكل عليه شيء من ذلك وحمله على محمل حسن لائق بمقاماتهم العلية ولا يعترض اللبيب عليهم، قال سيدي الناظم عبدالله بن علوي الحداد نفعنا الله به:

وسلمْ لاهلِ الله في كلِ مشكلٍ لديكَ لديهمْ واضحٌ بالادلة

وذلك لان الولي قد تجري على لسانه او غيرها من جوارحه اشياء في الظاهر مستنكرة وباطنها حق، حتى اذا حضر وجهه حصل الاعتراف بصحته كمسائل الخضر عليه السلام، ولنرجع الى ذكر النور الذي تقدم ذكره فنقول لما كان النور المذكور هو نور معنوي يورده خالقه على قلب عبده المستور فيشرق فيه العلم المشهور اشار سيدنا الناظم الى ذلك بقوله:

﴿ولكنه نورٌ من الله واردٌ

أتى ذكرهُ في سورة النورِ فاستقر﴾

اي ليس كنور الشمس والبدر كما تقرر بل هو الذي ذكره في سورة

النور يعني في قوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال) الآية اي مثل نوره تعالى في قلب المؤمن اي صفة نوره العجيبة كمشكاة اي صفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة ، فشبه صدره بالمشكاة اي الكوة ، وقلبه في صدره بالقنديل في المشكاة ، وشبه معرفته بالمصباح اي الضوء في القنديل ، وشبه القنديل الذي هو قلبه بالكوكب الدرى ، وشبه امداده بمعرفته بالزيت الذي يمد السراج في الاشتعال :

ونهجُ سبيلي واضحٌ لمن اهتدى ولكنما الاهواء عمَّت فأعمت

والى معنى النور المذكور اشار بعضهم بقوله :

هذب النفس بالعلوم لترقى وترى الكل فهي للكل بيتُ
انما النفسُ كالزجاجة والقلـ ـب سراجٌ وحكمةُ الله زيتُ
فاذا أشرقتْ فانك حيٌ واذا أظلمتْ فانك ميتُ

(وقال آخر)

فالقلبُ مشكاةٌ وفيه زجاجةٌ قد عُلّقت بسلاسل المنهاج
متوقد بالنور من زيتونةٍ كادتْ بهجتها لكل سراج

ومن المعلوم ان اصل النور الذي يرد على القلب هو بمحض فضل الله تعالى ، وتحصل قوته بعد ذلك باكتساب الفضائل بالعبادات واظهار الذلة والمسكنة في جميع الحالات ، فاذا تكامل اعني النور تطلع منه انوار كثيرة منها نور العلم اللدنى الذي هو في الاصل نتيجة التقوى كما نص عليه الكتاب المبين بقوله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) الآية أي العلم النافع الذي ينبسط في القلب شعاعه ويكشف عن القلب قناعه ، وهو الذي اشار اليه أنس بن مالك رضي الله عنه بقوله (ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب) وانما منفعة العلم ان

يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته ، وقال في التنوير اعلم ان العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز او في السنة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه وتعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) فبين ان الخشية تلازم العلم ، وفهم من هذا ان العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى (وقال الذين اوتوا العلم)(والراسخون في العلم) (وقل ربي زدني علما) وقوله ﷺ (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم) وقوله (العلماء ورثة الانبياء) وقوله (طالب العلم تكفل الله برزقه) انما المراد بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك يتعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ اجل من ان يحمل على غير هذا ، والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله ، وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما امر الله به اذا كان تعلمه لله تعالى ، انتهى مع تصرف لا يضر .

(ومن أنوار القلوب الالهية) نور الفراسة والمكاشفة لاولياء الله تعالى باطلاعهم على مايخفى على غيرهم وفي الحديث (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) وقال العلامة ابن حجر الفراسة هي قلوب تنقلب في الملكوت فتشرق عليها انوار الجلال ، ومما ينبغي ان يتنبه له ان الفراسة ثلاثة انواع ، ايمانية وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده وحقيقتها انها خاطر يهجم على القلب ويثب عليه كوثوب الاسد على الفريسة وهذه الفراسة على حسب قوة الايمان ، فمن كان أقوى ايمانا فهو احد فراسة ، قال ابو سليمان الداراني: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب وهي من مقامات الايمان ، انتهى .

وفراسة رياضية تحصل بالجوع والسهر والتخلي والتحلي فان النفس اذا تجردت عن العوائق والعلائق بالخلائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على ايمان ولا ولاية لان كثيراً من الاشياء لها خواص فمن علم ذلك استخرج منها اشياء خارقة للعادة وكثير من

ضعفاء العقول يضلون إذا رأوا ذلك وتفسد عقائدهم (ومما ينبغي) ان يتنبه له ان صدور الامر الخارق للعادة والنطق بالمغيبات من بعض الاشخاص الذين لا استقامة لهم لا يدل على ولايتهم وليس لهؤلاء شرف عند ارباب المقام الاعلى لان هؤلاء اصناف، صنف يقدر الله صدور ذلك منهم بواسطة الرياضة، وصنف بالروحانيات، وصنف بالاسماء، وصنف بالتخيلات الآخذة بالعيون وهي الشعوذة وما يجري مجراها .

(وانواع السحر) كالسيمياء والهيمياء والطلسمات المجهولة المعاني لا المعروفة التي لا بأس بها ، وأما الاوفاق فليست من السحر وكان الامام الغزالي رحمه الله تعالى يعتني بها كثيراً ولكن اذا استعين بها على حرام فحرام .

وأما العزائم والعقد فان استعملت للتأثير في الابدان والقلوب بالتمريض والقتل والتفريق بين المرء وزوجه وغير ذلك مما هو حرام، فمن السحر حينئذ والا فليست حراماً بشرط خلوها عن الالفاظ المحظورة وعن تسمية بعض الكواكب وغيرها آلهة وتجردها عن الاعتقاد الفاسد والا فاستعمال العزائم من القرآن العظيم لا بأس بذلك لان فيه شفاء للناس شفاء الظاهر والباطن، قال ﷺ (خذ من القرآن ماشئت لما شئت) بل كل مافيه ذكره سبحانه وتعالى فهو من احسن المباح كما قاله غير واحد من الائمة الاعلام .

وفي حواشي المنهج للعلامة السيد مصطفى الذهبي مالفظه : « مسئلة في أقسام السحر وحكمة السحر انواع ، منها سحر قوم نسبوا للافلاك والكواكب تأثيراً لكونها آلهة وان الاله اعطاها قوة نافذة في العالم وفوض تدبيره اليها ، ومنها سحر اصحاب الاوهام الزاعمين ان الانسان يبلغ بالتصفية في القوة الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والامانة وقلب الاشكال ، وكلا النوعين كفر عملا وتعلما ، ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وهي الشعوذة ومايجرى مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار وليست كفراً ، واطلاق السحر عليها تجوز وفي التحريم ان لم يترتب عليها مفسدة خلاف . (ومنها الاستعانة) بالارواح الارضية بواسطة الرياضة

وقراءة العزائم الى حيث يخلق الله تعالى عقب ذلك على سبيل جـري العادة بعض خوارق ، وهذا النوع قالت المعتزلة انه كفر لانه لايمكن معه معرفة صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام للالتباس ورد بأن العادة الالهية جرت بصرف المعارضين للرسل عن اظهار خارق .

ثم التحقيق ان يقال ان كان من يتعاطى ذلك خـيراً متشرعاً في كل مايأتي ويذر وكان من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه لاتخالف الشرع وليس فيما يظهر على يده من الخوارق ضرر شرعي على احد فليس ذلك من السحر بل من الاسرار والمعونة والا فهو حرام ان تعلمه ليعمل به بل يكفر ان اعتقد حل ذلك ، فان تعلمه ليتوفاه فمباح والا فمكروه ، انتهى .

والفراسة الثالثة خلقية وهي التي صنف فيها الاطباء وغـيرهم واستدلوا بالخَلق على الخُلق لما بينهما من الارتباط التي اقتضته حكمة الله افاد ذلك بعض الفضلاء .

(واعلم ان اعتقاد) ثبوت كرامات الاولياء هو الحق الذي ذهب اليه جماهير اهل السنة والجماعة فهي جائزة الوقوع اكراماً لهم من الله تعالى . ومن قال بعدم جوازها لا يعول على كلامه بل هو بديهي البطلان لما يأتي قريباً .

والولي هو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي بمعنى انه لا يرتكب معصية بدون توبة لأنه لم تقع منه معصية بالكلية لان ذلك شأن المعصومين من الانبياء والملائكة .

ومن شأن الولي الاعراض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحـة وليس ذلك شرطاً بل الانقطاع الى مولاه والمداومة على عبادته من غير عصيان يؤديه الى الاعراض عن ذلك اكتفاء بقوت القلوب وهو ذكر الله تعـالى ولا يتأثر الجسد حينئذ لغلبة سلطان الروح عليه وتسلطه عليه .

والكرامة أمر خارق للعادة لايظهر الا على يد عبد ظاهر الصلاح ، وقد كثرت في اولياء الزمان المتأخر عن الزمان المتقدم وقد اجاب بعضهم بان ذلك لضعف

اعتقاد المتأخرين فاحتيج لتأليفهم ليعتقدوا في الصالحين ، واما المتقدمون فاعتقادهم تابع لميزان الشرع ، انتهى .

والعجب من قوم يبادرون الى انكار كرامات الاولياء ولا حجة لهم سوي تعليلهم بانه ماورد في ذلك نص صريح في الكتاب العزيز وهذا غلط منهم ، فان الكرامات قد ثبتت بالنص القرآني من قصة مريم عند ولادة عيسى عليهما السلام وانه (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله) وقد كانت في كفالة زكريا عليه السلام ، وكان لا يدخل عليها احد غيره وكان اذا خرج من عندها اغلق سبعة ابواب ، واذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ، فتعجب من ذلك وسألها فاجابته بانه من عند الله وانه يرزق من يشاء بغير حساب .

ومن قصة آصف بن برخيا واتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام .

ومن قصة اصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين بلا طعام ولا شراب .

وكجريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه ورؤيته وهو على المنبر جيشه بنهاوند حتى قال لامير الجيش ياسارية الجبل الجبل محذراً له من وراء الجبل لمكر العدو هناك وسماع سارية له مع بعد المسافة .

وكقصه خالد يوم الذراب وتواترت في المعنى وان كانت التفاصيل آحاداً كرامات الصحابة والتابعين كما قال القاني ، واستمرت لمن بعدهم من الاولياء كما يعلم ذلك من تراجم الاولياء المشهورين بل مواهب الله لا تبيد الى ابد الآبدين .

وقد رتب الفقهاء على كرامات الاولياء كثيراً من المسائل الشرعية من ذلك قول العلامة ابن حجر في فتاواه اذا غربت الشمس في بلدة وكان صاحب خطوة فحضر مطلعاً آخر لم تغرب فيه بعدما صلى المغرب في البلد الاول لا يلزم اعادتها ، ومنهم من مشى على الماء وظهر لهم كثير من الخوارق تكريماً لهم من الله

تعالى ، ومنهم من ظهر له الطعام والشراب واللباس والعقل السليم لا يأبى وقوع ذلك على ايدي المتقين الذين لا يشهدون غيره في الاقوال والافعال والحركات والسكنات، واذا ظهرت الخوارق على ايدي الكفار كفرعون والسامري استدراجا لهم من الله تعالى فاولى ظهورها على ايدي الاولياء اكراماً لهم من مولاهم على ان وقوعها مما لايحتاج الى إقامة براهين لشيوع كرامات اولياء مابعد القرن العاشر بالتواتر بحيث صار ذلك بمنزلة العلم الضروري او قريب منه ومشاهدة اهل كل عصر مايقع من صلحائه الى حاضري الدهر حاسمة للنزاع فليت شعري ماذا يقول النافي في امر شوهد وقوعه او علم بالنقل المتواتر ، فمن نفى كرامات الاولياء فقد نفى بلسان حاله معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام . اذ كل كرامة للولي فهي معجزة للنبي داله على ثبوت رسالته لانها ظهرت على يد من هو معتقد له متابع له ، فلو لم تكن نبوته حقاً لما ظهر الحق على يد متابعه وبالجملة فكيف يمتري عاقل في كرامات الاولياء وقد صرح علماء الدين وقامت البراهين بانها ثابتة في الدنيا وصار باتفاق العلماء كالمجمع عليها أيخطى المنكر هؤلاء الائمة الذين اماطوا عن وجه الدين شبه المبطلين ويستصوب مايتراءى له من ضلال المتفلسفين ، ويا عجباً كيف يأخذ باقوالهم في الاحكام ويعتمد عليها في التحريم والتحليل ولا يعتمد على مانهجوا عليه ودانوا به واعتقدوه في أئمة مسلمين اشتغلوا بصفاء قلوبهم حتى اشرقت وتنورت فأجرى الله على ايديهم الخوارق التي لا ينكرها الا ذو عناد واللائق فيه قول القائل :

اذا اجتمع الناس في واحدٍ	وخالفهمْ في الرضا واحدُ
فقدْ دلّ اجتماعهمو دونه	على عقله أنهُ فاسدُ

نعم ليس الانكار بعجب ممن ذكرهم اذ ليس هم الا الذين قال فيهم في شرح المقاصد انهم لم يشاهدوا من انفسهم ولم يسمعوا من رؤسائهم مع اجتهادهم في العبادات واجتناب السيئات فوقعوا في اولياء الله تعالى اهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون اديمهم جاهلين كون هذا الامر مبنياً على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة .

(قال العلامة ابن حجر) ومطالعة كتب الصوفية تحصل العلم بوقوعها ضرورة ، قال وقد رأينا من كراماتهم احياء واموتاً مايوجب ذلك فلا ينكرها الا مخذول فاسد الاعتقاد في اولياء الله وخواص عباده نفعنا الله بهم آمين .

ومن أجل الكرامات وأعظمها مايقع لخواص الاولياء من الاجتماع بالنبي ﷺ وسؤالهم اياه عما اشكل عليهم كما صرح به غير واحد اذ هو حي في قبره ، وليس ذلك ببعيد كمشاهدة ارباب القلوب الزكية في يقظتهم الملائكة وأرواح الانبياء وسماعهم منهم اصواتاً واقتباسهم منهم فوائد وليس ذلك ببعيد .

ومنهم كما في عوارف المعارف الامام عبدالقادر الجيلاني وابو الحسن الشاذلي كما حكاه عنه التاج ابن عطاء الله ، وكصاحبه الامام ابي الحسن المرسي . وقال العلامة ابن حجر العسقلاني في بعض كتبه ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشيخ محمد ابن ابي الحمائل يرى النبي ﷺ يقظة كثيراً حتى يقع له انه يسأل عن الشيء فيقول حتى أعرضه على النبي ﷺ يدخل رأسه في جيب قميصه ثم يقول قال النبي ﷺ فيه كذا فيكون كما اخبر لايختلف ذلك ابداً فاحذر انكار ذلك فانه السم ، انتهى .

ونقل عن الحافظ السيوطي رحمه الله انه اجتمع بالنبي ﷺ في اليقظة اكثر من سبعين مرة ، ومن المتواتر ماوقع لسيدي الاكمل قدوة الاولياء سيدي احمد بن حسن الصيادي الرفاعي المشهور بجلالته بين الرجال وذلك انه حج بيت الله ووفد زائراً لبيت رسول الله ﷺ ، فلما وقف تجاه الحضرة الشريفة وحيا وناجا وادرج في اكفان الشهود ادراجاً قال نفع الله به :

في حالة البعد روحي كنت ارسلها   تقبلُ الارض عني فهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت يده الشريفة من القبر فقبلها في بعض رواية هذه الحكاية ورآها من كان حاضراً ، وقال في الميزان بعد ماجزم ان المجتهدين جميعهم كمالك

والشافعي وغيرهما يقولون برؤيته عليه الصلاة والسلام في اليقظة ويسألونه عما يحتاجون للسؤال عنه مانصه ، وقد اشتهر عن كثير من الاولياء الذين هم دون الائمة الاربعة المجتهدين في المقام بيقين انهم كانوا يجتمعون برسول الله ﷺ ويصدقهم اهل عصرهم وذكر ممن رآه من كمل الاولياء كسيدي الشيخ عبدالرحيم القناوي وسيدي الشيخ ابي مدين المغربي وسيدي الشيخ ابي السعود ابن ابي العشائر وسيدي الشيخ ابراهيم الدسوقي الى ان قال وجماعات ذكرناهم في طبقات الاولياء .

(واعلم) انه ليس المراد كما أوضحه غير واحد خروجه ﷺ من قبره بروحه وجسده الى مكان الرائي وانما المراد أن الحجب تزول خرقا للعادة بان تجعل تلك الحجب كالزجاج الذي يجلي ماوراءه فيراه أولياء الله بعين سرهم مع كونه في قبره وهذا أحسن مايوجد به امكان رؤية اثنين في آن واحد مع تباعدهما أو بان روحه الشريفة تتشكل بصورته الكريمه وتجول في الملك والملكوت وتحضر عند الموعود برؤيتها فيراها عياناً كما يراها أحياناً بعين البصيرة ويكون نورها وشعاعها عند جولانها متصلا بجسده الشريف المطهر في قبره ألا ترى ان نور الشمس مثلا مشرق في الارض مع بعد المسافة فنور روحه ﷺ أولى من تلك لانه أصل كل نور وفي كلام بعض اهل التحقيق نفع الله بهم ان حاصل ماوجهوا به ظهور الولي في أماكن متعددة ثلاثة أوجه :

الاول ـ تعدد الصورة بالتمثل والتشكل كما يقع للملائكة عليهم السلام .

الثاني ـ عدم التعدد لكن بتقريب المسافة بالطي وزوي الارض وقد يكون الوضعان كموضع واحد برفع مايحجب بينها فيراه كل في موضع من غير انتقال ويحسبونه في احدهما .

الثالث ـ تعظيم جثة الولي بحيث يملأ الكون فيشاهد في كل مكان ويحجب هو مازاد عن صورته المعتادة عن الرائي ، ويدمجه بعضه في بعضه ويمكن مجيء الوجوه الثلاثة في عزرائيل عليه السلام لقبض الارواح والملكين عليهما السلام في القبر للسؤال وغير ذلك .

قال والوجه الاول مبني على عالم المثال الذي اعتمده الصوفية نفع الله بهم وجعلوه متوسطاً بين عالمي الاجساد والارواح وهو احسنها ، قال القونوي نفع الله به، وبه تندفع اشكالات كثيرة الى ان قال ذلك البعض وهو اي عالم المثال شبيه بما يراه النائم في الرؤيا الصحيحة إلا انه حقيق في ذاته بخلافها الى ان قال وايضاح الوجه الاول ان تخلق صورة متعددة تنبسط روحه عليها فتتصرف كل صورة منها بانه هو كما يقع للملائكة ويستأنس له بقوله تعالى (فتمثل لها بشراً سويا) ومجيء جبريل عليه السلام الى النبي ﷺ في صورة دحية رضي الله عنه وغير ذلك وقد جوز بعضهم كونه من الثالث والاول أحسن،والثاني نقل عرش بلقيس عليها السلام من سبأ لموسى عليه السلام وهو أحسن مايحمل عليه رفع بيت المقدس للنبي ﷺ صبيحة ليلة المعراج الشريف حتى رآه دون دار عقيل رضي الله عنه بمكة المشرفة فوصفه لقريش وهو بنظره ويصلح لكل منها تمثيل الجنة والنار له في عرض حائط المسجد حتى هم بأخذ عنقود من الجنة مع ان عرضها كعرض السماء والارض ، انتهى .

﴿ تتمة ﴾ اعلم ان الامر الخارق للعادة كاحياء الموتى وغير ذلك ان اقترن بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة او النبوة مع عدم المعارضة وبغير اكتساب وتعلم فمعجزة تختص بالانبياء صلوا الله وسلامه عليهم اجمعين وذلك كعدم احراق النار سيدنا ابراهيم وكنبع الماء من اصابع النبي ﷺ وانشقاق القمر وغير ذلك من معجزاته ﷺ وأما الخارق الذي ليس كذلك فان ظهر على يد عبد عارف بالله وبصفاته حسب مايمكن مواظب على الطاعات مجتنب للسيئات معرض عن الانهماك في اللذات والشهوات مدبر عن الدنيا مقبل على العقبى فكرامة من كرامات الاولياء اذ الولي من استجمع هذه الخصال واما الخارق الذي يكون على يد اعداء الله كابليس وفرعون والدجال وكل فاسق مفتر فيسمى استدراجاً ان كان وفق مراده والا فيسمى اهانة كما وقع لمسيلمة الكذاب فانه تفل في عين اعور لتبرأ فعميت الصحيحة وأما مايظهر على يد العوام تخليصاً لهم من الشدة فيسمى معونة ، وأما السحر فقيل انه ليس من الخوارق لانه معتاد عند تعاطي أسبابه اذ هو مايحصل

بتعلم ومباشرة سبب على يد فاسق او كافر كالشعوذة وحمل الحيات ولدغها واللعب بالنار من غير تأثير والسيمياء الموجب للتخيلات الخاصة باستعمال الاشياء الخاصة لها والهيمياء وغير ذلك ، وقد نظم بعضهم اقسام الامر الخارق للعادة فقال :

اذا ما رأيت الأمر يخرق عادة — فمعجزة ان من نبي لنا صدر
وان بان منه قبل وصف نبوة — فالارهاص سمه تتبع القوم في الاثر
وان جاء يوماً من ولي فانه الكرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وان كان من بعض العوام صدوره — فكنوه حقاً بالمعونة واشتهر
ومن فاسق ان كان وفق مراده — يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم — وقد تمت الاقسام عند الذي اختبر

(وقد وقع) لسلفنا العلويين من الكرامات والكشوفات مالا يحصيه الا بارىء الارض والسموات اذلهم من هذا الباب الحظ الأوفى والمقامات الاسنى ولا غرو فانهم مظاهر الانوار القدسية الحاملون اعباء الوراثة المحمدية ، ألا وانهم السادة الائمة واحبار الامة عمت بركاتهم في الاكوان وتوالى تكرارها على ممر الازمان وكان منهم من يجتمع برجال الغيب وانتفع بهم خلق كثير فهم كنوز الذخائر ومفاتيح السرائر ، وبالجملة في تعداد مالهم من المواهب اسهاب يمتد به القلم وحكايات تطول باستقصائها الكلم ومحل ذلك كتب مناقبهم كالغرر والجوهر والمشرع والعقد وشرح العينية وغيرها .

(ومن المعلوم) ان الكرامات لم تكن مختصة بناس دون ناس ولكن للنسل المبارك من ذلك فخر عام امتازوا به على سائر الخلائق ولاسيما السلالة العلوية الحضرميون الحسينيون فانهم الخلاصة من العترة المباركة ولم تزل ولله الحمد اقمارهم من حين ظهورها على فلك العلا شارقة ، ونفحاتهم السرية الى حاضري الدهر عابقه ، وألويتهم على رؤوس الآفاق خافقة ، هذا وان حصل منهم نوع تقصير ففيهم مالا في غيرهم من اشرف السجايا كيف لا وهم الانجم المنيرة للبرايا ، وكم في الزوايا من خبايا .

(قال شارح الابيات) الراجي من مولاه اقالة العثرات وحسن التوجه اليه قبل الممات (لقد من الله علي ان جعلني من الآل المطهرين فالحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ، وحظيت بالانتماء الى ائمة الهدى ومصابيح الاهتدا غير اني مزجي البضاعة وخلي مما منح هؤلاء السادة الحنفاء وما اختص به ارباب الصفاء ، ولقد بكيت على نفسي وزاد بكائي وحق لي ذلك من تعسر مطالبي ومنائي ، وجدير بالاسى من احتجبت عنه الانوار بما غشى على مرآة قلبه من دون الاغيار وبطيء به العمل على اللحوق بأولئك السادة الاخيار ولكني متشبث بهم وارجو الله ان يدخلني في كنف ولايتهم ولا يحرمني من بركاتهم ، وان ينفعني بهم كما نفع الغلامين بنص قوله تعالى (وكان ابوهما صالحاً) واسأل الله تعالى ان يذيقني من حلاوة مشربهم اصفى شراب فانني لاقنعت عن الغنيمة بالاياب ولا سلوت بطول التباعد عن الاقتراب :

زعموا ان من تباعد يسلو ولقد زادني التباعد وجدا

نظمنا الله واحبابنا في سلك خير عباده ، وافاض علينا من عطاياه جزيل امداده ، آمين .

﴿ خاتمة ﴾ نسأل الله حسنها ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة) وكان صلى الله عليه وسلم (اذا اصبح سأل اصحابه هل رأى احد منكم رؤيا هذه الليلة) وذلك لانها آثار نبوته في الجملة فكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يشهدها في امته وهي باقية لامته صلى الله عليه وسلم قاله بعضهم ، وقال صلى الله عليه وسلم (لم يبق الا المبشرات) قالوا وما المبشرات قال (الرؤيا الصالحة) (فاذا رأيت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واتفل عن يسارك ثلاث مرات فانها لاتضرك) وفي رواية (اذا رأى احدكم مايكره فليعذ بالله من شرها ومن شر الشيطان كأن يقول اعوذ بالله من شر مارأيت ، ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها احداً فانها لاتضره) وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره زاد في رواية وان يتحول عن جنبه الذي كان عليه زاد في اخرى وليقم فليصل أي

فليكن فعل ذلك سبباً للسلامة من المكروه الذي رآه . وفي تفسير الخطيب مانصه قال الحكماء ان الرؤيا الردية يظهر تعبيرها عن قريب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين .

قالوا والسبب فيه ان رحمة الله تعالى تقتضي ان لايحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل ، واما الاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمن طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب ترقب حضور ذلك الخير اكثر وأتم ، ولهذا لم تظهر رؤيا يوسف عليه السلام الا بعد اربعين سنة وهو قول اكثر المفسرين ، وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض ارواح الاموات اذا ماتوا وارواح الاحياء إذا ناموا ، فتتعارف ماشاء الله اي فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى اي يعيدها .

قال علي كرم الله وجهه فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل ارسالها فهي الرؤيا الصادقة ، وما رأته بعد ارسالها فهي الرؤيا الكاذبة لانها من القاء الشيطان ، وقال القلمي كثر الكلام في حقيقة الرؤيا والصحيح قول اهل السنة ان الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب الشيطان وفسرها بعضهم بامثلة يدركها الرائي بجزء من القلب لم تستول عليه آفة النوم واذا ذهب النوم عن اكثر القلب كانت الرؤيا امنفى ، قال وهذا في غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالنوم لايستولي على قلوبهم ولا على جزء منها وعلى ماتقرر يعلم ان رؤيا من اتصف بصفات الكمال تستأنس بها ارواح اهل الله وهذا في مطلق الرؤيا .

وأما رؤيته ﷺ في المنام فهي حق اذ لا يتمثل الشيطان بصورته فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة فان الشيطان لا يتمثل بي) .

وعن ابي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من رآني فقد رأى الحق) .

وفي رواية لابي سعيد الخدري رضي الله عنه زيادة (فان الشيطان لا يتكونني).

وسئل العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومــه ماحقيقة الرؤيا فاجاب نفع الله بعلومه بأن حقيقة الرؤيا عند جمهور اهل السنة خلق الله تعالى في قلب النائم او حواسه الاشياء كما يخلقها في اليقظان وهو الله تعالى يفعل مايشاء لا يمنعه عنه نوم ولا غيره وعليه ربما يقع ذلك في اليقظة كما رآه في المنام وربما جعل مارآه علماً على امور اخر يخلقها الله تعالى في الحال او كان قد خلقها فتقع تلك كما جعل الله الغيم علامة على المطر وأما قــول من قال ان الرؤيا خيال باطل وان النــوم يضاد الادراك فهو باطل لايعول عليه ولا يلتفت اليه ، كيف وقد صرحت عائشة رضي الله عنها بأن رؤيا النبي ﷺ وحي وقال ﷺ (رؤيا المؤمن جزء من اربعين جزء من النبوة) وفي التنزيل رؤيــا يوسف وغيره ولا يمنع من ذلك قول من قال الادراك حالة النوم خلاف العـادة لان العادة ليست مطردة في ذلك ولو سلم لم يلتفت اليها مــع اخبار الصادق بخلافهــا وهذه فائدة عظيمة .

روى بعض المشائخ ان من كان له مهم فليجدد وضوءه عند النوم ثم يقعد على فراش طاهر ثم يصلي على النبي ﷺ ثلاثا ثم ينام على فراشه ذلك على شقه الايمن مستقبل القبلة متوسداً كفه الايمن تحت خده فانه يرى في منامه باذن الله تعالى كلما نواه من مهماته كيف مايكون وجرب ذلك بعض الثقاة والشان والاعتقاد وحسن الظن والتقوى فان المعاصي صدأ للقلوب ، والمرآة لاتحكي الصورة الا اذا جليت عن الصدا رجعنا الى مانحن بصدده من الشرح ، فنقول لما كان النور المشار اليه في البيت المتقدم لايحصل غالباً الا بتخلية القلب اولا عن جميع العلائق الخارجيــة وصفاء السر ثانياً من صدىء الخــواطر الدينية الكاذبة اشار سيدنا الناظم الى ذلك بقوله نفع الله به :

﴿ وصفِّ من الأكدار سرَّك انه

اذا ماصفا أولاك معنىً من الفكر ﴾

﴿ تطوف به غيبَ العـوالم كلهـا
وتسري به في ظلمة الليل اذ يسري ﴾

قوله وصف " أمر من صفى يصفي والامر منه صفِّ " بتضعيف لام الكلمة التي هي الفاء وسر مفعول الفعل ، والمراد بالسر القلب والتصفية تخلية الشيء عما كان فيه ومنه صفا الماء اذا زال عنه ما يغيره . والاكدار جمع كدر والمراد بها الاوصاف المذمومة التي هي امراض القلوب كالعجب والكبر والرياء والحسد والغضب وشهوة البطن والفرج وحب المال وحب الجاه والغرور وطول الامل .

وفي كلامه اكتفاء أي وحله بالاوصاف الحميدة كالتوبة والتواضع والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والورع والتوكل والاخلاص .

وقوله انه اذا ماصفا الخ تعليل لقوله وصف ومازائدة وخص السر لانه اذا صفا صفا غيره غالباً من الجوارح الظاهرة ، وفي الحديث (من اصلح باطنه اصلح الله ظاهره) وفي الحديث (ان في الجسد مضغـــة إذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب) . فمن اصلح سريرته وطهرها من حـدث السوى صلح ان يكون محلاً للتجليات الربانية ومعدناً للفيوضات الصمدانية ولم يزل بذلك يزداد صفاء واشراقاً حتى يشرق العرفان فيبدو له من معنى الذكر مالانهاية له من حقائق العلوم الملكوتية والمراد بهذا حقائق المعارف والاسرار كما اشار الى ذلك بقوله اولاك معنى من الفكر الذي هو التفكر اي ألقى ربك في قلبك سراً من الاسرار يحملك على التفكر في آلاء الله وعظمته وجلاله .

قال القشيري التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر من الشوائب ورد صاحبه مناهل التحقيق ، ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالصبر زهداً فيها ، وفكر العابدين في جميـل الثواب فيزدادون نشاطاً عليه ورغبة فيه ، وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فـــيزدادون محبة للخالق سبحانه وتعالى وفكرة العامة في البراهين والادلة لتحصيل التصديق

والايمان لا لزيادة ، فالفكر مطلوب من كل اذ هو كحل البصيرة كما صرح به الناظم في التائية الكبرى في قوله نفع الله به :

وجالسْ كتابَ اللهِ واحلُلْ بسوحهِ وكن ذاكراً فالذكرُ نور السريرةِ
عليكَ به في كل حـــينٍ وحالةٍ وبالفكرِ إن الفكر كحلُ البصيرةِ

وقوله تطوف به الخ فاعل الفعل هو المخاطب وضمير به يعود على معنى والجملة صفة ، ومعنى البيت تطوف ايها المخاطب بسبب ذلك المعنى الذي اولاك اياه غيب العوالم اي ماغاب عنك من العوالم من اضافة الصفة للموصوف اي العوالم الغائبة عنك التي لم تشاهدها ، والعالم اسم لـكل ماسوى الله سبحانه وتعالى من الجـــواهر والاعراض ، وينقسم الى ثلاثة اقسام ، عالم الملك وهو الظاهر للحـواس ، وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل ، وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي اخـذ بطرف كل منها وقد اجتمعت الثلاثة في الانسان فهو من الاول باعتبار اجزاء بدنه ، ومن الثاني باعتبار روحه وعقله وارادته ، ومن الثالث باعتبار الادراكات بالحـــواس والقوى الموجودة باجزاء البدن ، ولذلك قال سيدنا عـــلي ابن ابي طالب كرم الله وجهه :

دواؤكَ فيـــكَ وما تشعُرُ وداؤكَ فيـــكَ وما تُبصرُ
وتزعمُ أنكَ جـــرمٌ صغيرٌ وفيكَ انطوى العالمُ الاكبرُ

والطواف هو الدوران حول الشيء حساً والمراد به هنا الدوران المعنوي وهو جولان القلب ويرجع لمعنى الفكر كما قال الله تعالى (اولم يتفكروا في ملكوت السموات) ومن هنا قال سيدي محمد وفا رحمه الله :

سبرتُ العلمَ تفصيلاً وجمـــله وطفتُ الكونَ بالتحقيق كلّه

وقوله وتسري به في ظلمة الليل اذ يسري اي وتذهب بذلك المعنى ايضاً وتسرى به في ظلمة الليل اذ يقبل عليك ويجيء ، فالمراد من تسري الاول السير ليلا ولكن المراد به السير المعنوي والمراد من يسرى الثاني الاقبال والمجيء ، قال الخازن

عند تفسير قوله تعالى (والليل اذا يسر) اي اذا سار وذهب . وقيل اذا جاء واقبل وأراد به كل ليلة وهو يفيد اطلاق السرى على كل من الذهاب ومن المجيء والاقبال والمناسب هنا حمل معنى الفعل الاول على الاطلاق الاول ومعنى الفعل الثاني على الاطلاق الثاني .

والمراد ان الفكر إذ أولاك معنى من المعاني العلمية الحقيقة وقع منك السرى في الدياجي لتحصيل الفضائل واوجب منك اطراح الدعة والنوم وحملك على الجد والاجتهاد والسير في آثار الصالحين من العباد ، ثم لايزال عند تجرد السراي القلب عن الاوصاف الذميمة وتحليه بالاوصاف الحميدة يترقى في معرفته تعالى بزيادة التقوى وكثرة الطاعات وترك الشهوات والتخلي عن الصفات الذميمـــة المهلكات والتحلي بالصفات الحميدة المنجيات حتى تنكشف له عوالم الغيب ويشاهدها عياناً وتطير روحه في الملكوت ، ولذلك قال ابو يزيد : العارف طيار والزاهد سيار .

وقال الامام الغزالي من طال فكره في معرفة الله تعالى وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح مايكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته لقوة فرحه وسروره ، وهذا مما لايدرك الا بالذوق رزقنا الله اياه بمنه وكرمه آمين ، وبالجملة فينبغي للمريد ان يتفكر في مصنوعات الله تعالى ليستدل بذلك على عجائب قدرته لما في الحديث (تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذاته فانه لاتحيط به الفكر) .

كلُّ ماترتقـي اليـــه بوهمٍ — من جلالٍ وقدرةٍ وسنـاءٍ
فالذي أبـــدع الـــبرية أعلى — منه سبحان مبدع الاشيـاءِ

وكذلك يتفكر في احوال المعاد ليجتهد في تقديم مايحصل له به الاسعاد والتفكر هو تصرف القلب في معاني الاشياء لدرك المطلوب ويقال هو سراج القلب يرى به خيره وشره ومنافعه ومضاره وذلك لان القلب الخالي عن الفكر خال من النور كالبيت المظلم ولا يكون في البيت المظلم الا الجهل والغرور ولله در القائل :

فكنْ متفكراً في كل امرٍ فتحظى بالمسرةِ في المآلِ

ثم ان اصحاب الفكر قسمان : منهم من تكون فكرته ناشئة عن الايمان والتصديق وقصده بالفكر الترقي في الايمان وزيادة اليقين وهذا حال السالكين في حال ترقيهم . والقسم الثاني من تكون فكرته ناشئة عن شهود وعيان وهذا حال المجذوبين الى الحق المستدلين بالمؤثر على الاثر والاولون مستدلون بالاثر على المؤثر ، وهذان القسمان بالنسبة للمشتغلين بالله تعالى وهم السالكون والمجذوبون .

واما غيرهم وهم العامة ففكرتهم لتحصيل التصديق والايمان لازيادته ، ويقال للسالكين ارباب الاعتبار . وللمجذوبين ارباب الشهود والاستبصار ، واذا دام الذكر والفكر نشأت عنهما واردات الهبة ، ترد على قلوب العارفين ولذلك قالوا لولا الورد لما كان وارد وبالعكس وتلك الواردات منح وعطيات تفضلا من الله تعالى عليهم فلا يستحقون شيئاً من اورادهم ولو لم تر عليهم سيما العارفين

﴿ واعلم ﴾ ان مما يعين على الفكرة المطلوبة به الاعتزال لان من خالط الناس غالباً يكون مشغولا بالمحسوسات نظره ولا يزال ناظـــراً لعالم الشهادة فاذا اعتزلهم انعكس الحال وجال ملكوته في عالم الغيب ، ومن ثم كانت العزلة احـــد اركان الرياضة الاربعة للنفس ، والثلاثة الباقية الجوع والسهر والصمت وتتضمن الركنان الاخيران الخلوة اذ لاتتأتى الا بها غالباً ، قال سهل بن عبدالله رضى الله عنه اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابد الاخماص البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها في نظمه :

يا من يرومُ منـــازلِ الابدالِ	من غير قصدٍ منه للاعمـــالِ
لا تطمعن فيها فلستَ من اهلهـــا	ان لم تزاحمهمْ على الاحـــوالِ
بيتُ الولاية قسمت اركانـــه	ساداتنا فيه عن الابدالِ
مابين صمتٍ واعـــتزالِ دائم	والجوعِ والسهرِ النزيه العالي

(قال الامام الغزالي) رحمه الله تعالى النفس لاتألف ربهـــا ولا تأنس

بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالعزلة والخلوة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ، ثم عودة الذكر والثناء والدعاء ثانياً في الخلوة حتى يغلب عليه الانس بذكر الله تعالى عوضاً عن الانس بالدنيا والشهوات وذلك يثقل في البداية ويتنعم به في النهاية والصمت تسهله العزلة والسهر نتيجة الجوع ، فان السهر مع الشبع بعيد جداً والجوع والسهر ينوران القلب وبنور القلب يشاهد الآخرة ، والنوم يقسي القلب ، والكلام يشغله ويورثه الغفلة ، والصمت يلقح العقل ويورث الورع والتقوى والخلوة تدفع الشواغل ، ولا بد في الرياضه الكاملة من نظر شيخ كامل وورد (ماملأ آدمي وعاءاً شر من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه)لحديث وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة والمراد بالنفس المعنى الجامع للصفات المذمومة من الانسان وهي النفس الامارة بالسوء وللناظم نفعنا الله به :

والنفسَ رُضْها باعتزالٍ دائمٍ والصمتِ معسهرِ الدجاونجوعِ

ومن المعلوم ان المعالي لا تنال بالاماني بل بالجد والتشمير والصبر على مقاساة ذلك وسهر الليالي ومن كلام امامنا الشافعي رحمه الله تعالى :

بقدرِ الكدِّ تكتسبُ المعالي ومن طلبَ العلا سهر الليالي
ومن رامَ العلا من غير كدٍ أضاع العمرَ في طلبِ المحالِ

وفي هذا المعنى قال ابو الطيب عفا الله عنه :

تريدين لقيانَ المعالي رخيصةً ولا بدّ دون الشهد من إبرِ النحلِ

ثم قال الناظم نفعنا الله به وبعلومه وبسائر الصالحين :

﴿ وبالجدِّ والصبرِ الجميلِ تحلْ في
فسيحِ العلا فاستوصِ بالجدِّ والصبرِ ﴾

الباء سببية متعلقة بقوله تحل اي وبسبب الجد تنال ماذكر في النظم وقوله فسيح العلا من اضافة الصفة للموصوف اي العلا الفسيح ويحتمل ان يكون

متعلق الباء محذوفاً تقديره عليك ؛ وحينئذ يكون تحل جواب الامر ، وفي البيت رد المجز على الصدر وذلك في قوله بالجد والصبر لوقوعه في الطرفين وهـــو من محاسن التكرار لوقوعه في غاية الحلاوة ونهاية الطلاوة ،وهذا النوع يسميه البديعيون بالتصدير وهو ان يجمل المتكلم احد اللفظين المتفقين في النطق به والمعنى اوالمتشابهين في النطق دون المعنى او اللذين يجمعهما الاشتقاق او شبه الاشتقاق في آخر الكلام بعد جعل اللفظ الآخر في اوله كاتيان الناظم نفع الله به في هذا البيت بلفظ الجـــد والصبر بعد جعله في أوله ومن هذا النوع قول الشيخ عمـــر بن الفـارض نفعنا الله به :

ياساكني البطحاءهل من زورةٍ   أحيا بها يا ساكـني البطحـاء

ومن ذلك قول الشاعر :

تمنّتْ سليمى أن أموتُ صبابة   واهونُ شيء عنـدنـا ماتمنّت

والغالب في هذا النوع ان تكون الكلمة التي في المجز عـــين التي في الصدر لفظاً وإن قبل اللفظ اشترا كاً زاد النوع حسناً كقوله :

ذوائبُ سودٍ كالعناقيدِ أُرسلَتْ   فمن اجلها منا النفـوس ذوائبُ

وقد يكون اللفظ الآخر في اوله النصف الثاني ويسمى تصدير الطرفين كقول ابي الطيب :

فقلقلتُ بالهمّ الذي قلقلَ الحشا   قلاقلُ عيشٍ كلهنّ قلاقـــلُ

ولابي تمام في المراثي :

ثوى في الثرى من كانَ يحيى به الندى   ويغمرُ صرفَ الدهر نائلهُ الغمرُ
وقد كانت البيضُ القواضبُ في الوغي   بواترَ فهي الآنَ من بعده بـــترُ

ومن هذا القبيل قول الناظم وتسرى به في ظلمة الليـل اذ يسرى في البيت المتقدم ، ثم ان الجد هو العزم الذي هو ضد التواني ، والغرض التحريض

على الجد والصبر لان المؤمن محتاج اليه في عموم احواله ودوام اوقاته ولذا قال نفع الله به فاستوص بالجد والصبر ، وفسيح العلا كناية عن المحل الواسع الرحب الذي يحصل للعبد منه الترقي الى المحل الاسنى ومراده بيان مايتوصل به العبد الى المقصود وذلك لان الصبر معين على امور الدنيا والآخرة بنص قوله تعالى (واستعينوا بالصبر) الآية وقال تعالى (ومايلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) وقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ولم يجاز احد من العاملين باجرين الا الصابرين ، وقال تعالى (اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا) الآية ، وقال تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) وقال تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) .

وبالجملة فالصبر مقام عظيم من مقامات الدين ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعاً واضاف اكثر الدرجات اليه ، والصبر هو حبس النفس عن الجزع .

وقال الجنيد الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس .

وقال الصاوي الصبر تحمل المكاره في طاعة الله تعالى ، واذا اسند الى المولى بان قيل صبور فمعناه الذي لايعجل بالعقوبة فهو يرجع بمعنى الحليم .

وقد اطنب رسول الله ﷺ في الصبر ، فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ما اعطي احد عطاء خيراً اوسع من الصبر) رواه البخاري ومسلم ، وعنه ايضاً قال : قال رسول الله ﷺ (مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها خطاياه) رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (انما الصبر عند الصدمة الاولى) رواه البخاري ومسلم .

ويكفي اللبيب في عظيم مقام الصبر قوله تعالى (والعصر ان الانسان لفي

خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) قال المفسرون اي عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى مايبتلى به الله عباده من الامراض وغيرها ، وورد (الصبر نصف الايمان) .

وقال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه ،الصبر على اداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة ، وصبر على محارم الله فله ستمائة درجة،وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة ، وقال ﷺ (بالصبر يتوقع الفرج) وقال علي كرم الله وجهه (الصبر مطية لاتكبو وسيف لاينبو) وقال ابن عباس رضي الله عنهما افضل العدة الصبر عند الشدة ، وفي بعض الاخبار انتظار الفرج عند الشدة عبادة ، وقال الشاعر :

الصبرُ كالصبرِ مرٌ في مذاقتهِ ... لكن عواقبُهُ أحلى من العسلِ

وقال آخر :

وقلّ من جد في امر يحاولهُ ... واستعملَ الصبرَ إلا فاز بالظفر

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على عبده ايوب عليه السلام بالصبر فقال تعالى (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) ولم تزل الكمل يوصون بالصبر لما فيه من الثواب وكفى انه من أخلاق الانبياء .

قال سيدنا الناظم نفعنا الله به فيحتاج العبد الى الصبر عند نزول البلاء كمثل موت الاحبة وأذى الخلق وقلة ذات اليد والامراض بان لايجزع ولا يشكو الى الخلق بل يرجع الى الله بحسن ظنه ودعائه له وتضرعه اليه ، ويعتقد انه ارحم به من نفسه وان في ذلك خيره وله فيه خير كثير من الثواب العظيم كما ورد (مايصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بهامن سيئآته) ويحتاج المؤمن الى الصبر في كف نفسه عن المعاصي والمحرمات فيصبر عنها وعن ذكرها بباطنه والميل اليها ويحتاج المؤمن الى الصبر عن الشهوات المباحات بقصد التمتع والتلذذ فان الاسترسال في ذلك يجر الى الشبهات والمحرمات ويهيج الحرص على الدنيا والايثار لها ونسيان الآخرة ، انتهى .

وبما يروى عن سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه :

إصبرْ على مضض الادلاج في السحر ... وفي الرواح على الطاعات في البكرِ
إني رأيت وفي الايام تجــربةٌ ... للصبر عاقبــةٌ محمودةُ الاثرِ
وقل من جـد في أمر يؤمــله ... واستعمل الصبر الا فاز بالظفرِ

وما احسن ماقيل :

صبرت على بعض الاذى خوف كله ... ودافعتُ عن نفسي بنفسي فعزتِ
وجرعتها المكروهَ حــتى تدربت ... ولو لم أجــرْعها اذا لا اشمأزت
الا رُبَّ ذل ساق للنفس عــزة ... ويارُبَّ نفس بالتذلل عــزتِ
اذا مامددتُ الكفَّ التمس الغنى ... الى غــير من قال اسألوني فشُلّت
سأصبر جهدي ان في الصبر عزة ... وأرضى بــدنياي وان هي قلت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ... فان اطمعت تــاقت والا تسلت

وقال بعض الادباء :

اذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبــة ... فأفرغ لها صبراً ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبــةٌ ... فيوماً ترى يُسراً ويوماً ترى عُسرا

ومن مواعظ سيدي الناظم نفعنا الله به :

ياصابراً أبشرْ وبشرْ من صبرْ ... بالنصر والفرج القريب وبالظفرْ
نال الصبور بصبره مايرتجــى ... وصفت له الاوقات من بعد الكدر

ومما يحمل على الصبر التأسي بمن اصابتهم المحن فاوذوا وصبروا ففازوا برضاء الله تعالى ولا سيما الكمل لأن في ذلك تسكين النفس على جل الامور الشاقة لتنال الاجر الموعود به للصابرين . وما احسن ماقاله بعض الفضلاء مخــبراً بشدة صبره على مشاق الدهر :

تنكر لي دهري ولم يدر أنــني ... اعز واحـــداث الزمان تهونُ

وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه ... وبتُّ أريه الصبر كيف يكونُ

وقال آخر :

على قدرِ فضل المرء تأتي خطوبُه ... ويحمدُ منه الصبرُ مما يصيبه

فمن قلَّ فيما يكتفيه اصطباره ... فقد قلَّ فيما يرتجيه نصيبُه

﴿ واعلم ﴾ ان حجة الاسلام رحمه الله تعالى حصر الاخلاق المحمودة في التوبة والخوف والزهد والصبر والشكر والاخلاص والتوكل والمحبة والرضى وذكر الموت ، وقد اشبع الكلام عليها في احياء علوم الدين ، وذكر حدودها وحقائقها واسبابها التي بها يجتلب وثمرتها التي منها يستفاد وعلاماتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها ترغب وأتى سيدنا الناظم في نظمه بالبعض اكتفاء بالمعظم ولنورد من هذه الخصال في هذا الشرح مايحصل به التبرك ، ثم نذكر اضداد هذه الخصال وهي الاخلاق المذمومة العشر التي اوردها الامام الغزالي ايضاً في مختصر الاحياء تكميلا للفائدة .

(اما التوبة) فعبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة امور : علم ، وحال ، وفعل ، فاما العلم فهو معرفة ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب ، فاذا وجدت هذه المعرفة ثار منها حال هو التألم بخوف فوات المحبوب وهو الندم وباستيلائه يثور ارادة التوبة وتلافي مامضى وهي واجبة من الصغائر ومن الكبائر قال الله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال تعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً ايها المؤمنون) وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) الآية ،وعن ابي موسى الاشعري رحمه الله تعالى عن النبي ﷺ قال (ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه مسلم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (كل ابن آدم خطاءوخير الخطائين التوابون) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه ،

وبالجملة فالتوبة اساس الخيرات لانها مفتاح العبادات وأجل اسباب الفتوحات ، قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى : من ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين ، احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو ، الثاني ان يعالجه المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ، ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف وان اكثر صراخهم ياأف لمسوف ، فما هلك من هلك الا بالتسويف ، فيكون تسويد القلب نقداً واجلاؤه بالطاعة نسيئةً الى ان يختطفه الاجل فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم .

(وأما الخوف) فهو توجع القلب وتألمه لانتظار مكروه مستقبل قال الله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) فخر فتى مغشياً عليه فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فقال يافتى قل لا إله إلا الله فقالها فبشره بالجنة فقال أصحابه أمن بيننا يارسول الله قال أوما سمعتم قوله تعالى (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد .

وقال صلى الله عليه وسلم : (مامن عبد مؤمن يخرج من عينه دموع وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم يصيب شيئاً وقت خروجه الا حرمه الله تعالى على النار) .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها (قلت يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزني ؟ قال بل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه) .

وسبب الخوف العلم بالله وبصفاته قال الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ومن أسباب الخوف معرفة عيوب النفس وتفريطها في جنب الله من أوامره ونواهيه فليس للخائف شغل الا المراقبة والمجاهدة . وأقل درجات الخوف ان

يمنع النفس عن المحظورات فيكون ورعاً ، وأعلم أنه كما ينبغي للعبد أن يكون خائفاً كذلك ينبغي ان لا يفارقه الرجاء إذ هما مثل الدواء كما صرح به الناظم نفعنا الله في قصيدته العينية بقوله :

والخوفُ لله العظيم وبالرجا فكلاهما مثل الدواءِ الأنفع

قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى : اعلم إن للخوف والرجاء زمامين يقاد بهما من لم يظهر لقلبه جمال الحق فمن شاهد بقلبه ذلك الجمال يرقى عن الخوف والرجاء واليه الاشارة بقول الواسطي الخوف حجاب بين الله وبين العبد ، وقال ايضاً : إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضيلة لا لرجاء ولا لخوف . واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد جمع بين الرجاء والخوف في آيات كثيرة ، قال الله تعالى (ان ربك لشديد العقاب وانه لغفور رحيم) وقال تعالى (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب) وقال تعالى (حم تنزيل الكتاب من العزيز الحكيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) وقال الشيخ عبدالعزيز رحمه الله في طهارة القلوب معنى ح اقسم بحلمي ، ومعنى م اقسم بمجدي ، فمن الجمال المجد والحلم ، ومن الجلال العز والعلم ، ثم من الجمال غافر الذنب وقابل التوب ، ثم من الجلال شديد العقاب ، ثم من الجمال ذي الطول ، أي الفضل ردك بين خوفه ورجائه واقامك بين رأفته وكبريائه ، وقال تعالى (نبيء عبادي إني أنا الغفور الرحيم ، وإن عذابي هو العذاب الاليم) وقال تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا) .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ (دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك ، قال ارجو الله وأخاف ذنوبي) فقال رسول الله ﷺ (لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا المواطن إلا أعطاه ما يرجوه وأمنه مما يخاف) .

(وأما الزهد) فهو خلاف الرغبة لغة يقال زهد في الشيء وعنه أي لم يرغب فيه وحقيقته انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه وفضل الزهد شهير

قال الله تعالى (ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) الى قوله والعاقبة للتقوى ، وقال ﷺ (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من دونه في المال والجسم) .

والزهد على قسمين زهد في الدنيا لانها تلهي عن الله وعن خدمته وعن الاعمال الصالحة مع انها لاتصفو لصاحبها بل لايزال صاحبها في عناء ومحن وبلاء وزهد في أيدي الناس ، قال الله تعالى (أمن هذا الذي يرزقكم أن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور) وقال تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) (ياايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض) وقال ﷺ (ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس) ثم ان للزهد درجات فزهد في الحرام والشبهة وهو في معنى التقوى ، وزهد فيما زاد على الحاجة .

ومن فوائد الزهد أن فيه فراغاً للروح والبدن بالطاعة والرغبة فيها والتجنب عن الشبهات ، قال ﷺ (الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن) وروى ابن المسيب عن ابي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال (من زهد في الدنيا ادخل الله تعالى الحكمة في قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالماً الى دار السلام) ومن النصائح الدينية لسيدنا الناظم نفعنا الله به حقيقة الزهد خروج حب الدنيا والرغبة فيها من القلب وهو أن الدنيا على العبد حتى يكون ادبارها وقلة الشيء منها احب اليه من ضده ، وهذا من حيث الباطن وفي الظاهر يكون منزويا عنها ومتجافيا اختياراً مع القدرة عليها ، ويكون مقتصراً من سائر امتعتها مأكلا وملبساً ومسكناً وغير ذلك على مالا بد منه دون النعم والتمتع بشهواتها اهـ .

(وأما الصبر) فقد سبق ذكره عند شرح قول الناظم وبالجد والصبر الجميل الخ فلا حاجة الى الاعادة .

(وأما الشكر) فهو يديم النعمة الموجودة ويعجل بالنعمة المفقودة بنص

قوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) الآية ، وعلى ذلك أشار الناظم نفعنا الله به بقوله :

وكن شاكراً لله قلباً وقالباً
على فضله إن المزيد مع الشكر

المخاطب كل من يصلح للخطاب ، وفي البيت من المحسنات البديعية النوع المسمى بالتذييل وهو تذييل المتكلم كلامه بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة يتحقق بها ماقبلها من الكلام ويستفاد منها توكيده وهي في هذا البيت قوله ان المزيد مع الشكر بعد تمام معنى البيت ومثله قول الشاعر :

بين من يُعطي ومن يأ خذَ في التقدير عَرْضُ
فيدُ المعطي سماءٌ ويدُ الآخذِ أرضُ
وعلى الآخذ أن يشكر إن الشكر فرضُ

وجعل تقي الدين الشيخ ابوبكر الحموي في خزانته من هذا القبيل قول الشاعر :

تزور فتى يعطى على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يُحمَدِ

قال فان عجز البيت كله تذييل خرج مخرج المثل السائر وصدر البيت استقل بالمعنى المراد على انفراده ، وقريب من هذا النوع النوع المسمى بالتكميل والفرق بينهما أن التكميل يرد على معنى مفتقر الى الكمال بعد التمام ، والتذييل لم يفد غير تحقق الكلام الاول (والتكميل) ان يأتي المتكلم بمعنى تام من مدح او ذم أو وصف أو غيره من الاغراض الشعرية وفنونها ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط غير كامل فيأتي بمعنى آخر يزيده تكميلا ، فمن شواهدهذا النوع قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وألفيتهُ بحراً كثيراً فضوله جوادٌ متى يذكر له الخير يزددِ

فان قوله متى يذكر الى آخره تكميل (وقال آخر) :

ذابَ في الكاسِ عقيقٌ فجرى ... وطفا الدرُّ عليه فسبح
نصبَ الساقي على اقداحِها ... شبكَ الفضةِ يصطادُ الفرح

فان قوله يصطاد الفرح تكميل للمعنى السابق وقال آخر :

فاز باللذاتِ أربابُ الهوى ... فهو حلوٌ وعذابُ الحب عذبُ
ولاهلِ العشقِ عذرٌ واضحٌ ... وعلى من لم يمت بالحب عتبُ
ولذيذ الحب لايعرفهُ ... أحد في عمره إلا المحبُ

فان قوله وعذاب الحب عذب تكميل وكذلك قوله وعلى من لم يمت الخ وقوله في عمره كما لايخفى .

رجعنا الى مانحن بصدده ثم ان الشكر عند المحققين هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى ذلك يكون وصف الحق به من باب التوسع والمجاز على أنه المجازى عليه فيسمى جزاء الشكر شكراً كما سمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداءاً .

واعلم أن الشكر من منازل الابرار ومن صفات النبي المختار ﷺ وعلى آله الاطهار وقد أمر به الحق سبحانه وتعالى حيث قال فاذكروني اذكركم واشكرو لي ولا تكفرون فهو واجب على كل نعمة من حركة او سكون او حياة أو مطعم أو مشرب أو لباس أو فراش أو صحة أو مرض اذ كل ذلك من النعم (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ألا ترى أن أيوب عليه السلام صبر على البلاء فقيل له نعم العبد وقد روى ان داود عليه السلام قال : الهي كيف أشكرك وشكرى بك نعمة من عندك فاوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني وفي هذا يقال الشكر على الشكر ثم قال محمود الوراق رحمه الله :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وإن طالت الايام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الاجر

فما منها إلا له فيه نعمة تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وقد علم من صريح الآيتين اعني قوله تعالى : (لئن شكرتم) الخ ، وقوله تعالى (لا يغير الله مابقوم) الخ ،ان من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا : الشكر قيد النعم ، وقالوا الشكر قيد للموجود وصيد للمفقود ولبعض الشعراء :

إذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم

قول الناظم نفعنا الله به قلباً وقالباً أي كن شاكراً لله بالقلب والقالب وهو قالب الجسم والمراد بذلك سائر الجوارح اذ الشكر يكون بالقلب وبالجوارح الشاملة للسان وغيره من الاعضاء فشكر القلب أن يعلم أن النعم كلها من الله تعالى قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وشكر اللسان اعترافه بالنعمة والثناء على مسديها وكثرة المدح والحمد مع الخضوع والاستكانة ويدخل في ذلك التحدث بالنعم واظهارها ونشرها ، قال الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) .

وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه : تذكروا النعم فان تذكرها شكر ، ومن شكر اللسان ايضاً شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم .

وفي حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وفي الحديث القدسي عبدي لم تشكرني إذا لم تشكر من اجريت النعمة على يديه وشكر سائر الجوارح أن تعمل بها العمل الصالح ، قال الله تعالى (اعملوا آل داود شكرا) فجعل العمل شكرا .

وروي عن النبي ﷺ أنه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يارسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكورا ، ثم ان شكر كل عضو على حدته حفظه عن منهيات الشرع فشكر

العينين ان يستر عيب أخيه المسلم ، وان لا ينظر الى محرم ، قال عليه الصلاة والسلام النظرة سهم مسموم من سهام ابليس المرجوم لانها تدعو الى الفكر والفكر يدعو الى الزنا وقال الشاعر :

العينُ أصل عناها فتنــة النظر | والقلب كل أذاه الشغل بالفكر

وشكر الاذنين ان لا يسمع مالا يحل كالنميمة وسائر الاقوال المحرمـة وشكر اليدين أن لا يأخذ بهما ماليس له اخذه ولا يمنع حقاً هو لله فيهما ولا يضرب بهما مسلماً بغير حق بل ولا يكتب بهما مالا يجوز التكلم به ولا وثيقة تضمنت محظوراً كالربا، وشكر اللسان أن يحفظه عن الغيبة والكذب ولعن المسلم ، قال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون) وقال تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) وشكـــر الرجلين أن لا يمشي بهما للحرام أو للسعي في الفساد ، وهكذا يقال في باقي الاركان كل جارحة بجنسها .

﴿ واعلم ﴾ أن تعجيل المصائب في الدنيا وتواتر اللأواء والابتلاء نعمة باطنة في بلايا ظاهرة ، وبذلك فسر بعض المفسرين قوله تعالى (وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) جعل البلايا الظاهرة نعماً لما فيها من الثواب فيجب الشكر على ذلك وفي الحديث من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر اولئك لهم الامن وهم مهتدون ومن الشكر التواضع والتذلل مع النعمة والمعرفة بالتقصير عن الشكر والاعتذار الى الله تعالى من قلتة اعني الشكر وعدم الوفاء به ولله در القائل :

ومن الرزية أن شكري صامت | عمـــا فعلت وان برك ناطق
أأرى الصنيعة منك ثم اسرهـا | اني أنـا ليد الكريم السارق

وللصفي الحلي :

سأشكر نعماك التي لو جحدتهـا | أقرت بها حالي وتم بهـا سري
وفي حسن حال المرء أعدل شاهد | يقر بما اسدت اليه يد القطـــر

وقال محمود الوراق :

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله على نعم ما كنت قط لها أهلا
إن ازددت تقصيراً تزدني تفضلا كأني بالتقصير استوجب الفضلا

والشكر يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح وهو الشكر الاصطلاحي إذ هو صرف العبد جميع ماأنعم الله به عليه الى ماخلق لاجله فان صرفها في اوقات سمي شاكراً وان صرفها في آن واحد سمي شكورا والمتوفر على اداء الشكر بذلك قليل ، قال الله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) أي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته .

وعلم بأن شكر المنعم امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه واجب شرعاً على كل مكلف يأثم بتركه اجماعاً وكذا الشكر القلبي بمعنى اعتقاد ان الله هو المولى للنعم لاغيره في الحقيقة ثم قال الناظم نفعنا الله به :

توكل على مولاك وارض بحكمه
وكن مخلصاً لله في السر والجهر

ذكر في هذا من الخصال العشرة المحمودة التوكل والرضى والاخلاص (أما التوكل) ففضيلته تعرف بالآيات والاخبار ، قال الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقال تعالى (وتوكل على الحي الذي لايموت) واثنى الله سبحانه وتعالى على المتوكلين بالايمان والاسلام ، فقال عز من قائل عليم (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) :

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، يغدو خماصاً ويروح بطانا) رواه الترمذي وحسنه، ولما قرأ الخواص رضي الله عنه قوله تعالى (وتوكل على الحي الذي لايموت) الى آخر الآية ، قال لاينبغي للعبد بعد هذا ان يلتجي إلى أحد غير الله تعالى .

﴿ واعلم ﴾ أن حقيقة التوكل الثقة بالله تعالى ووكـــول الامر اليه والاعتماد عليه واعتقاد أن الامر منه واليه ولو مع مباشرة الاسباب كما كان يفعله ﷺ إذ التوكل لا ينافي الكسب .

ومن ثم قال سيدي الناظم نفعنا الله به في بعض كتبه وليس من شرط التوكل أن يكون متجرداً من أسباب الدنيا بل قد يكـون ملابساً للاسباب مع التوكل ولكنه يكون معتمداً على الله لا على الاسباب ، وعلامة صدقه في ذلك أن لا يسكن اليها ولا يطمئن بها في حال وجودها ولا يتزلزل ولا يضطرب عند فقدها وتشويشها ، قال وقد يكون العبد متجرداً عن أسباب الدنيا وهو غير متوكل مهما كان متعلقاً بالاسباب وملتفتاً إلى الخلق وطامعاً فيهم .

ثم إن الاسباب على قسمين دينية ودنيوية ، والاسباب الدينية مثل العلوم النافعة والاعمال الصالحة التي لا بد منها فلا بد لكل مسلم من إقامة تلك الاسباب والعمل بها مع الاعتماد على الله دونها . وأما الاسباب الدنيوية فكالصنائع والحرف وسائر ما يتسبب به الناس لتحصيل معايشهم ، وهذه الاسباب لا يجوز للانسان ترك ما يحتاج اليه منها ولا يستغنى عنه إلا إذا كان عاجزاً لا يستطيع السعي والحركة أو كان ممن اقيم في ذلك من عباد الله أهل المعرفة واليقين ، وعلى كل حال فليس يجوز للانسان أن يترك السبب لمعاشه الذي لا بد له منها إلا إذا كان عاجزاً أو ممن في التجريد من أهله .

ويحرم على الانسان أن يقعد عن الاكتساب الذي يقدر عليه ويحتاج اليه ويترك نفسه وعياله ضياعاً يسألون الناس ويتشوقون إلى ما في أيديهم ، وقد قال ﷺ (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول) والله سبحانه وتعالى أعلم ، وفي الحديث عنه ﷺ قال (لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه ، فان اليد العليا خـــير من اليد السفلى) وأنشدوا :

توكلْ على الرحمن في الامر كله ولا ترغبنْ في العجز يوماً عن الطلبْ
ألم ترَ أن اللهَ قال لمريم وهزي اليك الجذعَ يسّاقط الرطبْ
ولوشاء أحنى الجذعَ من غير هزها اليها ولكنْ كل شيء له سببْ

﴿ واعلم ﴾ ان ثمرة التوكل التسليم ، وثمرة التفويض التسليم ، وهو اعني التفويض أعلا مراتب التوكل الذي هو حال العارفين والتفويض رد كل امر الى الفاعل المختار فانه الذي يفعل مايشاء ويختار ، وقال بعض العارفين في شرح التوكل هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية فان أعطي شكر وان منع صبر ، ويقال علامة التوكل هو أن لا يسأل ولا يرد ولا يحبس ، وأكمل أحوال المتوكل أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بينْ يدي الغاسل يقلبه كيفْ أراد لا يكون له حركة ولا تدبير كما قال بعضهم :

حقيقةُ العبد عندي في توكله سكون احساسه عن كل مطلوبِ
وأن تراه لكل الخلق مطرحاً يصونُ اسرارَه عن كل محبوبِ

وقال ابو علي الدقاق للمتوكل ثلاث درجات : التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض . فالمتوكل يسكن الى وعده وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه اه . وقد اختلف العلماء في الاكتساب والاعراض عنه اعتماداً على الله تعالى ايهما أفضل وأرجح الاقوال وهو المختار كما قاله الغزالي التفصيل، فمن كان يتفرغ بترك الكسب للطاعات من ذكر وفكر وغيرهما وكان الكسب يشوش عليه ذلك ولم يستشرف نفسه الى من يدخل عليه فيحمل اليه شيأ ولم يسخط اذا تعسر رزقه ، فالتوكل في حقه أفضل لما فيه من الصبر ومجاهدة النفس ، ومن كان يضطرب قلبه ويسخط عند تعذر الرزق عليه ويستشرف الى الناس فالكسب في حقه أفضل ، وهذا الخلاف انما هو فيمن لم يتوجه عليهم الامر بالكسب لقلة العائلة أما المعيل ومن ليس له قدم صدق في مسالك التجريد فلا يجوز لهما الا الاخذ بالاسباب مع عدم الاعتماد عليها ، ولا يغتر بعمل الاكابر المتجردين عن الاسباب في خواص انفسهم مالم يشم رائحة مالهم من المقامات ، وقد ذكر الشيخ ابن حجر في

بعض كتبه ان توكل أئمة الجمع مباشرة الاسباب مع شهود مسببها وعدم تأثر النفس بغير مايلائمها . وقال أئمة الفرق ترك مباشرتها اعتماداً للقلب على ربه وهو ان لا يتسخط عند ضيق رزقه ولا يتشوف لما في يد مخلوق أفضل من الكسب ، فارادة التجريد مع داعية الاسباب شهوة خفية ، وسلوك الاكتساب مع داعية التجريد انحطاط عن الرتبة العلية ، انتهى .

(وأما الرضا) بالقضاء فهو فرض واجب سواء كان مراً أو حلواً ، قال الله تعالى (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه) وفي الحديث (ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك) فسؤالهم الرضا بعد النظر غاية في التفضيل .

وروي أنه عليه الصلاة والسلام (سأل طائفة من اصحابه فقالوا مؤمنون ، فقالوا ماعلامة ايمانكم فقالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بما وقع فقال مؤمنون ورب الكعبة) .

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من اصيب بمصيبة في ماله أو نفسه فكتمها ولم يشكها الى الناس كان حقاً على الله ان يغفر له) رواه الطبراني .

فالرضا مقام عظيم من مقامات الدين قال سيدي الناظم نفع الله به فان أراد العبد أن يعرف ماعنده من الرضا فليلتمسه عند نزول المصائب وورود الفاقات واشتداد الامراض فسوف يجده هناك أو يفقده ، ومما ينبغي أن يعلم ان القضاء غير المقضي فالمعاصي لا يجوز الرضا بها لانها من المقضى ولم يرض الله بها والطاعات من المقضى والرضا بها واجب لانها من رضا الله تعالى .

(فان قيل) لا معنى للرضاء بالقضاء والقدر الا بالرضاء بالمقضى والمقدور فالجواب الذي حققه العلماء المعول عليهم أن الكفر والمعاصي لهما جهتان جهة كونهما مكتسبين للعبد فيجب الرضا بهما من الجهة الاولى لا من الجهة الثانية ، ومن ثم

لايجوز الاحتجاج بالقدر كما يسمع من سفلة أهل المعاصي عندما يقال لهم كيف تتركون الطاعات وترتكبون المحظورات فيقولون نحن عبيد مقهورون وما حيلة العبد والإقدار جارية وهذا مذهب الجبرية بعينه ، بل قال سيدي الناظم ان منتحله قائل بلسان حاله ان لم يقل بلسان مقاله لا فائدة في ارسال الرسل وانزال الكتب ، ويا عجباً كيف يصدر ممن يدعي الايمان الاحتجاج على ربه ولله الحجة البالغة على جميع خلقه ، ام كيف يرضى المؤمن لنفسه أن يتشبه بالمشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، نعم لا بأس بعد الوقوع في المعصية الاحتجاج لدفع اللوم فقط ، ففي الحديث الصحيح (ان روح آدم عليه السلام التقت مع روح موسى عليه السلام ، فقال موسى لآدم أنت ابو البشر الذي كنت سبباً لاخراج اولادك من الجنة بأكلك من الشجرة ، فقال آدم ياموسى فانت الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده تلومني على أمر قدره الله علي قبل ان يخلقني بأربعين سنة ، قال النبي ﷺ فحج آدم موسى) أي غلبه بالحجة .

(ولا يخفى) على من نور الله سريرته بنور الايمان ان الله سبحانه وتعالى اجرى عادته الالهية بترتيب الاسباب على مسبباتها ونسبه تلك المسببات الى المكلف نظر للصورة واختياره فيها وكونه متمكناً بحسب الظاهر من تركها أو فعلها فيثاب ويعاقب بهذا الاعتبار وان كان في نفس الامر مكرهاً لان الكل من الله سبحانه وتعالى ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فيجب على المكلف رعاية المقامين ولله در البوصيري في همزيته حيث قال :

وغدا يعتب القضاء ولا عـذ ـر لعاص فيما يسوق القضاء

(وأما الاخلاص) فقد قال الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ان الله لايقبل من الاعمال الا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه) رواه النسائي باسناد جيد وقال تعالى (ألا لله الدين الخالص) .

وسئل ﷺ عن الايمان (فقال هو الاخلاص لله تعالى) وقال ﷺ

(من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لاشريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض) وقال عليه الصلاة والسلام (انما تنصر هذه الامة بضعفائهم بدعواتهم وصلاتهم واخلاصهم) (قول الناظم) نفعنا الله به (في السر والجهـــر) أي احرص على الاخلاص في سرك وعلانيتك ، ثم ان مقام الاخلاص عـزيز جداً قال الناظم في النصائح معنى الاخلاص ان يكون قصد الانسان في جميـع طاعاتـه وأعماله مجردة التقرب الى الله تعالى وارادة قربه ورضاه دون غرض آخر من مراآة للناس وطلب محمدة منهم أو طمع .

قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى نظر الاكياس في تفسير الاخلاص فلم يجدوا غير هذا ان تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى لايمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا ، انتهى .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وكلهم متفقون على معنى واحد وهو الاستقامة كما أمرك ربك على عبادته وتوحيده وحقق بعضهم ان الاخلاص ثلاث مراتب : الاولى وهي اعـــلاها ان لا يعمل الا للتقرب الى الله سبحانه وتعالى لا لقصد ثواب ولا هرب من عقاب ولذا قالت رابعة العدوية ماعبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك . وهذا مقام الخـــواص من المحبين . المرتبة الثانية العمل طمعاً في الثواب وهـــرباً من العقاب . المرتبةالثالثة العمل رجاء ان الله يغنيه في الدنيا عن الناس كأن يقرأ سورة الواقعة لذلك وهـذه أدنى المراتب الا ان صاحبه يسمى مخلصاً .

واما العمل ليراه الناس فهو موجب للخسران ومحبط لعمل الانسان اذ هو الشرك الخفي ، وقد قال الله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) .

وورد عنه ﷺ (ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر ، قـالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله ، قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامـة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء) وللناظم في التحذير عن منكرات الاخلاق :

ومن الرياء فانه الشركُ الخفي ... ومن التفحش سيمة المبدالمعي

﴿ والرياء ﴾ أصله طلب رؤية الناس فهو عبارة عن طلب المنزلة عند الناس . وتارة تكون بعمل غير العبادة ، وتارة تكون بالعبادة قال الناظم فالذي يعمل لقصد التقرب الى الله تعالى وطلب مرضاته وثوابه هو المخلص ، والذي يعمل لله ولمرآة الناس هو المرائي وعمله غير مقبول ، والذي يعمل لمرآة الناس فقط ولولا الناس لم يعمل اصلا امره خطر هائل ورؤياه رياء المنافقين نعوذ بالله من ذلك ونسأله العافية من جميع البليات اه .

وينبغي للعبد ان يتحقق كيفية الرياء فيحترز منها اذ مالا يعرف لا يمكن اجتنابه ، وان يعرف آفاته قال الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً) .

وعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من يسمع يسمع الله به ومن يرائي يرائي الله به) رواه البخاري ومسلم .

وقال الامام الغزالي رحمه الله تعالى : اعلم ان الرياء حرام وصاحبه ممقوت عند الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن) اه .

ثم ان الرياء يكون عندالناس بعمل غير العبادة فالرياء في العبادة المراآة بالثياب الحسنة وتشهيرها وصفار اللون واغارة العين وتشعث الشعر وخفض الصوت والمشي بالتكلف على سكينة وهدوء والتطيلس كل هذه متمهات للرياء بالعبادة وكل ذلك حرام اذا كان القصد منها المراآة .

وكذلك مراآة العلماء بالمجادلة اظهار الغزارة العلم الا ان يقصد بذلك ان يكون أقرب الى قبول الدين وارشاد الناس أو ان يضم الى غير ذلك من النيات الصالحة ويكون قد صحت نيته في اصل ذلك فانه ربما تجوز المراآة باصل العبادة كأن يطيل الركوع والسجود بين ايدي الناس ليظنوا به الزهد والورع .

قال الامام الغزالي والقول الحق فيه اي في الرياء ان يقال ، الرياء هو طلب الجاه فلا يخلو اما ان يكون بالعبادات او بغيرها ، فان كان بغير العبادات فهو كطلب الحلال من المال فلا يحرم الا ان يكون يتلبيس فذلك المال والجاه محرم على السواء ، اهـ .

قال ﷺ يقول الله تعالى (انا أغنى الاغنياء عن الشرك فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فانا منه بريء ونصيبي لشريكي) وقال عليه السلام (من صام يرائي فقد اشرك ، ومن صلى يرائي فقد اشرك ، ومن تصدق يرائي فقد اشرك) وقال عليه السلام من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس الله وجهه ومحق ذكره فعلى من نور الله بصيرته ان يحترز عن الرياء ويخلص عمله لله تعالى ، ومن الرياء كما اوضحه النابلسي نفعنا الله به الوعظ والتعلق بالحكمة اظهاراً لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف وتحريك الشفتين بالذكر وهز المناكب ليشهده الناس الى غير ذلك من كل عمل اخروي لم يخلصه لله تعالى .

(وأما المحبة) فقد قال الله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) الآية .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدي بشيء أحب الي مما افترضت عليه وما زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها وان سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعذته) رواه البخاري .

واعلم ان محبة الله حالة يجدها في قلبه تحمله على الانهماك في طاعته وايثار رضاه والتحرز عن معصيته ويوضح هذا المقام قول بعض العارفين :

تعصي الالهَ وأنت تظهر حُبهُ ... هذا لَعمري في القياس بديعُ
لو كان حبك صادقاً لاطعتَه ... إنّ المحبّ لمن يحبُّ مطيعُ

(وقول رابعة العدوية) في مقام المشاهدة القلبية :

أحبكَ حبين حبَ الهوىَ　　وحباً لأنك أهلٌ لذاكا
فاما الذي هو حبُ الهوى　　فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهلٌ له　　فكشفكَ للحجب حتى أراكا
فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي　　ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكا

وفي الحديث (اللهم اني اسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك) قال الامام الغزالي رحمه الله ونفعنا به : اعلم ان المحبة لله هي الغاية القصوى وهي من الدرجات العلى وماعداها من الشوق والأنس والرضا تابع للمحبة ، وقد انكر بعض من أحرمه الله هذه اللذة وامكانها ، ونحن نبين ذلك بالآيات والاخبار قال الله تعالى (والذين آمنوا اشد حباً لله) وقوله تعالى (يحبهم ويحبونه) وفي الحديث (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من اهله وماله والناس اجمعين ، اه .

وعن أنس رضي الله عنه : (ان رجلا قال يارسول الله متى الساعة قال ماالذي أعددت لها قال لا كثرة صيام ولا صلاة الا أني أحب الله ورسوله فقال ﷺ المرء مع من أحب) وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله ورسوله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر .

(قال بعض العارفين) ان المحبين على ثلاثة أقسام : عوام ، وخواص وخواص الخواص ، فأما العوام فمحبتهم له تعالى لوفور احسانه ، وأما الخواص فمحبتهم خالصة عن الشوائب ، وأما خواص الخواص فمحبتهم عبارة عن التعشق الذي به ينمحي العاشق عند تجلي نور معشوقه ، ولا تحصل هذه المحبة الا بعد اليقين وأكمل الخلق في المحبة سيد الاولين والآخرين .

(قال أبو بكر الكتاني) جرت مسئلة في المحبة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا له هات ماعندك ياعراقي ، فاطرق ساعة ودمعت

عيناه ثم قال : المحب عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم باداء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ، احرق قلبه أنوار هويته ، وصفى شربه من كأس وده ، وكشف له الجبار عن استار غيبه ، فاذا تكلم فبالله ، وان نطق فمن الله . وان تحرك فبأمر الله ، وان سكت فمع الله فهو بالله ، ومن الله ولله ، ومع الله ، فبكى الشيوخ وقالوا ماعلى هذا مزيد .

(وأما ذكر الموت) فهو مطلوب من كل مؤمن وكفى اللبيب قوله ﷺ (اكثروا من ذكرها ذم اللذات) وقال عليه الصلاة والسلام (لو أن البهائم تعلم من الموت ماتعلمون ما أكلتم منها سمينا) وقال ﷺ (كفى بالموت واعظا) وخرج ﷺ ذات يوم الى المسجد واذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال (اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو علمتم ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) وقال ﷺ لعبدالله بن عمر (اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك ياعبدالله ماتدرك مااسمك غدا) ، وعن ابن عمر قال رجل (من اكيس الناس وأحزم الناس يارسول الله قال اكثرهم للموت ذكراً واكثرهم استعداداً للموت أولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة) رواه الطبراني باسناد حسن .

﴿ حكي ﴾ ان سعدون المجنون كان يدور في شوارع البصرة ويقول ياايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم يبكي ويقول :

فلولم يكن شيءٌ سوى الموتِ والبلي ... وتفريقِ اعضاءٍ ولحمٍ مبدَّدِ
لكنتُ حقيقـــاً يابن آدم بالبكا ... على نائباتِ الدهرِ مع كلِّ مسعدِ

﴿ قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى ﴾ اعلم أن الموت هائل وخطـره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكـره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا ، فلا ينجع ذكر الموت في قلبه ، فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هـو بين يديه ، كالذي يريد أن يسافر الى مفازة مخطرة أو يركب البحر ، فانه لايتفكـر الا فيه فاذا باشر

ذكر الموت قلبه ، فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه ، وانجع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم ، فمهما تذكر رجل رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وانه كيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك ، وقد أكل التراب أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه مالا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء أما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم .

قال ابو الدرداء رضي الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه السعيد من وعظ بغيره .

وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ألا ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحاً الى الله عز وجل ، تضعونه في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه ، فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ، ومهما طاب قلب بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد له من مفارقته .

نظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا . ولولا مانصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ، ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ، انتهى .

ثم ان الناظم نفعنا الله به لما ذكر الصبر وما عطف عليه من الاخلاق المحمودة ناسب ان يذكر القناعة فقال آمراً بها على سبيل الارشاد :

﴿ قنوعاً بما أعطاك مستعيناً به

له حامداً في حالي العسر واليسر ﴾

قوله قنوعاً منصوب على الحال وصاحبه من صلح للخطاب أي تحل بما مر ذكره من الاخلاق المحمودة حال كون القناعة لم تفارقك ، وفي البيت الطباق بين العسر واليسر ، وفيه الجناس اللاحق أيضاً بينها ، والمراد بالقناعة عفة النفس وترك الطمع واقلها الرضا بالكفاف اي بما يكفي الانسان ويكفيه عن ذل السؤال على حد ماقيل :

أيها المرء إنّ دنياكَ بحرٌ ... موجهُ طافحٌ فـلا تأمننها
وسبيلُ النجاةِ فيها منيرٌ ... وهو اخذ الكفافِ والقوتِ منها

قال سيدي القطب احمد بن زين الحبشي في شرح العينية ومقام القناعة اولا الرضاء فللقانع حال من الرضاء ، ولا تتحقق القناعة الا بالرفق في الانفاق وقلة التوسع فيه ، ففي الحديث من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ولا يصح الا بالثقة بتدبير الله تعالى كما قال تعالى (وما من دابة في الارض) الى آخره فهذا علم والرفق عمل وعماد الامر الصبر وقصر الامل ومعرفة آفات الغنا وعز القناعة ولسيدنا الناظم نفعنا الله به :

إنّ القناعة كنزٌ ليس بالفاني ... فاغنم هُديتَ أخي عيشها الغاني
وعش قنوعاً بلاحرص ولا طمعٍ ... تعش حميداً رفيع القدرِ والشاني

فبين ان القناعة هي ترك الحرص على الدنيا والطمع فيها ، انتهى .

وللعارفين كلام في القناعة فمن ذلك سيدي ابراهيم الخواص قدس سره يقول : العلم في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفلت ، والى هذا المعنى اشار صاحب الحكم بقوله ، اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك .

وعن اويس القرني رضي الله عنه أنه قال : لو عبدت الله تعالى عبادة أهل السماء والارض لا يقبل منك حتى تصدقه قيل وكيف نصدقه قال تكون واثقا آمناً بما تكفل الله لك من امر رزقك ؛ ويروى لعلي كرم الله وجهه :

اتطلبُ رزقَ اللهِ من عند غيره ... وتصبحُ من خوفِ العواقبِ آمنا
وترضى بصرافٍ وان كان مشركاً ... ضميناً ولا ترضى بربك ضامناً

﴿ ومن النصائح ﴾ :

اذا اظمأتك أكفُّ اللئامِ ... كفتْك القناعةُ شبعا وريا
فكن رجلا رجلهُ في الثرى ... وهامةُ همتهِ في الثريّا
أبياً بنفسك عن باخلٍ ... تراه بما في يديه أبيّا
فان إراقةَ ماءِ الحيا ... ةِ إراقةُ ماءِ المحيّا

وصرح بعض المحققين أن القناعة باعتبار حال موصوفها ثلاثة انواع : الاول الرضا بالمقسوم من غير اسراف على زائد مع التوفيق في طرق البذل وهذا النوع من اخلاق العوام ، الثاني الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من غير التفات لغيره وذلك من شيم الخواص ، والثالث الاستغناء بالذكر وسكر الفكر عن الاحساس بشيء من حظوظ النفس وهو من منازل خواص الخواص العارفين رضي الله عن الجميع ونفعنا الله ببركاتهم ، ومن ثمرات القناعة سكون القلب لمرادات الرب والخلو عن الشواغل الدنيوية ، وأما فاقد القناعة فهو لا يبرح في عناء دائم الحزن لا يخشى تحمل المن ولا يرضى عن احد من الخلق ، وفي ذلك قال سيدنا الناظم

نفعنا الله به :

وان ترضَ بالمقسوم عشتَ منعمًا ۞ وان لم تكن ترضى به عشت في حزن

﴿ ولغيره ﴾ :

هي القناعةُ فالزمها تكن ملكا ۞ لولم يكنْ منك إلا راحةُ البدنِ

وانظرْ لمن ملكَ الدنيا باجمعها ۞ هل راح منها بغير القطنِ والكفنِ

قال بعض المفسرين في قوله تعالى (من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) ان الحياة الطيبة في الدنيا هي القناعة اي يعيش عيشاً طيباً فان كان موسراً فظاهر ، وان كان معسراً فطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسم ويؤجر الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره ليتنعم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسراً فلا طيب لعيشه اصلا ، وان كان موسراً فكذلك اذ لا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه ، ولسلطان العاشقين ابن الفارض قدس سره :

وانفقتَ من يسر القناعة راضيا ۞ من العيش في الدنيا بايسر بلغةِ

وهذبتُ نفسي بالرياضةِ ذاهبا ۞ الى كشف ماحجب العوائد غطتِ

﴿ وقال بعضهم مع حسن الجناس ﴾ :

ذريني ونفسي في العفافِ فانني ۞ جعلتُ عفافي في حياتي وديدني

وأعظم من قطع اليدين على الفتى ۞ صناعةُ بر نالها من يدي دني

﴿ ولبعضهم واجاد في الجناس ﴾ :

عزيزُ النفس من لزمَ القناعةَ ۞ ولم يكشف لمخلوقٍ قناعه

فخذ منها لنفسك رأس مال ۞ وصيرْ بعدها التقوى بضاعه

تفزْ حالين تغني عن بخيلٍ ۞ وتظفرْ في الجنان بصبر ساعة

﴿ وللسراج الوارق ﴾ :

- مالي أذلُ وللقناعة عزةٌ ۞ انجو بها من ذلةٍ وهوانِ

واصونَ وجهي ان يذل لاوجهِ منحوتــةٍ من عالم الصوانِ
والقومُ كالاصنام والاسلامُ نــــــزهني عن الاصنامِ والاوثانِ

﴿ وللامام الشافعي رحمه الله تعالى ﴾ :

النفسُ تأبى أن تكــون فقيرةً والفقرُ خير من غنى يُطغيهــا
فغنى النفوسِ الكفافُ فانْ ابتْ فجميــع مافي الكون لا يكفيهــا

﴿ وقول الآخر ﴾ :

تمتعْ بما يكفيك واستعملِ الرضا فانك لا تدري أتصبح أم تمسي
فليس الغنى من كثرة المال انمــا يكون الغنى والفقرُ من قبل النفس

﴿ وللامام الشافعي رحمه الله تعالى ﴾ :

أمتُّ مطــامعي فارحتُ نفسي فان النفسَ ماطمعتْ تهونُ
وأحييتُ القنوعَ وكان ميتاً ففي احيائه عرضي مصونُ
إذا طمعٌ يحل بقلبِ عبــــد علته مهانةٌ وعــــلاه هُونُ

﴿ وما ألطف قول بعضهم ﴾ :

إذاشئتَ أن تحيا سعيداً فلا تكنْ على حالةٍ إلا رضيتَ بدونِهــا

وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال :

نرقعُ دنيانــا بتمــزيق ديننا فلا ديننُا يصفــو ولا مانرقعُ
فطوبى لعبد آثر اللهَ ربــهُ وجاد بدنيــاه لما يتــوقع

وللعارفين في مقام القناعة اقاويل من ذلك ، قيل لابي يزيد بم وصلت الى ماوصلت فقال : جمعت اسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووصلتها في منجنيق الصدقْ ورميت بها في بحر اليأس فاسترحت ، انتهى .

والمراد من قوله جمعت انه اتصف بالقناعة على وجه لا يمكن انفكاكه عنه فكان ذلك من اسباب وصوله الى ربه حيث قطع عن نفسه أسباب الشهوات

التي هي من أقوى الحجب بين العبد وبارئه سبحانه وتعالى .

وقال ذو النون المصري من قنع استراح من اهـل زمانه واستطال على أقرانه أي لانه قد تفرغ لعبادة ربه ، وذلك غاية مايطلبه العبد الراغب في الخـير ، وقال وهب ، إن العز والغنى خرجا يجولان يطلبان رفيقاً فلقيا القناعـة فاستقرا . وقال ابو بكر المراغي العاقل : من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف أي من دبر نفسه في الدنيا بالتخلق بالقناعة وسلاها وقت ازعاجها وقلقها بالتسويف وكلامهم في هذا الباب أكثر من ان يحصى وكل تكلم بحسب شربه من القناعة ومامنحه وذاقه من معناها .

ومما حث على القناعة وذم الحرص والطمع قوله ﷺ (ان روح القدس نفث في روعي ان نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب) وقال ﷺ لابي هريرة (ياابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار) .

وفي صحيـح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال (لقد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه) .

قال ﷺ (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب) والمعنى لايزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره .

وقال ﷺ (لايزال قلب المـؤمن شاباً في اثنتـين في حب الدنيـا وطول الامل) .

﴿ ويروي ﴾ أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعـد ماملك خزائن الارض يايوسف إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا ، وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا ، فقال لها يوسف قال الله تعـالى (إنه من يتق ويصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين) .

قال (ابو الليث السمرقندي) رحمه الله : من قصر أمله أكرمه الله تعالى باربع كرامات : يقوى على الطاعة ، ويقل همه إذا علم أنه يموت عن قريب ،ويجعله راضياً بالقليل فانه إذا علم أنه يموت عن قريب يكون أكثر همه هم الآخرة ، وينور قلبه ، واعلم أن علاج الحرص والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة كما قاله حجة الاسلام مركب من ثلاثة أركان : الصبر ـ والعلم ـ والعمل وهو الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق ، فمن أراد عز القناعة فليقل النفقة ففي الخبر التدبير نصف المعيشة الثاني قصر الامل حتى لا يضطر بسبب الحاجة في ثاني الحال الثالث أن يعلم مافي القناعة من العز والاستراحة عن السؤال وذل الطمع فبذلك يتخلص قول الناظم أذاقنا الله من حلاوة مشربه (له حامداً في حالي العسر واليسر) العسر واليسر ضدان وذكرهما لانهما حالتان لا يخلو عن واحد منهما العبد أي حال كونك حامداً إلهك في السراء والضراء والحمد مطلوب من العبد كيفما كان وهو الثناء على الله سبحانه وتعالى وفي الحديث (أول من يدعى إلى الجنة الحمادون على الله على كل حال) أي على حالة الضراء والسراء كما قال بعضهم :

أحمد ربي حالة الضراء ... حمدي له في حالة السراء

لاحمدَ من يعبد ربه على ... حرفٍ فان وإن كما قد انزلا

يشير إلى قوله تعالى (ومن الناس من يعبدالله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة إن إنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) وورد أن آدم عليه السلام لما اهبط إلى الارض قال يارب علمني كلمة تجمع لي فيها المحامدفاوحى الله اليه أن قل ثلاثاً عند كل صباح الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده ، فهي أفضل المحامد قلت صرح أئمتنا الشافعية رحمهم الله تعالى أن من حلف ليثنين على الله تعالى بأفضل المحامد لا يبرأ إلا بالحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده، وهو حمد على مايصل إلى العبد من النعم المستقبلة فكأنه يقول أحمد حمداً يوافي أي يقابل النعم الواصلة والمتجددة .

وفي الحديث (أن الله عز وجل يحب أن يحمد) .

(واعلم) أن أول كلمة ذكرها نبي الله آدم عليه السلام قوله الحمد لله ، وآخر كلمة يذكرها أهل الجنة الحمد لله ، أما الاول فلانه لما بلغت الروح سرته عطس فقال الحمد لله رب العالمين . وأما الثاني فلقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد .

﴿ تنبيه ﴾ قال ابن عطية اختلف العلماء هل الافضل الحمد لله أو لا إله إلا الله ، فذهبت طائفة إلى الاول لأن الحمد لله ظاهره حمد وتوحيد بخلاف لا إله إلا الله واحتجوا بما روي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة ، وذهبت طائفة إلى الثاني لانها تنفي الكفر واحتجوا بقوله ﷺ مفتاح الجنة لا إله إلا الله .

وقد ورد عن النبي ﷺ (ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء الحمد فيدخلون الجنة ، قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله على السراء والضراء) .

ومن المعلوم أن العبد لو استغرق عمره في حمده تعالى لا يفي بماله سبحانه وتعالى كيف وهو الذي أنعم علينا بنعمة الايجاد ثم الامداد وهاتان نعمتان لا تخرج منها موجود . ثم إن الحمد ينقسم إلى واجب كالحمد في الصلاة وفي خطبة الجمعة ، وإلى مندوب كالحمد في خطبة النكاح وفي ابتداء الدعاء وبعد الاكل وفي ابتداء الدروس وغير ذلك مما تستحب التسمية عنده . وإلى مكروه كالحمد في الاماكن المستقذرة كالمجزرة والمزبلة ومحل قضاء الحاجة . وإلى حرام كالحمد عند الفرح بالوقوع في معصية . ثم قال الناظم نفعنا الله به :

﴿ وكن باذلاً للفضلِ سمحا ولا تخف

من اللهِ إقتارا ولا تخشَ من فقر ﴾

كن فعل أمر وفاعله من يصلح للخطاب ولا يخفى مافي هـــذا البيت من المحاسن أي كن جواداً وابذل مما اعطاك الله بسماحة نفس في وجوه الخير من الانفاق والاطعام ، وقوله سمحا السمح هو من وصف بالبسط وهو طويل اليد التي تسمح بالصدقة . ففي الحديث (ان الله جواد يحب الجواد) والآيات كثيرة واضحة في مدح المتصدقين والمنفقين قال الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وقال تعالى (وما أنفقتم من شيء فانه يخلفه وهو خير الرازقين) فمن ايقن بالاخلاف جاد بالانفاق ، وقال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قـــرضاً حسناً فيضاعفه له وله اجر عظيم) وقال تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم اجر كبير) وقال تعالى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال تعـالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هـــو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) .

وقال ﷺ (يابن آدم انك ان تبذل الفضل خـــير لك وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليدالسفلى) .

وقال ﷺ (صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفي غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر) .

وقال ﷺ (ان الصدقة لتطفي غضب الرب وتدفع ميتة السوء) .

وقال ﷺ (ماجبل الله عز وجل ولياً الا على السخاء وحسن الخلق وقيل يارسول الله أي الايمان أفضل قال الصبر والسماحة) .

وقال ﷺ (ان الله جواد يحب الجـــواد ويحب معالي الاخـــلاق ويكره سفاسفها) .

﴿ وأما البخل والشح ﴾ فمذموم بل من الاخلاق الشنيعة التي ينبغي

لكل مسلم أن يجتنبها ، قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)
وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال (اتقوا الظلم فان الظلم
ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان
سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) .

وقال ﷺ (ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب
المرء بنفسه) ومعنى شح مطاع ، بخل يطيعه صاحبه فلا يؤدي ماعليه من حق الله
تعالى وحق عباده ، ومعنى هوى متبع ان يتبع مايأمره به الهوى فلا يمنع نفسه
منه ، واعجاب المرء بنفسه تحسينه فعل نفسه على غيره وان كان قبيحاً وهي فتنة
عظيمة وصفة شنيعة مذمومة جداً نسئل الله السلامة منها .

وقال ﷺ (خصلتان لايجتمعان في مؤمن ـ البخل وسوء الخلق) .

وقال ﷺ (اذا اراد الله بقوم خيراً ولى امرهم الحكماء ، وجعل المال
عند السمحاء ، واذا اراد الله بقوم شراً ولى أمرهم السفهاء وجعل المال عند
البخلاء) رواه ابو داود في مراسيله .

وقال ﷺ (اللهم اني اعوذ بك من البخل) .

وقال بشر : النظر الى البخيل يقسي القلب وبقاء البخلاء كرب على
قلوب المؤمنين .

وقال سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : اذا اقبلت الدنيا فانفق
منها فانها لاتفنى عنك ، واذا ادبرت فانفق منها فانها لاتبقى ، وانشدوا :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها	على الناس طراً قبل أن تتفلت
فلا الجودُ يفنيها إذا هي أقبلت	ولا البخل يبقيها اذا هي ولت

والجود والسخاء هما بمعنى، وفرق بعض العلماء بينهما وبين الايثار ،
فالسخاء قالوا بانه اخراج العبد بعض مايملكه بسهولة ، والجود اخراجه اكثر
مايملكه بسهولة ، وأما الايثار فهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه ، قال تعالى

(ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) والايثار أرفع درجات السخاء وقد أثنى الرب سبحانه وتعالى على الصحابة فقال (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقال ﷺ (ايما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته وآثره على نفسه غفر له) .

وحكي أنه نزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند اهله شيئاً فدخل عليه رجل من الانصار وحمله الى اهله فوضع بين يديه الطعام وأمر امرأته تطفىء السراج وجعل يده في الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى اكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم فنزلت هذه الآية ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة .

وفي السخاء قال ﷺ (السخاء شجرة من الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن الى الجنة) .

وقال ﷺ قال جبريل عليه السلام قال الله (ان هذا دين أرتضيه لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه مااستطعتم) وفي رواية فاكرموه بهما ماصحبتموه وبالجملة فالسخاء لا يتحلى به الا شريف النفس قانع وفان في حب الخير راغب فيما عندالله تعالى مما وعد به على لسان سيد المرسلين ومن لازمه استغناء النفس لله والوثوق به سبحانه وتعالى اذ من كان ذلك دأبه هان عليه بذل مافي يده في وجوه البر وبهذا يعلم ان طلب المال على وجه الحل غير مذموم على الاطلاق وان كان رفض الدنيا عند أهل البصائر الذين نور الله قلوبهم هو المختار وهو الاحوط عندهم لانها قد تكون عائقة عن الوصول الى الله تعالى فمن طلب المال لينفقه فيما يكتسب به المحامد ويغتنم به الاجور من صلة الاقربين ومواساة المحتاجين يثاب ان وافق عمله نيته وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (نعم المال الصالح للرجل الصالح) وقال ﷺ (نعم العون على تقوى الله المال) وقد سماه الله خيراً في مواضع من القرآن .

وروي أنه ﷺ نهى عن سب الدنيا ثم مدحها فقال نعمت الدنيا مطية

المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر ، وقال الدنيا مزرعة الآخـــرة فليست الدنيا بخير محض ولا شر محض بل هي سبب للامرين جميعاً ولا الفقر مطلوباً لعينه ولكن فيه فقد العائق ولا الدنيا مطلوبة لعينها ولكن لأن بها تنال الاجـور ، كما صرح به قول الشاعر :

من شرف الدنيـا ومن فضلها ... ان بهـا تستبدل الآخـــرة

فعلم ان المال محمود من وجه ومذموم من وجه وذلك ان الله تعالى سماه خيراً في بعض المواضع ، وفي حديث سيد المرسلين نعم المال الخ وكل ماجاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال .

قال الإمام الغزالي (واعلم) ان مقصد الاكياس والكـرام سعادة الأبد والمال وسيلة اليها تارة للتزود منه على التقوى والعبادة وتارة بانفاقه في طريق الآخرة ، وأما من اخذه ليترفـه به او يتوسل به الى المعـــاصي والشهوات فهـــو مذموم في حقه ، انتهى .

فكم غني لم يشغله الغنى عن الله بل صار له سبباً لنيل الدرجات ، وكم من فقير شغله الفقر عن الله والانس به ولذا ورد مايوهم التنافي بين الفقـر والغنى قال ﷺ (الفقر زين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس) وقال ﷺ (كاد الفقر ان يكون كفرا) .

وظاهر الحديثين التنافي لكن حمل العلماء الذم على الفقر المقرون بسخط القدر وضيق الصدر بمواقع القضاء حتى ينتهي بصاحبه الى الاعتراض على الله تعالى في تدبيره واليه الاشارة بقوله ﷺ كاد الفقر الخ والمدح على الفقر المقرون بالرضا والتسليم والشكر والصبر وحسن الادب مع الله .

ومما ورد في مدح الدنيا اذا كانت للاستعانة بهـــا على مرضاته تعالى قوله ﷺ (من طلب الدنيا حلالا مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان ، ومن طلبها استعفافاً عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر)

فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد وبمثل ذلك الاشارة في قوله ﷺ (ومن كان هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه) وقد قيل ان المال يجري من ابن آدم مجرى الجناح المبلغ الى السعادة الاخروية ومن المعلوم ان كثيراً من القرب كالزكاة والحج وكثيراً من المكارم تفوت الفقير ، قال الله تعالى (وابتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك) وفي كلام بعض العارفين ان الدنيا مثل الحية فيها سم وترياق فمن عرف غوائلها وفوائدها وأمكنه ان يحترز من شرورها فلا تضره .

وقد كان لبعض الانبياء وعلى نبينا وعليهم الصلاة والسلام الاموال الكثيرة لكن كانت في ايديهم ولم تكن قلوبهم فكانوا فيها من الزاهدين ، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم تيسرت لهم الدنيا فملكوها وما كانوا يأخذونها الا للدين وما كان لهم في الامور افراط ولا تفريط بل كانوا بين ذلك قواما وكان منهم من له المال الكثير كسيدنا ابي بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والعباس عم النبي ﷺ وما ادخروها بل انفقوا في سبيل الله ابتغاء مرضات الله كما يعلم ذلك من اطلع على سيرهم .

ولم يأمر النبي ﷺ احداً بترك تجارته مثلا او حرفته بل دعا الكل الى الله وارشدهم الى الفوز والنجاة

والحاصل ان بسط الرزق وضده ابتلاء فمهما ابتلي العبد بالفقر فتحلى بالشكر والتسليم والرضا والصبر فقد دخل في عموم عباد الله الصالحين وتخلق باخلاق سيد المرسلين وخاصة العباد المخلصين واذا قارنه الجزع والضجر والاعتراض على القضاء والقدر وأداه الى المحظورات فهو من البلاء العظيم .

قلت ينبغي ان لا يعرض عن الدنيا من اقبلت اليه في زماننا اذا كانت على وجه الحل بل يقبلها مالم يكن في ذلك محظور لان اهل زماننا غالباً او اكثرهم او كلهم قاصرون عن درجات الرجال او الكمال وبين متورعي زماننا ومتورعي العصر

الخالية بون عظيم ، وما يوجد في كلام القوم مما يخالف هذا فهو بالنسبة لغير اهل هذا الزمان . اما من ليس له قدم صدق في مهيع التجريد والانقطاع الى الله بالقلب والقالب كمتورعي زماننا فلا ينبغي منهم ذم المال على سبيل الزهد اذ لا زهد كاملا لهم يساعدهم على ذلك .

والقول الفصل طلب المال من وجه الحل لمن كان ساقطاً عن درجات الكمل المتجردين حقاً لان في ذلك حصول الكفاف وكف النفس عن التشوف الى مافي ايدي الناس والمسئلة وهذا كله مطلوب فليكن الوسيلة الى ذلك مطلوب . لا يقال ان الغنا ربما يجر الى مفسدة عظيمة كالفخر والكبر والبطر والطغيان لانا نقول المال حاجته متوقعة دائما ناجزة وهي لا تترك لمفسدة متوهمة وانما ينبغي ان يعتبر طالب الدنيا على وجه الحل قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآيات ويذكر قوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) .

وقد اوردنا ماوردناه هنا في هذا المقام تنبيهاً لئلا يتمسك الناسك الغافل بحبل غروره فيترآى له الخطا صوابا ويلبس عليه الشيطان ويدعى سلوك سبيل الاحتياط وهو لم يشعر بعيوب النفس التي هي احد الاعداء وتراه يحتج بمثل قوله تعالى (ورزقكم في السماء وما توعدون) محتجاً به على الاعراض عن الاسباب بالكلية وقعوده عنها مسهلا يتشوف لما في ايدي الناس ولم يتفطن ان من انزل هذه الآية هو القائل في محكم كتابه (فامشوا في مناكبها ـ وابتغوا من فضله) .

وقد كان سعد بن عبادة يقول : اللهم ارزقني حمداً ومجداً فانه لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال .

وقالوا المال آلة للمكارم وعون على الزمان ومتألف للاخوان ومن فقده قلت الرغبة اليه والرهبة منه .

وقال سفيان الثوري المال سلاح المؤمن في هذا الزمان وهذا في زمانهم فما بال زماننا وهذا مما يؤيد ماقلناه والله الموفق وعليه التكلان .

اللهم انا نسئلك بجاه نبيك الكريم وبحرمة القرآن العظيم ان توسع علينا وعلى اولادنا واحبابنا ومن اوصانا بالدعاء ، اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء وعضال الداء وخيبه الرجاء وزوال النعمة وفجاءة النقمة آمين اللهم آمين قول صاحب الانفاس قدس الله سره (ولاتخف★من الله اقتاراً ولا تخش من فقر) حرف الجر الداخل على الفقر زائد والمعنى لاتخف بسبب انفاقك اقتاراً ولا فقراً ، وذلك لان السعادة والشقاوة والحرمان والرزق مقدرة للمرء ازلا قبل ان يوجد فلا يزداد الحريص الا جهدا .

وكان سيدي ذو النون المصري يقول من علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر وخوف الفقر من تلبيس اللعين قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم) الآية وقد قيل شعر :

ولا ترهبن الفقر ماعشت في غد   لكل غد رزق من الله واجد

لان الله سبحانه وتعالى قد ضمن للعبد رزقه الذي يحصل له به قوام وجوده في دنياه وتكفل له بذلك كما قال تعالى (وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم) .

﴿ واعلم ﴾ انه ليس من باب خشية الفقر الاقتصاد في المعيشة وهو التوسط بين طرفي الافراط والتفريط لانه مأمور به ، ففي الحديث الاقتصاد في المعيشة نصف العيش يبقى نصف النفقة وقد اثنى الله سبحانه وتعالى على فاعله بقوله جل وعلا (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) واختلف هل الافضل الغني الشاكر ام الفقير الصابر على قولين فرجح الجمهور القول بتفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر سيما ماورد من اعراضه ﷺ عن الدنيا كل الاعراض مع انه سيد الشاكرين .

(ومما ينبغي نقله) هنا قول الامام الغزالي قدس سره العزيز ان الرزق اربعة اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود ، فالمضمون مابه قوام البنية دون

سبب ، والمقسوم ماقسمه الله تعالى وكتبه في اللوح المحفـــوظ أكلا وشربا ولبسا لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر ، والمملوك ماقدره الله تعالى وقسم له ان يملكه قال الله تعالى (انفقوا مما رزقناكم) أي مما ملكناكم والموعود ماوعدالله تعالى للمتقين من عباده بشرط التقوى حلالا من غير كد ، قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) انتهى .

ثم قال نفع الله به واذاقنا من حلاوة مشربه :

﴿ وإياك والدنيا فان حلالها
حسابٌ وفي محظورها الهتك للستر ﴾

قوله اياك كلمة يؤتى بها للتنبيه أعني تنبيه المخاطب على امر مكروه ليجتنبه ويسمى بالتحذير عند النحاة (والمعنى) احذر الدنيا ايها المخاطب والفاء في قوله فان حلالها للتعليل ، والقصد التحذير من حب الدنيا لان حبها رأس كل خطيئـة كما في الحديث ، ولم تزل اكابر الامة قديماً وحديثاً تحذر الناس عن الدنيا لكثرة غوائلها ، وفي الحديث ايضاً (احذروا الدنيا فانها حلوة خضرة) ومعنى هذا الحديث احترزوا وتيقظوا لما تتناولونه منها فانه ربما أدت نعومته وطراوته الى كثرة التطلب لها فيكون ذلك شاغلا لـكم عن عبادة ربكم وربما كان سببا للعقاب في الآخرة والتعب في الدنيا والقصد والتحذير من الانهماك في طلبها والوقوع في لذاتها وسهواتها فيدخل في عموم قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات) الآية والدنيا مأخوذة من الدنو أي القرب لقربها من الزوال وقد اشتمل اكثر القرآن على ذمها وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة الباقية اذ هي المقصودة بالذات من سائر الشرائع ، ومن ثم قالوا ان اعداء الانسان اربعة : النفس ، والشيطان ، والدنيا ، والهوى . ولله در القائل :

اني بليتُ باربـع يرمينـــني	بالسهم عن قوسٍ له توتـــيرُ
ابليسُ والدنيا ونفسي والهوى	يارب أنت على الخلاص قديرُ

ألا ترى انها لاتصفو لاحد حقيقة وان صفت ظاهراً ولذا كانت عدوة

لاولياء الله لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها وأوقعتهم في شبكتها حتى وقعوا بها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها ، فعلى العاقل ان ينتبه من رقدة الغفلة ولا يستعذب في دنياه المهلة وليتأمل قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) وقوله تعالى (وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) وقال ﷺ (من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب بدنياه اضر بآخرته فآثروا مايبقى على مايفنى) .

وقال ﷺ (الزهادة في الدنيا تريح القلب والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن والبطالة تقسي القلب) .

وقال ﷺ (من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا الا ما كتب له ، ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله عليه أمره وحفظ عليه ضيعته وأتته الدنيا وهي راغبة) .

وفي الحديث (ان الدنيا ملعون مافيها إلا ما كان لله عز وجل) . وفي رواية الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا آمر بمعروف أو ناه عن منكر وذكر الله تعالى ، وفي رواية الا مايبتغي به وجه الله تعالى وقد سبق ان المال لا يمدح ولا يذم لذاته بل بحسب متعلقه فكما تبنى الكنائس منه كذلك تبنى منه المساجد والمدارس .

وفي كلام بعض العارفين قدس سره الناس في الدنيا والآخرة على خمسة اقسام ، قسم يحبون الآخرة أكثر من الدنيا وعلامتهم ان لا يرتكبوا في حصول الدنيا مكروهاً كاداء الصلاة في وقت الكراهة وارتكاب مايكره في البيع او ماشاكل ذلك ، وقسم يحبون الدنيا اكثر من الآخرة وعلامتهم ان يرتكبوا في حصول الدنيا مأثماً كتأخير الصلاة عن وقتها والحلف الكاذب في المعاملات ، وقسم يحبون الآخرة مثل حبهم للدنيا وعلامتهم ان يرتكبوا في تحصيل الدنيا مكروهاً لا محرماً ، وقسم

يحبون الآخرة ولا يحبون الدنيا مطلقاً وعلامتهم ان لا يأكلوا لقمة ولا يخطوا خطوة الا لله ، وقسم يحبون الدنيا ولا يحبون الآخرة مطلقاً وهم الكفار نعوذ بالله من غضب الله ، ثم أن السعيد من آثر الآخرة وترك الدنيا ، والشقي من خسر الآخرة وآثر الدنيا ، والاشقى من خسر الدنيا والآخرة ، وقيل سعراً في الاول :

ماأحسن الدينَ والدنيا اذا اجتمعا ... وأقبحَ الكفرَ والافلاسَ بالرجلِ

والحاصل أن من أرسل جواد فكره في ميدان التأمل وجـــد الدنيا أموراً وهمية انقادت طباع الناس اليها على مقتضى قوله تعالى (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) وهي تلهي عن الآخرة ولا تفي ببعض مطالب ذويها فضلا عن جميعها لضيقها وسرعة تقضيها وتفلتها فهي تكدر العيش ولا تصفو بحال ، قال سيدي عبدالله بن علوي الحداد في العينية رحمه الله :

تلهي عن الاخرى ولا تبقي ولا ... تصفـو بحـال فاجتنبها أودع

﴿ وقيل شعراً ﴾

أرى أشقياءَ الناس لايسأمـونها ... على أنهم فيهـا عراةٌ وجـوَّعُ

أراها وان كانت تحبُّ كأنهـا ... سحابةُ صيف عن قريبٍ تقشع

وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة في دار المتالف والمعاطب كالمنزع على مزاحف الحيات ومداب العقارب ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها في سرور فهو ربح . وقال الامام الجنيد رحمه الله تعالى لست استبشع ما يرد عليّ من العالم لاني قد أصلت أصلاً وهو ان الدنيا درهم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن حكمه ان يتلقاني بكل ماأحب فهو فضل والا فالاصل هو الاول. وقال ابو تراب رضي الله عنه ياايها الناس أنتم تحبون ثلاثة أشياء وهي لسكم تحبـون النفس وهي لهواها وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما في الجنة ، ويكفي اللبيب ماضرب الله للناس من المثل في وصف الدنيا بقوله تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) الى قوله (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عـــذاب شديد ومغفرة من الله) ومما يعلن بحقارة الدنيا وخسة قدرها قوله ﷺ (لو كانت

الدنيا تساوي جناح بعوضة ماسقى كافراً شربة ماء) وقوله ﷺ (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) أي سجنه بالنسبة الى ماأعد له في الآخرة من النعيم المقيم وجنة الكافر الى ما اعد له من عذاب الجحيم .

حكى القرطبي عن سهل الصعلوكي الفقيه الخراساني وكان ممن جمع بين رياسة الدين والدنيا أنه كان في بعض مواكبه ذات يوم اذ خرج عليه يهودي من تنور حمام وهو بثياب دنسة وصفة نجسة فقال ألستم تزعمون ان نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وانا عبد كافر وترى حالي وأنت مؤمن وترى حالك فقال له على الفور إذا صرت أنت غداً الى عذاب الله كانت هذه الجنة لك واذا صرت أنا الى النعيم ورضوانه كان هذا سجني فعجب الخلق من فهمه وحسن جوابه ،

وللامام الشافعي رحمه الله تعالى :

ومن يجهل الدنيا فاني طعمتُها وسيق الينا عذبُها وعذابُها
فلم أرها إلا غروراً وباطلا كما لاح في ظهر الفلاة سرابُها
وماهي إلا جيفةٌ مستحيلةٌ عليها كلابٌ همّهن اجتذابُها
فان تجتنبها كنت سلماً لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها

ومن المواعظ التي أعلنت بمساوي الدنيا وحالاتها واوجبت البكاء على النفس بما فرطت في جنب الله بارئها مانظمه الشيخ اسماعيل ابن المقري سقى الله بوابل الرحمة ثراه وهو هذا :

الى كم تماد في غرور وغفلة وكم هكذا نوم الى غير يقظة
لقد ضاع عمرٌ ساعةٌ منه تشترى بملأ السما والارض أية صيعة
أتنفق هذا في هوى هذه التي أبى الله أن تسوى جناح بعوضة
أترضى من العيش الرغيد بعيشة مع الملأ الاعلى بعيش البهيمة
فيا درةً بين المزابل ألقيت وجوهرةً بيعت بابخس قيمة
أفان بباق تشتريه سفاهةً وسخطاً برضوان وناراً بجنة
أأنت صديقٌ أم عدوٌ لنفسه فانك ترميها بكل مصيبة
ولو فعل الاعدا بنفسك بعض ما فعلتَ لمسّتهمْ لها بعض رحمة
لقد بعتها هوناً عليك رخيصةً وكانت بهذا منك غير حقيقة

فؤيك استفق لا تفضحنها بمشهد   من الخلق ان كنت ابن ام كريمة

فبين يديها موقف وصحيفة   تعد عليها كل مثقال ذرة

كلفت بها دنيا كثيراً غرورها   تقابلنا في نصحها بالخديعة

إذا اقبلت ولّت وإن هي أحسنت   اساءت وان ضاقت أتت بالكدورة

ولو نلت منها مال قارون لم تنل   سوى لقمة في فيك منها وخرقة

فدعها وأهلها بقسم وخذ كذا   بنفسك عنها فهي كل الغنيمة

ولا تغتبط منها بفرحة ساعة   تعود باحزان عليك طويلة

فعيشك فيها ألف عام وينقضي   كعيشك فيها بعض يوم وليلة

عليك بما تجزى عليه من التقى   فانك في لهو عظيم وغفلة

تصلي بلا قلب صلاة بمثلها   يصير الفتى مستوجباً للعقوبة

تصلي وقد أتممتها غير عالم   تزيد احتياطاً ركعة بعد ركعة

فويلك تدري من تناجيه معرضاً   وبين يدي من تنحني غير مخبت

تخاطبه اياك نعبد مقبلاً   على غيره فيها لغير ضرورة

ولو رد من ناجاك للغير طرفه   تميزت من غيظ عليه وغيرة

أما تستحي من مالك الملك ان يرى   صدودك عنه ياقليل المروءة

صلاة أقيمت يعلم الله انها   بفعلك هذا طاعة كالخطيئة

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة   اذا عددت تكفيك عن كل زلة

سبيلك ان تستغفر الله بعدها   وان تتلافى الذنب منها بتوبة

فيا عاملا للنار جسمك لين   فجربه تمريناً بحر الظهيرة

وجربه في لسع الزنابير تجتري   على نهش حيات هناك عظيمة

فان كنت لا تقوى فويلك ما الذي   دعاك الى اسخاط رب البرية

تبارزه بالمنكرات عشية   وتصبح في اثواب نسك وعفة

فأنت عليه منك أجرا على الورى   بما فيك من جهل وخبث طوية

تقول مع العصيان ربي غافر   صدقت ولكن غافر بالمشيئة

وربك رزاق كما هو غافر   فلم لم تصدق فيهما بالسوية

فانك ترجو العفو من غير توبة   ولست ترجى الرزق الا بحيلة

على أنه بالرزق كفّل نفسه ولم يتكفل للانام بجنة
فلم ترض الا السعي فيما كفيتُه واهمال ما كلفته من وظيفة
تسيء به ظناً وتحسنُ تارة على حسب مايقضي الهوى في القضية
إلهي لا واخذتنا بذنوبنا ولا تخزنا وانظر الينا برحمة
وخذ بنواصينا اليك وهب لنا يقيناً يقينا كل شر وريبة
وكن شغلنا عن كل شغل وهمنا وبغيتنا عن كل هم وبغية
وصل صلاة لاتناهي على الذي جعلت به' مسكاً ختام النبوة
وآل وصحب أجمعين وتابع وتابعهم من كل أنس وجنة

﴿ وقال آخر ﴾

سألت عن الدنيا الدنية قيل لي هي الدار فيها الدائرات تدورُ
إذا أضحكت أبكت وان أحسنت اسا وان عدلت يوماً فسوف تجورُ

ومن عيوب الدنيا ان المرء طول حياته لم يزل يختشي من الآفات فيها ولم يزل غرض الاغراض ونهب الامراض أما أن يصاب في ماله أو ولده ولم يزل عيشه منغصاً بإذكار الموت والهرم ، ولقد صدق ابو الطيب حيث قال :

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبُه انتقالا

قال بعض الحكماء اذا اردت ان تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هي ومن كلام بعض البلغاء الدنيا اذا اقبلت بلت او ادبرت برت او اطنبت بنت او أركبت كبت او ابهجت هجت او اسعفت عفت او اينعت نعت او اكرمت رمت او عاونت ونت او ماجنت جنت او سامحت محت او صالحت لحت او واصلت صلت او بالغت لغت او زوجت وجت او نوهت وهت او ولهت لهت او باسطت سطت ، ومن النصائح في التحذير من هذه الدار قول بعض الفضلاء :

لا تركنن الى دار الغرور ولا تسكنْ الى وطن فيها ولا وطر
وسالم الناس تسلم من مكائدهم مسلماً لقضاء الله والقدر

كم منحة بدرت ما كنت تأملها | ومحنة لم تكن منها على حـــذر

﴿ وقال الآخر ﴾

تنافس في الدنيا غروراً وانما | قصارى غناها أن تعود الى الفقر
وإنا لفي الدنيا كـــركب سفينة | نظن وقـوفاً والزمان بنا يجري

وقد اكثر القوم الكلام في التحذير من الدنيا الدنية والنفس والهـوى والشيطان وهذه الاربعة قد أشبـع القوم في كتبهم الكلام عليها وذكروا أدويتهـا المخلصة منها ، فمن ذلك قول سيدي احمد بن سهل قدس سره : اعداؤك اربعة الدنيا وسلاحها الخلق وسجنها العزلة والشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجـوع والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر والهوى وسلاحه الـكلام وسجنه الصمت ، انتهى .

والمراد بالنفس هنا الامارة وهي التي تأمر بالسوء ولا تأمر بالخير الا نادراً ، بخلاف اللوامة وهي التي تغلب صاحبها ثم ترجع عليه باللوم على ماوقع منه لكونها اذعنت للحق بسبب المجاهدة ، والمطمئنة وهي الـــتي اطمأنت الى مكارم الاخلاق ، والراضية وهي التي رضيت بالله رباً من غير منازعة باطنية بسبب المجاهدة والمرضية وهي التي تجلى الله عليها بالرضا والعفو عما مضى والـكاملة وهي التي صارت الـكمالات لها طبعاً وسجية ، فالنفس ذات مكائد عظيمة وهي اشد من الشيطان في الكيد ولذا قال بعضهم شعراً :

توقَّ نفسك لا تأمن غـــوائلها | فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

ومجاهدتها أشد من مجاهدة الشيطان فانها العدو الملازم المحبوب والمحب يعمى عن عيوب المحبوب (وأما الشيطان) فانه عدو مبغوض وهو خارج عن البدن فيمكن منعه بتضييق مجاريه وفيه قال تعالى (ان الشيطان لـكم عدو فاتخذوه عدوا) أي في عقائدكم وأقوالـكم وأفعالـكم وكونوا على حذر منه في جميـع احوالـكم وهو يجري من الانسان مجرى الدم كما في الحديث ويؤيد ذلك قوله تعـالى (يوسوس في صدور الناس) .

وأما الهوى فمن أعظم اسباب الردى وهو ميل النفس الى غير الحق ، وقد اتفق جميع العلماء على ان السعادة لاتنال الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة شهواتها قال تعالى (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وما ألطف ما قيل :

وآفة العقل الهوىَ فمن علا على هواهُ وعقلهُ فقد نجا

قول الناظم فان حلالها حساب وفي محظورها الهتاك للستر الفاء للتعليل أي اياك والدنيا لان حلالها حساب وفي محظورها الهتك للستر والمحظور هو الممنوع بمعنى حرامها ولا شك أن في الحرام الهتك للستر بظهور الفضائح في عرصات القيامة التي سترها عنهم في الدنيا الستار لاطلاع الناس عليها في موقف الحشر ، ووجه كون حلالها حسابا ظاهر فمن قلت دنياه قصر حسابه ومن كثرت دنياه طال حسابه وفي الحديث (حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا) .

(والحساب يوم القيامة) مما أجمع عليه المسلمون بالنصوص القاطعة وهو توقيف الله الناس على اعمالهم خيراً كانت أو شراً قولاً كانت أو فعلا ، ويكون للمؤمن والكافر انساً وجناً الا من استثني منهم . ففي الحديث (يدخل الجنة من امتي سبعون الفاً ليس عليهم حساب) .

وقد اختلف العلماء في معنى كونه تعالى محاسباً عباده على أقوال فمن قائل أنه تعالى يعلمهم مالهم وما عليهم ، قال الفخر الرازي بأن يخلق الله سبحانه وتعالى في قلوبهم علوماً ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب .

ونقل عن ابي عباض رضى الله تعالى عنهما وهو أحد الاقوال ان الله يوقف عباده بين يديه ويؤتيهم كتب اعمالهم فيها سيآتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم .

(ومعنى قول الناظم) ان حلالها حساب أنه يحاسب عليه قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) .

﴿ فائدة ﴾ اعلم أن الحلال عند أهل السنة ما كان مباحاً بنص او اجماع و قياس جلي والحرام مانص او أجمع على تحـــريمه بعينه أو جنسه ويشتمل الحلال لسكوت الذي جهل اصله فعند الشافعي ومالك من الحلال ويعضد ذلك قوله تعالى قل لا أجد فيما اوحي الى محرما) الآية وقوله ﷺ (ان الله عزّ وجـل فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوهـا وسكت عن اشياء رحمة لـكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) .

قال بعض متأخري الشافعية ولا ينبغي اليوم ان يسئل عن أصل الشيء لان الحلال ماجهل أصله والاسول قد فسدت واستحكم فسادها فاخـذ الشيء على ظاهر الشرع اولى من السؤال عن شيء يتبين تحريمه .

قال القزويني ومن قال ان الحلال ليس بموجود فقد طعن في الشريعـة وهو أحمق حصل له ذلك من جهله فان الله لم يكلف الخلق عين الحلال في علمه تعالى بل كلفهم ان يصيبوا الحلال في اعتقادهم وظنهم ، انتهى .

وأما ماليس بواضح الحل والحرمة مما تنازعته الادلة وتجاذبتـــه المعاني والاسباب فبعضها يفهم الحل وبعضها يفهم الحرمة مما تنازعته الادلة وتجاذبته المعاني والاسباب فبعضها يفهم الحل وبعضها يفهم الحرمة يؤيده دليل الحرام وبعضها يؤيده دليل الحلال فهو المشتبه الداخل في قوله ﷺ (الحلال بين والحـــرام بيّن وبينهما امور مشتبهات) الخ الحديث .

واعلم ان من المشتبه كما صرح به ابن حجـر ما اكتسب من بيع العينة بكسر العين المهملة وسكون المثناة تحت وهو ان يبيـع متاعاً بثمن بعـد ان يقبضه المشتري يبيعه لبائعه باقل مما اشتراه به وهو حرام عند الائمـــة الثلاثة لانه من حيل الربا

وقد ورد الوعيد الشديد في اكل الربا قال الله تعالي (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلـكم رؤس أموالـكم لا تظلمون ولا تظلمون) ووعدالله صاحب

الربا بمحق أمواله ومن ثم كان من اكبر الكبائر بعد الشرك وقد ثبت ان رسول الله ﷺ (لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه) رواه ابن مسعود رضي الله عنه وقد اطلق القول بتحريم بيع العينة صاحب الانفاس سيدي عبدالله بن علوي الحداد كغيره من اكابر الصوفية المتورعين فينبغي لمن احتاط لدينه ان يقتدي بهم فان الله لاتخفى عليه خافية ، والفتوى غير الورع . وفي الحديث (دع ما يريبك الى مالا يريبك) وفي الحديث ايضاً (لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يترك مالا بأس به مخافة مما به بأس) فترك الريبة في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الاحكام الى يقين الحل هو الورع المحمود العميم النفع العظيم الجدوى في الدنيا والآخرة . ثم ان الورع عام وخاص فالعام هو التورع عما يوجب الفسق وذلك مايحرمه الفقهاء ، وأما ورع الخاصة فهو على ثلاث درجات :

﴿ الاولى ﴾ ورع الصالحين المشار اليه بقوله ﷺ (دع ما يريبك الى مالا يريبك) وهو الحذر عما يطرق اليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله بناء على الظاهر لان مطمح الفقيه الى ظاهر الامر كمن أساء معاشرة زوجته حتى تبرئه من المهر فيفتي الفقيه ان الابراء صحيح مع انه لايحل للمبرىء للمهر بينه وبين الله تعالى .

﴿ الثانية ﴾ ورع المتقين المشار اليه بقوله ﷺ (لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس) قال المناوي ان يترك فضول الحلال حذراً من الوقوع في الحرام ومن هذا القبيل ترك النظر الى تجمل اهل الدنيا فانه يحرك داعية الرغبة فيها .

﴿ الثالثة ﴾ ورع الصديقين وهو صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين وعكوف الهمة عليه وهذه رتبة قوم عدوا كل مالم يكن لله حراماً فاجتنبوا كل مالا يراد بتناوله القوة على طاعة الله وهؤلاء قد ذهب معظمهم بل لايكاد يوجد احد منهم ، فالفالح في زماننا من كان ورعه ورع العدول غير مشدد على نفسه فيقول أموال الدنيا كلها حرام لكثرة الايدي الغاصبة والمعاملات الفاسدة بل يراجع القلب

مسترشداً بقوله ﷺ (الاثم ماحاك في الصدور وتردد في القلب) وقوله ﷺ (استفت قلبك وان أفتاك الناس وافتوك) اذ الانسان غير متعبد بما هو في نفس الأمر حلال بل بما هو في اعتقاده انه حلال لابان له شيء ظاهر في تحريمه وهذا باب وسيع وقد أجاد بالتفصيل فيه الامام الغزالي جزاه الله عن الاسلام خيراً ورزقنا التوفيق وحسن الختام ، ثم قال صاحب الانفاس نفعنا الله به وبعلومه :

﴿ ولا تكُ عيَّابا ولا تك حاسداً

ولا تك ذا غش ٍ ولا تكُ ذا غدرِ ﴾

في البيت من انواع البديع لزوم مالا يلزم وهو كما في نسمات الاسحار أن يأتي المتكلم في أبيات شعره بحرف قبل حرف الروي وحركة مجانسة وفي فواصل نثره كذلك أو أكثر من حرف بالنسبة الى قدرته مع عدم التكلف وهنا قد أتى الناظم نفعنا الله به بالدال ساكنة قبل الراء في ثلاثة أبيات قبل حرف الروي في هذا البيت وما بعده فقال :

ولا تكُ عيَّاباً ولا تك حاسداً ولا تك ذا غش ٍ ولا تكُ ذا غدرِ
وإياكَ والاطماع ان قرينها ذليلٌ خسيس القصد متضع القدرِ
ولا تطلبن الجاه ياصاح انه شهيٌ وفيه السم من حيث لا تدري

قال في الخزانة وقد جاء في الكتاب العزيز في مواضع تجل عن الحصر يعني هذا النوع كقوله تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) وكقوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجراً غير ممنون) ومنه قوله تعالى (والليل وماوسق والقمر إذا اتسق) ومن شاهد هذا النوع من كلام الشعراء قول أبي العلاء المعري :

لا تطلبنْ بآلة لك رفعةً قلمُ البليغ بغير حظ ٍ مغزلُ
سكن السما كان السماء كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

ويعجبني قول القائل من هذا القبيل :

أكرموا العلم وصونوا أهله عن جهول حاد عن تبجيله
انما يعرف قدر العلم من سهرت عيناه في تحصيله

﴿ وقال آخر ﴾

يقولون في البستان للعين لذة وفي الراح والماء الذي غير آسن
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

(ومن أنواع البديع) التجزئة وهي أن يأتي المتكلم ببيت ويجزئه جميعاً اجزاء عروضية ويسجعها كلها على وزنين مختلفين احدهما على روي يخالف روى البيت والثاني على روى البيت كقول الشاعر :

هندية لحظاتها خطية خطراتها دارية نفحاتها

ولبعضهم يمدح الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى :

افدي الشهاب أبا العباس من رجل أضحى به حجر الاسلام ملتثما
كالبحر مقتحماً والبدر ملتثماً والفجر مبتسماً والزهر مختتما

﴿ وللنابلسي في شرحه ﴾

أهوى غزالا كحيل المقلتين لنا بحبه بين أرباب الهوى شرف
في عطفه هيف في حقه ترف في طرفه وطف في لطفه سرف

(ومن أنواع البديع الاستخدام) وفيه قولان الاول وهو طريقة صاحب الايضاح اطلاق لفظ مشترك بين معنيين مطلقاً فيريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم يعيد عليه ضميراً يريد به المعنى الآخر بعد استعماله في معناه الثالث وهلم جراً ، والقول الثاني وهو طريقة ابن مالك ان الاستخدام عبارة عن اتيان بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكاً أصلياً متوسطة بين قرينتين أو متقدمة عليها أو متأخرة عنهما يستخدم كل قرينة منهما في معنى من معنى تلك الكلمة المشتركة سواء كان الاستخدام بضمير أو بغير ضمير قال الله تعالى (لكل أجل كتاب يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده

أم الكتاب) فان لفظة كتاب تحتمل الاجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظي أجل ويمحو اذا استخدمت أحد مفهوميها وهو الاجل بقرينة ذكر الاجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو المكتوب بقرينة يمحو ومنه قول الشاعر :

حويتِ ريقاً نباتياً حلا فغدا   ينظمُ الدرَّ عقداً في ثناياكِ

فان لفظة نباتي تحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين الريق وحلاوته والدر والنظم ومما يحتمل طريقة ابن مالك وطريقة صاحب الايضاح قول بعضهم :

وفتيةٍ كنجومِ الافق زاهرةٌ   سامرتهم وجيوشُ الليل تزدحم

لا يلمس النهدَ منهم غيرُ راكبه   لدى الهياج وجون النقع مرتكم

فان لفظة النهد مشتركة بين الثدى والجواد الضخم العالي وقد توسطت بين يلمس وراكبه فكان ما كان أو يرجع اليه ضمير راكبه على مذهب صاحب الايضاح ، والفرق بين هذا الاستخدام والتورية هو ان المراد في التورية أحد المعنيين ، وفي الاستخدام كل من المعنيين مراد وصاحب الاستخدام ينكر قول البحتري :

وسقى الغضا والساكنيهِ وانهمُ   شبوهُ بين جوانحي وضلوعي

(ومن أنواع البديع الاكتفا) وهو أن يأتي المتكلم ببيت من الشعر أو فقرة من النثر وآخر ذلك متعلق بمحذوف ولم يحتج الى ذكره لدلالة باقي الكلام عليه ويكتفي بما هو معلوم في الذهن عن اتمامه وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين، الاول ان يكون بجميع الكلمة ، والثاني الاكتفاء ببعض الكلمة وهو أصعب مسلكاً لكنه أحلى موقعاً فمن القسم الاول قول الشاعر :

لا أنتهي ولا أنثني لا أرعوي   مادمتُ في قيدِ الحياة ولا إذا

ومن المعلوم أن يكون باقي الكلام ولا إذا مت لما تقدم من قوله قيد الحياة

﴿ ولبعضهم ﴾

صِلي ودّعي نفارك عن محب   بذكرك آنسٌ والليل ساكنْ
ولا تستقبحي شيباً برأسي   فما إن شبت من كبر ولكنْ

﴿ ولآخر ﴾

أقول لبدر تم قد رماني   بسهم من لواحظه الفواتنْ
قتيلكُ كيف تحييه فنادى   ألم تؤمنْ فقلتُ بَلَى ولكنْ

﴿ ولآخر ﴾

أقول لمن أموتُ به وأحيا   مراراً وهو لاهي القلب ساكنْ
أيحيي وصلك الموتى فنادى   ألم تؤمن فقلت بلى ولكنْ

وقول ابن سنا الملك من قصيدة :

رأيت طرفك يوم البين حين همَى   والدمعُ نغرٌ وتكحيل الجفون لما
فاكفف ملامك عني حين ألثمه   فما شككت بأني قد لثمت فما
لو كان يعلمُ مع علمي بقسوته   تألم القلب من وخز الملام لما

﴿ وقول الآخر ﴾

تطلبتُ منه قبلة وهو نافر   فقالَ وقتلي حبنا لن تقبلا
فقلتُ له بالوصل عدني إلى غد   فبعدك مات الصبرُ قال نعم إلىَ

القسم الثاني وهو الاكتفاء بالبعض فمن ذلك كما في الخزانة قول ابن سنا الملك من قصيدة :

أهوى الغزالة والغزال وإنما   نهنهتُ نفسي عفة وتدينا
ولقد كففتُ عنان عيني جاهدا   حتى إذا أعييتُ أطلقت العنا

وقول ابن مكانس مع زيادة التورية :

لله ظبيٌ زارني في الدجى   مستوطناً ممتطياً بالخفرْ

فلم يقم إلا بمقدار أن قلتُ له أهلاً وسهلاً ومر

وقال العلامة بدر الدين الدماميني :

الدمعُ قاض بافتضاحي في هوى ظبي يغارُ الغصن منه اذا مَشَى
وغدا بوجدي شاهداً ووشى بما أخفى فيالله من قاض وشا

ومثله قول الآخر :

مَن عاذرٌ في عاذل يلوم في حبي رشا
إذا طلبت وصله قال كفى بالدمع شا

ولبعضهم :

رعى الله أيام الوصال فقد مضتْ وحالت بنا في حُب ذا الرشأ الاحوال
وكابدت أهواء الغرام وهوله فافنيت عمري في مكابدة الاهوال

ولابن الدماميني :

ورُبَّ نهار فيه نادمتُ اغيداً فما كان أحلاه حديثاً وأحسنا
منادمة فيها مناي فحبذا نهارٌ تقضّى بالحديثِ وبالمنا

وله أيضاً :

يقول مصاحبي والروضُ زاه وقد بسط الربيعُ بساط زهر
تعال نباكرُ الروض المفدى وقم نسعى الى ورد ونسر

وللنابلسي نفعنا الله به :

ومعربد اللحظات أطلق حسنهُ فتقيدتْ بروائه مقلُ الرجا
يختال كالغصن الرطيب بمعطف لدن ارانا السمهريَّ معوجا
ويظل يكسر مقلتيه تدللا اين النجاةُ لعاشق أين النجا

وقال الشيخ جمال الدين ابن نباتة :

أقول وقد جاء الغلامُ بصفحة عقيبَ طعام الفطرِ ياغاية المنا

بحقك قل لي جاء صحن قطائف وبح باسم من أهوى ودعني من الكنا

وللشيخ برهان الدين القيراطي :

مولاي نورُ الدين ضيفك لم يزل يروي مكارمك الصحيحة عن عطا

صدقتْ قطائفك الكبار حلاوة بفمي وليس بمنكر صدقُ القطا

(ومن أنواع البديع) القسَم وهو أن يحلف المتكلم بما يكون مدحا له أو مايكسبه فخراً أو مايكون هجاء لغيره أو ما يشتمل على الغزل والنسيب والتشبيب بالاماكن والمتنزهات كقول الواوي الدمشقي :

يابدرُ بالبدرِ الذي أطلعتَ من فلكِ الجيوبْ

وبعقرب الصدغ الذي زرفنت من حُسن وطيبْ

ترقى وما استرعيتها ثمر القلوب بلا دبيب

(وللنابلسي)

وحياة وجهك يامليح وحق من أبلى بحبك مغرم الاحشاء

لولم يعجبني اليوم وجهك نظرة ماكنت محسوباً من الاحياء

ويعجبني قول الشهاب ابن معتوق في مطلع قصيدة طويلة لا بأس بايراد بعضها :

اما ومواضي مقلتيه الفواصلِ لتشبيها بالبدرِ تحصيلُ حاصلِ

وياقوت فيها إن جوهر جسمها لكالماء إلا انه غير سائل

وورد محياها النضير لقدها هو الرمح إلا أنه غير ذابل

من العين إلا أنها في كناسها تظللها اسد الشرى بالمناصل

كعاب تمد الحتف في أي ناظر من الغنج إذ ترنو بمقلة خاذلِ

ذُكاء حمتها الشهب وهي أسنة وقامت لديها نيرات المشاعل

تظن رغاء الرعد زفرة مدنف فترشقه حراسها بالمعابلِ

وتجـــرس على مر النسيم توهما بأن الصبا تهدي إليهــا رسائلي
بروحي منها حاجبا غنج قوسه تسلمه من طــرفها أي نابل
وقضبان بلور بدت في خـواتم وأعمدة من فضة في خـلاخل
وزندين لو لم يمسكا في دمـالج لسالا من الاكمام سيل الجداول
فما اختال ظبي قبلها في مدارع ولا مال غصن يانع في غـلائل
أحن لمرآى خدها وهو مصرعي وأعشق منها الطرف وهو قاتلي
فوا عجباً أشقى بها وهي جنتي ولم أقتنصها والظبا من حبائلي

(ومن أنواع البديع الجمع مع التقسيم) وهو أن يجمع الناظم أو الناثر بين شيئين أو أكثر في حكم واحد ثم يقسم ماجمع أو يقسم ثم يجمع ، ومن شواهد هذا النوع من القرآن قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليـل وجعلنا آية النهار مبصرة) فكأنه يقول الشمس والقمر كوكبان فهذا نهاري وهذا ليلي فجمع بينهما اذ هما كوكبان ثم فرق بان هذا يضيء نهاراً وهذا يضيء ليلا فوقع الفرق في الشيء الذي وقع منه الجمع ومنه قول أبي العباس النامي من أبيات :

فتى قسم الإيام بين سيوفـــه وبين طريفات المكارم والتلد
فصود يوماً بالعجـاج وبالردى وبيض يوماً بالفضائل والمجـــد

﴿ ولابي الطيب المتنبي ﴾

الدهر معتذر والسيف منتصر وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
للسبي مانكحوا والقتل ماولدوا والنهب ماجمعوا والنار مازرعوا

(ومن أنواع البديـع السلب والايجاب) وهو أن يقصد المتكلم أفراد شخص بصفة لايشاركه فيها غيره فينفيها في أول كلامه عن جميـع الناس ثم يثبتها لذلك الشخص كقول الخنساء :

وما بلغت كف امرىء متناولا من المجد إلا والذي نلت أطول
ولا بلغ المهدون للناس مـدحـة وان أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

ومنه قول امرىء القيس :

هضيمُ الحشا لا يملأ الكفَّ خصرُها ... ويملأ منها كل حجـل ودملج

قال في الخزانة وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى (ولا تقـل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) ولابن هاني الاندلسي :

امامُ هدى ماالتفَّ بـين نبوة ... على ابن نبي منه بالله أعـلمُ
ولا بسطتْ ايدي العُفاة بنانها ... الى اريحي منه اندى وأكرمُ
ولا التمع التاج المفصل نظمُه ... على ملك منه أجلُّ وأعظمُ
وما الجود جوداً في سواء حقيقة ... وماهو الا كالحديث المرجـم

(ومن انواع البديـع تشابه الاطراف) وهو قسمان لفظي وهو ضربان الاول أن ينظر الناظم الى لفظة وقعت في آخر المصراع الاول فيبتدىء بها في اول المصراع الثاني ،قال ابن حجة في الخزانة وهذا النوع كان اسمه التسبيـغ بسين مهملة وغين معجمة وانما ابن ابي الاصبع قال : هذه التسمية غير لائقة بهذا المسمى فسماه تشابه الاطراف فان الابيات فيه تشابه اطرافها ، انتهى .

ومن شواهد هذا النوع قول ابي تمام :

هوىً كان خلساً ان من أبرد الهوى ... هوى جلتُ في افنائه وهو خاملُ
أبا جعفر إن الجهالةَ أمهـا ... ولودٌ وأم العلم جذاء حايل
فكن هضبة نأوي اليهـا وحرة ... يعرّد عنها الاعـوجي المتاقل
فان الفتى في كل ضرب مناسب ... مناسب روحانيـة من يشاكل

والضرب الثاني أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت في اول البيت الذي يليه كقول النميري :

رمتني وستر الله بيـني وبينها ... عشيةَ آرام الكناس رمـيم
رميم التي قالت لجيران بيتهـا ... ضمنت لكم أن لا يزال يهـيم

ومن ذلك قول ليلى الاخيلية :

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلامٌ اذا هزّ القناة سقاها
سقاها فروّاها بشرب سجالها دماء رجال يحلبون صراها

(والقسم الثاني) معنوي وهو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداء في المعنى كقول الشاعر :

الذ من السحر الحلال حديثه وأعذب من ماء الغمامة ريقه

فالريق يناسب اللذة في اول البيت (ومن انواع البديع الافتنان) بنون بعد التاء المثناة من فوق وآخر الكلمة نون وهو أن يأتي المتكلم في بيت واحد او بيتين بفنين متضادين من فنون الشعر مثل الغزل والحماسة والهنا والعزا واحسن ماوقفت عليه ماقيل من هذا النوع قول ابن نباتة في قصيدته التي جمع فيها بين التهنئة والتعزية وذلك حين مات الملك المؤيد وتولى ولده الافضل قال :

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع شبيهان لايمتاز ذو السبق منهما
نرد مجاري الدمع والبشر واضح كوابل غيث في ضحى الشمس قدهما
سقى الغيث عنا تربة الملك الذي عهدنا سجاياه اعز واكرما
ودامت يد النعمى على الملك الذي له دانت الدنيا وعز به الحما
مليكان هذا قد حوى لضريحه برغمي وهذا للاسرة قد سما
ودوحة اصل ساد وهي تكافأت فغصن ذوى منها وآخر قد نما
فقدنا لاعناق البرية مالكاً وشمنا لانواع الجميل متمما
كأن ديار الملك غاب اذا انقضى به ضيغم انشا له الدهر ضيغما
كأن عماد الملك غير مقوض وقد قمت يا أزكى الانام واحزما
فان يك من ايوب نجم قد انقضى فقد اطلعت اوصافك الغر أنجما

وان تك اوقات المؤيد قد خلت فقد جددت علياك وقتاً وموسما
هـــو الغيث ولى بالثناء مشيعاً وأبقاك بحـراً بالمواهب مفعما

وكانت وفاة الملك المؤيد في شهر المحرم فقال ولم يخرج مما نحن فيه :

بك انبسطت فينا التهاني وانشدت ربيـع الهنا حتى نسّينا المحـرما

ومما اجتمع فيه التشبيب والحماسة قول القائل في قصيدة :

خطرت كمياد القنا المتأطـــر ورنت بالحاظ الغـزال الاعفـر
وأتتك بـــين تطاعن وتداعب في فتك قسورة وعطفة جؤذر

وما ألطف قوله منها :

وبملعب الصدغين مطـرد وجنة زحفت عليه كتائب ابن المنذر

(ومن انواع البديـع تجاهل العارف) وسماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة وقال لا أحب تسميته بالتجاهل لوروده في كلام الله تعالى وهـو ان يسئل المتكلم عن شيء يعرفه سؤال من لا يعرفه ليوهم ان شدة الشبه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبه به بالمشبه وفائدته المبالغة في المعنى نحـو قولك أوجهك هذا أم بدر فان المتكلم يعلم ان الوجه غير البدر الا انه لما أراد ان يبالغ في وصف الوجه بالحسن استفهم هل هو وجه أم بدر عن شدة الشبه بين الوجه والبدر بحيث لا يوجد فرق بينها ولا يشترط في تجاهل العارف ان يكون على طريقة التشبيه وانما يأتي لنكتة من مبالغة في المدح او الذم او تعظيم او تحقير او توبيـخ أو تقـرير او تعريض او من تدله في الحب ومن هذا النوع قول زهير :

وما أدري وسوف إخالُ ادري أقـــومٌ آلُ حصنٍ ام نساءُ

ولبعضهم من المبالغة في المدح :

أهذه سيرٌ في المجد أم سُوَر وهذه انجمٌ في السعد أم غررُ
وانملٌ أم بحار والسيوف لهـا موج وأفرندها في لجهـا دررُ

وأنت في الارض أم فوق السماء وفي عينيك البحر أم في وجهك القمرُ

ومن هذا النوع المبالغة في تعظيم الممدوح كقول ابن هاني المغربي .

ابني العوالي السمهرية والمـواضي المشرفية والعديد الاكثرِ
من منكم الملكُ المطاع كأنـه تحت السوابغ تبَّع في حميرِ

ومن تجاهل العارف المبالغة في المدح قول القائل :

اهذي كفهُ أم غيث غوث ولا بلغ السحابَ ولا كرامهَ
وهـذا بشرهُ أم لمع برقٍ ومن للبرق فينا بالاقامـه
وهذا الجيش أم صرف الليالي ولا سبقت حوادثها زحامـه
وهذا الدهرُ أم عبـد لديـه يصرّف عن عزيمته زمامـه
وهذا نعلُ غمـدٍ أم هلالٌ إذا أمسى كنونٍ أم قُلامـه
وهذا الترب أم خـد لثمنا فآثارُ الشفاء عليه شامـه

رجعنا الى مانحن بصدده من معنى البيت قوله ولاتك عيابا الخ ذكر في هذا البيت أربعة من المنهيات العيب والحسد والغش والغدر ، أما الاول فهو منهى بالكتاب والسنة قال الله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم) أي ولا تعيبوا فـلا تعابوا ، وقال ﷺ (لا تشمت بأخيك فيعافيه الله ويبتليك) .

وأما الحسد فمن الاخلاق المذمومة ومعنى الحسد ارادة زوال النعمة من علم أو جاه أو مال أو عمل أو عافية أو نحو ذلك عن احد من الناس .

قال حجة الاسلام الحسد باب الى القلب يدخل منه الشيطان ، والحاسد منازع لله تعالى وقضاءه اذا حب زوال ماأنعم الله به على عبده وكرهه واي مصيبة تزيد على كراهية الراحة للمسلم من غير ان يكون منها مضرة ، وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقال تعالى في معرض الانكار (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وأثنى الله تعالى على قوم بعدم الحسد فقال (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا) اي لا تضيق به

صدورهم ولا ينتمون وقال عليه الصلاة والسلام (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) وقال ﷺ (لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا) وقال عليه الصلاة والسلام (دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء) ويروى ان الله تعالى قال (الحاسد عدو نعمتي سخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي) .

وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى ماحسدت احداً على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على شيء من أمر الدنيا وهو يصير الى الجنة ، وان كان من اهل النار فكيف احسده على شيء من امر الدنيا وهو يصير الى النار .

وقال ابليس اللعين لنوح عليه السلام : إياك والحسد فانه صيرني الى هذا الحال .

وقال بعض السلف ان أول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية .

وقال ابو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وذل حسده .

وقال الحسن : يابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسده من مصيره الى النار .

وقال بعضهم : الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ، ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضاً ، ولا ينال من الخلق الا جزعاً وغماً ، ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ، ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا .

﴿ حكاية ﴾ قال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله في الاحياء : قيل كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك ، فيقول أحسن الى المحسن باحسانه والمسيء ستكفيك مساويه ، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك ، فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول مايقول زعم ان الملك أبخر ، فقال

الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعو به اليك فاذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر . قال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاماً فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك . فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء ستكفيك مساويه ، فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فمه مخافة ان يشم الملك ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلاناً إلا وقد صدق ، قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتاباً بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابي فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث به إلي ، فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ماهذا الكتاب ، فقال خط لي الملك بصلة ، فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى الى العامل فقال ان في كتابك ان أذبحك وأسلخك ، قال الله الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة ، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ، ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال مافعلت بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته قال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر . قال مافعلت قال فلم وضعت يدك على انفك قال اطعمني طعاماً فيه ثوم كرهت ان تشمه ، قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه ، انتهى .

وبالجملة فالحسد شديد التحريم وكفى ان الله تعالى امر بالاستعاذة منه فقال عز من قائل عليم (قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق) الى قوله (ومن شر حاسد إذا حسد) . ومختار الامام الغزالي رحمه الله تعالى حرمته وهو كذلك أعني الحسد الذي هو بمعنى تمنى زوال النعمة عن الغير كما صرح به غير واحد .

وأما الغبطة فليست حراماً وهي ان يتمنى أن يكون له من النعمة مثل ماللمغبوط ، وفي الحديث : (لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير ، ورجل آتاه الله تعالى الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس) .

(واما الغش) فهو حرام وقد ورد فيه الوعيد الشديد من ذلك

قوله ﷺ (من غشنا فليس منا) والغش في عرف الناس اخفاء وصف السلعة بأن يخفي قبحها ويظهر للناس خلافه بان يخلط الحسن بالقبيح ومنه كتمان العيوب التي في السلعة .

قال سيدي الناظم نفعنا الله به في بعض كتبه ماملخصه ثم ينبغي للتاجر ان يأخذ في جميع معاملاته بالعدل والاحسان الذين امر بها في قوله تعالى (ان الله يامر بالعدل والاحسان) الآية .

أما العدل فباجتناب الظلم والغش وكتمان العيوب وبخس المكيال والميزان وسائر مايحرم عليه في بيعه وشرائه مع القيام بما يجب عليه من النصيحة والامانة والوفاء ، انتهى .

وقد عمت البلوى ودان اهل الزمان بالمخالفات وتواتر في أهليه الظلم وقل من سلم من المعاملات التي نهى رسول الله ﷺ عنها وصارت قصارى همم العامة الجمع من اي طريق كان سواء من حلال أو حرام ، وهذا من أعظم المصائب واكبر المعاطب ، وفي الحديث (لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

(وأما الغدر) فهو حرام اذ هو نقض العهد والميثاق الذي اخذه على صاحبه بلا ايذان منها او من أحدهما فيكون معناه قريباً من الخداع والمكر فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال (لكل غادر لواء عند استه يرفع له بقدر غدره) وانما كان له لواء لاظهار غدره بين اهل الموقف وفضيحته وفائدة رفع اللواء المذكور كثرة الفضيحة له بين الخلائق ، فمن عظم غدره رفع لواؤه اكثر فكثرت فضيحته ومن كان غدره ادنى من ذلك رفع لواؤه اقل فقلت فضيحته ، فان الشيء كلما ارتفع رأته الناس اكثر .

وقد ذكر الخرائطي في مكارم الاخلاق باسناده عن رفاعة عن عمر بن

الحق قال : قال رسول الله ﷺ (من أمنه رجل على دمه فقتله فانه يحمل لواء غدره يوم القيامة) ومن منكرات الاخلاق المنهى عنها خلف الوعد والكذب والخيانة وقد جاء في الكتاب ذمهن ومدح اضدادهن ، اما ذم الكذب ومدح الصدق فقد قال الله تعالى (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) وقال تعالى (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال ﷺ (ان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) رواه البخاري ومسلم .

والكذب هو الاخبار بغير الواقع وهو حرام إلا انه يجوز في بعض الاحوال قد اوضحها الامام النووي في الاذكار ومختصر ذلك ان الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه وان لم يمكن تحصيله الا بالكذب جاز الكذب . ثم ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً كان ذلك الكذب مباحاً وان كان واجباً كان واجباً ، فان اختفى مسلم من ظالم يريد قتله واخذ ماله واخفى ماله وسئل انسان عنه وجب الكذب باخفائه ، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها وجب الكذب باخفائها .

(وأما خلف) الوعد فقد قال ﷺ (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اوتمن خان وان صلى وصام وزعم أنه مسلم ، رواه البخاري ومسلم رحمة الله عليهما .

قال النابلسي ان الوعد لأحد في امر من الامور بنية الخلف فيه كذب حرام ، انتهى .

وأما الوفاء بالوعد فعند اكثر العلماء لا يجب بل يستحب وهذا فيما اذا نوى الوفاء به حين الوعد ثم بدا أن لا يفي به .

وأما الخيانة فمن الاخلاق المذمومة وفعل الخيانة حرام مثل الغدر المذكور .

ومن الاخلاق المذمومة الغيبة قال الله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل

لحم اخيه ميتاً فكرهتموه) وقال تعالى (ويل لكل همزة لمزة). قال مجاهد الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس ، وقال ﷺ (مررت ليلة اسرى بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم ، فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم) وورد (الغيبة أشد من الزنا) وفي رواية(وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) أو كما قال ﷺ وعن سفيان بن عبدالله رضي الله عنه قال (قلت يارسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت يارسول الله ماأخوف ماتخاف علي فاخذ بلسان نفسه ثم قال هذا) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشاعر :

احفظ لسانك أيها الانسانُ ... لايلدغنك إنه ثعبانُ
كم في المقابر من قتيلِ لسانه ... كانت تخاف لقاءه الشجعانُ

قال العلماء ان الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لايمكن الوصول اليه إلا بها وهو ستة أسباب :

الاول : التظلم فيجوز للمظلوم ان يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على انصافه من ظالمه فيقول ظلمني فلان بكذا .

الثاني : الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل الى ازالة المنكر فان لم يقصد ذلك كان حراماً .

الثالث : الاستفتاء فيقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو زوجي أو فلان كذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة .

الرابع : تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز باجماع المسلمين بل واجب للحاجة ، ومنها المشاورة في المصاهرة أو المشاركة أو الايداع أو المعاملة بغير ذلك ويجب على

المشاور أن لا يخفي حاله بل يذكر المساوي التي فيه بنية النصيحة .

الخامس : ان يكون مجاهراً بالفسق أو البدعة .

السادس : التعريف إذا كان الانسان معروفاً بلقب كالاعمش والاعرج والاصم والاعمى والاحول وغيرهم جاز تعريفهم بذلك ويحرم اطلاقه على جهة النقص وقد نظم بعضهم هذه الاسباب الستة فقال :

الظلم ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرف ومنكر
ولمظهر فسق ومستفت ومن ... طلب الاعانة في ازالة منكر

ومن الاخلاق المذمومة النميمة وهي نقل كلام الناس بعضهم الى بعض بقصد الافساد والفتنة كقوله فلان يقول فيك كذا ويطلق ايضاً على كشف مايكره المؤمن كشفه من الاقوال والافعال فان كان الى ذي شوكة تسمى سعاية .

ومن الاخلاق المذمومة الكبر وهو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق الغير وهو حرام ، قال الله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) وقال تعالى (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) ، قال حجة الاسلام ومعنى الكبر صفة تنشأ من رؤية النفس وما يظهر عن التكبر في الظاهر فهو كالاثر لتلك الصفة ، اهـ .

ومن الاخلاق المذمومة العجب وهو تكبر يحصل في الباطن بتخيل كمال من علم أو عمل وهو من الموبقات المفسدات للحسنات فالعجب ممقوت ، قال ﷺ (ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه) قال ﷺ (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو اكبر من ذلك العجب العجب) وسبب العجب في الحقيقة الجهل بالله وبالنفس المحض أو الغفلة أو الذهول عن شهوده بايثاره الحياة الدنيا فعلاجه بسبيل الاجمال معرفة ان كل شيء بخلق الله تعالى وارادته وان كل نعمة أنعمها تعالى من عقل وعلم وعمل وجاه وعافية وغير ذلك من الله تعالى وحده لا من غيره أصلا ولا منه بمعونة غيره .

قال المحاسبي في كتاب الرعاية : يروى عن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس أنه قال مأأصاب داود عليه السلام الذنب إلا باعجاب أعجبه من نفسه أن قال يارب مايأتي من ليلة إلا وانسان من آل داود قائم (ولا يأتي يوم إلا وانسان من آل داود صائم ، انتهى .

وقد جاءت الشريعة بذم الاعجاب لادائه الى ماذكرناه ، والعجب موجب لاستعظام الطاعات والادلال بها على رب الارض والسموات ، مفض الى الكفر والتكبر والتعاظم على العباد حتى يصير المعجب كأن له منة على الله تعالى لاستعظام أعماله .

واعلم ان تولد العجب في المعجب لاعتقاده استقلاله أي انفراده بفعله وعبادته وطاعته ، ومن ههنا لزم المعتزلة الخسار بالادلال على الله تعالى والاعجاب بطاعتهم حتى انهم نزلوا أنفسهم منزلة الاجراء لامنزلة العبيد فأوجبوا على الله تعالى على قولهم العوض على الاعمال والثواب على الطاعات ، وأهل السنة هم أهل العبودية والمسكنة لانهم رأوا أعمالهم وطاعتهم كلها مستحقة عليهم لمالكهم ، ولم يوجبوا ثواباً ولا عوضاً بل الثواب من فضله وكرمه ولا يجب عليه أصلا ، وكذلك من على عباد الله تعالى بما يسديه اليهم من معروفه وإحسانه في زعمه فما أجدره بان يحبط الله عمله لاعجابه ويكله إلى نفسه ، والمسكين يعجب بنفسه وفيه من كل عيب ويتعاظم وفيه من كل نقص وقيل شعر :

أنا معيوب وعيبي ظاهر ... وعلى الظاهر من عيبي دليل

قال بعض العارفين أن سبب العجب على أقسام أحدها : العلم فيقع الاعجاب بالعلم والمعارف والتوسع في المنقولات واستخراج دقائق النظريات ، ويقع الاعجاب بالامور الدنيوية كالحسن وكثرة المال والجاه والنسب والعشيرة وغير ذلك وعلاج العجب بهذه الاشياء أن ترى ذلك كله ليس لك منه شيء ولا هو من صنعك ولا من كسبك وإن ذلك مواهب الله تعالى عليك ثم قال صاحب الانفاس قدس الله سره العزيز :

﴿ ولا تطلبنَّ الجاه ياصاح إنه

شهيٌّ وفيه السمُّ من حيث لاتدري ﴾

قوله ولا تطلبن فعل أمر مؤكد بالنون الثقيلة وقوله ياصاح منادي مرخم أي ياصاحي وقوله انه تعليل للنهي عن طلب الجاه وقوله وفيه السم الواو للحال والجملة حالية أي والحال فيه السم الخ ، والمراد بالجاه التعزيز والتكريم والرياسة عند الملوك وابناء الدنيا ونفوذ الكلمة عندهم وفي ذلك خطر عظيم كما قيل :

حب الرياسة أطغى الناسَ كلهمُ حرصاً عليها وهم منها على خطرِ

وذلك لما ينشأ بسببه من الدسائس التي يلتذ بها المرء فتوقعه في المهلكات من دون شعور كالسم المخبأ الذي لايبين ضرره الا بعد التورط والوقوع فيه قال الله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا) جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال عز وجل (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) .

قال حجة الاسلام رحمه الله تعالى وهذا أيضاً متناول بعمومه لحب الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها ، وقال ﷺ (حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) . وقال ﷺ (ماذيبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم باسرع إفساداً من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم) وفي كلام بعض العارفين قدس سره: الدنيا حكمة واحدة وكل واحد أصاب منها على قدر ما كشف له ، انتهى .

فنسبة بعض الاشخاص محمودة ، ونسبة بعض الاشخاص مذمومة ، وهي حقيقة واحدة فبعضهم علم أن الدنيا مزرعة الآخرة ووسيلة لها فأخذ منها زاداً لآخرته وبعضهم فهم انها خلقت للاكل والشرب والتفاخر والتكاثر فانهمكوا فيها فهلكوا، انتهى .

نسأل الله السلامة والنجاة من أهوال هذه الدار . وأعلم أنه يأتي في الجاه ماأتى في المال من أنه لايمدح ولا يذم لذاته بل بحسب متعلقه .

وقد قال سيدي أحمد زروق في قواعد الطريقة ماذم لا لذاته فقد يمدح لالذاته ، ومنه وجود المال والجاه والرياسة ونحو ذلك مما ليس بمذموم لذاته ولا محمود لذاته بل يحمد ويذم لما يعرض له .

وبهذا يتبين وهو ظاهر أن الجاه الذي هو وسيلة لاصلاح شأن المسلمين وقضاء حاجات المحتاجين محمود لامذموم لاسيما إذا ترتبت عليه إزالة منكر وامر بمعروف لان ذلك غير مقبول في الازمنة الكثيرة الغالب إلا إذا صدر من أكابر المناصب النافذة كلمتهم عند الامراء . ولكن ينبغي لصاحب الجاه المذكور أن يذكر نعمة الله عليه ويحترز عن المفاسد المترتبة على ذلك من ميل النفس لهواها وفقرها لطمع الدنيا ويستشعر عداوة النفس ويذكر قوله تعالى (إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى) وقد يحصل الجاه لاهل الله فيجعلونه وسيلة لمنفعة الامة لفقههم أن الدنيا مزرعة الآخرة .

وقوله ﷺ (كل ذي جاه مسؤول عن جاهه يوم القيامة) ومع أن أهل الله لم يصرفهم عن حقيقة عبوديتهم الجاه الحاصل فانهم يتهمون أنفسهم ويرون أن ذلك غير شيء إلا أن به قيام مصالح للعباد ، وكثيراً مايذم نفسه سيدي الناظم في بعض منظوماته على حب الشرف والمال مع كثرة احترازه وإنقطاعه إلى الله قولا وفعلا وهذه عادة الاكابر نفعنا الله بهم ولا أحرمنا بركتهم آمين ثم قال نفعنا الله به :

✱ وإياك والاطماع إن قرينها
ذليل خسيس القصد متضع القدر ✱

أي واحذر الاطماع وقوله أن قرينها الخ تعليل لذلك أي لان قرينها

ذليل أي صاحب الاطماع ذليل وقصده وبيل وقدره متضع والاول معناه مشاهد كما قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى :

إذا طمعٌ يحـــل بقلب عبد   علتْه مذلـــةٌ وعلاه هـونُ

وفي الحـكم العطائية قوله مابسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع ، ووجه كون صاحب الطمع خسيس القصد كونه قاصداً لما من شأنه حصول المذلة للنفس ووجه اتضاع قدره أن الطمع في الشيء عبودية له كما أن اليأس حرية ولذا قيـــل العبد حر ماقنع والحر عبدماطمع ، وبالجملة فمستحكم الطمع لا محالة فاسد الدين عديم أنوار اليقين .

قال أبو بكر الوراق الحكيم رضي الله عنه لو قيل للطمع من أبوك قال الشك في المقدور ، ولو قيل له ماحرفتك قال اكتساب الذل ، ولو قيل له ماغايتك قال الحرمان ، وقال أبو الحسن الوراق النيسابوري رضي الله عنه من أشعر في نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ، ومن طمع في شيء ذل وبذله هلك ، وأنشد في ذلك :

أتطمع في ليلى وتعـــلم إنما   تُقطع أعنـاقَ الرجالِ المطامـعُ

وفي الاحياء قال بعض الحكماء وجدت أطـول الناس غماً الحسود ، وأهنأهم عيشاً القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص إذا طمع وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة المفرط وفي ذلك قيل :

أرْفِهْ ببالِ فتى أمسى على ثقةٍ   أنَّ الذي قسمَ الارزاقَ يرزُقه
فالعرضُ منه مصونٌ لايدنسه   والوجه منه جديدٌ ليس يخلقـه
إن القناعة من يحلل بساحتِهـا   لم يلقَ في دهـره شيأ يؤرقـه

﴿ وقد قيل أيضاً ﴾

حتى متى أنـا في حِلٍ وترحالِ   وطولِ سعي وإدبارٍ وإقبالِ

ونازح الـدار لا أنفك مغترباً عن الأحبة لا يدرون ماحالي
بمشرق الارض طوراً ثم مغربها لايخطرُ الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعـة إن القُنوع الغنى لا كـثرة المال

وفيه أيضاً قال بعض الحـكماء من عجيب أمر الانسان أنـــه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال ؛ انتهى ماأردت نقله .

وقيل لولا الاطماع الـكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شيء لاخطر له ثم قال صاحب الانفاس نفع الله به :

﴿ وإن رمتَ أمراً فاسئل الله إنه
هو المفضل الوّهابُ للخير والوفر ﴾

أي وإن أردت أمراً من امور الدنيا والآخرة فاسئل الله لأنه هــــو المفضل الوهاب للخير لان الفضل كله بيده لا بيد غيره إذ المالك الحقيقي هو سبحانه وتعالى كما قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (واسئلوا الله من فضله) والمفضل والمتفضل اسمان من أسمائه تعالى الخارجة عن الاسماء الحسنى التسعة والتسعين التوقيفية وأما الوهاب فمن أسمائـه الحسنى . والمختار أن أسماءه توقيفية فيتوقف جواز إطلاقها عليه تعالى على ورودها في كتاب أو سنة صحيحة أو حسنة أو اجماع .

ثم إن كل ماأذن الشارع في إطلاقه وإستعماله وورد معناه اللغـــوي على ماهو مستحيل في حقه تعالى فهو يفسر بما يليق في حقه تعالى تنزيهاً له عما لايليق وذلك كالصبور والحليم والشكور ، فان الصبور يوهم وصول مشقة له تعالى لأن الصبر حبس النفس على المشاق فيفسر في حقه تعالى بالذي لايعجل بالعقوبة على من عصاه ، والشكور يوهم وصول إحسان اليه لأن معناه كثير الشكر لمن أحسن اليه مع أن

الاحسان كله من الله فيفسر في حقه تعالى بالذي يجــازى على يسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة والحلـيم يوم وصول أذى اليه وهو تعالى لا يصل اليه تعالى أحد بأذى فيفسر في حقـــه بالذي لا يعجل بالعقوبة وهذا سائر اسمائه تعالى مع الصفات المستحيل معناها في حقه تعالى تفسر باعتبار الغايات .

﴿ واعلم ﴾ ان الله سبحانه وتعالى قد أمر عباده بسؤاله فقال عز من قائل عليم (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) الآية ، وقال ﷺ (إن الله يحب العبد الملح بالدعاء) ولله در القائل :

لا تسألنْ بني آدم حاجــــة ... وسل الذي ابوابُه لاتحجبُ
الله يغضب إن تركتَ سؤاله ... وبني آدم حــين يُسأل يغضبُ

والدعاء ينفع كما دلت على ذلك النصوص القرآنية وهذا اعتقاد اهـــل السنة والجماعة ، قال الله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) والاجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور ، وتارة يقع ولكن بتأخر لحكمة فيـــه ، وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب حيث لا تكون في المطلوب مصلحة ناجزة وفي ذلك الغــير مصلحة ناجزة او يكون في المطلوب مصلحة وفي ذلك الغير اصلح منها على ان الاجابة مقيدة بالمشيئة كما يدل عليه قوله تعالى (فيكشف ماتدعون اليه إن شاء) فهــو مقيد لاطلاق الآيتين السابقتين فالمعنى ادعوني استجب لكم إن شئت واجيب دعوة الداع ان شئت كذا في بعض شروح الجوهرة .

ثم ان للدعاء شروطاً اعظمها اكل الحلال ، ومنها ان يدعو وهو موقن بالاجابة ، وان يكون قلبه مستحضراً غير غافل ، وان لا يدعو بما فيه إثم اوقطيعة رحم او إضاعة حقوق المسلمين .

وأن لا يدعو بمحال ولو عادة لأن الدعاء به يشبه التحكم على القـــدرة القاضية بدوامها وذلك اساءة أدب على الله تعالى ، وقد نظم بعضهم شروط الدعـاء العشرة فقال :

قالوا شروط الدعاء المستجابُ لنا ... عشرٌ بها يُبشر الداعي بافـلاحِ
طهارةٌ وصلاحٌ معهما نـــدم ... وقتٌ خشوعٌ حسنُ الظن ياصاحِ
وحِلٌ قوت ولا يدعو بمعصيةٍ ... واسمٌ يناسب مقـروناً بالحاحِ

أي باسم يناسب الحال كاتيان الناظم نفعنا الله به باسم الوهاب حيث كان قصده التفضل من الله عز وجل بالعطاء منه وهكذا من دعا بتوسيع الرزق المناسب أن يذكر اسمه تعالى الرزاق . ومن آداب الدعاء أن يتحرى الاوقات الفاضـلة كأن يدعو في السجود وعند الاذان والاقامة وافتتاحه بالحمـد والصلاة على النبي ﷺ وختمه بها وجعلها في وسطه أيضاً .

﴿ فائدة ﴾ اعلم ان اسماء الله تعالى كثيرة قيل ثلاثمائة وقيل الف وواحد وقيل مائة الف وأربعة وعشرون الفاً على عدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لأن كل نبي تمده حقيقة اسم خاص به مع امداد بقية الاسماء له لتحققه بجميعها وقيل ليس لها حد ولا نهاية فلا يحيط بها عد ولا غاية واليه ذهب ابن عباس ومال اليه العلامـة الامير . وأما اسماؤه التسعه والتسعون المشار اليها بحديث (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة) فقد سميت حسنى لدلالتها على معان حسنة وهي أحسن المعاني من المدح والتعظيم والتحميد وغير ذلك لانها إما ذاتية كالله والرحمن أو صفاتية كالحي والعليم ، أو إفعالية كالمحيي والمميت والصفاتية على أقسام ، أسماء صفات جمال كالرحيم والكريم ، وأسماء صفات جلال كالكبير والعظـيم ،وأسماء صفات كمال كالسميـع والبصير .

ولما ذكر سيدنا الناظم نفعنا الله به الوصايا النافعة المتقدمة شرع الآن في الوصية التي هي أعظم الوصايا فقال قدس الله سره العزيز :

﴿ وأوصيك بالخمسِ التي هنّ ياأخي

عمادٌ لدينِ الله واسطةُ الامر ﴾

قوله أوصيك فعـــل مضارع من أوصى يوصي والمعنى أوصيك بالخمس الصلوات المفروضة التي هي عماد الدين والعماد هو مايقوم به الشيء وأن الصلاة عمدة في الدين واسطة الامر (وانها لكبيرة إلا على الخاشعين) وقال تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقال تعالى حكاية عن لقمان (أقم الصلاة وأمر بالعرف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الامور) وقال تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) ثم انها ركن من أركان الاسلام كما تقدم في مبحث الاسلام والفروض الخمسة وهي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء معلومة من الدين بالضرورة فيكفر جاحدها كجاحد وجوب الصوم ووجوب كل ماعلم من الدين بالضرورة بحيث يعرفه خواص المسلمين وعوامهم لأن جحده لذلك مستلزم لتكذيب النبي ﷺ ، وكذلك يكفر من اعتقد اباحة محرم مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كالزنا وشرب الخمر .

﴿ واعلم ﴾ ان للصلاة شروطاً لا بد من تقدمها عليها واستمرارها فيها الى انقضائها وهي ليست داخلة في ماهية الصلاة بل لا يلزم من وجودها وجـــود الصلاة ولكن يلزم من عدمها العدم وأركاناً داخلة في ماهيتها لا بد من الاتيان بها جميعاً وإلا لم تصح الصلاة .

وسننا لاتبطل الصلاة بعدم الاتيان بها ، وتنقسم الى مايجـــبر بسجود السهو وتسمى بعضاً ، والى مالايجبر وتسمى هيئة ، فالشروط خمسة : معرفـــة دخول الوقت يقيناً أو ظناً بعد الاجتهاد واستقبال القبلة يقيناً أو ظناً بعـد الاجتهاد أيضاً وستر العورة والطهارة عن الحدث بماء أو تراب وجده وإلا صلى لحرمة الوقت وعليه الاعادة ، والخامس طهارة عن النجس الذي لايعفى عنه في الثوب وفي كل

محمول له وملاق لذلك المحمول والبدن الشامل للفم والانف والعين وفي المكان الذي يصلي فيه .

(والاركان) ثلاثة عشر كما في المنهاج النية وتكبيرة الاحرام ويجب قرن النية بتكبيرة الاحرام واختار بعض العلماء ومنهم الغزالي الاكتفاء بالمقارنة العرفية عند العوام بحيث يعد مستحضراً للصلاة .

وقال السبكي من لم يقل به أي بهذا الاختيار وقع في الوسواس المذموم إذ المقارنة الحقيقية لاتحويها القدرة البشرية ويجب دوامها حكماً بأن لايطرأ ماينافيها كنية الخروج منها حالا أو بعد نحو ركعة أو تردد في الخروج منها أو الاستمرار فيها أو تعليق الخروج منها بشيء .

ويعتبر في نية الفرض ثلاثة : اشياء قصد فعله ،وتعينه من ظهر أو عصر أو غيرها ، ونية الفرضية من غير الصبي على المعتمد، ويجمع الثلاثة قولك أصلي الظهر فرضاً أو أصلي فرض الظهر ويعتبر في النفل ذي الوقت أو السبب القصد والتعيين كسنة الظهر القبلية أو البعدية أو عيد الفطر أو الاضحى ، وينوي في الجمعة قبليتها أو بعديتها وفي الوتر سنة الوتر ولو في غير الاخيرة والاولى فيما زاد على ركعة أن يقول ركعتين من الوتر مثلا ويعتبر في النفل المطلق قصد الفعل أي نية فعل الصلاة ومثله التحية . وسنة الوضوء والاحرام والاستخارة .

واعلم أنه يمتنع جمع صلاتين بنيةولو نفلا مقصوداً أما غير المقصودة كتحية واستخارة واحرام وطواف وسنة وضوء أو غسل فيجوز جمعها مع فرض أو نفل غيرها بل تحصل ويثاب عليها عند الرملي وان لم ينوها معه . وقال ابن حجر لا يثاب عليها إلا اذا نواها مع تلك الصلاة ، أما اذا لم ينوها فلا يثاب عنده بل يسقط عنده .
الطلب الثالث من الاركان: القيام للقادر فان لم يستطع فقاعداً فان لم يستطع فعلى جنب فان لم يستطع فمستلقياً وحينئذ أجرى الاركان على قلبه الفعلية والقولية حيث عجز عن الاتيان بها أو عن الايماء برأسه أو طرفه ، فان قدر فعل وإلا أجراها على قلبه ولا يباح ترك الصلاة لأحد مادام عاقلا ولو قدر على القيام على ركبتيه فعل لانه

ميسوره كما في كشف النقاب وان لم يمكنه الا بمعين ولو بأجرة فضلت عما يعتبر في الفطرة أو بعكازة اطاق القيام عليها وجب . الرابع من الاركان قراءة الفاتحة الا لمعذور لسبق حقيقي أو حكمي كزحمة ونسيان وبطيء حركة كأن لم يقم من السجود الا والامام راكع أو قريب منه وتسقط عنه الفاتحة كلها في الاولى وبعضها في الثانية والبسملة آية منها ويجب ايقاعها في القيام جميعها ان وجب وان تكون قراءتها بحيث يسمع جميع حروفها لو لم يكن مانع ومراعاة تشديداتها الاربعة عشر ، ولا يصح ابدال قادر أو مقصر بترك التعلم الظاء عن الضاد ولا النطق بقاف العرب المترددة بين القاف والكاف ، ويشترط عدم اللحن المغير للمعنى كضم تاء أنعمت أو كسرها . الخامس الركوع . السادس الاعتدال . السابع السجود مرتين . الثامن الجلوس بين السجدتين . التاسع التشهد الاخير . العاشر القعود في التشهد الاخير . الحادي عشر الصلاة على النبي ﷺ بعده قاعداً . الثاني عشر السلام وأقله السلام عليكم . الثالث عشر الترتيب لاركانها كما ذكر في عدها المشتمل على قرن النية بالتكبير في القيام والقراءة به والتشهد والصلاة على النبي ﷺ بقعودها فالترتيب فيما عدا ذلك وعده ركناً بمعنى الجزء فيه تغليب وبمعنى الفرض صحيح وخرج بالاركان السنن فاذا قدم مؤخراً اعتد به وفات المتروك حتى لو أتى به بعده أو أعادهما جميعاً لم يحصل نعم لو قدم السورة على الفاتحة ثم أتى بها بعدها اعتد بها لأن هذا ترتيب بين واجب وسنة لا بين مندوبين وقد نظم العلامة الطبري شروط الصلاة فقال :

ركن الصلاة نيةٌ تكبيرُ	فاتحةٌ قيامُها المشهورُ
ركوعُها والاعتدالُ عدّوا	سجودُها ثم الجلوس بعدُ
وليطمئنّ جلسة أخيره	تشهّدٌ صلاتهُ المنيرهُ
تسليمهُ ترتيبُه بالفعلِ	وغيرُ هذا سنن بالنقلُ

وأما سننها المقدمة فالاذان والاقامة وسننها التي تجبر بالسجود ان تركها المصلي التي سميت ابعاضاً فالتشهد الاول والقعود له والصلاة والسلام على النبي ﷺ بعده والقعود لها والصلاة على الآل بعد الاخير والقعود لها والقنوت والقيام له

والصلاة على النبي ﷺ بعده والقيام لها والصلاة على الصحب ، وأما السنن التي لاتجبر بالسجود فسائر الهيآت المشروعة والاذكار . ومنها قراءة السور والتسابيح ولا يتركها إلا متساهل في الدين .

قال الامام الغزالي اعلم أن لكل واحده من سنن الصلاه وأذكارها وتسبيحاتها تأثيراً في تنوير القلب فحافظ عليها جميعاً فان لكل واحدة منهن سراً وشرح ذلك يطول .

وأنت إذا أتيت بذلك انتفعت به وان لم تعلم أسراره كما ينتفع شارب الدواء به وان لم يعرف طبائع أخلاطه .

واعلم أن في الجملة أن الصلاه صورة صورها الله تعالى ، فروحها النية وحضور القلب ، وأعضاؤها الاصلية الاركان ، وأعضاؤها الكمالية الابعاض ، انتهى .

ومن كمال الصلاه حصول الخشوع للمصلي بقلبه بان لا يحضر فيه غير ماهو فيه ليكون من المفلحين الذين قال فيهم الباري سبحانه وتعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) ومما يعين على الخشوع فراغ القلب من الشواغل الدنيوية والدخول في الصلاه بنشاط وليجتنب الكسل لأنه من أخلاق المنافقين الذين ذكرهم الله تعالى بقوله (وإذا قاموا الى الصلاه قاموا كسالى) ومن المعلوم أن الكسل هو الفتور والتواني ومما يجلب النشاط الهمة .

قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى اعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك ، ومهما أهمك حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه ، والقلب إذا لم يحضر في الصلاه لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا . فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب إلا بصرف الهمة الى الصلاه ، والهمة لاتنصرف اليها مالم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخره خير وابقى وإن الصلاه وسيلة اليها فاذا اضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل

من مجموعها حضور القلب في الصلاه . وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا تحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سبباً سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان ، انتهى .

ولسيدي الناظم نفع الله به :

وصلّ بقلبٍ حاضرٍ غيرِ غافلٍ	ولا تلهُ عن ذكرِ المقابرِ والكفنْ
وما هـذه الدنيا بدار إقامـةٍ	وماهي إلا كالطريقِ الى الوطنْ

وللفقيه إسمعيل المقري رحمه الله تعالى :

تصلي بلا قلبٍ صلاةً بمثلها	يصير الفتى مستوجباً للعقوبةِ
تُصلي وقد أتممتَها غـيرَ عالمٍ	تزيد احتياطاً ركعةً بعد ركعةِ
فويلكَ تدري من تناجيه معرضاً	وبين يدي من تنحني غير مخبتِ
تخاطبُه إياكَ نعبـد مقبـلاً	على غيرِه فيها لغير ضرورةِ
أما تستحي من مالك الملك أن يرى	صدودك عنه ياقليـل المـروءة
صلاةً اقيمت يعـلم الله أنها	بفعلك هذا طاعةٌ كالخطيئةِ
ذنوبُك في الطاعاتِ وهي كثيرةٌ	إذا عُددت تكفيك من كل زلةِ
سبيلك ان تستغفر الله بعدها	وأن تتلافى الذنبَ منها بتوبةِ
فيا عاملاً للنار جسمُك ليّنٌ	فجربه تمريناً بحـرِ الظهيرةِ
وجرّبه في لسعِ الزنابير تجتري	على نخس حياتٍ هناك عظيمه
فان كنت لا تقوى فويلك ماالذي	دعاك إلى إسخاطِ رب البرية
تبارزُه بالمنكـرات عشيةً	وتصبحُ في اثواب نسك وعفةِ
فانت عليه منك اجرأ على الورى	بما فيه من جهل وخبثِ طويةِ
تقولُ مع العصيان ربيّ غافرٌ	صدقت ولكن غافـرٌ بالمشيئةِ
وربك رزاق كما هو غافـرٌ	فلم لمْ تصدق فيهما بالسويةِ

فانك ترجو العفوَ من غير توبة ... ولستَ ترجّى الرزق إلا بحيلة
على أنــه بالرزق كفّل نفسه ... ولم يتكفل للانام بجنة
فلم ترضَ إلا السعى فيما كُفيته ... واهمالَ ما كُلفتــه من وظيفة
تسيء بــه ظناً وتحسنُ تارة ... على حسب مايقضي الهوى في القضية

﴿ خاتمة ﴾ قد علم أن من شروط الصلاة الطهارة عن النجس الغير المعفو عنه في الثوب والبدن والمكان وعن الحدث الاكبر وهــو ماأوجب الغسل وعن الحدث الاصغر وهـو ماأوجب الوضوء وللوضوء شروط خمسة عشر نظمها بعضهم في أبيات من ثاني الطويل بقوله :

أيا طالباً مني شروطَ وضوئه ... فخذها على الترتيب إذ أنت سامعُ
شروطُ وضوء عشرةٌ ثم خمسةٌ ... فخذ عدها والغسل للطهر جامعُ
طهارةُ أعضاء نقاءٌ وعلمــهُ ... بكيفيةِ المشروع والعــلمُ نافعُ
وترك مناف في الدوام وصارف ... عن الرفع والاسلام قدتم سابعُ
وتمييزُه وامتثالِ فعلَ وليه ... إذا طاف عنه وهو بالمهدِ راضعُ
ولا حال نحو الشمع والوسخ الذي ... حوى ظفر والرمص في العين مانعُ
وجريٌ على عضو وإيصالَ مائه ... وويل لأعقاب من النار واقعُ
وتخليلُ مابين الاصابع واجبٌ ... إذا لم يصل إلا بما هو قالعُ
وماء طهورٌ والترابُ نيابــة ... وبعد دخول الوقت إن فات رافعُ
كتقطير بول ناقض واستحاضة ... وودْي ومذي أو منيٌّ يدافعُ
وليس يَضر البول من ثقبة علت ... كجرح على عضويه الدم ناقعُ
ونيته للاغــتراف محلهــا ... إذا تمت الاولى من الوجهِ تابـع
ونيةُ غسل بعدها فانو واغترف ... وإلا فالاستعمال لاشك واقعُ
وقدصححوا غسلاً مع البول إن جرى ... خلاف وضوء خذه والعلمُ واسع
ووشم بلا كره وعظمةُ جابر ... تشق بلا خوف ويُكشَط مانعُ

ولا بأس بتوضيح معنى الابيات تكميلا للفائدة ، اعــلم أن الشروط

جمع شرط بسكون الراء وهو في اللغة العلامة ، وفي الاصطلاح مايلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم ، والفرق بينه وبين الركن ان الشرط مايجب تقدمه على الصلاة واستمراره فيها ، والركن ماتشتمل عليه الصلاة لكونه جزءها ولهذا قال بعضهم ماشرع للصلاة وليس فيها فشرط أو فيها فركن أو سن وجبر فبعض وإلا فهيئة .

وقد شبهت الصلاة بالانسان ، فالركن كرأسه ، والشرط كحياته ، والبعض كأعضائه ، وبقية السنن كشعره وماذكر في الفرق بين ركن الصلاة وشرطها يأتي في غيرها من العبادات فاول شروط الوضوء التي ذكرها الناظم طهارة أعضائه من نجاسة عينية تحول بين الماء وبشرته أو حكمية لازالت أوصافه بالماء ، والفرض أن ببدنه نجاسة عينية أو حكمية وانها لازالت بجرية أو غيرت الماء ولم يكن وارداً عليها فلا بد من ازالتها اولا من عضو الوضوء ثم غسله عن الوضوء ، اما اذا زالت بجرية واحدة وكان الماء وارداً لم يتغير ولا زاد وزنه ولا حالت بينه وبين العضو فتكفي لازالتها حينئذ وللوضوء غسلة وكذا في الجنابة كما حققه النووي خلافاً للرافعي لأن واجبها غسل العضو وقد وجد كما لو اغتسلت من جنابة وحيض ونفاس . وهذا في غير نجاسة الكلب إذا وقعت على عضو الحدث لاختلاف الطهارتين وبهذا يلغز فيقال رجل انغمس في ماء كثير ألف غمسة بنية رفع الجنابة ولم ترتفع جنابته لعدم التعفير .

الثاني : من الشروط النقاء عن الحيض والنفاس فلا يصح وضوء حائض ولا نفساء وصح وضوء المستحاضة ولو متحيرة لعدم تيقن الحيض والنفاس .

الثالث : علمه بكيفية المشروع أي فيه وهو الوضوء وتمييز فرائضه من سننه كما في الصلاة فلو جهل فرضية البعض وجهل فرضية ماشرع فيه أو علم ولم يعلم فرضية أركانه وشروطه أو اعتقد سنية بعضها لم يصح وإن اعتقد أن جميع أعماله فرض أو بعضها سنة ولم يميز بعضها ، فالذي جزم به القاضي حسين وصاحب التهذيب وصاحب التتمة انه لايصح ، والذي قطع به الامام والقفال والغزالي في

فتاويه أنه يصح من العامي بشرط أن لا يقصد النفل بفرضه ورجحه النووي في مجموعه ، وفي زوائد الروضة أنه الراجح المختار وفي الكافي للخوارزمي لو لم يعلم فرضية الوضوء لم يصح وضوؤه .

الرابع : ترك المنافي في الدوام كما لو غسلت عضوه زوجته أو أمته أو أجنبية أو غسل عضوه وهو ماس أو لامس ماينقض وضوءه أو حال خروج حدثه وليس به حدث دائم .

الخامس : ترك الصارف عن رفع الحدث فلو نوى تبرداً أو التنظف وكان غافلا عن النية أو نوى قطع الوضوء لم يصح الذي أتى به بعد ذلك على الصحيح إلا بنية جديدة ويعبر عن عدم الصارف بدوام النية حكماً ، ويشترط أيضاً أن لا يعلق النية فلو قال نويت الوضوء إن شاء الله لم يصح إلا إن نوى التبرك وخرج بالصارف ماإذا اتى بالنية المذكورة مع نية معتبرة فانه يصح على الصحيح سواء في ذلك الابتداء أو الانتهاء لكن لا ثواب في هذا الوضوء عند ابن عبدالسلام . وقال الغزالي يثاب بقدر قصده ان غلب باعث الآخرة ، وقال ابن حجر بقدر قصده مطلقاً وكالوضوء سائر العبادات ولو نوى تبرداً بعد نية الوضوء اشترط كونه ذاكراً لنية الوضوء وإلا لم يصح الوضوء من حين نوى التبرد لأنه صارف ، وكذلك لو بقيت رجلاه فسقط في ماء لم يرتفع حدثهما إلا أن كان ذاكراً للنية بخلاف مالو غمسهما أو تعرض بهما المطر إقامة لفعله مقام ذكره للنية .

السادس : الاسلام فلا يصح وضوء كافر لأنه عبادة وليس هو من أهلها ومن فروضه النية ولا يصح نيته .

السابع : تمييزه فلا يصح وضوء غير المميز كالمجنون والصبي غير المميز إذا أراد الولي أن يطوف به اشترط وضوؤهما فيوضئه الولي وينوي عنه .

الثامن : أن لا يحول بين الماء ومحل التطهير شيء يمنع وصوله اليه نحو الشمع والوسخ الذى حواه الظفر والرمص في العين فلا يصح تطهير محله قبل ازالته قال في الروضة لو تشققت رجله فجعل في شقوقها شمعاً أو حنا وجب ازالة عينه أي إن لم يصل الماء الى اللحم فان بقي لون الحنا لم يضر وإن كان على العضو دهن فجرى الماء على العضو ولم يثبت صح وضوؤه ولا يصح وضوء من على بدنه شيء لاصق به

يمنع وصول الماء اليه يقدر على ازالته كوسخ تحت الاظفار وكغبار على البدن لم يضر كجزء منه ينشأ عن الغبار.

التاسع: جري الماء على العضو في غسله فلا يكفي أن يمسه الماء بلا جريان لأنه لا يسمى غسلاً.

العاشر: ايصال مائه الى المحل بان يستوعبه بغسل جزء يتصل به حتى لو قطع أنفه أو شفته لزمه غسل ماظهر بالقطع في الوضوء والغسل على الاصح ولو كان عليه شعر وجب غسله إلا باطن لحية رجل وعارضه ان كثفا.

الحادي عشر: تخليل مابين الاصابع من اليدين والرجلين ان كانت ملتفة بحيث لا يصل الماء اليه إلا به ولو كانت ملتحمة لم يجز فتقها.

الثاني عشر: الماء الطهور وهو مايقع عليه اسم ماء بلا قيد وان قيد لموافقة الواقع فيشمل ماء السماء وماء البحر وماء النهر وماء البئر وماء العين وماء الثلج وماء البرد وخرج به الماء المتنجس والمستعمل في فرض من رفع حدث أو إزالة النجس ويشترط العلم بكونه طهوراً أو ظنه بالاجتهاد.

الثالث عشر: التراب الطاهر الخالص غير المستعمل نيابة عن الماء الطهور لفقده وللخوف من تحصيله على نفس أو عضو أو مال أو للاحتياج لعطش حيوان محترم في الحال أو المآل أو للجهل به كأن ادرج في رحله أو لم يشعر به أو لم يعلم ببئر حفرت هناك أو لمرض يخاف من استعماله على نفس أو عضو أو منفعته وكذا خوف مرض مخوف أو زيادة فيه أو في مـــدته أو حصول شين قبيح في عضو ظاهر.

الرابع عشر: دخول الوقت لدائم الحدث في وضوئه أو غسله ولو صلاة نافلة لأنه لضرورة ولا ضرورة قبل الوقت وذلك كمن به سلس بول أو مذي أو ودي أو مني والمستحاضة ويشترط أيضاً غسل فرجه أو ذكره قبل الطهارة وحشوهما بقطنة أو خرقة إلا إذا كان صائماً فان لم يندفع فالشد وتعصيب الذكر وتقديم الاحتياط

على الطهارة والمبادرة إلى الصلاة عقب الطهارة وتجديد العصابة وغسل الفرج والشد والوضوء لكل فريضة ، قول الناظم وليس يضر البول من ثقبة علت أي لا ينتقض الوضوء بخروج البول من ثقبة انفتحت فوق معدته أي سرته سواء كان المخرج المعتاد منفتحاً أو منسداً إذ لا ضرورة اليه في الاول والخارج منها بالقيء أشبه في الثاني لأنه مما تحيله الطبيعة إذ ماتحيله تلقيه إلى أسفل كما لا ينقض الوضوء خروج الدم من جرح بعضو وإن كثر ويخرج بقوله علت ما إذا كانت تحت معدته فان الخارج منها ينقض الوضوء إذا كان المعتاد منسداً إذ لا بد للانسان من مخرج يخرج منه ماتدعوه الطبيعة فاذا انسد بان لم يخرج منه شيء وإن لم يلتحم اقيم هذا مقامه قال الماوردي هذا في الانسداد العارض أما الخلقي فينقض معه الخارج من المنفتح مطلقاً والمنسد حينئذ كعضو زائد من الخنثى لا وضوء بمسه ولا غسل بايلاجه ولا ايلاج فيه قال في المجموع ولم أر لغيره تصريحاً بموافقته أو مخالفته .

الخامس عشر : نية للاغتراف إذا كان يتوضأ أو يغتسل من إناء فيه قليل ماء يغرفه بيده لئلا يصير الماء مستعملا فلو غرف من ماء قليل بكفه جنب نوى أو محدث بعد تثليث الوجه أو بعد غسله مرة إن أراد الاقتصار عليها صار الماء مستعملاً بالنسبة لغير مافيه فلو نزل جنب في ماء قليل ثم نوى رفع الجنابة لم يصر مستعملا بالنسبة اليه حتى ينفصل البدن كله كما لو غمس أولاً بعض بدنه مع النية فله التتميم بالانغماس لا بالاغتراف ، وكذا للمحدث ان أدخل يده بعد النية وحكم باستعمال الماء أن يغسل باقي ساعده به فقط وطريق من لم يرد نية الاغتراف أن يغرف الماء قبل النية أو يفرغ على كفه ولا تكون نية الاغتراف صارفة لنية الوضوء بخلاف نية التبرد .

. وقد اختلف العلماء في نية الاغتراف ونظم الفقيه ابن المقري من قال بعدم وجوبها فقال :

أوجبَ جمهورُ الثقاةِ الظرافْ عند التوضي نيةَ الاغترافْ
من بعد غسل الوجه من يُلغِها فماؤه مستعمل بالخلافْ

ووافقَ الشاسي ابن عبد السلام ... في تركها والبغـوي ذو العفاف
وابن عجيْل الحبر أفـتى على ... اهمالها والحـبر فتواه كاف

(وأما نواقض الوضوء) فهي أربعة :

الاول : خروج شيء من أحد السبيلين ولو ريحاً أو دوداً إلا المني .

الثاني : زوال العقل بجنون أو بنوم أو إغماء إلا النوم قاعداً ممكناً مقعده من مقره .

الثالث : التقاء بشرتي الرجل والمرأة ولا محرمية بينهما ولا ينقض صغير أو صغيرة .

الرابع : مس قبل الآدمي أو حلقة دبره .

ويحرم بالحدث الاصغر والاكبر الصلاة والطواف وحمل المصحف وخطبة الجمعة ، ويحرم بالجنابة والحيض المكث في المسجد ، ونظم العلامة الطبري نواقض الوضوء فقال :

ويبطل الوضوء شيءٌ قد برزْ ... من قُبُل أو دُبُر وما احترزْ
في نومه بجلسة التمكين ... أو زال عنه العقلُ والجنون
واللمس مع كشف لغير محرم ... ومسُّ بطن الكف فرج آدمي

(والغسل يجب) بخروج المني وبدخول الحشفة أو قدرها من فاقدها فرجاً ولو لبهيمة ، وبانقطاع حيض ونفاس ، وبولادة وبموت مسلم غير شهيد ، وفروضه نية رفع الجنابة للجنب أو الحيض للحائض ويصح عند ابن حجر رفع الحيض بنية النفاس وعكسه مالم يقصد المعنى الشرعي ، وفي الولادة رفع حدث الولادة .

ويكفي في الجميع نية استباحة مفتقر الى الغسل كالقراءة ، ويجب ان تكون مقرونة بأول مغسول من البدن وتعميم ظاهر البدن حتى الاظفار وماتحتها والشعر ظاهراً وباطناً وان كثف وماظهر من نحو منابت الشعر ، وسننه التسمية

وازالة القذر الطاهر كمني والنجس كمذي وان كفت لهما غسلة واحـــدة والوضوء الـكامل والتيامن والدلك خروجاً من خلاف من أوجبه ، ونظم العلامة الطبري موجبات الغسل وفروضه وسننه فقال :

يوجبه حيضٌ نفاسٌ وكـــذا	إيلاجُه مـوتٌ منى ظهـــرا
وفـــرضُه ينـــوي وان يعما	بشرة وكل شعـــر بالمـــا
سننهُ ازالـــةُ النجـــاسة	قبـــل اغتسال ياأخا الكيـاسة
فيه وما عن حدث قـــد منعوا	فمع جـــنابةٍ نعـــم يمتنع

(واما مبطلات الصلاة) فنية قطعهـا ولو تعليقه بحصول شيء ، وتردد فيه ، وبالفعل الكثير من غير جنس افعال الصلاة ولو سهواً كثلاث خطـوات او مضغات توالت وان كان من جنس افعال الصلاة فتبطل ولو بركن واحد فعلي إن أتى به عمد الغير متابعة كزيادة ركوع أو سجود وإن لم يطمئن فيه .

قال الشهاب ابن حجر ومنه أن ينحني الجالس إلى أن تحاذي جبهتهماأمام ركبتيه ولو لتحصيل توركه وافتراشه المندوب لأن المبطل لا يفتقر للمندوب انتهى .

نعم تصريـــح أئمتنا الشافعية بسنية اعتماد المصلى على يديـــه على الارض عند القيام من الجلوس كقيام العاجز لا يقتضي بطلان الصلاة بالانحناء عنـد القيـام إذ قيام العاجز لا يكون إلا بالانحناء بحيث أن تحاذي جبهته ماامام ركبتيه على ان الزيادة المضرة إذا وجدت لغير مقتض .

قال القليوبي في تصوير الزيادة المضرة عند قول المنهاج كزيادة ركوع أي صورته لغير مقتض فلا يضر وجوده لنحو مندوب كقتل حية صالت عليه وان كثر أي مالم يتوال كما يأتي وكما في نحو هوية لسجود ولو لتلاوة وإن عاد قبله لتركه ولا في قيامه منه ولا في قيامه عن الجلوس ولا في توركه وافـــتراشه في التشهد خلافاً لابن حجر .

وفي شرح العلامة سعيد بن محمد باعشن على القدمة الحضرمية مانصه ،

ويسن لكل مصل ولو قوياً وامرأة الاعتماد على يديه اي ببطن كفيه مبسوطتين على الارض عند القيام من سجود أو جلوس تشهد أو استراحة لانه أعون وأشبه بالتواضع مع ثبوته ﷺ أي انه كان يقوم كقيام العاجز . وفي رواية العاجن وكلاهما باخراج رأسه الى أمام ركبتيه فتعين ذلك في الحديث ونص ،الأئمة وبذلك يرد القول بأنه يحصل به زيادة ركوع جالس وهو مبطل عند حج إذ لو سلم ذلك لم يضر لثبوته عنه ﷺ مع تقرير الائمة له كما أوضحته في الاصل ، انتهى .

وتبطل الصلاة ايضاً بنطق بحرفين إن تواليا من غير قرآن وذكراً ودعاء ولم يقصد بهما إلا مجرد التفهيم ولو ظهر في تنحنح وضحك وبكاء وأنين ونفخ من الفم أو الانف .

وتبطل ايضاً بحرف مفهم كق و ع .

وتبطل بالوثبة الفاحشة وبالردة نعوذ بالله منها وبانحراف المصلي بالصدر عن القبلة وبالحدث واتصال النجس في اثنائها إلا إن دفعه حالا ، وبترك ركن عمداً ، وبانكشاف العورة ، وبشك في التحريم أو في النية مع مضي ركن قولي أو فعلي أو طول زمن الشك فان تذكر الاتيان بالمشكوك قبل طول الزمن وقبل مضي ركن فلا بطلان .

وتبطل الصلاة ايضاً بمفطر وصل جوف المصلي وإن قل وقدنظممبطلات الصلاة العلامة الطبري فقال :

ويبطل الصلاةَ بالكلامِ	وحدثِ وخبث طعام
وردةٍ تغييرٍ للنية	وفعلةٍ فاحشةٍ كوثبة
وأن يوالي فعله مع كثر	كذلك انحرافه بالصدر
وكشفِ عورة مع الزياده	بعمدٍ فعلِ تجب الاعاده
إن لم يكنْ من جنسها قد كثرا	أما الذي من جنسها قد قررا
بانه إن كان عمداً يبطلُ	أو لا فلا هذا الذي قد نقلوا

(وأما شروط الصلاة) فمعرفة دخول الوقت والاستقبال وستر العورة وطهارة الحدث وطهارة النجس في الثوب وكل محمول وملاق له ، ومن لم يجد ماء ولا تراباً للتيمم صلي لحرمة الوقت وأعاد الصلاة مهما وجد الماء أو التراب في موضع يسقط فيه القضاء ، ويشترط لصحة الصلاة بل ولكل عبادة : الاسلام والتمييز والعلم بالفرضية وأن لا يعتقد فرضاً سنة .

واعلم أن من عد أركان الصلاة ثلاثة عشر كالامام النووي فقد جعل الطمأنينات الاربعة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين ، وفي السجدتين وفي الركوع هيئة تابعة لها ، ومن عد الاركان أربعة عشر فقد جعل الطمأنينات الاربعة ركناً مستقلا ومن جعل الاركان سبعة عشر فقد جعل الطمأنينات الاربعة أركاناً مستقلاً ، ودونك منظومة سيدي القطب أحمد بن عمر بن سميط العلوي المشتملة على ذم تارك الصلاة ، قال نفعنا الله به وأذاقنا حلاوة مشربه :

ألا يا صاح لا يصحبْك عاتي	من الأشرارِ قطاع الصلاة
ولا تُدخله داراً أنت فيها	ولا تلقاهُ إلا بالعظاة
وبالتوبيخ والتقريع حتى	يؤبَ لفرضِه أوبَ الثقاة
وعرفه بسوء الحال منه	وإن نجيعه في المهدرات
كزان محصن كلب عقور	وحربي من الكفار عاتي
فان لم ترتج الاقبالَ منه	فسمه الهجرَ حتى للممات
ولو أبويك أو إبناً شفيقاً	كذاك أخوك أو إحدى البنات
فبئس الحالُ حالة تاركيها	مباحي الدم ممقوتي الصفات
لعلّ التاركين لها يفيؤا	من الأحيا إلى فعل الصلاة
ومهما شئت نيرانا تقيهم	فعرفهم جميعَ المبطلات
وعلمهم مصححها شروطاً	وأركاناً وكل الواجبات
لها أركانُ سبع ثم عشر	كما قد عدها بعضُ الثقاة
سلوا عن عد ماشرطوه فيها	وعدة مالها من مفسدات

فخذ بالعلم مع حفظ ودرس — وكن متفقهاً بالخيرات
تلقوا كل حكم من حكيم — من العلما لتحظوا بالثبات
هموا الدين أنصار كرام — وهم أهل الهدى والبينات
ولولاهم لصار الناس طرا — بهائم تقتفي نهج الغواة
فتاركها هو المحروم فاعلم — عديم الخير مذموم السمات
ومن يدنيه أو يوليه ودا — فذا للدين من شر العداة
وكم من محنة نزلت ودامت — ومن أسبابها ترك الصلاة
ووالي الامر يلزمه قيام — على تراكها شر العصاة
فيا رحمان يا ذا العرش سلم — وخلص من جميع المزعجات
وفقهنا وأهلينا جميعاً — وارشدنا إلى نهج الهداة
والبسهم حلى الايمان فضلا — وصنّا بالعفاف مدى الحياة
بجاه المصطفى خير البرايا — انلنا توبة قبل المات
وهب حسن اليقين لنا جميعاً — وأسعدنا جميعاً بالثبات
وصلى ذو الجلال على المقفى — رسول قد أتى بالبينات
كذا الآل الكرام وخير صحب — مع الاتباع تعداد الصلاة

﴿ خاتمة ﴾ لوجوب استقبال عين الكعبة في الصلاة يجب تعلم أدلة القبلة فرضاً عينياً على مقيم في موضع قل فيه العارفون أو مسافر ليس معه من يعرفها وكفاية مع كثرة العارفين ، ويجب الإستقبال يقيناً في القرب وظناً في البعد ومتى أمكن علم القبلة ولا حائل بينه وبينها لم يعمل بقول غيره ، ومن ذلك امكان الاعمى مس حيطة المحراب فلا يكفي العمل بقول غيره ولا باجتهاده ان سهل عليه ذلك فان عجز عن علمها أخذ وجوباً بخبر ثقة يخبر عن علم فان فقد اخبار الثقة اجتهد بالدلائل وهي الاطوال والاعراض مع الدائرة الهندسية والقطب والكواكب والشمس والقمر والرياح .

ولا يجوز الاجتهاد مع وجود من يخبره عن علم وفي معنى الخبر عن علم

كما قاله الشرقاوي بيت الابرة المعروف وهو الديرة المجربة الصحيحة التي لم تمض عليها مدة يمكن تغيرها فلا يجوز الاجتهاد مع وجودها جهة ولا مع وجود محاريب المسلمين ببلد كبير أو صغير بل يجوز يمنة أو يسرة إلا ماثبت انه ﷺ صلى إليه ويعتمد قول صاحب المنزل ان علم أن أخباره عن علم ولا يجتهد حينئذ بل عليه سؤاله .

(ولاشتراط) وقوع الصلاه في الوقت لابد من معرفة دخول الوقت فمن صلى بدونها لم تصح الصلاة وان وقعت في الوقت ، إذ العبرة في العبادات بما في نفس الامر وبما في ظن المكلف ، فأول وقت الصبح طلوع الفجر الصادق ، وآخره طلوع الشمس ،وأول وقت الظهر زوال الشمس،وآخره: مصير ظل كل شيء مثله غير ظل الاستواء ، وأول وقت العصر من آخر الظهر الى غروب الشمس ، وأول وقت المغرب الغروب ، وآخره مغيب الشفق الاحمر ، وأول وقت العشاء مغيب الشفق الاحمر ويمتد الى طلوع الفجر الصادق ومما ينسب الى امامنا الشافعي رضي الله عنه وهو نظم يبين أوقات الصلاة قوله من ثاني الطويل :

إذا مارأيت الظل قد زال وقته	فصل صلاة الظهر في الوقت تسعد
وقم قامة بعد الزوال فانه	أوان صلاة العصر وقت محدد
وصل صلاة للغروب بعيد ما	ترى الشمس ياهذا تغيب وتفقد
وصل صلاة للاخير بعيد ما	ترى الشفق الاعلى يغيب ويفقد
ولا تنظرن نحو البياض فانه	يدوم زماناً في السماء ويبعد
وإن شئت فيها فانتظر بصلاتها	إلى ثلث ليل وهو بالحق يعهد
وحقق فان الفجر فجران عندنا	وميزهما حقاً فأنت المقلد
فاول طلوع منهما يبدو شاهقاً	كما ذنب السرحان في الجو يصعد
فذاك كذوب ثم آخر صادق	تراه منيراً ضوؤه يتوقد
وصل صلاة الفجر عند ابتسامه	تنال به الفردوس والله يشهد
فلا خير فيمن كان للوقت جاهلا	وليس له وقت له به يتعبد
فذاك من المولى بعيد ومطرد	كذا وجهه يوم القيامة أسود

(ولمعرفة الاوقات) ست رتب كما في بشرى الكريم ، أحدها إمكان

معرفة يقين الوقت ، ثانيها وجود من يخبره عن علم ، ثالثها مرتبة دون الاخبار عن علم وفوق الاجتهاد وهي المناكيب المحررة والساعات المجربة أو المؤذن الثقة في الغيم . ورابعها امكان الاجتهاد من البصير ، خامسها امكانه من الاعمى ، سادسها التقليد فصاحب الاولى مخير بينها وبين الثانية إن وجدها وإلا فبينها وبين الثالثة إن وجدت وإلا فبينها وبين الرابعة وصاحب الثانية لا يعدل لما تحتها وصاحب الثالثة مخير بينها وبين الاجتهاد وصاحب الرابعة لا يقلد وصاحب الخامسة مخير بينها وبين التقليد ، ولما كانت المحافظة على الصلوات مطلوبة وقد أمر الله سبحانه وتعالى بها حيث قال (حافظوا على الصلوات) ومدح المحافظين عليها بقوله جل وعلا (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أمر بذلك الناظم محرضاً على المواظبة على الجماعة فقال :

﴿ وحافظْ عليها في الجماعةِ دائماً

وواظبْ عليها في العشاءِ وفي الفجرِ ﴾

(المعنى) صل الصلوات الخمس في الجماعات وكن محافظاً عليها لانها كما في الحديث تفضل على صلاة المرء وحده بسبع وعشرين درجة وما يتخلف عن الجماعة الا محروم من الفضائل ، واقامتها فرض كفاية في كل قرية قال ﷺ (ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان) وينبغي أن يؤم الاصلح والاورع لقول السلف إذا قامت الجماعة نظر الله الى قلب الامام ان كان فيه خير رضي الله عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم وان لم يكن فيه خير نظر الى قلوب المأمومين فان كان فيهم من في قلبه خير رضي عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم وإن لم يكن فيهم من في قلبه خير نظر الى اجتماعهم في الصلاة والى قيامهم بين يديه فيرضى عنهم ويتقبل صلاتهم ويغفر لهم .

ثم ان كمال المحافظة على الصلاة اداؤها بشروطها وأركانها وسننها وآدابها وجميع مكملاتها ومتمماتها وعدم الغفلة عنها والمبادرة بها أوائل أوقاتها حيث لم يندب التأخير ، ومن المحافظة صدق الاخلاص وسكون الجوارح ، ومن ذلك اسباغ

الوضوء مع الاتيان بجميع السنن أو اغالب من غير وسوسة ، وفي الحديث (ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ، اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) ونظم معنى هذا الحديث سيدي القطب أحمد بن عمر بن مميط في نظمه الرائي فقال نفع الله به :

أقيموها بأول كل وقت ... جماعاتٍ وان طال انتظار

فمنتظرُ الصلاة لها مصلٍ ... فذلكم الرباط فلا تماروا

وورد أيضاً (انكم لن تزالوا في الصلاة ماانتظرتم الصلاة) وقدورد في ترك الجماعة من الوعيد ماتقشعر منه الجلود ويتصدع منه الجلمود فقد أخرج الامام أحمد والطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال (الجفا كل الجفا والكفر والنفاق من يسمع منادي الله ينادي الى الصلاة يدعو الى الفلاح فلا يجيبه) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (من سمع النداء فلم يجب من غير عذر ولا ضرر فلا صلاة له) رواه الطبراني في الكبير وفي صحيح البخاري ومسلم (لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم اخلو الى قوم لا يشهدون الجماعة فاحرق عليهم بيوتهم) الحديث .

وذكر العلامة ابن حجر في الزواجر أن المراد بقوله تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) الآية بطولها هم الذين يدعون الى الصلاة بالاذان والاقامة فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون ، وقال كعب الاحبار والله مانزلت هذه الآية إلا في المتخلفين عن الجماعات ، انتهى . فأي وعيد أشد من هذا الوعيد نسأل الله العفو والعافية والتوفيق للعمل الصالح .

(حكي أن رجلاً أعمى) كان مولعاً بصلاة الجماعة فيأتيها من غير قائد يقوده فوقع يوماً في الطريق فشجت رأسه فحمل إلى داره ، فقالت له زوجته ياهذا إن صلاة الجماعة غير واجبة عليك وأنت على تلك الحالة ، فقال لها إن كان الله تعالى

قد أخذ نور بصري فقد أبقى عليّ نور قلبي فلا انقطع عن الجماعة . فنام تلك الليلة فرأى النبي ﷺ في منامه فقال له لِمَ تشاجرت مع زوجتك .فقال من أجل إتباع سنتك يارسوك الله فمسح رسول الله ﷺ بيده الكريمة على عينيه فعاد بصيراً ببركة النبي ﷺ وبركة سنته ، وفقنا الله تعالى لصالح الاعمال وجنبنا طرق المهالك والوبال .

﴿ وقال سيدي ﴾ العارف بالله تعالى عبدالوهاب الشعراني ، أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نجيب المؤذن بما ورد في السنة ولا نتلاهى عنه بكلام آخر ولا غيره أدباً مع الشارع ﷺ ، فان لكل سنة وقتاً يخصها فلاجابة المؤذن وقت وللعلم وقت وللتسبيح وقت ولتلاوة القرآن وقت ، كما أنه ليس للعبد أن يجعل موضع الفاتحة استغفاراً ، ولا موضع التسبيح للركوع والسجود قراءة ولا موضع التشهد غيره .

وهكذا فافهم وهذا العهد يخل به كثير من طلبة العلم فضلاً عن غيرهم فيتركون إجابة المؤذن بل ربما تركوا صلاةالجماعة حتى يخرج الناس منها وهم يطالعون في علم نحو أو اصول أو فقه ويقولون العلم مقدم مطلقاً ، وليس كذلك فان المسألة فيها تفصيل فما كل علم يكون مقدماً في ذلك الوقت على صلاة الجماعة كما هو معروف عند كل من شم رائحة مراتب الاوامر الشرعية .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى إذا سمع المؤذن يقول حي على الصلاة يرتعد ويكاد يذوب من هيبة الله عز وجل ويجيبالمؤذن بحضور قلبوخشوع تام رضي الله عنه ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك .

﴿ وقد خص ﴾ الناظم نفع الله به العشاء والفجر بذكرهما بعد أن ذكرها في عموم قوله وحافظعليه في الجماعه دائماً إذ الضميرعائد إلى الخمس الصلوات المذكورة في البيت المتقدم وماذاك إلا لكونهما أعنى العشاء والفجر يثقلانعلى المنافقين كما في الحديث .

ومما يعلن بزيادة فضلها قوله ﷺ (من صلى الفجر في جماعة أصبح في ذمة الله حتى يصبح) .

وفي رواية (من صلى العشاء في جماعة أمسى في ذمة الله حتى يصبح) .

وفي رواية (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله) .

وورد (بشر المشائين إلى المساجد في ظلم الليل بالنور التام يوم القيامة) الحديث والظلمة لا تكون إلا في هذين الوقتين .

وقال ﷺ (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) أو كما قال ومن زيادة فضل صلاة الصبح ماخصها الله تعالى من شهود الملائكة بقوله عز وجل (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) يعني المفسرون إنها صلاة الفجر وقد ذكر أنها تشهدها ملائكة النهار والليل فملائكة الليل يصلون ويصعدون وملائكة النهار يصلون ويقعدون إلى صلاة العصر ، وقال بعضهم إلى صلاة المغرب ليصعدوا بعمل النهار تاماً ، ومن ذلك قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) أي مطيعين ، والوسطى عند علي وابن عباس ومعاذ وابن عمر وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عن الجميع هي الفجر وهو قول الامام الشافعي رحمه الله تعالى لأنها متوسطة بين الليل والنهار (لكن المختار) من حيث الدليل أنها العصر ، ففي الحديث أنه ﷺ قال يوم الخندق (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر) .

وقال العارف الشعراني قدس الله سره العزيز : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نهتم بصلاة الجماعة في العشاء والصبح أكثر من الاهتمام بهافي غيرهما لتأكيد الشارع علينا في ذلك لا لعلة اخرى ولولا علم الشارع ﷺ منا التهاون في حضور الجماعة في هاتين الصلاتين ما أكد علينا في حضورهما فان تأكيد السيد على العبد إنما يكون إذا علم في العبد التهاون بخدمته وإلا كان السيد أمره بذلك من غير تأكيد ولا بيان ثواب ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس

ولا سيما الصنائعي في أيام الصيف فان التعب يحل عليه آخر النهار فلا يخلص منه إلى طلوع الشمس وهذا وإن لم يكن عذراً شرعياً ففيه رائحة العذر لأمر الشارع له بالاكل من عمل يده بخلاف من لاحرفة له فانه لاعذر له في تخلفه عن هاتين الصلاتين ، فعلم أن من أكل من عمل يده وتعاطى الاعمال الشاقة في تحصيل لقمة وأدى الفرائض في جماعة فهو من الكاملين في مقام الايمان والله تعالى أعلم ، انتهى .

﴿ واعلم ﴾ أن من تمام المحافظة على الصلوات المحافظة على السنن التابعة للفرائض فانها كما في الحديث جوابر للفرائض ، وينبغي القيام بقية الصلوات المسنونة ومنها صلاة العيدين وصلاة الوتر والكسوفين وصلاة الاستسقاء والضحى ، وصلاة التسبيح وفضائلها مشهورة وهي أربع ركعات يقول في كل ركعة بعد الفاتحة وقراءة سورة : سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله خمسة عشر مرة وفي كل من الركوع والاعتدال وكل من السجدتين والجلوس بينهما والجلوس بعد رفعه من السجدة الثانية في كل ركعة عشراً فذلك خمس وسبعون مرة في كل ركعة علمها النبي ﷺ لعمه العباس وذكر له فضلا عظيما فيها منه لو كانت ذنوبك مثل زبد البحر أو رمل عالج غفر الله لك ، وحديثها حسن قال التاج السبكي لا يسمع بعظيم فضلها ويتركها إلا متهاون بالدين ففي حديثها إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة وإلا ففي كل جمعة وإلا ففي كل شهر وإلا ففي كل سنة وإلا ففي العمر مرة والأفضل لمن يصليها نهاراً وصلها ولمن يصليها ليلا فصلها ركعتين ركعتين وهي من النوافل المطلقة التي لاتتقيد بوقت ولا سبب فهي تندب كل وقت ليلا ونهاراً ماعدا وقت الكراهة ، لكن عمل السلف فعلها ليلاً ويجوز جعل التسبيحات الخمسة عشر قبل القراءة وحينئذ يكون عشر الاستراحة بعد القراءة وهذه كيفية عمل بها بعض الائمة وكان يعمل بها ابن المبارك إنما الافضل الكيفية الاولى التي علمها النبي ﷺ لعمه العباس ويقرأ في صلاة التسبيح كما في الترشيح للسبكي تارة من طوال المفصل وتارة إذا زلزلت والعاديات والفتح والاخلاص وتارة

ألهاكم والعصر والكافرون والاخلاص ويقول قبل السلام : اللهم إني أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجد أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك ، اللهم إني أسألك مخافة تحجزني بها عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا استحق به رضاك وحتى أناصحك بالتوبة خوفاً منك وحتى أخلص لك النصيحة حباً لك وحتى أتوكل عليك في الامور كلها حسن ظن بك سبحان خالق النور .

وأما صلاة الوتر فيتأكد فعلها لقوله ﷺ (الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا) وقال ﷺ (إن الله وتر يحب الوتر) فأوتروا يا أهل القرآن وأقل الوتر ركعة وأكثره أحد عشر ركعة ، وتفعل بالأوتار وأدنى الكمالات ثلاثة ومهما أوتر بثلاث فتستحب له قراءة سورة سبح والكافرون في الركعتين وفي الركعة الاخيرة سورة الاخلاص والمعوذتين ، وإن أوتر بأكثر من ثلاث سن له قراءة سبح والكافرون والاخلاص في الثلاثة الاخيره إن فصل عما قبلها وإلا فلا كما أفتى به البلقيني لئلا يلزم خلو ماقبلها عن سورة أو تطويلها على ماقبلها أو القراءة على غير ترتيب المصحف أو على غير تواليه وكل ذلك خلاف السنة ، قال في التحفة نعم يمكن أن يقرأ فيما لو أوتر بخمس مثلا المطففين والانشقاق في الاولى والبروج والطارق في الثانية وحينئذ لايلزم شيء من ذلك .

وقال سيدي العلامة طاهر بن حسين كما يقتضيه كلامه في المسلك القريب إلى قراءة السور المذكوره في الثلاث الاخيره ولو وصلها بما قبلها وعبارته : ويصلى الوتر إحدى عشر ركعة يقرأ في كل ركعتين مقرأين أو ثلاثاً أو أقل أو أكثر إن كان حافظاً للقرآن يبتدىء من أوله إلى أن يختمه ، وإن لم يحفظ قرأ مايحفظه كالسجده ويس والدخان والواقعة وتبارك الملك ، وإلا كرر من الاخلاص ماتيسر عشراً أو أقل أو أكثر حسب النشاط والهمة .

هذا في الثمان الركعات وأما الثلاث الاخيره فلا يقرأ فيها إلا ماورد وهو سبح اسم ربك الأعلى والاخلاص والمعوذتين اهـ .

ويستحب كما في الاحياء أن يقول بعد التسليم : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ، جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت ، وتعززت بالقدرة ، وقهر العباد بالموت ، وفي المسلك القريب يقول : سبحان الملك القدوس ثلاثاً سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، جللت السموات والارض بالعزة والجبروت ، وتعززت بالقدرة وقهر العباد بالموت ، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، أربعين مره الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد وازواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتى وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايتي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء ، اللهم إني أسألك إيماناً دائماً يباشر قلبي ، وأسألك يقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبته علي وأرضني بما قسمته لي ، اللهم اعطني إيماناً صادقاً ويقيناً ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخره .

﴿ ومن النوافل ﴾ العظيمة الفضل صلاة الأوابين بين المغرب والعشاء والأواب الرجاع إلى الله تعالى وهي عشرون ركعة ، ورويت أربعاً ورويت ركعتين وهما الاقل ، وقد ورد في احياء ما بين العشاءين بالصلاه أو بالقرآن من الفضل مالا يحصى كما في الاحياء .

قال الغزالي من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بالصلاه أو بقرآن كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة

كل قصر منها مائة عام ، ويغرس له بينها غراساً لو طافه أهـل الارض لوسعهم ، وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هـــو ناشئة الليل ، وقد فسروا ناشئة الليل بصلاة الأوابين ، ففي الاحياء روي عن الحسن أنه ﷺ سئل عن هذه الآية أي قوله تعالى (ان ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلا) فقال ﷺ الصلاة بين العشاءين ، وقال في النصائح الدينية ومن المستحب المتأكد احياء مابين العشاءين بصلاة وهو الافضل أو تلاوة القرآن أو ذكر الله تعـالى من تسبيح أو تهليل أو نحو ذلك ، قال النبي ﷺ (من صلى بعد المغرب ست ركعـات لا يفصل بينهن بكلام عدلن له عبادة اثنتي عشر سنة) .

وورد أيضاً (من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة) وبالجملة فهذا الوقت من أشرف الاوقات وأفضلها فتأكد عمارته بوظائف الطاعات ومجانبة الغفلات والبطالات .

وورد كراهة النوم قبل صلاة العشاء فاحذر منه وهو من عادة اليهود .

وفي الحديث (من نام قبل صلاة العشاء الآخره فلا أنام الله عينيه) اه .

وسئل أنس رضي الله عنه عمن ينام بين العشاءين فقال لا تفعـل فانهـا الساعة المرادة بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

(وأما صلاة الضحى) فأقلها ركعتان وهي تفعل اشفاعاً إلى ثمان من الركعات فهي أفضلها وان كان أكثرها اثني عشر لحديث ضعيف فيه ووقتها الافضل أن تصلى عند مضي قريب من ربـع النهار لحديث صحيـح فيه وهــو قوله ﷺ (صلاة الأوابين ــ أي صلاة الضحى) حين ترمض الفصال ، أي تبرك من شدة الحر في خفافها ، والأفضل أن يقرأ في الركعة الاولى منها بعـد الفاتحـــة سورة والشمس بتمامها وفي الثانية الفاتحة وسورة الضحى للمناسبة كما في التحفة وجرى عليها الجلال السيوطي .

وورد أيضاً قراءة الـكافرون والاخلاص .

وقال الرملي وهما أفضل في ذلك من الشمس والضحى وإن وردتا أيضاً إذ السورة الاولى تعدل ربع القرآن ، والثانية ثلث القرآن ؛ قال بعضهم إن الجمع بين القولين أولى بأن يقرأ في الركعة الاولى منها الشمس والكافرون ، وفي الثانية الضحى والاخلاص ثم باقي الركعات يقتصر على الكافرون والاخلاص .

ومن المؤكدات الرواتب التابعة للفرائض وهي أربع ركعات قبل العصر وأربع قبل الظهر وأربع بعده وركعتان بعد المغرب وركعتان قبل العشاء وركعتان بعدها وركعتان قبل الصبح وصلاة النافلة في البيوت أفضل من المسجد إلا ما استثنى ، ونظم الطبلاوي النافلة المسنونة في البيت والمسنونة في المسجد فقال رحمه الله تعالى :

صلاة نفل في البيوت أفضل	إلا التي جماعة تحصل
وسنة الاحرام والطواف	ونفل جالس للاعتكاف
وخائف الفوات بالتأخر	وقادم ومحدث للسفر
ونحو علمه لاحياء البقعة	كذا الضحى ونفل يوم الجمعه
والاستخارة والقبلية	لمغرب ولا كذا البعدية

﴿ خاتمة ﴾ استكفى الناظم في نظمه بذكر الجماعة عن ذكر الجمعة بالخصوص للعلم باولية المواظبة عليها لكونها فرض عين على من لاعذر له من الاعذار التي ذكرها الفقهاء ، قال تعالى (يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ، وقال ﷺ الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة : عبد مملوك - أو إمرأة أو صبي أو مريض) فهي فرض عين عند اجتماع شرائطها . وأما ماجاء من الوعيد في تركها فمنها قوله ﷺ (من ترك ثلاث جمع عمداً طبع الله على قلبه وكتب من الغافلين وقال ﷺ لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين) رواه مسلم .

وجاءت في فضلها أحاديث فمنها أنها حج المساكين وانها مكفرة لذنوب أيام الاسبوع وانها خير يوم طلعت فيه الشمس .

قال سيدي الناظم القطب عبدالله بن علوي الحداد : واعلم أن يوم الجمعة سيد الايام وله شرف عندالله العظيم وفيه خلق الله آدم عليه السلام وفيه يقيم الساعة وفيه يأذن لأهل الجنة في زيارته والملائكة تسمي يوم الجمعة يوم المزيد لكثرة مايفتح الله فيه من ابواب الرحمة ويفيض من الفضل ويبسط من الخير ، وفي هذا اليوم ساعة شريفة يستجاب فيها الدعاء مطلقاً وهي مبهمة من جميع اليوم كما قاله الامام الغزالي رحمه الله وغيره فعليك في هذا اليوم بملازمة الاعمال الصالحة والوظائف الدينية ولا تجعل لك شغلا بغيرها إلا أن يكون شغلاً ضرورياً لا بد منه فان هذا اليوم للآخرة خصوصاً ، وكفى بشغل بقية الايام بامر الدنيا غبناً وإضاعة ، وكان ينبغي للمؤمن أن يجمع جميع أيامه ولياليه مستغرقة بالعمل لآخرته فاذا لم يتيسر ذلك وعوقته أشغال دنياه فلا أقل له من التفرغ في هذا اليوم لأمور الآخرة اه .

ومعلوم أن للجمعة شروطاً زائدة على بقيه الصلوات قد أوضحها الفقهاء ويسن الاكثار من الدعاء في هذا اليوم ليصادف وقت الاجابة وقراءة الكهف يومها وليلتها والاكثار من الصلاة على النبي ﷺ .

ونقل عن الامام الشعراني رحمه الله تعالى : إن من واظب على هذين البيتين في كل يوم جمعة توفاه الله على الاسلام وهما :

إلهي لستُ للفردوسِ أهلاً ولا أقوى على نارِ الجحيم
فهب لي زلتي وأغفر ذنوبي فانكَ غافرُ الذنبِ العظيمِ

ومن النوافل صلاة التهجد فهو مسنون إجماعاً ولذا قال الناظم نفع الله به :

﴿ وقم في ظلامِ الليل لله قانتاً وصلِّ لهُ واختم صلاتكَ بالوتر ﴾

أي قم أيها المتعبد بعد الاستيقاظ من نومك للاهتمام بالطاعة والاعمال الصالحة وقوله قانتاً حال من فاعل قم وآثر هذا اللفظ لوروده في القرآن ، قال الله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) الآية وقصد الناظم نفعنا الله به التحريض على الطاعة والحث على التهجد وهو التنفل ليلا بعد النوم قال الله تبارك وتعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) وفي فضله وردت أحاديث منها قوله ﷺ (أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل) وقوله عليه الصلاة والسلام (عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة لكم ومكفرة للسيئآت ومنهاة عن الاثم ومطردة للداء عن الجسد) ومنها قوله ﷺ (أيها الناس أفشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) .

وقال عليه الصلاة والسلام (تحشر الناس في صعيد فينادي مناد أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب) .

قال العلماء يكره لمعتاد التهجد تركه بلا ضرورة لقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص (لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه) .

وقال سيدي القطب عبدالله بن علوي بن محمد الحداد : واعلم أن قيام الليل من أثقل شيء على النفس ولاسيابعد النوم وإنما يصير خفيفاً بالاعتياد والمداومة والصبر على المشقة والمجاهدة في أول الامر ثم بعد ذلك ينفتح باب الانس بالله تعالى وحلاوة المناجاة ولذة الخلوة به عز وجل وعند ذلك لا يشبع الانسان من القيام فضلاً عن أن يستثقله أو يكسل عنه كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله ، حتى قال قائلهم إن كان أهل الجنة في مثل مانحن فيه بالليل إنهم لفي عيش طيب .

وقال آخر : منذ أربعين سنة ماغمني شيء إلا طلوع الفجر .

وقال آخر : أهل الليل في ليلهم ألذ من اللهو في لهوهم .

وقال آخر : لولا قيام الليل وملاقاة الإخوان في الله ماحببت البقاء في الدنيا ، وأخبارهم في ذلك مشهورة كثيرة .

وقد قال : صلى خلائق منهم الفجر بوضوء العشاء رضي الله عنهم (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .

فعليك رحمك الله بقيام الليل وبالمحافظة عليه والاستكثار منه وكن من عبادالرحمن الذين يمشون على الارض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذي يبيتون لربهم سجداً وقياماً واتصف ببقية أوصافهم التي وصفهم الله بها في هـــذه الآيات إلى آخرها ، وإن عجزت عن الكثير من القيام بالليل فلا تعجز عن القليل منه قال الله تعالى (فاقرؤا ماتيسر من القرآن أي في القيام من الليل) .

وقال عليه السلام (عليكم بقيام الليل ولو ركعة) وما أحسن الذي يقرأ القرآن الكريم بالغيب أن يقرأ كل ليلة في قيامه بالليل شيأ منه ويقرؤه على التدريج من أول القرآن إلى آخره حتى يكون له في قيام الليل ختمة ، أما في كل شهر ، أو في كل أربعين أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب النشاط اهـ .

وقال حجة الاسلام (إعلم) أن قيام الليل عسير على الخلق الاعلى من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهراً أو باطناً ، فأما الظاهرة فاربعة أمور :

الأول : أن يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتحسروا عند الموت وهذا هو الأصل الكبير وهـــو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام .

الثاني : أن لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعي بها الجـــوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك أيضاً مجلبة للنوم .

الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة الاستعانة على قيام الليل .

الرابع : أن لايحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة .

قال رجل للحسن ياأبا سعد إني أبيت مقامي وأحب قيام الليل وأعـد طهوري فما بالي لاأقوم ، فقال ذنوبك قيدتك إلى أن قال فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير مالا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ، ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليل وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، وإن العبد ليأ كل أكلة ويفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة ، وإن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهي عن الصلاة وسائر الخيرات . انتهى مع بعض حذف وفي الاحياء لحجة الاسلام أيضاً .

حكي أن غلاماً بالبصرة إسمه صهيب كان يقوم الليل فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال إن صهيباً إذا ذكر النار لايأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفي ، وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام .

وقال ذو النون المصري رحمه الله :

منع القُرانَ بوعدِهِ ووعيدِهِ ... مُقَلَ العيون بليلها أن تهجَعا
فهموا عن الملك الجليل كلامـه ... فرقابهم ذلت اليـه تخضُّعا

﴿ وأنشدوا ﴾

ياطويل الرقادِ والغفـلاتِ ... كثرةُ النوم تورثُ الحسراتِ
إن في القبر إن نزلت اليـه ... لرقاداً يطولُ بعـد المماتِ
ومهاداً ممهـداً لك فيـه ... بذنوبٍ عملت أو حسناتِ
أأمنتَ البياتَ من ملك المو ... تِ وكم نال آمنـاً بيياتِ

﴿ وقال ابن المبارك ﴾

إذا ماالليلُ أظلم كابدوه ... فيسفرُ عنهم وهمْ ركوعُ
أطار الخوفُ نومهمُ فقاموا ... وأهلُ الامن في الدنيا هجوعُ

﴿ وقيل في الترغيب على قيام الليل ﴾

تعودْ سهرَ الليلِ ... فانَّ النومَ خسرانُ
ولا تركنْ إلى الذنبِ ... فعقبى الذنبِ نيرانُ
وقمْ للواحد الباري ... فللقرآنِ خلانُ
إذا جنهمو الليلُ ... فهمْ في الليلِ رهبانُ
ينامُ الغافلُ الساهي ... وما في القوم وسنانُ
ويلهو الجاهلُ اللاهي ... وأهلُ الله يقظانُ
فما يلهيهمو أهلٌ ... ولا حزبٌ وإخوانُ
همُو والله فتيانٌ ... إذا ماقيلَ فتيانُ

﴿ وقال الشريف أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى وأعاد علينا سره ﴾

تمسك بأذيال المحبة واغتنم ... ليالي بها تحظى بأوقات سرنا
وقم في الدجا فالليلُ ميقاتُ من يرد ... وصال حبيبٍ فاغتنم فيه وصلنا
وسر نحونا لاتخش في الليل وحشةً ... وكن ذاكراً فالأنس في طيب ذكرنا

وينبغي الاكثار من الدعاء والاستغفار لخبر مسلم (ان في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة) ولأن الليلة محل الغفلة ونصفه الأخير آكد بالدعاء والاستغفار وأفضله عند السحر لقوله تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون) .

قال بعض العارفين أن الله تعالى ينظر في الاسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين ، انتهى .

قال حجة الاسلام وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الاول من الليل

والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل (واعلم) أن العلماء رحمهم الله تعالى ذكروا ليالي مخصوصة بمزيد الفضل واستحسنوا احياءها استحساناً مؤكداً فلا ينبغي لسالك طريق الآخرة أن يغفل عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ، ومتى غفل التاجر عن الموسم لم يربح ، ومتى غفل السالك عن فضائل الأعمال لم ينجح ، فمن تلك الليالي ستة في شهر رمضان خمس في أوتار العشر الأخير لطلب ليلة القدر ، وليلة سبعة عشر من شهر رمضان ففي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه وكانت وقعة بدر .

ومن الليالي المخصوصة أول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وليلة النصف من شعبان وليلة عرفة وليلة العيدين ، قال ﷺ (من أحيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) .

قول الناظم (وصل له واختم صلاتك بالوتر) أي وصل له بالليل لتكون ممن قال فيهم الباري تعالى (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون) ومن الممتثلين لقوله تعالى (قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا .

(وقوله) واختم صلاتك بالوتر أي واجعل آخر صلاتك الوتر لخبر الشيخين (اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً) قال العلماء : يسن تأخير الوتر عن صلاة يصليها ليلاً من نحو راتبة أو تراويح أو تهجد ، وقدم أنه التنفل ليلا أي بعد النوم ، بل ان فعل الوتر بعد النوم فقد حصل به سنة التهجد أيضاً وإلا كان وتراً لاتهجداً ، فليس كل وتر تهجداً كعكسه وإنما بينهما العموم والخصوص الوجهي يجتمعان في صلاة بعد النوم بنية الوتر فيصير تهجداً ووتراً وينفرد الوتر فقط بصلاة قبل النوم ، والتهجد بصلاة بعده من غير نية الوتر . ومعلوم أن التأخير في حق من يعتاد القيام ليلا الواثق بيقظته قبل الفجر بنفسه أو بغيره ، أما من لم يثق بها فينبغي

أن يعجله لخبر مسلم (من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل . قال العلماء : يستحب أن ينوى القيام عند النوم نية جازمة ليحوز مافي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال (من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم فيصلي فغلبته عينه وفي رواية عيناه حتى يصبح كتب له مانوى وكان نومه صدقة عليه من ربه) ويستحب أن يمسح المستيقظ النوم عن وجهه ، وأن يستاك ، وأن ينظر إلى السماء ، وأن يقرأ (إن في خلق السموات والارض) إلى آخر السورة ، وأن يفتتح تهجده بصلاة ركعتين خفيفتين .

ومن الصلوات المندوبة صلاة التوبة لخبر (ليس عبد يذنب ذنباً فيقوم فيتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له) رواه أبو داود وغيره وحسنه الترمذي .

ومنها صلاة التراويح عشرون ركعة بعشر تسليمات في كل ليلة من رمضان بين العشاء وطلوع الفجر ، والاصل فيها الاتباع رواه الشيخان ، وسن كونها جماعة والوتر بعدها جماعة ، وبقيت صلوات مشهورة الفضل كصلاة الفردوس وصلاة حفظ الايمان وصلاة الاستخارة ، ذكر ذلك كثير من العلماء ، ولا حصر للنفل المطلق

قال ﷺ (الصلاة خير موضوع) إلى آخر الحديث (وهنا فائدة) يتعين ذكرها _ قال العلماء : أفضل عبادات البدن بعد الشهادتين الصلاة ففرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل .

قال العلامة ابن حجر ويليها الصوم فالحج فالزكاة على ماجزم به بعضهم ، وقيل أفضلها الزكاة وقيل الصوم وقيل الحج وقيل غير ذلك ، والخلاف في الاكثار من واحد أي عرفاً مع الاقتصار على الآكد من الآخر وإلا فصوم يوم أفضل من ركعتين ، انتهى .

وقد مر حكم الشهادتين في أول الكتاب عند ذكر الحديث المروى عن

جبريل عليه الصلاة والسلام وفي حديث أخرجه البخاري ومسلم (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله الله وإن محمداً عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) وفي هذا الحديث مالايخفى من جوامع الكلم المخصوصة لنبينا محمد ﷺ إذ في هذا الحديث تشبيه معنوي بحسي فإن المصطفى ﷺ لبلاغته أراد أن يفيد أصحابه مالاعهد لهم فصاغ لهم أمثلة من أساليب كلامهم ليفهموا بما يعرفون مالايعرفون ، ووجه الشبه أن البناء الحسي اذا انهدم بعض أركانه لايتم فكذلك البناء المعنوي ولذا قال ﷺ (الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين) .

وكذلك بقية المباني وتقرير الاستعارة فيه أن تقول شبه الاسلام الذي هو عبارة عن المعنى القائم بذات المسلم من التسليم والانقياد للاحكام الشرعية بالبيت المشيد على سبيل الاستعارة المكينة التخييلية فطوى ذكر المشبه به وهو البيت ورمز له بشيء من لوازمه وهو البناء بجامع التأسيس أو الاشاره في كل وأثبت له البناء استعارة تخييلية .

قال العلامة شهاب الدين ابن حجر واستفيد من بناء الاسلام على مامر مع ماهو معلوم أن البيت لايثبت بدون دعائمه ان من تركها كلها فهو كافر ، وكذا من ترك الشهادتين اذ هما الاساس الكلي الحامل لجميع ذلك البناء ولبقية تلك القواعد كما استفيد من أدلة اخرى كالخبر الصحيح (أن رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) .

فالمراد بالاسلام فيه الشهادتان بدليل سياقه بخلاف من ترك غيرهما فانه انما يخرج عن كمال الإسلام بقدر ماترك منها لبقاء البناء حينئذ ، ويدخل في الفسق لا في الكفر الا ان جحد وجوبه وعليه حمل الاكثرون خبر مسلم (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) .

وخالف الامام أحمد وآخرون فاخذوا بظاهره من كفر تاركها مطلقاً وبالغ إسحق فقال عليه اجماع أهل العلم وقال غيره عليه جمهور أهل الحديث

وأجرت طائفة ذلك في الاركان الثلاثة وهو رواية عن أحمد اختارها طائفة من أصحابه وبعض المالكية بخلاف متعلق الايمان السابق في حديث جبريل فان ترك واحد منها كفر . وعلم مما قدمته ثم في الكلام على حقيقة الايمان والاسلام ان من أتى بهما مؤمن كامل ومن تركهما كافر كامل ومن ترك الاسلام وحده فاسق ويسمى مؤمناً ناقصاً ، ومن ترك الايمان وحده منافق ويسمى مسلماً ظاهراً .

(وأما الصوم) فالواجب منه صوم رمضان اجماعاً وهو معلوم من الدين بالضرورة فيكفر جاحد وجوبه ، وشهر رمضان هو أفضل الاشهر حتى من عشر ذي الحجة للخبر الصحيح (رمضان سيد الشهور) وشرائط وجوبه أربعة : الاسلام فلا يجب على كافر اصلى وجوب مطالبة وان وجب عليه وجوب عقاب كغيره من الواجبات اذ من شروط الصوم وجود النية والكافر ليس من أهلها لانتفاء الايمان منه وهو شرط في النية .

(الشرط الثاني) البلوغ فلا يجب على الصبي نعم ان كان مميزاً صح منه وإلا فلا .

(الثالث) العقل .

(الرابع) القدرة على الصوم فلا يجب على المتصف باضداد ذلك .

وأما أركانه فاربعة أشياء : النية بالقلب ويشترط وقوعها ليلاً اذا أراد صيام فرض كرمضان أو نذر ، ويجب التعيين في الفرض فيقول نويت صوم غد عن اداء فرض رمضان هذه السنة ، ويسن الاضافة الى الله تعالى .

(الثاني) الامساك عن الاكل والشرب وان قل فيبطل الصوم بوصول عين إلى حد الباطن مع التعمد والاختيار لا مع النسيان والاكراه ، ويبطل بالوطء عمداً والقيء عمداً والانزال والحيض والنفاس والجنون والردة اعاذنا الله منها، ويجب على الحائض والنفساء قضاء الصوم دون الصلاة .

واعلم انه لابد لكل مسلم من معرفة شروط الصوم التي لا يصح الصوم

إلا بها ، ثم ان الصوم على ثلاثة مراتب : مرتبة صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص فصوم العموم مافصله الأئمة وبينوه في كتبهم من الامساك عن المفطرات ومراعاة الوقت والنية الى غير ذلك مما هو مشروح في كتب الفقه ، وأما صوم الخصوص والمراد بهم الصالحون فهو امساك الجوارح كلها عن الآثام وعن أكل مافيه نملام من كل مايشغل القلب ويلهى عن ذكر ربه فيمسك السمع عن الاصغاء الى المذموم واليد والرجل عن كل مكروه تنزيهاً أو تحريماً ، وهكذا كل جارحة بحسبها ولا سيما اللسان من الكذب والغيبة والنميمة واليمين الغموس وجاء الغيبة تفسد الصوم ، وقد قال ﷺ (الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم) وقال العلماء في حديث (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش) هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام والذي يفطر على الحرام .

(وأما صوم) خصوص الخصوص فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية والتوجه التام اليه والاقبال بالقلب والقالب .

﴿ خاتمة ﴾ في الصيام المسنون قال حجة الاسلام رحمه الله تعالى : اعلم ان استحباب الصوم يتأكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها يوجد في كل شهر وبعضها كل اسبوع أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة .

وكان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان حتى يظن انه في رمضان وفي الخبر (اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان) ولهذا يستحب ان يفطر قبل رمضان اياماً فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله ﷺ مرة وفصل مراراً كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلاثة إلا أن يوافق ورداً له . وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر

رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحـــرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد ، وأفضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو العقدة من الاشهر الحرم وهو من اشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحــــرم ورجب وليسا من أشهر الحج ، وفي الخبر (مامن ايام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله عز وجل من ايام عشر ذي الحجة ، إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليـلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده واهريق دمه) .

وأما مايتكرر في الشهر فاول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الايـام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، انتهى مع بعض حذف .

ومن المسنون صوم يوم الاثنين والخميس للخبر الحسن انه ﷺ كان يتحرى صومهما ويقول(تعرض فيهما الاعمال فاحب ان يعرض عملي وأنا صائم)أي تعرض على الله تعالى ، قال الشهاب ابن حجر وكذا تعرض في ليلة نصف شعبان وفي ليلة القدر فالاول عرض اجمالي باعتبار الاسبوع ، والثاني باعتبار السنة وكذا الثالث وفائدة تكرير ذلك اظهار شرف العاملين بين الملائكة وأما عرضهما تفصيلا فهو رفع الملائكة لها بالليل مرة وبالنهار مرة ، انتهى .

ويتأكد صوم تسع ذي الحجة ويوم عرفة لغـــير حاج، وعاشوراء وتاسوعاء وهو تاسع محرم ويسن صيام ستة من شوال وتتابعها عقب العيد أفضل ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتاب أسرار الصوم من احياء علوم الدين للغـزالي ففيه الغنية ، وفي النصائح لسيدي الناظم نفعنا الله به مانصه وأفضل الصيام صيام داود وهو أن يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أفضل من صيام الدهر كما ورد في الاحاديث الصحيحة قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى وهو اعنى صوم داود عليه السلام ابلغ في رياضة النفس وأقوى في مجاهدتها من صيام الدهر .

وصيام يوم الجمعة محبوب لفضله وشرفة ولكن مع الخميس أو السبت لأنه

ورد في افراده بالصوم نهي عن النبي ﷺ وعليك بالاكثار من الصوم مطلقاً فانه أبلغ الاشياء في رياضة النفس وكسر الشهوة واستنارة القلب وترقيقه وتأديب الجوارح وتقويمها وتنشيطها للعبادة وفيه الثواب العظيم والجزاء الكريم الذي لانهاية له ولا غاية وليس شيء من الاعمال إلا ولثوابه حد ومقدار سوى الصوم فان ثوابه لم يقدر بقدر ولم يحد بحد ، قال النبي ﷺ (كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها) قال الله تعالى (إلا الصوم فانه لي وأنا اجزي به يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك).

فتأمل رحمك الله تعالى جداً قوله تعالى (إلا الصوم فانه لي وأنا اجزي به)وتفكر في الوعد بالجزاء المطلق من السيد الكريم الجواد الرحيم وتأمل أيضاً في (خلوف فم الصائم الذي هو عند الله أطيب من ريح المسك)واستحضر معنى العندية الالهية الكائنة من الطيب بهذه المنزلة قلت ومن أجل فضل هذا الخلوف ومكانته عندالله تعالى كره الاستياك للصائم بعد الزوال حتى يفطر لأن السواك يزيله أويخففه وقال عليه الصلاة والسلام (الصوم جنة وحصن حصين) انتهى مع حذف .

(وأما الحج) فهو أحد أركان الاسلام قال الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام قال ﷺ (من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً) ثم إن الحج يكفر الصغاير والكبائر حتى التبعات على المعتمد إذا مات فيه أو بعده وقبل تمكنه من اذائها .

وفي الحديث (من حج ولم يرفث خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) فشأن المسلم الموفق أن لا يؤخر الحج مع الاستطاعة والامكان فانه لا يدري متى تعتريه العوائق .

وفي الحديث (من أراد الحج فليتعجل فانه يضل الضالة ويمرض المريض وتكون الحاجة) .

وفي رواية (تعجلوا إلى الحج فان أحدكم لا يدري مايعرض له) .

واعلم ان من أخر الحج مع الاستطاعة حتى صار معضوبا أو مات تبين فسقه من وقت خروج قافلة بلده من آخر سني الامكان ، وتبين بطلان سائر تصرفاته مما يتوقف صحته على العدالة .

ومن شروط الوجوب الاستطاعة والامن ونفقة الذهاب والاياب والاسلام والتكليف . وقد فصل ذلك العلماء في كتبهم سيما حجة الاسلام .

ثم ان أعمال الحج تنقسم ثلاثة أقسام اركان لا يتم الحج الا بها ولا يجبر شيء منها بدم بل لابد من فعلها ، وواجبات يصح الحج بدونها ولكن من ترك شيأ منها يجبره بدم سواء تركه سهواً أو عمداً و يأثم المتعمد ، الثالث السنن ولا إثم على تارك شيء منها وإنما يفوته بتركه كمال الفضيلة وهي مشروعة في أقوال كالاذكار والادعية والتلبية وافعال كطواف القدوم واستلام الحجر والرمل وغير ذلك مما هو مفصل في المطولات من كتب الفقه .

(فالاركان) خمسة : الاحرام ـ والوقوف ـ والحلق ـ وطواف الافاضة ـ والسعي ، وما سوى الوقوف أركان العمرة .

والواجبات ستة : الاحرام من الميقات ، ورمي الجمار والجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى ليالي التشريق وطواف الوداع.
وتؤدى النسكان أعني الحج والعمرة على اوجه ثلاثة : القران ، والتمتع ، والافراد وهو الافضل بشرطه وصورته أن يقدم الحج وحده فاذا فرغ منه خرج الى الحل وأحرم بالعمرة كاحرام المكي .

والقران ان يحرم بهما معاً اندراجاً للاصغر في الاكبر ، وأما التمتع فهو أن يحرم بالعمرة من ميقات بلده ويفرغ منها ثم ينشيء حجاً من مكة في أشهر الحج .

وعلى المتمتع دم بشرط أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام . والمحرمات على من دخل في

الاحرام لبس المخيط والتطيب والحلق والقلم ودهن شعر الرأس واللحية وكذا سائر شعر الوجه عند بعضهم والجماع ومقدماته والاستمناء وعقد النكاح من الزوجين وقتل صيد البر المأكول وقطع أشجار الحرم . ويحل أخذ نبات الحرم لعلف البهائم وفي بيع ذلك خلاف .

وقد علم ان الحج والعمرة يجبان في العمر مرة وانما ينبغي للقادر الاستكثار منه لما فيه من تعظيم شعائر الله وحرماته ولما فيه من الفضل العظيم الذي وردت به الاخبار ، قال رسول الله ﷺ (من قضى نسكه وسلم الناس من لسانه ويده غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وانفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين الفاً فيما سواه ، ذكر هذه الثلاثة المنذري ، وقال رسول الله ﷺ (من خرج حاجاً فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ، ومن خرج معتمراً فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ، ومن خرج غازياً فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة) وقال رسول الله ﷺ (من خرج في هذا الوجه لحج أو عمرة فمات فيه لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة) .

وقال رسول الله ﷺ (تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج حج بها عن أخيه) .

﴿ واعلم ﴾ أنه يتأكد على الحاج البداءة بالتوبة ورد المظالم وقضاء الدين واعداد نفقة من تلزمه نفقته والزاد الطيب الحلال . ويتعلم مايحتاج اليه في السفر ومناسك الحج والاعتناء بالرفيق قبل الطريق ويراعي السنن والآداب ويبذل الهمة في القرب إلى الله تعالى بانواع القربات والتصدق على فقراء الحرم سراً والتحري للطواف ليلا فان في ذلك تأثيراً لصلاح القلب والانابة ، ويسن استلام الحجر والركن اليماني وأن يبدأ بالطواف المسنون مع مراعاة الشروط والاذكار المستحبة والاكثار من الادعية المخصوصة بالاوقات والامكنة المعينة والتمجيد والتهليل والاستغفار في عرفات إذا حضر الموقف والاكثار من شرب ماء زمزم ويستحضر

مهماته عند شرب زمزم وفي الاماكن التي يستجاب فيها الدعاء مع الاوقات ، وقد نظمها العلامة عبدالملك العصامي فقال :

قــد ذكر النقاشُ في المناسِك	وهو لعمري عمدة للنـاسك
أن الدعـا في خمسة وعشرة	في مكة يقبل ممن ذكـــره
وهي الطوافُ مطلقاً والملـتزمْ	بنصف ليل فهو شرط ملتزمْ
وداخـل البيت بوقت العصر	بين يدي جـذعيـه فلتسقر
وتحت ميزاب له وقت السحرْ	وهكذا خلفَ المقام المفتخـر
وعند بير زمزم شرب الفحول	إذا دنت شمسُ النهار للأفـول
ثم الصفا ومـــروة والمسعى	بوقت عصر فهو وقت يُرعى
كذا منى في ليلة البـدر إذا	بنتصف الليلُ فخذ مايحتذىَ
ثم لدى الجمـار والمزدلفـــه	عند طـلوع الشمس ثم عـرفه
بموقف عند مغيب الشمس قل	ثم لدى السدرة ظهراً وكمـل
وقد روى هذا الذى قـــد مرا	من غير تقييد بما قــد مرا
بحرُ العلوم الحسنُ البصري عن	خير الورى ذاتاً ووصفـا وسنن
صلى عليـــه الله ثم سلمـا	وآله والصحب ماغيث همى

(واعلم) أنه يسن متأكداً زيارة قبر سيد المرسلين وإمام المتقين سيدنا رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ ففي ذلك من الفضل مالا يحصى بل قال بعض العلماء انها واجبة وقد وردت احاديث مشهورة فمنها (حديث من حج ولم يزرني فقد جفاني) وحديث (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) وقال ﷺ (من زار قبري وجبت له شفاعتي) وليحذر كل الحذر من التكاسل الذي يحصل للحاج بعد انقضاء الحج والتسويف حتى يتخلف عن زيارة سيد المرسلين ورب آمل العود يفجـأه الموت قبل زيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومن كلام قطب الارشاد في ديوانه نفعنا الله به في التحريض على الزيارة والتحذير عن التخلف :

زيارته فوزٌ ونجحٌ ومغـنمٌ	لاهل القلوب المخلصات الطواهر

بها يحصل المطلوبُ في الدين والدُّنا ... ويندفع المرهوبُ من كل ضائر
بها كل خير عاجل ومؤجـل ... ينال بفضل الله فانهض وبادر
وإياك والتسويفَ والكسلَ الذي ... به يُبتلي كم من غـبي وخاسر
فانك لاتجـزي نبيَّك يافـتى ... ولو جئته سعياً على العين سائر
فبوركت من قبرٍ حوى سيد الورى ... وسامي الذرا بحر البحور الزواخر
نبي الهدى بحر الندى مجلي الصدى ... مبيد العدى من كل غاو وغادر
مزيل الردى ماضلَّ عبدٌ به اهتدى ... بعيدَ المـدى للحق داعٍ وآمر
امامٌ له التقديمُ في كل موطنٍ ... وصدرٌ على الاطلاق من غير حاصر
له تتبـع الرسلُ الكرام وتقتفي ... لآثاره في وردهـا والمصادر
نبوته كانت وآدمُ طينــةٌ ... وفيه انتهت غاياتُ تلك الدوائر
هو الساسُ وهو الرأس للأمر كله ... بأولهم يُدعى بذاكٍ وآخـرٍ
وتحت لواه الرسل يمشون في غد ... وناهيك من جاه عريض وباهر

﴿ خاتمة ﴾ قال حجة الاسلام ماملخصه جعل الله تعالى السفر الى الحج مثالا للسفر الى الآخرة ، فينبغي لك أن تستحضر عند كل عمل من اعمال السفر أمراً من امور الآخرة يوازنه ويماثله ، فيتذكر عند وداع الأهل والاصحاب عند السفر وداعهم في سكرات الموت ، ومن أخذ الزاد للطريق أخذ الزاد لطريـق الآخرة ، ومن بعد الطريق وخوف السباع والقطاع فيها تذكر بعد طريق الآخرة وفتنة منكر ونكير وعذاب القبر ، ومن الالتفاف في ثياب الاحرام الالتفـاف في الاكفان ، ومن السعي بين الصفا والمروة التردد بين كفتي الميزان أيهـما ترجح ، ومن الموقف موقف القيامة انتهى .

(وأما الزكاة) فأحد أركان الاسلام كما تقدم ، قال الله تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانـكم في الدين) وظاهره من لم يقم الصلاة ويؤت الزكاة لايخلى سبيله بل يقاتل وانه ليس من اخوان المسلمين ولهذا قال الصديق رضي الله عنه (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) رواه البخاري ومسلم .

وقال الله تبارك وتعالى (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة الآية) وقال تعالى (وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فمنع الزكاة من الكبائر . ومن موجبات الندامة يوم الطامة والخزى والعذاب الاليم قال تعالى (ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) وقال تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) وقال تعالى (ان الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .

وقال رسول الله ﷺ (مامن رجل يكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ماتكون وأسمنه تطؤه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس) ويفهم من قوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) إن من لم يوق شح نفسه لا يفلح وأعظم الشح الشح بما فرض الله سبحانه وتعالى فمانع الزكاة لا يفلح لا في الدنيا ولا في الآخرة وقد عم الابتلاء والبلاء بالحرص والطمع وانتزعت البركات من الاموال بمنع الزكاة والاحتيال على الله التى لا تخفى عليه خافية ، وقد قال ﷺ (خمس بخمس مانقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، ولا حكموا بغير ماأنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا فشا فيهم الطاعون ، ولا طففوا الكيل إلا منع منهم النبات وأخذوا بالسنين ،ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر) .

وقال ﷺ (لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعو زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهدالله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم فأخذ بعضهم ما كان في أيديهم) .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال (أمرنا باقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزكّ فلا صلاة له) .

وروى الأصبهاني عن علي رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والواشمة والمستوشمة ومانع الصدقة والمحلل والمحلل له) .

وفي النصائح الدينية لسيدي الناظم نفعنا الله به (واعلم) ان من صلى وصام وحج ولم يزك ماله لم يقبل الله له صلاة ولا صياماً ولا حجاً حتى يخرج الزكاة وذلك لان هذه الاشياء مرتبط بعضها ببعض لا يقبل الله من عامل العمل ببعضها حتى يعمل بها كلها كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ وأما منع الزكاة فمن أكبر الكبائر وقد ورد فيه عن الله تعالى ورسوله تشديدات هائلة وتهديدات عظيمة ويخشى على مانع الزكاة من سوء الخاتمة والخروج من الدنيا على غير ملة الاسلام نعوذ بالله من ذلك وقد يعاقب قبل الموت كما وقع ذلك لقارون من بني اسرائيل حين منع الزكاة قال الله تعالى (فخسفنا به وبداره الارض) انتهى .

ومن المعلوم كما نطق به الكتاب ودلت عليه الاحاديث (لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فبالاستقامة حصول الخير والكرامة وبالعكس حصول الشر والندامة ، قال الله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) وقال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) (وينبغي للمؤمن) أن يخرج الزكاة غير مانّ ولا كاره فانه من صفات المنافقين ، قال تعالى فيهم (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) والمنّ محبط للثواب كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) ويستحب أن يخرج الزكاة من أجود ماله وأن يتحرى لصدقته أهل الفضل ومن تزكو به الصدقة والزكاة كالعالم والصالح وذي رحم وذي عيال .

وقد ورد (أطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين) واعلم أن الزكاة نوعان : زكاة أموال ـ وزكاة أبدان ... أما المال فعروض التجارة والثمار

والرطب والعنب والزروع المقتاتة والأنعام والذهب والفضة ، ولا يجب إخراج شيء من ذلك إلا إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول ، وقد فصّل العلماء نصاب كل شيء من ذلك وكيفية الصرف في كتب الفقه وبينوا جميع الاحكام المتعلقة بذلك مايستدعي ايراده تطويلا يُخرج هذا الشرح عن المراد .

وأما زكاة الابدان فهي الفطرة فتجب في كل شهر رمضان على كبير وصغير وحر وعبد من المسلمين القادرين ومن وجبت عليه لاحد نفقته وجبت عليه فطرته وهي صاع من غالب قوت البلد عن المؤدى عنه ويجب صرف الزكاة الى الاصناف الثمانية أو الموجودين وتجب النية .

وأما صدقة التطوع فلا يشترط دفعها الى الاصناف المذكورة بل هي تصح لغني وكافر وان كان الافضل دفعها الى غيرها .

وقد ورد في فضل الصدقة من الآيات والاخبار مايطول ذكره ومن الفوائد مالا يحصى ، أما الآيات فقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فلانفسكم وماتنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لاتظلمون) وقال تعالى (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير) .

﴿ ومن فوائد الصدقة ﴾ انها تطهر المال لقوله ﷺ (يامعشر التجار البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة) ومنها انها ترفع البلاء والامراض قال ﷺ (الصدقة تسد سبعين بابا من الشر) وقال ﷺ (داووا مرضاكم بالصدقه) وقال ﷺ (من كسا مسلماً ثوباً لم يزل في ستر الله مادام عليه منه خيط أو سلك) رواه الحاكم ومنها أن فيها ادخال السرور على المساكين وأفضل الاعمال ادخال السرور على المؤمنين قال ﷺ (وموجبات المغفرة ادخال السرور على اخيك المسلم أو اشباع جوعه وتنفيس كربه ومنها أن المال يبارك فيه ويكثر بسببها) قال الله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) وفي الحديث (مامن يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً) . وقال ﷺ (ماأحسن عبدالصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته)

ومنها أنها تحصن المال ، قال ﷺ (حصنوا أمـــوالـكم بالزكاة وداوو مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أنواع البلايا بالدعاء) ومنها أنها تظل صاحبها يوم القيامة من شدة الحر ، قال رسول الله ﷺ(كل امرىء في ظل صدقته حـــتى يقضى بين الناس ومنها أن فيها رضاء الله تعالى ، قال الله تعالى (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوابايديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وقال ﷺ (صدقة السر تطفي غضب الرب ومنها انها تغيظ الشيطان) .

روى الحاكم عن النبي ﷺ أنه قال (مايخرج رجـل شيأ من الصدقة حتى يفك عنها لحي سبعين شيطانا) وقال الله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمـــركم بالفحشاء) ومنها أن فيها الاقتداء بالانبياء والصلحاء ، ففي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال (ماسئل رسول الله ﷺ شيأ قط فقال لا) ويروى أنه ﷺ (حملت اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها) قال العلماء ينبغي للراغب في الخير أن لايخلي كل يوم من الايام من الصدقـة بما تيسر وان قل واعطاؤها سراً أفضل .

قال سيدنا الناظم في النصائح واعلم أن القليل عندالله كثير وكل معروف صدقة ولا تستحقر شيأ تفعله من الخير استحقاراً يمنعك من فعله ، قال عليه السلام (لاتحقرن من المعروف شيأ ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وتصدق كل يوم بشيء وان قل واجعله من أول النهار فان البلاء لايتخطى الصدقة) كما ورد ومعناه أن الصدقه تكون حاصراً بينك وبين مايقصدك من البلايا وإذا وقف السائل عليك فلا ترده خائباً ولو بشيء يسير فان لم تفعل أو لم تستطع فاياك أن تنهره أو تشتمه واصرفه عنك برفق ووجه طلق فان الانسان قد ينهر السائل نهرة لو اعطاه منها نصف ماله مثلا كانت تلك النهرة أرجح منه وربما لايساوي ثواب مااعطاه إثم ذلك الانتهار ولا ترد أول سائل يسألك واحذر من ذلك .

وإذا تصدقت فابدأ بأقاربك وأرحامك الفقراء وجيرانك المحتاجين فانهم أولى به من غيرهم والثواب في الصدقة عليهم أكثر وأعظم ، قال النبي ﷺ(الصدقة

على الاقارب صدقه وصلة) وقال عليه السلام (المتعدي في الصدقة كمانعها) ومن التعدي أن تعطي صدقاتك للاجانب والاباعد وأنت تعلم ان أقاربك وجيرانك أحوج اليها وعليك بصدقة السر فقد ورد أن ثوابها يضاعف على ثواب الصدقة الظاهرة سبعين ضعفاً وقال عليه السلام (صدقة السر تطفي غضب الرب) وأي شيء أعظم من غضبه سبحانه وتعالى وأما اطفاءه صدقة السر إلا لعظمها عنده سبحانه وتعالى قال الله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعماً هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) وإنما فضلت صدقة السر لأنها أقرب إلى الاخلاص الذي هو روح الاعمال ولأنها أبعد من الرياء المفسد للاعمال فاياك والرياء في صدقتك أو في شيء من أعمالك وإياك والمن بالصدقة على الفقراء فقد ورد فيه وعيد شديد . • •

ولا تطلب ممن تتصدق عليه مكافأة على الصدقة بنفع منه لك أو خدمة أو تعظيم فان طلبت شيأ من ذلك على صدقتك كان حظك ونصيبك منها وقد كان السلف الصالح يكافئون الفقير على دعائه لهم عند التصدق عليه بمثل دعائه مخافة نقصان الثواب وذلك غاية الاحتياط وكذلك لا تطلب من الفقير شكراً ولا مدحاً ولا أن تذكر للناس الذي أعطيته فينقص بذلك أجرك أو يذهب رأساً ولا تترك الصدقة مخافة الفقر أو نقصان المال فقد قال عليه الصلاة والسلام (مانقص مال من صدقة) والتصدق هو الذي يجلب الغنى والسعة ويدفع القلة والعيلة وترك التصدق على الضد من ذلك يجلب الفقر ويذهب الغنى قال الله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) انتهى .

ولما كانت التوبة قد أمر الله بها في كتابه العزيز ووردت بها الأحاديث والاخبار قال الناظم نفعنا الله به آمراً بها ومرشداً اليها :

* وكن تائباً من كل ذنب أتيته

ومستغفراً في كل حين من الوزر *

أي وكن أيها العبد السالك تائباً من كل ذنب أتيته وخطيئة عملتها لأن الخطايا لا سلم منها إلا المعصوم والتوبة لغة الرجوع يقال تاب إذا رجع وشرعاً الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ماهو محمود فيه وقد أمر الله تعالى بالتوبة عباده فقال (ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) الآية وقال تعالى (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون) وقال تعالى (إن الله يحب التوابين) الآية ولا يخفى معنى الحب هنا لاستحالة حقيقته في حق الله تعالى فيراد به غايته وهو الاحسان بمعنى أنه يثيبهم ، ومن الاحاديث قوله عليه الصلاة والسلام (توبوا إلى الله فاني أتوب اليه كل يوم مائة مرة) وقال ﷺ (التائب من الذنب كمن لاذنب له والمستغفر من الذنب وهومقيم عليه كالمستهزىء بربه) وقال ﷺ (إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب واستثنى الباري سبحانه وتعالى ممن عمل المعاصي من تاب عنها فقال (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب إلى الله متابا) وقال تعالى «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ماتفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله » الآية ، وقال ﷺ (من تاب قبل أن يغرغر قبله الله وباب التوبة مفتوح لايغلق) ففي الحديث (يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسطها بالنهار ليتوب مسيء الليل) وبالجملة فالتوبة مأمور بها ولها ثلاثة شروط الندم والاقلاع والعزم على أن لا يعود هذا إذا لم يتعلق بحق آدمي فان تعلق الذنب بحق آدمي فللتوبة إذن أربعة شروط ، وهي الثلاثة المذكورة آنفاً ،ورد الظلامة إلى صاحبها أوتحصيل البراءة منه تفصيلاً عندنا معاشر الشافعية ، وأما عند المالكية فيكفي تحصيل البراءة إجمالا وفيه فسحة فان لم يقدر على ذلك بأن كان مستغرق الذمم فالمطلوب منه الاخلاص وكثرة التضرع إلى الله لعله يرضى عنه خصماءه يوم القيامة ، ومن شروط التوبة صدورها قبل الغرغرة وهي حالة النزع وقبل طلوع الشمس من مغربها لأنه حينئذ يغلق باب التوبة فتمتنع التوبة على من لم يكن تاب قبل ، ولا فرق في عدم صحة التوبة في حال الغرغرة عند الاشاعرة بين الكافر والمؤمن العاصي . وأما

عند الماتريدية فلا تصح من الكافر في حال الغرغرة وتصح من المـــؤمن حينئذ .
والذنوب قسمان صغائر وكبائر وتجب التوبة من الصغائر كوجوبها من الكبائر، وليست الكبيرة منحصرة في عدد وهي كما قال ابن الصلاح كل ذنب كبر كبراً يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ، ولها أمارات منها ايجاب الحد ، ومنها الايعاد عليها بالعقاب ، ومنها وصف فاعلها بالفسق ، ومنها اللعن كلعن الله السارق . واكبرها الشرك بالله ثم قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وماسوى هذين منها كالزنا واللواط وعقوق الوالدين والسحر والقذف والفرار يوم الزحف وأكل الربا وغـــير ذلك فمختلف أمره باختلاف الاحوال والمفاسد المترتبة عليه ، فيقال لكل واحـدة منه هي من اكبر الكبائر كما قاله النووي ، وكل ماخرج عن حـد الكبيرة وضابطهـا فهو صغيرة ، ومن الكبائر الأمر بالفساد والسرقة وأكل أمـــوال اليتامى وضرب المسلم وشتمه وأخذ ماله بغير حق ، وشهادة الزور وقذف المحصن واليمين الفاجرة وشرب الخمر وغير ذلك مما بينه الشهاب ابن حجر في الزواجر .

وعندنا معاشر أهل السنة والجماعة لا يكفر مرتكب الذنب صغيرة كانت أو كبيرة عالماً كان مرتكبه أو جاهلا بشرط أن لا يكون ذلك الذنب من المكفرات كانكاره علمه تعالى بالجزئيات والا كفر مرتكبه قطعاً ، وأن لا يكون مستحلا له وهو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والا كفر باستحلاله لذلك خلافاً للخوارج ، فالكبيرة عندهم موجبة للكفر وعند المعتزلة موجبة للمنزلة بين المنزلتين صاحبها لا مؤمن ولا كافر وهذا في ارتكابها لا عن اعتقادها لأنه لو اعتقد حل بعض المحـــرمات المعلومة من الدين ضرورة كالخمر كفر بلا خلاف ، فمـــرتكب الكبيرة مخلد عند الفريقين ويعذب عند الخوارج عذاب الكفار وعند المعتزلة عذاب الفساق . والحق ماعليه أهل السنة من أن الكبيرة لاتخرج العبد من الايمان ولا تدخله في الكفر ولا تخلده في النار ولا تحبط طاعته .

ومما يرد على المخالفين لأهل السنة في هذه المسئلة القائلين ان المذنبين من المؤمنين يخلدون في النار بذنوبهم مانطق به القرآن في مواضع منها قوله تعالى (إن

الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) أي من جميع الذنوب الكبائر والصغائر غير الشرك فلا ريب عند أهل الحق ان من مات موحداً لا يخلد في النار وإن ارتكب من الكبائر غير الشرك ماارتكب وقد جاءت به الاحاديث الصحيحة منها قوله عليه الصلاة والسلام (وإن زنى وإن سرق) قال العيني في شرح البخاري والمراد من هذه الآية أي قوله تعالى (ويغفر مادن ذلك لمن يشاء) من مات على الذنوب من غير توبه ولو كان المراد من تاب قبل الموت لم يكن للتفرقة بين الشرك وغيره معنى إذ التائب من الشرك قبل الموت مغفور له .

وقال اللقاني اختلف في جواز العفو عن الكبائر بدون التوبة فجوز أهل السنة والجماعة بل اثبتوا وقوعه خلافاً للمعتزلة ، وتمسك اهل السنة على جواز العفو بأن العقاب حقه سبحانه فيحسن اسقاطه مع أن فيه نفعاً للعبد من غير ضرر لاحد وبالآيات والاحاديث الناطقة بالعفو والغفران .

(وباجتناب) الكبائر تغفر الصغائر قطعاً لقوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) إذ يلزم من الاجتناب اقامة الفرائض من الصلوات وغيرها وقد ورد في الحديث (الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح في الباب وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة الصحيحة المستحقة الشروط التي تقدم ذكرها وجاء أن الوضوء يكفر الصغائر وكذا الحج المبرور وهذا كله في الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى ، أما المتعلقة بحقوق الآدميين فلا بد من المقاصة فيها بأن يأخذ من حسنات الظالم ويعطي المظلوم فاذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيئات المظلوم .

(ثم ان المؤمن) لا ينبغي قطعاً أن ييأس من رحمة الله ولا يأمن من مكر الله وفي محكم التنزيل من المبشرات المتعلقة عما نحن بصدده قوله تعالى وهو أصدق القائلين جل جلاله (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) .

وللقاضي عياض في هذا المعنى قوله من الوافر من الله عليه وعلينا بالاحسان الوافر :

ومما زادني فـرحاً وتيهاً وكدتُ بأخمَصي أطأُ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

ثم ان الرجاء والخوف كلاهما ينبغي للعبد أن يتصف بهما إذ هما كالميزان قال الناظم في قصيدته المينية :

والخوف لله العظيم وبالرجا فـكلاهما مثلُ الدواءِ الأنفعِ

ومعنى الخوف والرجاء هنا استشعار القلب شدةَ عـذاب الله تعالى واستشعار رحمته وغفرانه ويجمع ذلك في قلب المؤمن قوله تعالى (انَّ الله شديد العقاب ـ وإن الله غفور رحيم) (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير) .

ومعنى كونهما مثل الدواء ان الرجاء ينتج طول المجاهدة بالاعمال الصالحة والمداومة على تحمل المشاق لتكثير الاجور والخوف حـرز مانع من ارتكاب كل مافيه لوم فلا شك أنهما في جملة مقامات السالكين ، ومن أسباب الخوف العلم بالله وبصفاته ، قال تعالى (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ) ومنها معرفة عيوب النفس ومابين يديها من الاخطار والاهوال ، ثم إن الخوف تتفاوت درجاته بالنسبة إلى الخائفين فخوف العامة ليس كخوف الخاصة إذ العبد كلما زادت معرفته وتقواه زاد خوفه بل وزاد رجواه وما أحسن قول الصفي الحلي رحمه الله تعالى :

تبْ وادعُ ذاالجـلالِ بصدق تجـد الله للدعـاءِ سميعـا
لاتخفْ مع رجائك ذنبـاً إن الله يغفر الذنوبَ جميعـا

وقد أوضح مايتعلق بمقام الخوف أتم ايضاح حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى في الاحياء وذكر بأن الخوف أفضل للعبد الغالب على قلبه داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به والمعصية .

وأما من كان الغالب فيه اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء في حقه أفضل ، والأنسب اللائق بأهل الزمان أن يقال فيهم الخوف أفضل مطلقاً لما أفهمه كلام حجة الاسلام لأن المعاصي والاغترار وإن كان أغلب في جنس الخلق ففي الخلق المتأخر زمانهم أشد إذ لا يتأتى زمان إلا وهو أشد مما قبله والمشاهدة قاضية بذلك ، وورد (ما من يوم إلا والذي بعده شر منه ، وإنما يُسرع بخياركم) وورد أيضاً (يذهب الصالحون الاول فالاول) إلى آخر الحديث .

ومما يؤيد هذا قوله ﷺ (أتمكم عقلا أشدكم خوفاً لله تعالى) .

وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يارسول الله (الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة)وهو الرجل يسرق ويزني قال (لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا تقبل منه .

والتشديدات الواردة من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه ولا ضد للخوف إلا الأمن كما أنه لا ضد الرجاء إلا اليأس .

قال العلماء ان الاصلح أن يعتدل خوف المؤمن ورجاؤه بدليل ثنائه تعالى على من يدعوه خوفاً وطمعاً ورغباً ورهباً في قوله تعالى (ويدعوننا رغباً ورهباً (إنما غلبة الرجاء عند الموت أفضل وأصلح لأنه أغلب للمحبة .

وفي الحديث عنه ﷺ (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه) قال ابن عطاء الله: لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه ، فعظمة الذنب التي توقع العبد في اليأس والقنوط وتؤديه إلى سوء الظن بالله تعالى مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليه من ذنوبه ، وسبب ذلك جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ، ولو كان عارفاً بالله تعالى لا ستحضر ذنوبه في جنب كرمه وفضله ، فأي قدر للعبد أو قيمة حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه أن يغفره ، والاخبار والآثار في الرجاء وحسن الظن بالله وسعة رحمته أكثر من

أن تحصى فمن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بكتب القوم سيما كتاب الرجاء من قوت القلوب والاحياء وما أحسن قول بعضهم :

وما زلتُ أرجو الله حتى كأنني   أرى بجميلِ الظنِ ماالله صانعُ

وحيث كان الاستغفار من لوازم صدق التوبة من الاوزار بل هو مطلوب من العبد على كل حال أوصى به الناظم بقوله ومستغفراً في كل حين من الوزر أي كن مستغفراً في كل حين من الاحيان.

وقد جاء من الآيات والأحاديث في فضل المستغفرين والاستغفار مايرغب في ذلك فمنها قوله تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون ، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) وقال تعالى (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) وقال الله تعالى (أوما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغرفون) وقال تعالى (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) وقال تعالى (فقلت استغفرو ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً).

وقد أثنى الله على المستغفرين بالأسحار وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بالاستغفار وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر بقوله (واستغفر للمؤمنين وللمؤمنات) وقد روي أنه ﷺ قال (إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم سبعين مرة) وفي رواية (من قال استغفر الله في كل يوم سبعين مرة غفر الله له سبعمائة ذنب) .

ومن المأثور من استغفر الله كل يوم للمؤمنين والمومنات سبعاً وعشرين مرة صار من العباد الذين بهم يرحم الخلق وبهم يمطرون ويستغاث بهم ويستشفع بهم

وقال ﷺ (ألا أخبركم بدائكم ودوائكم إلا أن داءكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار) وسئل ابن الجوزي رحمه الله هل التسبيح أفضل أم الاستغفار أفضل فأجاب أن الثوب الوسخ تنظيفه أولى من تطييبه ، انتهى .

وذكر الشيخ القليوبي بأن كل محل طلب فيه ذكر بخصوصه فالاستغفار به أولى من غيره ولو من قرآن أو مأثور آخر .

﴿ خاتمة ﴾ تشتمل على مباحث :

المبحث الأول في بيان وجوب الأمر بالمعروف.

اعلم أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد صرحت بوجوب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف وذلك من أعظم مهمات الدين ؛ قال الله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) وقال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال تعالى(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وقال تعالى(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وقال تعالى (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو إنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) رواه البخاري .

والقائم في حدود الله تعالى معناه كما قاله النووي المنكر لها القائم في دفعها وإزالتها والمراد بالحدود مانهى الله عنه. ومعنى استهموا اقترعوا ،وقال ﷺ (من

رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) .

وهذا الحديث بين في كون وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل أحد، وأعلم أنه لا يسقط الوجوب عن فاسق ارتكب منهياً مثله بل من رأى منكراً وهو يرتكب مثله فعليه أن ينهى عنه . ولهذا قال إمام الحرمين يجب على متعاطي الكاس أن ينكر على الجلاس، وقال حجة الاسلام الغزالي يجب على من زنى بامرأة أمرها بستر وجهها عنه .

ثم إن الحديث وهو من رأى منكراً إلى آخره نص بان الوجوب على كل شخص قادر على إزالته باحدى المراتب الثلاث أما باليد فان لم يقدر فباللسان أي بالقول فان لم يقدر فيجب عليه الانكار بالقلب بأن يكرهه بقلبه ولا يرضى به ، والحاصل أن الانسان يأتي من ذلك بما يستطيع ولا يقصر في نصرة دين الله بحسب القدرة ، ثم إن المرتبة الاولى فلا يستطيعها غالباً ويتمكن منها إلا أرباب الولايات والمناصب ممن له شوكة أو مأذون له من قبل ولاة الأمر من القضاة والمحتسبين، لأنهم القادرون على ذلك دون غيرهم خصوصاً في هذا الزمان بخلاف المرتبتين فان كل مسلم ذي شوكة أو عالم أو عامي قادر عليها غالباً ومدعى العجز عنها متعلل ومتعذر في الأكثر بما لا يقوم به عذر نعم التغيير باللسان على العلماء آكد لاطلاعهم على أحكام الله تعالى ومعرفتهم بوجوه الكلام وإتقانهم كيفية الردع والزجر بالمواعظ والحكم، ويتأتى لهم ذلك على وجه العموم في تدريس وخطبة وكل ماأمكنهم من المجالس الخاصة والعامة .

وبالجملة فالعالم غير معذور في السكوت إذا رأى منكراً لأن فاعل المنكر يرتكبه لجهل أنه منكر أو لغفلة نشأت عن تساهل لكون المنكر مألوفاً أو يرتكبه عالماً بحرمته على وجه التحقيق ، فالاول يجب على العالم نهيه من حيث أنه نهى عن منكر وتبين للعلم الواجب تبيينه .

قال ﷺ (ما آتى الله علماً إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس) .

وقال ﷺ (من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار) .

والثاني والثالث : يجب على كل مسلم نهيهما عما إرتكباه بحسب القدرة فاذا وجب ذلك على العموم فعلى العالم أولى لعلمه بما يترتب على الفاعل وماعليه من الاثم ولاتقانه كيفية الردع .

ولعمري أن هذا هو الزمان الذي صار فيه العالم ساكتاً لم ينكر ولم يعلم بل يتعلل بما لا يقوم به عذر وديدنه تنفيذ الجور والظلم بمقتضى حظ نفسه ومهما قاده الهوى إختار إهلاك نفسه وبذل مال في تنفيذ ماتدعوه إليه النفس الأمارة بالسوء فهلا كان ذلك في نصرة الدين وحفظ شريعة سيد المرسلين .

ولقد أجاد الفقيه الأديب الشيخ أحمد بن عمر ابن أبي ذيب الحضرمي رحمه الله حيث قال في أثناء منظومة له :

فيا أولى العلم لانلتم فوائده ... إن لم يكن علمكم لله مبذولا
إلى متى ذا التواني عن مظاهرة ... تحل كربة هذا الدين تحليلا
قوموا لنصرته جداً فنصرته ... بكم ومنكم فلا تأتوا التعاليلا

ولوجوب النهي عن المنكر شروط أحدها أن يكون المتولي لذلك عالماً بأمر به وينهي عنه فليس للعامي أمر ولا نهي فيما يجهله . وأما الذي استوى في معرفته العام والخاص ففيه للعامي وغيره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وثانيها أن يأمن أن يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر منه كأن ينهي عن شرب الخمر فيؤدي نهيه إلى قتل النفس أو نحوه .

وقال بعضهم باشتراط غلبة الظن أن أمره بالمعروف مؤثر في تحصيله وإن النهي عن المنكر مزيل له .

وقال أكثر العلماء وهو المعتمد عند الشافعية لا يشترط هذا الشرط لأن

الذي عليه الأمر والنهي لا القبول كما قال تعالى (ماعلى الرسول إلا البلاغ) وقال تعالى (فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) قال النووي ولا يسقط عن المكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لايفيد في ظنه بل يجب عليه .

(المبحث الثاني) في بيان مايترتب على الساكت عن النهي عن المنكر وبيان تغليظ عقوبة من امر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله أما لآيات فقوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) الى قوله تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه (قيل يارسول الله أتهلك القوية وفيها الصالحون ، قال ﷺ نعم قيل بم يارسول الله قال بتهاونهم عن الله تعالى) ، وعن عدي بن عميرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله تعالى لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه) .

﴿ قال العلماء ﴾ في هذا الحديث أن المراد إذا ظهرت المناكر فيما بينهم ولم يبق أحد من الفسقة يستتر في معصية وعرف ذلك الخاصة من الناس على وجه التحقيق ولم ينكروه بما استطاعوا عمهم العذاب كالمصائب العامة والبلايا واستيلاء الظلمة والفجار .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) . رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وفي النصائح لسيدي الناظم مانصه وبلغنا أن الله تعالى عذب قرية فيها ثمانية عشر الفاً أعمالهم كاعمال الانبياء غير أنهم كانوا لايغضبون لله ؛ فقد تبين واتضح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لارخصة لأحد في تركهما عند القدرة والامكان وأن من اضاع ذلك وتساهل فيه فهو متهاون بحق الله وغير معظم لحرماته كما ينبغي، وقد ضعف إيمانه وقل من الله خوفه وحياؤه ، فان كان سكوته رغبة في

الدنيا وطمعاً في الجاه والمال ويخشى أنه إذا أمر أو نهى سقطت منزلته وضعف جاهه عند من أمره أو نهاه من العصاة والظلمة فقد عظم اثمه وتعرض بسكوته لسخط ربه ومقته ، فاما إذا سكت عن الامر والنهي لعلمه أنه يحصل له إذا امر أو نهى مكروه في نفسه أو ماله فقد يجوز له السكوت إذا تحقق ذلك وكان المكروه الذي يحصل له شديد أو له وقع ظاهر ولو أمر ونهى مع ذلك كان له أجر عظيم وثواب جزيل وكان ذلك منه دليلا على محبة الله وايثاره على نفسه وعلى نهاية الحرص على نصرته لدينه كما قال تعالى (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الامور) .

وما أحسن حال العبد إذا ضرب أو حبس أو شتم بسبب قيامه بحقوق ربه وأمره بطاعته ونهيه عن معصيته ذلك دأب الصالحين والانبياء والمرسلين والعلماء العاملين كما هو منقول في أخبارهم ومعروف من سيرهم وآثارهم ، ولا خير في الجبن والضعف المانعين من نصرة الدين ومجاهدة الظالمين والفاسقين لردهم إلى طاعة الله رب العالمين ، فان الغضب لله والغيرة له عند ترك أوامره وارتكاب نواهيه وزواجره شأن الانبياء والصديقين وبذلك وصفوا واشتهروا وعرفوا كما ورد في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام (كان لا يغضب لنفسه فاذا انتهك شيء من حرمات الله تعالى لم يقم لغضبه شيء) وكما قال عليه الصلاة والسلام في حق عمر بن الخطاب رضي الله عنه (قوله الحق وماله في الناس من صديق) وقال تعالى في وصف أحبابه من المؤمنين (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فتبين أن المؤمن الكامل لا يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدة المنكرات حتى يغيرها أو يحال بينه وبين ذلك بما لا طاقة له على دفعه .

وأما المنافق ومن ضعف ايمانه جداً فاذا رأوا المنكرات تعللوا وعذروا أنفسهم بالاعذار الركيكة التي لا يقوم بها حجة عندالله وعند رسول الله ﷺ وتراهم إذا شتموا أو ظلموا بشيء من أموالهم يقومون أتم القيام ويغضبون أشد الغضب ومن فعل معهم ذلك يخاصمونه ويصارمونه الزمان الطويل ولا يفعلون شيأ من ذلك مع

المصرين على الظلم والمنكر المضيعين لحقوق الله ، وإن المؤمنين الصادقين على العكس من ذلك يغضبون لله ولا يغضبون لأنفسهم ويقاطعون من عصى الله وترك أمره ويصارمونه إذا لم يقبل الحق ويصفحون ويتجاوزون عمن ظلمهم أو شتمهم فانظروا الفرق مابين الفريقين وكونوا مع أحسنهم فريقاً وأقومهم طريقاً واستعينوا بالله واصبروا (إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) انتهى .

ومن أقبح الامور لدى كل عاقل مخالفة الأقوال للافعال قال الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون) وقال تعالى اخباراً عن شعيب عليه السلام (وما أريد أن أخالفكم إلى ماأنهاكم عنه) وعن أبي زيد اسامة بن زيد رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يافلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه) وتندلق هو بالدال المهملة ومعناه تخرج الامعاء واحدها قتب ، ولقد تبين أن مخالفة القول للعمل من أفحش الامور كيف ويلزم من ذلك معصيتان خفية وجلية ؛ أما الجلية فارتكاب المعصية التي نهى غيره عنها أو مثلها كأن ينهى عن ترك الصلاة وهو لها تارك أو وهو زان ، وأما الخفية فلكون أمره ونهيه في الواقع رياء ونفاقاً حيث لم يكن مؤتمراً بما أمر به منتهياً عما نهى عنه كما يعلم ذلك من كلام أهل البصائر لاسيما إذا كان أمره ونهيه على ماهو عليه بمشهد الناس ولله در الشاعر في قوله :

أتهدي الأنام ولا تهتدي ... ألا إن تلك لاينفع
أيا حجر الشحذ حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع

﴿ وقيل في هذا المعنى ﴾

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فأنهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفي بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

﴿ وقيل في ذلك أيضاً ﴾

يا معشر القراء ياملح البلد ما يُصلح الملح إذا الملحُ فسد

أي أن العلماء أشبه بالملح بجامع الاصلاح إذ الملح صلاح كل شيء فاذا فسد الملح لم يصلحه شيء ، ولسيدي الناظم نفع الله به :

عجبت لمن يوصي سواه وانه لأجدر منه باتباع الوصية
يقول بلا فعل ويعلم عاملا على ضد علم يالها من خسارة

﴿ المبحث الثالث ﴾ في وجوب بذل النصيحة وقبولها ومايحتاج إليه من تصدي للوعظ والارشاد من الأخلاق والأوصاف ، أما بذل النصيحة للمسلم فقد ورد الكتاب والسنة به قال الله تعالى (إنما المؤمنون أخوة) وقال تعالى اخباراً عن نوح عليه الصلاة والسلام (وأنصح لكم) وعن هود عليه الصلاة والسلام (وأنا لكم ناصح أمين) .

وقال ﷺ (الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) رواه مسلم . وقال ﷺ (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) .

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال (بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) رواه البخاري ومسلم .

وقال رسول الله ﷺ (أيما عبد أتته موعظة في دينه إنما هي نعمة من الله سيقت إليه فان قبلها شكر وكان من المؤمنين وإن لم يقبلها فجر وكان من الكافرين الذين قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) وقال ابن مسعود رضي الله عنه (كفى بالمرء إثماً إذا قيل له إتق الله قال عليك نفسك) .

ثم إنه ينبغي لباذل النصيحة أن ينوي بذلك وجه الله تعالى كما أمر به صاحب الشرع ويحتاج إلى رفق فيما يأمر به وينهى عنه فان الغلظة لا تزيد إلا فسادا لاسيما في هذا الزمان ، قال الله تعالى لنبيه الكريم (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وأن لا يتعرض لصاحب المنكر بخصوصه بل يقول مابال الرجل يفعل كذا ولا يذكر اسمه أو مابال أحدكم أو مابال أقوام يفعلون كذا إذ القصد إزالة المنكر .

وفي الحديث (ما كان الرفق في شيء إلا زانه ومانزع من شيء إلا شانه) وبه يتبين أن اللطف وإظهار الشفقة والرحمة عليه مدار كبير عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يعدل عنه مادام يرجى نفعه نعم إن لم يفد ذلك فلينتقل إلى الوعظ والتخويف والغلظة والتعنيف بل والقهر إن قدر عليه ولم يخش فتنة إذ الضرر في هذا الزمان محقق على من لم يكن له تأييد تام من جهة الحكام ، وهنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فانها هلكة وهي أن العالم يرى عند التذكير والوعظ والتعريف عزّ نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل ، فربما يقصد بذلك إظهار التمييز بشرف العلم وإذلال غيره بالجهل فان اقترن بقوله هذا الباعث فهذا منكر أقبح من المنكر الذي يعترض عليه ويتصدى لازالته وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان الرجيم يتدلى بحبله كل انسان إلا من عرفه الله تعالى عيوب النفس وفتح بصيرته بانوار الهدى وطلب العلو والرياسة هو الداء العضال .

وينبغي أن يكون داعياً إلى الله بالقول والفعل ليساعد الحال المقال فيكون لكلامه وقع في القلوب وهيبة في الصدور لأن طباع الناس ميلها إلى مشاهدة الاعمال عن الأقوال أقوى ، واللسان كما قيل ترجمان القلب فاذا صفا من الأكدار وتزكى من الأغيار كانت ترجمانية لسانه على حسب الحلية وتأثيرها بمقتضى ذلك فيتكلم بالكلام الذي يلج آذان السامعين فتنفتح بسببه إذ ذاك قلوبهم إذ الكلام ، كما في الحكم العطائية يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه فان كان للمتكلم استقامة حصل به القبول التام وإلا فلا ينتفع به من جهة القائل غالباً وإن كان قد ينتفع به

من جهة حقيقته لما ورد (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً فالموبقات لعمري أنت جانيها

وينبغي أن يكون صابراً على مايصيبه بسبب دعوته إلى الله تعالى فان ذلك شأن الدعاة إلى الله تعالى من العلماء العاملين ، وأن يكون حليماً في نفسه لا يتضجر ولا يتضيق عما يقال له فيه ، وأن يكون ذا نظر لطيف إلى طبقات العامة ، وبالجملة فالامور التي يحتاجها الرجل المحتاج اليه في طرق باب الدين كثيرة صعبة تكاد أن لاتحتملها أبناء الزمان وأشار الى ذلك حجة الاسلام بقوله :

فان كنت في هدي الأئمة راغباً فوطين على أن تنتحيك الوقائع
بنفس وقول عند كل كريهة وقلب صبور وهو في الصدر نافع
وفي كل يوم أنت جارع غصة من الدهر والأخوان والقلب طائع

﴿ المبحث الرابع ﴾ في حقوق الاسلام والتعاون على فعل الخير ووزر الاعانة على معصية الله ، أما حقوق الاسلام فقد ورد القيام بها للمسلمين عموماً ، وورد القيام بها خصوصاً للمدلين باسباب زائدة على عموم الأسلام فيكون الأمر بالقيام لهم بها من ذكر الخاص بعد العام وهو يفيد طلب القيام بها لهم أتم القيام ومزيد الاعتناء بذلك .

أما ماورد في القسم الأول فقوله تعالى (واخفض جناحك للمؤمنين) وقوله تعالى (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (مثل

المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام — وعيادة المريض — واتباع الجنائز — وإجابة الدعوة وتشميت العاطس) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (المسلم أخو المسلم لايخونه ولا يكذبه كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى هاهنا بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) .

﴿ وقال الامام الغزالي ﴾ رحمه الله تعالى القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة معهم ركن من أركان الدين إذ الدين معناه السفر الى الله تعالى ، ومن آداب السفر حسن الصحبة في منازل السفر مع المسافرين . والخلق كلهم سفر يسير بهم العمر سير السفينة براكبها .

واعلم أن الانسان إما أن يكون وحده أو مع خواصة من الأهل قريب وجار أو مع عموم الناس . فهذه ثلاثة أحوال وعليه حسن الصحبة واداء الحقوق في جميع هذه الأحوال :

(الاول) أن يكون وحده فليعلم أنه بنفسه عالم مستقل وإن باطنه شمل على أصناف من الخلق مختلفي الطباع والأخلاق فان لم يكن يحسن صحبتهم ولم يقم بحقوقهم هلك واصناف جنود الباطن كثيرة وقد استقصينا منه بعضاً في كتاب عجائب القلب من الاحياء .

(الثاني) صحبة عموم الخلق وأقل درجات حسن الصحبة كف الأذى عنهم . وفوق ذلك أن يحتمل الأذى عنهم وفوق ذلك أن تحسن إلى من أساء اليك

منهم وذلك درجة الصديقين وتفصيل هذه الحقوق كثيرة ويجمع ذلك أن يعمل في حقهم مايجب أن تعمل في حقك من كف أذى واحسان واهتام . واعلم أن العبد في حق نفسه ، أما سالم وهو المقتصر على اداء الفرائض وترك المعاصي ، أو رابح وهو المتطوع بالقربات والنوافل أي مع ترك المناهي ، أو خاسر وهو المقتصر على اللوازم فان لم تقدر أن تكون رابحاً فاجتهد أن تكون سالماً واياك ثم اياك أن تكون خاسراً والعبد في حق سائر العباد له أيضاً ثلاث درجات :

الاولى ـ أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة وهو أن يسعى في مصالحهم رفقاً بهم وادخالا للسرور على قلوبهم .

الثانية ـ أن ينزل منزلة البهائم فلا ينيلهم خيره ولكن يكف عنهم شره .

الثالثة ـ أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لا يرجى خيره ويتقي شره فان لم تقدر أن تلحق بأفق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم الى حال العقارب والحيات اذا رضيت لنفسك النزول من أعلا عليين فلا ترض لها بالهوي الى أسفل السافلين فلعلك أن تنجو كفافاً لا لك ولا عليك . وان عجزت بالتيام بحفظ دينك مع خلطة الناس وكنت لا تسلم فالعزلة أولى لك ففيها السلامة ، انتهى .

وقد علم مما تقدم في هذا المبحث أن حق المسلم على المسلم عظيم وقل من يقوم بهذا الحق لقسوة القلوب ، وما سببها الا عدم الانفكاك عن المعاصي الظاهرة والباطنة كالرياء والحسد والكبر والعجب وشدة الغضب وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وحب المال والجاه وغير ذلك من معاصي الجوارح ولا مطمع لمن خالط أهل المعاصي في سلامة من هذه الخصال .

وقد قيل أن النظر الى وجوه العصاة يغشي البصر والبصيرة ويورث قسوة القلب عكس أهل الخير والصلاح فان مخالطة هؤلاء سم مجرب لأن النفس ميالة غالباً الى متابعة الهوى سريعة الانقياد الى من يزين لها سوء الاعمال وان القبيح

عند أهل الغفلة وجوهاً يستحسنها حتى يطيعهم من التبس عليه الحال فيخالف أمر الباري فيدخل في عموم من خالف قوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) ومن هذا لازالت أرباب البصائر تحذر من مخالطة العامة خشية من الوقوع فيما فيه ملامة ؛ كان الثوري يقول رضي الله عنه من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن راآهم وقع فيما وقعوا فهلكوا وما أحسن ماقاله السيد جعفر ابن العارف بالله محمد البيتي علوي نفع الله به وبأسلافه :

إنما الخلطةُ خلطٌ ووبا وأري العزلةَ من رأس السداد
ثقةُ الانسان عجزٌ بالورى بعدما قول الله في سورة صاد

• يريد قوله تعالى (وانّ كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) وبالجملة فمن أرسل جواد فكره في مضمار التأمل في أحوال العامة أو الاكثر وجد الفرار منهم هو الاصلح لمن أراد السلامة من المعاطب والاعتزال ماأمكن في هذا الزمان هو المناسب ، وفي الحديث (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) والذي لايعنيه مالاتدعو اليه الحاجة وهي اما دينية أو دنيوية فالدينية مايعتان به على العلم والعمل ، والدنيوية مايستقيم به البدن والعقل وورد (عليك بالخاصة ودع أمر العامة) وأنى يطيق ذلك من ليس له قدم صدق في طريق السادة الانجاب وحيث تعذر هذا الحال ولم يتيسر فالأحسن أن يكون المرء بالشخص معهم مخالطاً وبالمعنى منفرداً كما قال ابن مسعود خالط الناس وزايلهم ودينك لاتكلمنه بان يقوم بجميع حقوق الاسلام من الزيارات والعيادات وقضاء الحاجات ما أمكنه ويكتم مهماته عنهم ويباينهم في الشرور والبليات ، ويساعدهم في الخيرات قائماً بما يجب عليه من العبادات ، ويحذرهم بغاية جهده ويحتمل أذاهم ويتجمل بظاهره لهم ولا يعتب على أحد لايرجى منه الانصاف إلا أن يرتكب امراً محظوراً ودونك أبياتاً لسيدي ابن عطاء الله :

لاتشتغل بالعتب يوماً للورى فيضيعَ وقتك والزمان قصيرُ
وعلامَ تعتبهم وأنت مصدقٌ إن الامور جرى بها التقديرُ

هم لم يوفوا لـــلاله بحقـــه | أتريد توفيـــه وأنت حقير
فاشهد حقوقهم عليك وقم بها | واستوف منك لهم وأنت صبور
فاذا فعلت فأنت أنت بعين من | هو بالخفـايا عالم وخبـــير

﴿ وما أحسن قول القائل ﴾

إذا شئت أن تحيا ودينك سالم | وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء | فعندك عورات وللناس ألسن
وان أبصرت عيناك عيباً فقل لها | أيا عين غض الطرف للناس أعين
وعاشر بمعروف وجانب من اعتدى | وفارق ولكن بالتي هي أحسن

وأما الحقوق التي ورد القيام بها خصوصاً فهي للمذكورين في قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه)(وبالوالدين احساناً) (والجار ذي القربى) (وما ملكت ايمانكم) (وعاشروهن بمعروف) (والصاحب بالجنب) والمراد بالقربى هنا سائر الارحام وقد ورد في صلة الرحم مايحث على صلتهم ويحذر عن قطعها قال الله تبارك وتعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا) أي واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها ، وقال تعالى (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال (الرحم معلقة بالعـــرش تقول من قطعني قطعه الله ومن وصلني وصله الله) .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه : أن رجلا قال يارسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن اليهم ويسيئون الي وأحلم عنهم ويجهلون علي ، فقال لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال الله معك ظهيرا عليهـم مادمت على ذلك . وتسفهم بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء أي فكأنما تطعمهم المل وهـــو الرماد الحار وهو كناية عما يلحقهم من الاثم بادخالهم الاذى على مايحسن اليهم، وقال صلى الله عليه وسلم (أفضل الصدقة ــ الصدقة على ذي الرحم الكاشح) والكاشح المضمر العداوة تحت كشحه وهو خصره ، وقال سيدي الناظم نفعنا الله به : وإذا

وسعت الصدقة القريب والبعيد فاشتركوا فيها كانت على البعيد صدقة فقط وعلى القريب صلة وصدقة وقد قرن الله بين الامر بالاحسان الى القرابة والمساكين في آيات من كتابه مثل قوله تعالى (فـآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) ومثل قوله تعالى (وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين) الى غـير ذلك فلا شك أن صلة من له حقان معاً اولى من صلة من له حق واحد فليجتهد العبد الموفق في صلة أرحامه وأقاربه بكل مايمكنه ويستطيعه من بر ومعروف وهدية وصدقـــة وزيارة ومؤانـة ويفعل مع كل منهم ماينناسبه من ذلك ، وقد قال عليـــه الصلاة والسلام (بلوا أرحامكم ولو بالسلام) أي صلوهم بما تقدرون عليه ، قال : وقد عمت في هذا الزمان قطيعة الارحام وقلة المبالاة بصلتهم وتعهدهم ولعل السبب فيما حدث وعم العباد والبلاد من ضنك المعاش وضعف الارزاق وقلة ذات اليد هـــو القطيعة للارحام التي فشت وانتشرت في هذه الايام .

وقد وردت الاحاديث بان صلة الارحام منسأة في الآجال مثراة في الاموال وان الله تعالى قد بسط الرزق لأقوام وأكثر لهم الأموال وما نظر اليهم منذ خلقهم لعدم صلتهم أرحامهم فتكون القطيعة وترك الصلة على الضد من ذلك والله أعـــلم انتهى مع حذف .

وأما الوالدان فحقهما على الولد أعظم الحقوق بعد حق الله تعالى وحق رسوله، وقدحث الله على القيام بحقهما ونهى عن تركه واوعد على تركه ويكفي اللبيب قوله تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) وقوله تعالى (ان اشكر لي ولوالديك) حيث قرن الاحسان الى الوالدين مع توحيـده تعالى وعبادته وقرن شكرهما بشكره وقال تعالى (ووصينا الانسان بوالديـــه حسنا) وقال تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال (سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب الى الله تعالى قال الصلاة لاول وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قـال الجهاد في سبيل الله) رواه البخاري ومسلم .

وفي الصحيح جاء رجل الى رسول الله ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال (أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد) وقال ﷺ (رغم انفه رغم انفه قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة) وقال ﷺ (أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس) وورد (ملعون من عق والديه) وورد (لعن الله من سب والديه) وحيث علمت ماللوالدين من الحق الذي شهدت به الآيات القرآنية والاحاديث النبوية، فاعلم أن للولد أيضاً على الوالدين حقوقاً كالتعليم وتحسين التربية بان يعرفاه امور الدين ويبذلا الجهد في تعليمه مايجب عليه والخصال المرضية والتسوية في العطية إلى غير ذلك مما تقر به عينه .

وأما الجار فقد قال الله تعالى (والجار الجنب) أي البعيد (والجار ذي القربى) أي الذي قرب جواره وقيل الذي له قرابة ايضاً وقيل المراد بالجار ذي الجنب الذي لاقرابة له ولا رحم .

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ(مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) رواه البخاري ومسلم .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (والله لايؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من هو يارسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه) رواه البخاري ومسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت (قلت يارسول الله إن لي جارين فالى أيهما أهدي قال إلى أقربهما منك بابا) رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (يارسول الله إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذي جيرانها قال هي في النار) رواه الامام احمد وابن حيان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من يأخذ

عني هؤلاء الكلمات فليعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال ابو هريرة رضي الله عنه قلت أنا يارسول الله فأخذ بيدي فعد خمساً فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم لك تكن أغنى الناس ، واحسن الى جارك تكن مؤمناً ، واحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب .

وأما المملوك فقال الله تعالى (وما ملكت أيمانكم) بعد قوله تعالى (وبالوالدين إحسانا) أي وماملكت ايمانكم

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (انهم اخوانكم فضلكم الله عليهم وجعلهم تحت ايديكم فمن جعل اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه من العمل مايغلبه ، فان كلفه من العمل مايغلبه فليعنه عليه) رواه البخاري ومسلم .

ويجب على المالك أن يرشد مملوكه الى وظائف الدين ويأمره بالقيام بالفروض وما أوجب الله عليه قال ﷺ (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته) وفي النصائح مانصه ومن الاساءة الى المملوك أن لايقوم له بما يكفيه من الطعام واللباس وأن يكلفه من الخدمة فوق مايطيق وأن يشتمه ويضربه بغير حق فان فعل به شيأ من ذلك اقتص له منه في الدار الآخرة كما وردت به الاحاديث ومهما ضربه أو شتمه على أمر يستوجب به ذلك فعليه ان لايجوز ولا يتجاوز الحد وان عفا وصفح كان ذلك أحسن وأجمل وكان فيه الثواب العظيم من الله عز وجل ، وأما الاهل وهي زوجه فقال الله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وقال تعالى (وعاشروهن بالمعروف) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (استوصوا بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع أعوج فان اعوج مافي الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته فان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء) رواه البخاري ومسلم .

وقال ﷺ (اكمل المؤمن إيماناً أحسنهم خلقاً وأخياركم خياركم لنسائهم) رواه الترمذي .

وقال ﷺ (خيركم خير لأهله وأنا خيركم لأهلي) وأما حقوق الزوج فعظيمة وحسبك قوله ﷺ (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها) .

وقال ﷺ (أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) .

وقال عليه الصلاة والسلام (لا ينظر الله تبارك وتعالى الى امرأة لا تشكر زوجها وهي لا تستغني عنه) .

وقال ﷺ (إذا دعا الرجل زوجته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) .

وورد (أن الزوج لو سالت منخراه دماً أو قيحاً فلحسته المرأة بلسانها ماأدت حقه) .

وبالجملة فلكل من الزوجين على الآخر حقوق عظيمة ينبغي أن لا يقصر كل منهما بالقيام بها ، قال الله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن) .

وفي النصائح لسيدى الناظم مانصه وينبغي للزوج أن يسامح زوجته بعض المسامحة ولا يستقصي عليها في طلب القيام بالحقوق فيوقعها في الحرج فان النساء ناقصات عقل ودين والغالب عليهن التساهل والتغافل عن حقوق الازواج ومن سامح سامحه الله ومن تجاوز تجاوز الله عنه ، انتهى .

واعلم أن المسامحة مخصوصة فيما اذا وقع منها التقصير في حق الزوج ، وأما مايجب عليها من حقوق الله فلا نسامح فيه فلا تجوز المسامحة والمساهلة في ذلك بل يتأكد وجوباً أمرها باداء الفروض وفعل الواجبات ونهيها عن ارتكاب المحرمات قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وقال تعالى (وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وقد ارتكب غالب الناس معصية بترك امرهن بما يجب عليهن ونهيهن عما يحرم عليهن وغفل الكثير بان إقرار الشخص غيره على معصية الله مع القدرة على نهيه معصية كما أن الاجازة فيما هو معصية معصية إذ هي تتضمن الرضا

بها ، ومن هذا القبيل اذن الرجل لامرأته أو أمته وبقيـــة محارمـــه حيث كان خروجهن متوقفاً على اذنه ان تخرج من بيته الى غير مواضع مخصوصة حيث لم يؤمن ترتب الفساد في خروجها لاسيما في هذا الزمان الذي انفتحت فيه امور على النـاس من ابواب السوء لم تكن منفتحة على اهل العصر الخالية ولم تخطـــر ببال . وفي الحديث (مامن عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) ولو لم يكن من المحظور إلا الخروج على هيئة تدعو إلى نظر الاجانب ، قال الله تعالى (ولا تـــبرجن تبرج الجاهلية الاولى) وقال تعالى (ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها) .

وأما الصاحب فينبغي انتخاب الذي في صحبته خير بأن يكون صالحاً ولو من بعض الوجوه إذ الصلاح الكامل عزيز الوجود في بني العصر . وقـد ورد (لاتصاحب إلا مؤمناً ولا يأ كل طعامك إلا تقي) رواه ابو داود والترمـــذى باسناد جيد .

وقال ﷺ (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) رواه ابو داود باسناد صحيـح ، أي لأن النفس الأمارة بالسوء مجبـولة على الاقتـــداء بالمجالس والمصاحب غالباً وقد قيل شعراً :

إذا كنت في قوم فعاشر خيارهم ... ولا تصحب الأدنى فتردى مع الردي
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فـكل قـــرين بالمقـــارن يقتدى

﴿ وقال سيدنا علي كرم الله وجهه ﴾

ولا تصحب أخا الجهل ... وإيـــاك وإيـــاه
فكم من جاهل أردى ... حليماً حين آخاه
يقاسُ المرء بالمـــرء ... إذا ما هو ماشاهُ
وللشيء على الشيء ... مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلب عـــلي القلبِ ... دليلٌ حين يلقاهُ

﴿ ولسيدى الناظم نفعنا الله به وأجاد ﴾ :

واحذر مصاحبة الاشرار والحمقى والجاحدين ومن يلوي على الشغب

قال حجة الاسلام فاذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في أمر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال : الاولى ـ العقل . الثانية ـ حسن الخلق ، فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة . الثالثة ـ الصلاح ، فلا تصحب فاسقاً مصراً على معصية كبيرة . الرابعة ـ لا تصحب حريصاً . الخامسة ـ الصدق فلا تصحب كذاباً فانك منه على غرور فانه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب .

والناس ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت والآخر مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا انس فيه ولا نفع فتجب مداراته الى الخلاص منه وفي مشاهدته فائدة عظيمة إن وفقت لها وهو ان تشاهد من خبائث احواله وافعاله ماتستقبحه فتجتنبه ، فالسعيد من وعظ بغيره والمؤمن مرآة المؤمن ، انتهى ملخصاً ولعمرى ان هذا الزمان هو زمان الهرج والمرج الذي لا يأمن فيه الرجل جليسه كما في الحديث المشهور فرحم الله القائل :

وما زلتُ مذ لاح المشيب بمفرقي افتش عن هذا الورى وأكشفُ
فما ان عرفت الناس إلا ذممتهم جزى الله خيراً كل من لستُ اعرفُ
ومالىَ ذنب استحقُ به الجفا سوى انني احببت من ليس يُنصفُ

﴿ وقال الآخر ﴾

جزى الله عنا الخيرَ من ليس بيننا ولا بينه ودٌ ولا نتعارفُ
فما صابنا همٌ ولا نالنا اذى من الناس إلا من نودُ ونعرفُ

قال الفضيل رحمه الله تعالى هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر . وقال سفيان الثورى هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت إلى ان تموت .

وكأني بلائم يلومني بما اوردت في هذا المبحث لكوني من أبناء الزمان وإني لست بسالم من هذه الخصال وإني مشارك لأهل الزمان في قبيح الفعال وان ليس لي إلا القلقلة في الأقوال ، وأقول ليس قولي في هذا المبحث من باب تزكيـــة نفسي مع إعابة غيري كيف والنفس هي الامارة بالسوء ولكن من باب توبيخها على الأمور التي لاسلم منها إلا القليل ورؤية تقصيرها (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) ولقــد ابتلينا بزمان عز فيه الصدق وقل فيه الوفا وصار كل مشغولاً بعيب أخيه غـافلاً عن عيوبه فرحم الله الفقيه الاديب أحمـــد بن عمر أبي ذيب الحضرمي حيث قال في أهل وقته وأجاد :

إني أرى ناسَ هذا الدهرِ اغلبُهم	كالمعْزِ فافهم من المعزِ التمثيـلا
كُلاً تراه عميّاً عـــن معايبـــه	وبانتقاد عيوب النـاس مشغولا
عز الوفاء وقـــل الصدقُ بينهم	والحقُ أصبح متروكا ومجهـولا
شعائرُ الدين أضحت بينهم هزُؤاً	حتى لقد عدّ أهلوها مهـابيـلا

وأما التعاون على فعل الخير فمن أعظم الأسباب المجلبة لخير الامة الجالبة لكل غمة وقد أمرَ بذلك الحق سبحانه وتعالى فقال (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال تعالى (والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) قال الامام الشافعي رحمه الله مامعناه أن الناس أو اكثرهم في غفلة عن تدبر هذه الآية فتعاون الناس على أمر ما من الأسباب الميسرة له لاسيما في في امور الخير من إظهار شعائر الدين وإزالة المناكير المألوفة وغير ذلك من كل مايطلب إقامته أو إزالته ، قال سيدي القطب عبدالله بن علوي الحداد :

﴿ مُظاهرةُ الاخوان أمرٌ مقررُ

عليه يدور الشان فاستوص بالخلِّ ﴾

والاعانة على المعاصي شر للمعين بل موزور وزر المعان عليها كما في الحديث

وفي القرآن العزيز قوله تعالى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) أي لا يعن بعضكم بعضا أي على كل فعل فيه اثم وعدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد فيه ، وقال ﷺ (من أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكاً له فيها) وقال ﷺ (من دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيأ) ومن الاعانة على المعاصي دلالة كل ظالم على الظلم ؛ ومنها تعليم الفقيه المبطـل بفتح اللام المسائل في دعواه ليحتج بها على باطله توصلا إلى أخذ أموال الناس بالباطل فان ذلك اعانة على معصية وهذا هو الفقيه الضار نسأل الله السلامة من عذاب الجبار ونعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع .

ومنها دلالة المسلمين على عورات بعضهم بعضا وذكر عيب أحدهم ليحتقر ويؤذى لا على سبيل التحذير فهذه كلها إعانة على معاصي الله تعالى فينبغى التنبـه والاجتناب عن هذه الامور والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . رجعنا إلى ماتحن بصدده من شرح الابيات ثم قال سيدنا الناظم نفعنا الله به :

﴿عسى الواهبُ المولى الكريمُ بمنِّه

يجـود على ذنب المسيئين بالغفر﴾

اعلم ان عسى من الافعال الناسخة للابتداء فهي كـكان في رفعها الاسم ونصبها الخبر ولكن لا يكون خبرها غالباً إلا مضارعاً مقترناً بأن المصدرية نحـو عسى زيد أن يقوم وقد يأتي خبرها المضارع مجرداً عن أن كقول الشاعر :

عسى الهـمُّ الذي أمسيتُ فيه   يكونُ وراءَهُ فـرجٌ قريبُ

﴿وقول الآخر﴾

عسى فرجٌ يأتي بـه اللهُ إنه   له كلَّ يوم في خليقتـه أمرُ

وقد يأتي خبرها غير مضارع ولكنه قليل كقول القائل :

اكثرتَ في العـذل ملحاً دائمـا   لاتكثرن اني عسيتُ صائمـا

ومعناها عند النحويين الترجي لكن في حق الناس أما في حقه تعالى فهي للقطع كقوله تعالى (عسى الله أن يتوب عليهم) (فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين).

﴿ ومعنى البيت ﴾ عسى الواهب وهو المعطي من غير مقابل ومن غير سؤال المالك الكريم يجود بالستر على ذنب المسيئين بالغفران فانه الستار الغفار الذي عم إحسانه الطائع والعاصي والمسلم والكافر والبر والفاجر وكافة الموجودات كما صرح به الناظم نفعنا الله به حيث قال :

﴿ فاحسانُه عمّ الأنامَ وجودُه
على كل موجودٍ وأفضالهُ يجري ﴾

أي فان إحسانه تعالى عم أي وسع جميع الأنام وكذلك وجوده وسع كل موجود من إنس وجن وحيوان وجماد ، وأفضاله يجري على توالي الاعصار ومر الدهور والازمان (وبين جود وموجود) الجناس المطلق وهو مااختلف ركناه في الحركات والحروف فاشتبه بالمشتق الراجع معناه إلى أصل واحد وليس كذلك بأن يوجد في كل من اللفظين جميع مايوجد في الآخر من الحروف أو أكثر لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق نحو (قال إني لعملكم من القالين) (وجنا الجنتين) (وأن يردك بخير فلا راد لفضله) (ليريه كيف يوارى) ومن ذلك قول الشاعر :

بجانبِ الكرخ من بغداد عنَّ لنا ... ظبيٌ بنفره عن وصلنا نفرُ
ضفيرتاهُ على قتلى تظافرنا ... يامن رأى شاعر أودىَ به الشعر

﴿ ولبعضهم ﴾

سكرت من لحظه لا من مدامته ... ومالَ بالنوم عن عيني تمايلهُ
فما السلافُ دهتني بل سوالفه ... ولا الشمولُ دهتني بل شمائلهُ
ألوى بعزمي أصداغاً لوينَ له ... وقال صبري بما تحوي غلائلهُ

﴿ وله أيضاً ﴾

عذيري من طوالعَ في عـذاري ... ومن بُرد الشباب المستعارِ
وثوب كنت ألبَسُه أنيـقٌ ... أجرر ذيله بين الجـواري
وما زادتْ عـلى العشرين سني ... فما عذرُ المشيبِ إلى عـذاري

﴿ ومن هذا النوع قوله ﴾

إذ أعطشتك اكفُّ اللئامِ ... كفتك القناعةُ شبعا وريـا
فكن رجلا رجلهُ في الـثرى ... وهامةُ همته في الثُريـا
فان إراقـةَ ماءِ الحيـا ... ة دون إراقةِ ماء المحيـا

(ومن أنواع البديـع) اللف والنشر وهو أن تذكر شيئين أو أشياء أما تفصيلاً بالنص على كل واحد أو إجمالاً بأن تأتي بلفظ يشتمل على متعدد ثم تذكـر أشياء على عدد ماذكرته كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم وتفوض الى عقـل السامع رد كل واحد الى مايليق به لا أنك تنص عليه فالاجمالي كقوله تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) أي وقالت لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، وإنمـا سوغ الاجمال في اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى فلا يمكن أن يقول أحدالفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة فريق بالعقل في أنه يرد كل قـول الى فريقه الا من اللبس وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران والتفصيلي ثلاثة أقسام أحـدها أن يكون على ترتيب اللف كقوله تعالى (جعل لـكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) فالسكون راجع الى الليل والابتغاء راجع الى النهار وقول الشاعر :

ومقرطق يغني النديمَ بوجهـه ... عن كاسهِ الملأى وعن إبريقهِ
فعلُ المدامَ ولونها ومذاقُهـا ... في مقلتيـهِ ووجنتيهِ وريقهِ

﴿ وقال آخر ﴾

لقد ألجم العذالَ وجهُ معـذبي ... وقد لاحَ في جنح الظلام فأسرجا

وفـــرج غمي ذات يوم بزورة فقلتُ لعيني انعما وتفـــرجـا
ظلاماً وبدراً فوق غصنٍ على نقـا دُجا وتجلى وانثنى وترجرجـا

الثاني أن يكون على ترتيبه معكوساً كقوله تعالى (يوم تبيض وجـــوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم) الخ وقول الشاعر :

كيف أسلو وأنت حِقفٌ وغصنٌ وغزالٌ لحظـا وقـــداً وردفا

فاللحظ للغزال والقد للغصن والردف للحقف وهذا يسمى معكـــوس الترتيب وكقول أبي فراس الحمداني :

وشادن قال لي لما رأى سقمـــي وضعف جسمي والدمع الذي انسجما
أخذت دمعك من خدي وجسمك من خصري وسقمك من طرفي الذي سقما

والثالث أن يكون لا على ترتيبه لا طرداً ولا عكساً ويسمى المشوش كقول سيدي عبدالغني النابلسي قدس سره :

من لي بحب مليح طـوّل جفوته للعاشقين كما يختـــار فضاح
ولحظه ومحيـاه وقـامتـــه بدر الدجا وقضيب البان والراح

ومن أنواع البديـع الاستثناء وهو قسمان لغوي وصناعي فاللغوي ماذكره النحاة وهو اخراج القليل من الكثير والصناعي هو الذي يفيد اخراج القليـــل من الكثير معنى زائداً حسناً يستحق به الاتيان في باب البديـع ومتى لم يكن فيه ذلك لم يعد من البديـع ومن أمثلته في الشعر قول النميري :

فلو كنت كالعنقاء أو في أطومها لخلتكَ إلا أن تصد تراني

فان هذا الاستثناء يتضمن زيادة مدح الممدوح وذلك أن الشاعر يقول إنني لو كنت في حال العدم البحت كالعنقاء لأن العرب تضرب المثل بالعنقاء لكـل شيء متعذر الوجود لخلتك متمكناً من رؤيتي ليس لك مانع يمنعك منها إلا من جهتك فانت في القدرة على غير مغالب وهذا نهاية المدح وقال بعضهم من قصيدة :

هزّوا القدودَ فأخجلوا سمر القنا ... وتقلدوا عوضَ السيوف الأعيُنا

وتقدموا للعاشقين فكلهم ... طلبَ النجاة لنفسه إلا أنا

فان في الاستثناء زيادة تظلم له وشكاية حال ومن الاستثناء نوع سماه زكي الدين ابن أبي الاصبع استثناء الحصر وهو غير الاستثناء الذي يخرج القليل من الكثير ونظم فيه قوله :

إليك وإلا لاتشدُّ الركائب ... ومنك والا لاترام المطالبُ

وفيك وإلا فالرجاء مضيع ... وعنك وإلا فالمحدث كاذب

(ومن أنواع البديع) المذهب الكلامي وهو أن يأتي المتكلم على صحة دعواه وابطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية يصح نسبتها الى علم الكلام اذ علم الكلام عبارة عن اثبات اصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة . وقال ابن حجة وأوضح الادلة في شواهد هذا النوع وأبلغها قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) هذا دليل قاطع على وحدانيته جل جلاله وتمام الدليل أن تقول لكنها لم تفسدا فليس فيها آلهة غير الله ، ومن شواهد هذا النوع قول بعضهم :

لو يكون الحب وصلاً كله ... لم تكن غايته إلا الملل .

أن يكون الحب هجراً كله ... لم تكن غايته إلا الأجل

إنما الوصل كمثل الماء لا ... يستطاب الماء الا بالعلل

فالبيتان الاولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فانه قاس الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر ولابي تمام من قصيدة مشهورة :

واذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

(ومن أنواع البديع : الاتساع) وهو أن يأتي المتكلم بكلام يتسع

فيه التأويل بحسب ماتحتمله الفاظه فتتسع الرواة في تأويله على قدر عقولهم بحسب قوى الناظر فيه كقول امرىء القيس :

اذا قامتا تضوَّعَ المسك منهما — نسيم الصبا جاءت بريا القرنفلِ

فان هذا البيت اتسع النقد في تأويله فمن قائل يتضوع المسك منها تضوع نسيم الصبا ومن قائل يتضوع المسك بفتح الميم يعني الجلد بنسيم الصبا والاول أنور الوجوه وقال أبو الطيب المتنبي :

لولا مفارقة الأحبابِ ماوجدتْ — لها المنايا الى أرواحنا سبُلا

فالظاهر أن قوله لها جار ومجرور يتعلق بوجدتْ لكن فيه تعدي فعل الفاعل الظاهر الى ضميره المتصل وذلك ممتنع كقوله ضربه زيد فينبغي أن يقدر صفة في الاصل لسبلا فلما قدم عليه صار حالا منه كما أن قوله الى أرواحنا كذلك اذالمعنى سبلا مسلوكة الى أرواحنا ولك في لهاوجه غريب وهو أن تقدره جمعاً للهاة كحصاة وحصا وتكون المنايا مضافة اليه ويكون اثبات اللهوات للمنايا استعارة شبهت بشيء يبتلع الناس ويكون اقام اللها مقام الافواه المجاورة اللهوات للفم (وقال آخر) :

رأت قمر السماء فاذكرتني — ليالي وصلها بالرقمتين

كلانا ناظر قمراً ولكن — رأيت بعينها ورأت بعيني

وهذا من المبالغة حيث ادعى أن القمر الحقيقي هو وجهها وان قمر السماء ليس قمراً حقيقياً وإنما اطلق ذلك عليه مجازاً لمشابهته لوجهها وقوله رأيت بعينها ورأت بعيني يرشد اليه لأنه رأى بعينها التي رأت بها القمر قمراً حقيقياً ورأت بعينه التي رأى بها وجهها قمراً مجازيا على زعمها وباعتبار الظاهر رجعنا الى مانحن بصدده فنقول لما كانت الصلاة على النبي ﷺ مفتاح السعادة وبها زيادة الفضل والحسنات وقضاء الحاجات وغفران الزلات ختم بها الناظم نفعنا الله به منظومته فقال :

﴿ وصلِّ على خيرِ البريةِ كلِّها

محمد المبعوثِ بالعذر والنذرِ ﴾

قوله وصل فعل دعاء والغرض به طلب الصلاة التي هي رحمة مقرونة بتعظيم تتوارد عليه وتغشاه امتثالا لقوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) والصلاة من الله على النبي ﷺ معناها رحمة مقرونة بالتعظيم ومن الآدميين تضرع ودعاء ومن الملائكة استغفار وانما لم يأت الناظم بالسلام مع الصلاة في بيت واحد لضيق النظم أو اكتفاء باتيانه به في بيت آخر لتحقق الجمع حينئذ بينهما .

والسلام هو التسليم من الآفات المنافية لغايات كمالاته ﷺ ولفظة الصلاة خصت بالانبياء فلا تستعمل في غيرهم الا تبعاً تمييزاً لمراتبهم العلية والحق بهم الملائكة لمشاركتهم لهم في العصمة وان كان الانبياء أفضل من جميعهم ومن عدادهم من الصلحاء أفضل من غير خواصهم .

وقد اختلف هل ينتفع ﷺ بالصلاة والسلام عليه وكذا بسائر القرب المهداة اليه كقراءة الفاتحة المعتادة في المحافل فتهدى الى روحه الزكية أو لا ينتفع بها والصحيح نعم ، والى ذلك أشار السجاعي بقوله :

وصححوا بأنه ينتفع	بذي الصلاة شأنه مرتفعْ
لكنه لا ينبغي التصريح	لنا بذا القول وذا صحيح
وجائز يقول شخصٌ اجعلا	ثواب ذا للمصطفى من قد علا
أو مثله مقدماً لحضرتهْ	أو زده تشريفاً لأعلى رتبتهْ
إذا الزيادات التي في الفضل	لربنا لا تنتهي بالعقل
ومنع بعضهم لاهداء القرب	لحضرة النبي سيدِ العرب
قد رده المحققون فاعرفا	واحمدْ الكريم ربي وكفى

وفي الصلاة على سيدنا محمد ﷺ فضائل كثيرة وهي أفضل مايتقرب

به الى علام الغيوب وبالصلاة والسلام عليه تستنير القلوب وتنفرج الكروب ويزول عن القلب صداه ويدرك الانسان مناه وبهما تفتح أبواب الخير والارزاق الحسية والمعنوية اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صلاة دائمة بدوام ملكك صلاة تليق بك منك إليه عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، وفي الحديث الصحيح (من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب) وورد (أن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) وقال ﷺ (أتاني جبريل ببشارة لم يأتني بمثلها قط فقال من صلى عليك مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ومن صلى عليك عشراً صلى الله عليه بها مائة ومن صلى عليك مائة صلى الله عليه بها ألفاً ومن صلى عليك ألفاً حرم الله جسده على النار) ولله در من قال :

إن شئت من بعد الضلالة تهتدي	صل على الهادي البشير محمد
يافوز من صلى عليه فانه	يحوي الأماني بالنعيم السرمدي
ياقومنا صلوا عليه لتظفروا	بالبشر والعيش الهنيء الارغد
ويخصكم ربُّ الأنام بفضله	والفوز بالجنات يومَ الموعد
صلى عليه اللهُ جل جلاله	مالاح في الآفاقِ نجمُ الفرقد

وفي الحديث عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لاتجعلوني كقدح الراكب) فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه أو إلى وضوء توضأ وإلا اهراقه (ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه (إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيأ فليبدأ بحمدالله والثناء عليه بما هو أهله ثم ليصل على النبي ﷺ ثم يسأل فانه أجدر أن ينجح) .

وقال ابن عطاء : الدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فان وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق

أسبابه أنجح ، وأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه للاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار ،وأسبابه الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث (الصلاة بين الدعاء لا يرد) وفي حديث آخر (كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة علي صعدت الدعاء) .

وبالجملة فينبغي لطالب خيري الدارين أن يلازم الصلاة على النبي ﷺ بنية صادقة مع تحري الأوقات فانها أعني الصلاة على النبي ﷺ وسلم معراج لمن لم يجد شيخاً مربياً ولا غرو فانه ﷺ هو الواسطة العظمى بين الله وبين العباد وجميع النعم الواصلة اليهم التي أعظمها نعمة الايمان والاسلام إنما هي ببركته ﷺ ، وكيف وهو أصل الايجاد ومنبع الاسعاد الذي قال الله تعالى في حقه إظهاراً لشرفه (لولاك لولاك لولاك لما خلقت الافلاك) .

ولا بأس بايراد صيغ من الصلوات على النبي ﷺ منسوبة لبعض العارفين وينبغي المواظبة عليها اذ الصلاة على النبي ﷺ في الجملة نافعة ولها تأثير في تنوير القلوب خصوصاً إذا كانت مع الاستقامة وهي أنفع في هذه الاعصار لقلة المرشدين فيها والتباس الامور على كثير من الناس وقد تقدم انها كافية لمن لم يجد مرشداً فمن ذلك الصلاة المنسوبة لسيدي ابراهيم المتبولي وهي : اللهم إني أسألك بك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين وأن تغفر لي مامضى وتحفظني فيما بقي ياأرحم الراحمين . وعدد قراءتها في اليوم مائة مرة وإلا فبقدر الاستطاعة .

ومن ذلك الصيغة المنسوبة لسيدي القطب عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه وقدس الله سره العزيز وهي : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي الى صراطك المستقيم وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم .

ومن ذلك الصلاة المنسوبة لسيدي العارف بالله الشيخ شمس الدين الحنفي وهي: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم عـــدد ماعلمت وزنه ماعلمت وملأ ماعلمت ؛ وعدد قراءتها كل يوم مائة مرة .

ورأيت في اثناء تأليف لسيدي العارف بالله شيخ الاسلام احمدبن زيني دحلان نفعنا الله بعلومه وأسكنه في أعلا فراديس الجنان كلاماً نفيساً أحببت ايراده هنا لعزته ومناسبته لأمثالنا ، قال رحمه الله (وينبغي لمن قصرت أعماله أن يستعمل الصيغ العامة الجامعة في الصلاة على النبي ﷺ والاستغفار الجامع لينال بذلك ثوابا كاملا ويلتحق بالسابقين) وذلك مثل الصيغ المتقدمه في الصلاة على النبي ﷺ ومن أعظم صيغ الاستغفار (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ماالستطعت اعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوءبذنبي فاغفر لي إنه لايغفر الذنوب إلا أنت) فهو سيد الاستغفار .

وورد في هذه الصيغة فضائل كثيرة وكذلك (استغفر الله العظيم الذي لا اله إلا هو الحي القيوم واتوب اليه) .

ومن الصيغ المأثور عن بعض العارفين من السادة الخلوتية استغفر الله عدد المستغفرين وما استغفر به جميع خلقه من أهل السموات والارضين استغفاراً يفضل ويفوق فوق الفضل كفضل الله على جميع خلقه ، فالمواظبة على مائة من ذلك فيها أسرار عجيبة وأي صيغة يأتي بها العبد من صيغ الاستغفار تكفي لكن هذه الصيغ الفاضلة الجامعة أولى .

ومن صيغ الصلاة على النبي ﷺ : اللهم صل على سيدنا محمد الجامع لاسرارك والدال عليك وعلى آله وصحبه وسلم ، ذكر بعضهم أن من قرأهـا ليلة الجمعة الف مرة يرى النبي ﷺ خصوصاً اذا اتبعها بعد الفراغ منها بهذا الدعاء ثلاث مرات : اللهم يامن لاتحيط به الامكنة ولا تصفه الألسنة ولا يأخذه نوم ولا سنة أسألك باسمك الذي تعاليت به علواً كبيراً أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأن تجمعني به اجتماعاً متعارفاً يامن يقول للشيء كن فيكون. اللهم بجـاه

سيدنا محمد بن عبدالله اجمع بيني وبين سيدنا محمد بن عبدالله في الدنيا قبل الآخرة . ومما جرب لرؤية النبي ﷺ الاكثار من الصلاة على النبي ﷺ بقدر مائة مرة قول الابوصيري رضي الله عنه في الهمزية :

ليته خصني برؤية وجه ... زال عن كل من رآه الشقاء

قالوا الاستغفار يغسل القلوب من دون الذنوب، والصلاة على النبي ﷺ كالطيب تطيبها وتصيرها مهيأة لحصول الانوار والاسرار ، ولا إله إلا الله يحصل بالاكثار منها الانوار والمعارف فينبغي البداءة بالاستغفار ثم بالصلاة على النبي ﷺ ثم بالتهليل وفي حالة الاستغفار يكون العبد مشتغلا بمحاسبة القلب على الذنوب وتذكر نعم الله والشكر عليها وينظر الى من هو دونه في العلم والعمل والطاعة فيشكر الله على ماأولاه وإلى من هو فوقه فيحتقر أعماله ويتبرأ منها ويسأل الله الزيادة ؛ واذا اشتغل بالصلاة على النبي ﷺ يكون قلبه مشتغلا بالفكر في انواره وعظمته ﷺ وانه الواسطة العظمى في ايصال كل خير وأنه أفضل خلق الله وأكمل خلق الله ، وإذا اشتغل بالتهليل يكون فكره في أفعال الله وخلقه السموات والارضين وما بث فيهما من دابة وتقدير أرزاقهم وآجالهم وقضاء اوطارهم وغير ذلك من افعال الله ، ثم يترقى الى التفكر في صفات الله وعظمته وجلاله وكبريائه وهكذا ، ومما يعين على ذلك معرفة معاني اسماء الله الحسنى والتفكر في معانيها وقت التهليل واحداً بعد واحد وكل اسم منها يجلس في التفكر فيه مدة فانه ينفتح له منها معان كثيرة واسرار ترجع الى صفات الله واياه .

والتفكر في ذات الله تعالى واجمعوا على انه لا ينفع القلب بعد تهيئه لحصول الانوار مثل لا إله إلا الله سراً وجهراً والاكثرون على أفضلية الجهر بلا تشويش ولا بد من معالجة القلب في الحضور ، ولابد من الاكثار منها في القيام والقعود والحركة والسكون حتى تغلب العبد ولحمه ودمه وجوارحه فلا يشهد إلا الله تعالى ، فالذكر هو مصباح السائرين ومنشور الولاية من وفق له فقد فاز بالرضوان الاكبر وحظي بالنصيب الأوفر ، وهو وسيلة الى صفاء القلوب لأن القصد

صفاؤها وحضورها مع الله تعالى ومراقبتها له فلا تشهد غيره ولا يحصل ذلك إلا بعد تصفيتها من الصفات الذميمة وتحليها بالصفات الحميدة ومع عدم وجود ذلك فالذكر قليل التأثير لكنه مع المداومة عليه ، والإكثار منه يحصل ببركته الإنتقال من حال الى حال حتى يصل الى مقام الشهود والاحسان ولا بد من اظهار الذل وكثرة اللجا الى الله تعالى والتبري من الحول والقوة مع امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وذلك هو التقوى فانها في الظاهر امتثال الامر والانتهاء عن الزجر والوقوف تحت القهر وفي الباطن تخلية البال مذموم الخصال وتحليته بصفات الجمال والجلال حتى يصير العبد لا يشهد غير الله .

والعلم هو الموصل الى ذلك ولا بد من مطالعة شيء من كتب السلوك كالاحياء ومنهاج العابدين وعوارف المعارف للسهروردي وشرح حكم ابن عطاء الله وكتب الامام الشعراني كالعهود المحمدية والطبقات الكبرى والمنن وغير ذلك وكتب الحبيب عبدالله بن علوي الحداد كالنصائح الدينية والدعوة التامة وغير ذلك انتهى ماأردت نقله رجعنا الى مانحن بصدده قول الناظم نفعنا الله به (على خير البرية كلها) المراد بالبرية الخلق فهو ﷺ أفضل الخلق كما قال صاحب الجوهرة :

وأفضلُ الخلقِ على الاطلاقِ ... نبينا فملْ عن الشقاقِ

فان قيل يدخل في الخلق بمعنى المخلوقات الناقص مع أن تفضيل الكامل على الناقص نقص كما قال بعضهم :

إذا أنتَ فضلتَ امرأً ذانباهةٍ ... على ناقص كان المديحُ من النقصِ
ألم ترَ أن السيف ينقصُ قدره ... إذا قيل هذا السيف خيرٌ من العصي

أجيب بأن محل ذلك إذا فضل الكامل على الناقص بالخصوص كالمثال الذي في البيت بخلاف ماإذا فضل عليه في العموم وفي كلام الناظم رضي الله عنه إشارة الى قوله ﷺ (إن الله لما اختار الخلق اختار منهم بني آدم ، ثم لما اختار بني آدم اختار منهم العرب ، ثم لما اختار العرب اختار منهم قريشاً ، ثم لما اختار قريشاً

اختار منهم بني هاشم ، ثم لما اختار بني هاشم اختارني منهم ، فلم أزل خياراً من خيار ، إلا من أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن بغضهم فببغضي أبغضهم) ومحمد اسم مفعول مضعف أي مكرر العين موضوع لمن كثرت خصاله الحميـــدة سمي به نبينا ﷺ بالهام من الله لجده ولشرف هذا النبي الكريم جعل الله اشتقاق اسمه من اسمه المحمود والى ذلك أشار البرعي بقوله رضي الله عنه :

وشَقَّ له من اسمِـه ليُجلـّه — فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ
ينادَى بأسماءِ المحامِد والعــلا — ألا إنه اعلا وازكى وامجــدُ
ويذكر في التهليل مع ذكر ربه — وأن قيل في التأذين أشهدُ أشهدُ

(وقوله المبعوث بالعذر والنذر) أي المرسول بالاعذارَ والانذار والمراد بالاعذار ازالة اعذار الخلائق على حد قوله (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) قال الله تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا) وفي البيضاوي الاعذار محو الاساءة والانذار التخويف أي لاجل الاعذار للمحقين ولاجل الانذار للمبطلين والى المعنى أشار القائل بقوله :

محمدُ المبعوثُ أفضلُ مرسل — من الله إعــذارٌ الينا وانذارُ
من الفخرِ والعلياءِ جوهرُ ذاته — إذا كان صلصالا هناكَ وفخّارُ

والعذر من اخلاقه ﷺ فانه كان يقبل المعذرة عن اعتــذر اليه في ارتكاب امر غير لائق صادقاً كان أو كاذباً في اعتذاره ويحكم فيه بالظاهر ويكل سريرته الى الله تعالى كما وقع لكعب وغيره . وقبل ﷺ من المتخلفين عنه في غزوة تبوك عذرهم حين اعتذروا اليه في تخلفهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حــتى نزل القرآن بفضيحة منافقيهم وتوبة الصادقين المخلصين ويعلم من ذلك أن قبول المعذرة والصفح من شيم الكرام ومن الاخلاق المحمودة وقد قيل :

إقبلْ معاذيرَ من يأتيك معتذراً — أن برَّ عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يُرضيك ظاهرُه — وقد أجلّك من يعصيك مستترا

ولما كان نبينا محمد ﷺ أشرف النوع الانساني وأعظم المخلوقات وجمع الكمالات وصفه الناظم نفعنا الله به بكامل أوصافه العظيمة فقال :

﴿ نبيُ الهدى من عظـَّم الله شأنَه
وأيده بالفتحِ منـه وبالنصر ﴾

قوله نبي الهدى والمراد بالهدى الدلالة الموصلة بالنسبة لخصوص المؤمنين ومنه انك لاتهدي من أحببت ومطلق الدلالة بالنسبة لمطلق المكلفين ومنه (وإنك لتهدي الى صراط مستقيم)

(ثم ان) تعظيم الله اياه عليه الصلاة والسلام مما شهدت به الآيات القرآنية وقامت به البراهين العقلية والنقلية ، فرحم الله السفي الحلي حيث قال فيه ﷺ :

وخصَّك الله بالفضل الذي شهدت ... به لعمرُك في القرآن من طرفِ
فالخلق تُقسم باسم الله مُعلنـــة ... وباسمك أقسمَ ربُّ العرش للصدقِ

وكفى ثناء الله عليه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) وقوله (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك) وقال تعـالى مخاطباً له ﷺ (إنا أعطيناك الكوثر) وقال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقال تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وهو مقام الشفاعة الكبرى المخصوصة له في ذلك الموقف العظيم ، وقال المفسرون في قوله تعالى (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقاؤك يا محمد وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف .

قال ابن عباس رضي الله عنه (ماخلق الله وماذرأ ومابرأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره) .

قال بعضهم ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد ﷺ لأنه أكرم البرية عنده وبالجملة فلا يخفى على من له المام بشيء من العلوم أو خص بنزر من الفهم ما منح نبينا من الاعظام والاكرام من الله تعالى وما اختص من الله عز وجل من الفضائل والفواضل التي لا يحيط بها العد ولا ينتهي اليها حد.

ومن جملة فضائله ﷺ تخصيصه بخصائص وشمائل ليست في غيره من بقية الانبياء وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الظاهرة والكرامات التي رآها عياناً من كان في عصره وانتهى علم حقيقتها الينا وفاضت أنوارها علينا ﷺ (قوله وأيده بالفتح منه وبالنصر) أشار الناظم الى قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) الى قوله تعالى (وينصرك الله نصراً عزيزا) ولما صرح الناظم بذكر اسمه ﷺ صلى عليه باعادة الضمير اليه اعتناء بالصلاة عليه ﷺ فقال:

﴿ عليه صلاةُ الله ثم سلامُه

صلاةً وتسليما إلى آخرِ الدهرِ ﴾

ولم يأت بالسلام في البيت المتقدم اكتفاء باتيانه هنا ولا يقال أنه أفرد الصلاة هناك عن السلام لأن الاتيان به هنا كافٍ لحصول الجمع بينهما لما قيل أن الافراد يتحقق إن اختلف المجلس أو الكتاب أي بناء على التعميم وقوله صلاة وتسليما منصوبان على المفعولية المطلقة وقوله الى آخر الدهر المراد به تأبيد الصلاة والسلام عليه الى مالانهاية له ، والدهر اسم للزمان ولما كانت الصلاة على الآل مطلوبة أتى بها امتثالاً لقوله ﷺ (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) فقال نفعنا الله به:

﴿ مع الآلِ والأصحابِ ماهبت الصبا

وما زمزمَ الحادي وماغرَّد القُمري ﴾

(والاحسن) أن يفسر الآل هنا باتباعه من الموحدين إذ المقام يقتضي

التعميم لعدم القرينة الدالة على ارادة التخصيص اذ تفسير الآل بأهل البيت فقط مهما ذكر في عبارة انما هو عند وجود قرينة فيها نحو اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الذي اذهبت الرجس عنهم وطهرتهم تطهيرا ، فحينئذ يحمل عليهم فقط كما أنه يحمل على الاتقياء ان كان في العبارة مايستدعي تفسير الآل بالاتقياء نحو اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد الذي ملأت قلوبهم بأنوارك وكشفت لهم حجب أسرارك ، أما إذا خلت العبارة مما ذكر حمل على الاتباع فتلخص انه يختلف تفسير الآل باختلاف المقامات وبحسب القرائن .

ففي مقام الدعاء كل مؤمن ، وفي مقام الزكاة ونحوها مؤمنو بني هاشم والمطلب، قوله ماهبت الصبا الخ : المراد من ذلك تأييد الصلاة عليه ﷺ وخص الناظم نفعنا الله به الصبا من غيرها من الارياح كالشمال والدبور والجنوب لأن هذه المذكورات لم يكن فيها لطافة الصبا ، ولأنه ﷺ نصر بالصبا كما في الحديث نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور ، ولذا قال الابوصيري رحمه الله تعالى :

ومسيرُ الصبا بنصرك شهراً فكأن الصبا لديك رخاء

واعلم أن أصول الرياح أربعة : الصبا وهي تهب من جهة باب الكعبة وهي حارة يابسة . والدبور تقابلها وهي باردة رطبة . والشمال من جهة الكعبة وهي باردة يابسة . والجنوب تقابلها وهي حارة رطبة ، وأخرج ابن جرير وجماعة ان الجنوب من الجنة وفيها منافع للناس فخروجها أولاً من الجنة ثم تمر على النار فتكتسب منها الحرارة ، والشمال من النار تخرج منها فتمر بالجنة فتصيبها نفحة منها فبردها من ذلك فخروجها أولا من النار ثم تكيف بريح الجنة وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية لأن من شأن الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج ومن شأن الثانية ملائمة النفس وإزالة أكدارها .

وفي الفردوس للهروي عن ابن عمر أن الرياح ثمانية أربع عذاب وهي : العاصف والقاصف وهما بالبحر والصرصر والعقيم وهما بالبر ، وأربع رحمة وهي

الذاريات والمرسلات والمبشرات والناشرات ، ومما قيل في مدح الصبا قول الشاعر :

فيا نسيم الصبا عنهم أفد نبأ ... إن كان عندك عنهم يانسيم نبا
واحمل اليهم تحيات معنبرة ... عن مغرم بات يرعى طرفه الشهبا

﴿ وقال غيره ﴾

يحدثني الصبا عنكم حديثا ... يصح بنشره الجسم العليل
فاسكر من شذاها حين يصبو ... وانظر حين مامالت أميل
ليالي الوصل عودي بالليالي ... فكم يحيى بها مثلي قتيل

(قوله : ومازمزم الحادي وما غرد القمري) قد تقدم ان المراد تأبيد الصلاة عليه ﷺ والزمزمة هو الصوت والحركة وبذلك سميت زمزم لتزمزم الماء أي حركته من تحت قدم سيدنا جبريل عليه السلام في قصته مع النبي اسماعيل عليه السلام ، والمراد بالحادى المغني للعيس فهو اسم فاعل من الحداء الذي هو سوق الابل وزجرها وقد يطلق على المتغني بأصوات محننة لتسهرها فتسرع في السير ، والى ذلك أشار كشاجم حيث قال :

إن كنت تنكر أن في الـ ... ألحان فائدة ونفعا
فانظر إلى الابل التي ... لاشك أغلظ منك طبعا
تصغى لاصوات الحُدا ... ة فتقطع الفلوات قطعا

والقمري أحسن صوتاً من أصوات سائر الحمام وزيادة الصوت موجودة وحاصلة في جميع الخلائق .

﴿ تتمة ﴾ قد تكلم غير واحد من العلماء في السماع المعهود ، وأطال حجة الاسلام الكلام فيه وخلاصة القول فيه أنه مباح عند أهل الفقه بشروط معتبرة وتحرم عندهم إن لم تتوفر شروطه ، فمن شروطه أن لايكون المسمع امرأة لايحل النظر اليها وتخشى الفتنة من سماعها وما في معناها الأمرد المخشية فتنته ، وأن لا يكون في الشعر شيء من الخنا والفحش والهجو أو ماهو كذب على الله وعلى

رسوله ﷺ أو على الصحابة أو ذكر صفات امرأة معينة ، وأن لا تكون الشهوة غالبة على المستمع سواء غلب على قلبه حب شخص معين أم لم يغلب وأن لا يتخذه ديدناً ودأبه بأن يقصر عليه أكثر أوقاته ، قال الغزالي فيه فهذا هو السفيه التي ترد شهادته ، وان لا يكون في وقت الصلاة بحيث يستغرق فيه الى أن يخرج الوقت وأن لا تكون فيه آلة من شعار أهل الشرب وهي المزامير والأوتار وطبل الكوبة وماعدا ذلك يبقى على أصل الاباحة كالدف وان كان فيه جلاجل، وكالطبل والشاهين والضرب بالقصب وسائر الآلات قاله الغزالي .

(وأما عند الخواص) وهم أهل الصفوة فالسماع له شروط زائدة على ماتعتبره الفقهاء ودونك عباراتهم ، قال الشهاب ابن حجر في كتابه الزواجر نقلاً عن العارف القشيري ، وأما السماع عند أهل الحقائق فالشرط فيه فناء النفس بصدق المجاهدة ثم حياة القلب بروح المشاهدة فمن لم تتقدم بالصحبة معاملته ولم تحصل بالصدق منازلته فسماعه ضياع وتواجده طباع .

والسماع فتنة يدعو اليها استيلاء الفسق إلا عند سقوط الشهوة وحصول الصفوة إلى أن قال وبما ذكره يتبين تحريم السماع والرقص على أكثر متصوفة الزمان لفقد شروط القيام بآدابه ، انتهى .

وفي حاشية العلامة السيد مصطفى العروسي مانصه والحاصل ان السماع عندهم لا يرجع مباحاً إلا بشروط منها أن يكونوا في مكان لا يطلع عليهم غيرهم، وأن يكون القوال هو الذي يعدهم يذكر لهم من درر الشعر ونحوه مايناسب حالهم وتقوى به قلوبهم على السير الى الله تعالى بالترقي في المقامات العلية والنهوض اليها وترك التراخي والتسويف الشاغل عنها . وأن يكون القوال بغير أجرة ، وأن لا يكون معهم أحد من أبناء الدنيا ، وأن لا يكون معهم شبان وأن يكون سماعهم مع السكون والأدب لا مع الحركة والرقص وضرب الارض بالاقدام بإظهار التواجد انتهى .

وقال سيدي عبدالله بن علوي الحداد قدس سره في حكمة السماع يشفي

السقيم ويحيي الرميم إذا وقع من أهله مع أهله في الوقت القابل لذلك والمحـل اللائق به وهو فتنة على المسمع بالحظ والهوى وعلى المستمع على هذا الوجه ، انتهى .

وقال سيدي ابو بكر الكتاني قدس سره العزيز سماع العوام على متابعـة الطبع وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الاولياء على رؤية النعماء والآلاء وسماع العارفين على المشاهدة وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام ، انتهى .

وبهذه العبارات يتبين أن السماع عند أهل الحقيقة له شروط يعتبرونها لم يعتبرها الفقهاء إذ مطمح الفقيه النظر الى مايحل بظاهر الشرع ومطمح أهـــل الله مايجمع العبد على مولاه ، وإلى ذلك أشار الجنيد قدس سره حين سئل عن السماع فقال كل مايجمع العبد على مولاه فمباح انتهى ، فجعله مشروطاً بالجمع في اباحته حتى لا يتعدى حكمه موقوفاً على علته حتى لا ينكر .

وضرب الشيخ عبدالغني النابلسي قدس سره معياراً للسماع وهو أنـــه كالمطر والقلوب كالاراضي فبعض الارض إذا جاء عليها المطر نبت فيها النخل والعنب والرمان وشبهها ، وبعضها ينبت فيها الشوك والحنظل واضرابها وبعضها سبخـــة ماينبت فيها شيء وهو ميزان لطيف فلينظر السامع من أي الاقسام هو .

﴿ تنبيه ﴾ قد وقع لي فيما سلف من الزمان أني اجتمعت بأحد من المترسمين بالفقه فانجر الكلام بيني وبينه إلى الشبابة المعروفة التي تجمع مع الدف في سماع السادة بني علوي في حضرموت قديماً وحديثاً وكان العالم يتعجب من عمـــل هؤلاء السادة مع علمهم بان معتمد النووي تحريم اليراع وهو الشبابة .

(وأقول) إن الاعتراض على مثل هؤلاء بعلمهم ماهو إلا لقصور فهم المعترض عن ادراك مسائل الفقه الغامضة الدائرة بـــين الاحكام بمقتضى ظروف الاحوال والتوازن بين الرجال ، والذي ينبغي لذي جمود التوقف وتسليم الامـر لأهله أهل الصدق والنور والاستقامة المستهترين بحب الله تعالى والشوق اليه الذين لا تشغلهم الاصوات ولا النغمات عن الله تعالى وهم الذين لا ينظـرون إلى شيء إلا

يرونه فيه ولا يقرع سمعهم شيء إلا سمعوه منه أو فيه فسماعهم كما قاله حجة الاسلام الغزالي مؤكد للحب والعشق مهيج للشوق ومثور نار القلب ومستخرج ضروباً من المكاشفات والملاطفات لايحيط بها الوصف ، ويعرفها من ذاقها وينكرها من كمن حسه عنها .

ومن ثم قال العارف بالله احمد زروق في قواعد الطريقة قدس سره العزيز مطمح نظر القوم مايجمع قلوبهم على مولاهم فمن ثم قالوا باشياء في باب الآداب أنكرها من لم يعرف قصدهم وأخذها بغير حق من لم يبلغ حالهم فضل بها وزال كالسماع ونحوه ، انتهى .

• فان قلت لايلام الفقيه إذا أنكر عما يعتقد تحريمه قلت محله إذا لم يعتقد الفاعل الحل بتقليد صحيح لن يعول عليه من علماء مذهبه وهؤلاء لم يجمعوا الشبابة مع السماع إلا بعد اطلاعهم على أقوال العلماء القائلين بإباحة اليراع ، ورجحوا أقوالهم بادلة ظاهرة ومنهم الامام الرافعي وهو عمدة في تحقيق المذهب والشريعة المحمدية مبنية على التخفيف والتشديد كما بينه قوله ﷺ (اختلاف امتي رحمة) أي توسعة عليهم وعلى أتباعهم في واقعات الاحوال على أن الخاصة لا اعتراض عليهم ، • وقد أجاب بعضهم حين سئل عن الالحان المطربة بقوله : قد أباحه من لا يعترض عليه لقوة حاله فمن كان عنده شيء من نور المعرفة فليتقدم وإلا فالوقوف عندما حد له الشارع أولى وأسلم .

ووقع لسيدي عبدالله العيدروس صاحب الشبيكة بمكة أنه أمر باحضار السماع وكان عنده الشيخ الامام احمد بن حجر الهيثمي فصفق العلامة ابن حجر والحاضرون فقيل له في ذلك فقال رأيت جميع الموجودات تصفق وصفقت معها ، وألف كتابه المسمى كف الرعاع عن محرمات السماع فاخذ بعض العلماء من تعبيره بالرعاع أن العارفين لاحكم لنا عليهم فكتب الشيخ ابن حجر بعده وهو اخذ حسن مقبول لأن من تحلى بحقيقة المعرفة يكون مجتهداً فلا يعترض عليه لانه لم يسمع بشهوة تدعو لمذموم أصلاً قطعاً بخلاف غيره ، انتهى ما كتبه ابن حجر .

فإذا فهمت ماقاله العلامة ابن حجر وما أتى به من التعليل علمت أن التوقف عن اعتراض الخاصة في هذا هو الطريق الاسلم وإن من لم يسمع بشهوة تدعو لمذموم لاينكر عليه .

وإننا اذا نظرنا الى من يعتبر عليهم من المعنيين تجدهم غير خارجين عن المراتب الثلاث فانهم قسموا اهل السماع الى ثلاثة اقسام منهم . من يشاهد الوعيد فيرهب ، ومنهم من يشاهد الوعد فيرغب ، ومنهم من يشاهد الحق فيطرب ومن دأبهم في السماع تأدية النشائد المناسبة للاحوال التي تقوى بها القلوب على السير الى الله بالترقي الى المقامات العلية وتحثهم على النهوض اليها وترك التراخي والتسويف ولاشك ان من كان من أهل قسم من الاقسام المذكورة لايسمع لمذموم وان لم يزل عنه وصف حيوانية النفوس ولننقل هنا مايؤيد هذا من نصوص العلماء بل يفصح بصحة ذلك .

قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري في شرح المنهج صحح الرافعي حل اليراع ومال اليه البلقيني وغيره لعدم ثبوت دليل بتحريمه ، انتهى .

وفي شرح الاحياء للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى ما ملخصه ، وقال الرافعي وقد روي أن داود عليه السلام كان يضرب بها في غنمه ، قال وروى عن الصحابة الترخص في اليراع قالوا والشبابة تحث على السير وتجمع البهائم إذا سرحت وتجري الدمع وترقق القلب وهذه المعاني ليست موجودة في المزامير وبمثل هذا أجاب المصنف ولم تزل أهل الصلاح والمعارف يحضرون السماع بالشبابة وتجري على يدهم الكرامات الظاهرة ولهم الاحوال السنية ومرتكب المحرم لاسيما اذا أصر عليه يفسق به ، انتهى .

وفيه ايضاً قال الجاجرمي ولا يحرم اليراع واختار الجواز من المتأخرين ابن الفركاح والعز بن عبدالسلام وابن دقيق العيد والبدر بن جماعة .

قال السيد العلامة علوي بن احمد السقاف في حاشيته على فتح المعين

بعد أن أورد الكلام في البراع وعليه عمـــل بعض السادة الاشراف بني علوي بحضرموت ومنهم من بلغ درجة الرافعي والنووي في مذهب الامام الشافعي وتقدم في علم الظاهر والباطن كما حققه الامام الشيخ عبدالله باسودان وغيره ،انتهى .

رجعنا إلى مانحن بصدده وحيث انتهى الكلام في هـــذا الشرح الى هنا (فلنذكر) نزراً من فضائل صحابة رسول الله ﷺ وما يجب اعتقاده فيهم ولاهل البيت الاطهار من المفاخر الجسيمة وافتراض محبتهم على الامة .

اعلم أن أهل السنة والجماعة متفقون على أن صحابة رسول الله رضوان الله عنهم أجمعين على المنهج القويم وانهم نجوم الهدى في سماء الدعـــوة الى الصراط المستقيم لقوله ﷺ (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فهم أهل المجد الذي لا يسبق والـكمال الذي لا يلحق وانه تجب محبتهم جميعهم واحترامهم من غير غلو كما غلت بعض المخالفين في محبة سيدنا علي رضي الله عنه وقد اكثر الأئمة من التصانيف في ذكر فضائلهم ومناقبهم مشهورة لاينكرها إلا أعمى البصيرة وكفى فخراً أن الله تعالى شهد لهم بانهم خير القرون حيث قال (كنتم خـير امة اخرجت للناس) فانهم أول داخل في هذا الخطاب وكذلك شهد لهم رسول الله ﷺ بقوله في الحـــديث المتفق على صحته (خير القرون قرني) ولا مقام أعلا من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته ،قال الله تعالى(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقال تعـالى (الذين آمنـــوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بامـــوالهم وأنفسهم اولئك أعظم درجة عند الله وأولئك هم المفلحون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) وهذه الآيات واضرابها من آي القرآن المصرحة بالثناء عليهم وبفوزهم برضاء الله تعالى من أقوى الادلة على تضليل غلاة المخالفين والمعتقدين في بعض الخلفاء الاربعة ماهو برىء منه ولقد برأهم الله مما قالوا لانهم لاشك داخلون في عموم هذه الآيات ومن رضي الله عز وجل عنه لم ينل سخطه ، وقد قال الله تعالى (لقد رضي الله عن

المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال تعالى (رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) وبقطع النظر عن خصوص مالكل من الخلفاء الأربعة مما شاع وذاع من فضائلهم فماذا يقول المخالف أهم غير داخلين في عموم الفائزين المبشرين بالرضوان من الرب الكريم المثان العالم بالسرائر وخفيات الضمائر المطلع على عواقب الامور العالم بخائنة الاعين وماتخفي الصدور ، أيقول أحد من أهل القبلة أن الله اثنى على من ليس أهلا للثناء أم كان غير عالم بما يؤول اليه حالهم وهو العالم بما بطن وظهر ، فهلا نظر المخالف ثناء رسول الله ﷺ عليهم وتحذيره من سبهم وهو ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، قال ﷺ (لاتسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحُد ذهباً مابلغ مد احدهم ولا نصيفه) وقال ﷺ (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) والصرف الفرض، والعدل النفل ، وقال ﷺ (إذا ذكر أصحابي فامسكوا) وقال في حديث جابر رضي الله عنه (إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة : أبابكر وعمر وعثمان وعليا ـ فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم كلهم خير) .

وبذلك يجب أن لا نذكر أحداً من الصحابة إلا بخير ونقول (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) ومانقل فيما شجر بينهم واختلفوا فيه ماهو باطل من اخبار المؤرخين فلا يلتفت فيه وينبغي تحري أحسن المحامل فيما جرى بينهم واثبات اجر الاجتهاد للمخطىء وأجري الاجتهاد والاصابة للمصيب وانهم رضوان الله عليهم لا يصرون على عمد المعاصي وأن لم يكونوا معصومين ولأن الثناء عليهم من الله سابق ومانقل عليهم من الكلام اللاحق محتمل للتأويل والشكوك والموهوم لايبطل المحقق والمعلوم .

(قال إمامنا الشافعي) رحمه الله تعالى : دماء طهر الله أيدينا عنها فلا

نلوث ألسنتنا بها ، وسئل أحمد عن أمر علي وعائشة فقال (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ولله در صاحب العقيدة الشيبانية حيث قال :

ونسكت عن حرب الصحابة فالذي ... جرى بينهم كان اجتهاداً مجرداً
وقد صح في الاخبار أن قتيلهم ... وقاتلهم في جنة الخلد خلدا

والقول الصحيح أن سيدنا عليا هو المصيب في نفس الامر وبذلك اعتقاد أهل السنه والجماعة ، ثم ان الادلة العقلية والنقلية قاضية بانهم متكافئون في أصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وإنما يتفاوتون في الزيادة في ذلك (واجمعوا) أن الافضل ابو بكر الصديق صاحب المقامات العلية والاسرار الوفية والصديق لقبه واسمه عبدالله فهو أحقهم بالخلافة لمبايعة اكثر الصحابة له يوم موته ﷺ ثم باقيهم فتم له انعقاد الاجماع وانحسمت بخلافته مواد النزاع وفي شرح العقائد أن الصحابة اجتمعوا يوم توفي رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة واستقر رأيهم بعد المشاورة والمنازعة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه واجتمعوا على ذلك وبايعه علي رضي الله عنه على رؤوس الاشهاد بعد توقف كان منه ولو لم تكن الخلافة حقاً له لما اتفق عليها الصحابة ولنازعه علي رضي الله عنه كما نازعه معاوية ولاحتج عليه لو كان في حقه نص كما زعمت الشيعة وكيف يتصور في حق اصحاب رسول الله ﷺ الاتفاق على الباطل وترك العمل بالنص الوارد والى قصة اجتماع الصحابة في السقيفة كما مر آنفاً أشار صاحب الهمزية بقوله :

والمهدي يوم السقيفة لما ... أرجف الناس انه الداداء
أنقذ الدين بعد ما كان للدين ... على كل كربة اشفاء
أنفق المال في رضاك ولا من ... وأعطى جما ولا اكداء

الثاني من الخلفاء الاربعة سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق فقد اجتمعوا على أفضليته وأحقية خلافته بعد الصديق بعهد منه اليه وبخلافته اشتهر الاسلام

أتم الاشتهار وشاعت دعوته في الامصار ، وقـد أشار الى بعض مناقبه صاحب الهمزية بقوله :

وأبي حفص الذي أظهـر اللـه به الدن فارعـوى الرقباء
والذي تقـرب الاباعد في اللـه اليـه وتبعـد القرباء
عمر بن الخطاب من قـوله الفصـل ومن حكمه السوي السواء
فر منه الشيطان إذا كان فارو قاً فللناس من سناه انـبراء

وثالثهم في ترتيب الافضلية أبو عمرو ذو النورين عثمان بن عفان وهـذا ماعليه جمهور أهل السنة وذهب بعضهم الى تفضيل علي على عثمان ومنهم سفيان الثوري، ونقل المازني أن مالكاً توقف بينهما لكن حكى القاضي عياض أن مالكاً رجع إلى قول الاكثرين وأما استحقاقه الخلافة فلا خلاف لأن عمر رضي الله عنه عهد بالخلافة بعده الى اصحاب الشورى وهم ستة فاجتمع رأيهم على تولية عـثمان ثم يليه في الفضل على الخلاف المذكور مولانا مبدأ الفضل وختامه أمـير المؤمنين أبو الحسنين علي بن أبي طالب فهو الأحق بالخلافة بعد عثمان وهيجان الفتن عليه لاضرام الحساد والوشاة لها كان لأمور أخرى لا لعدم الاستحقاق وهـو المرتضى زوج فاطمة الزهراء وابن عم المصطفى والعالم في الدرجة العليا والمعضلات التي سأله كبار الصحابة ورجعوا الى فتواه فيها كثيرة شهيرة بحقيقة قوله عليه الصلاة والسلام (أنا مدينة العلم وعلي بابها) وقوله (أقضاكم علي) ولكثرة اعدائه من بني أمية والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه عاملهم الله بما يستحقونه من الجـزاء اشتغل اكابر الحفاظ بنشر فضائله واكثروا التأليف في نشر مناقبه ومزاياه نصحاً للامة ونصرة للحق(ومن ثم) كانت مودته وموالاته لاشك من كمال الايمان لقوله ﷺ (من كنت مولاه فعلي مولاه) وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية بقوله :

وعلي صنو النـبي ومن دين فـؤادي وداده والولاء
ووزير ابن عمه في المعـالي ومن الاهل تسعد الوزراء

لم يزده كشف الغطاء يقيناً بل هو الشمسُ ماعليه غطاءُ

ولكل من الخلفاء الاربعة فضائل تخصه لاتوجد في غيره وليس هذا محل شرحها ولكن ههنا كلام أوجبت المودة ذكره وأبى اليراع إلا نشره وأقول : اعلم انه حيث علم مما تقدم الافضلية بين الصحابة الاربعة على الترتيب المذكور وثبوت أفضلية الثلاثة على علي كرم الله وجهه ورضي عنهم فليعلم ان ذلك لا ينافي اطباق السلف والخلف على أنه أكثرهم فضائل وأعظمهم شمائل حتى صارت كفلق الصبح في الظهور يعلوها نور فوق نور وانه صنو رسول الله ﷺ من حيث اجتماعهما في أصل واحد وهو عبدالمطلب فهما كنخلتين أصلهما واحد .

ومن ثم قال ﷺ (انت مني بمنزلة هرون من موسى) وآخاه دون غيره وأرسله مؤذناً على الناس بسورة براءة في موسم الحاج مع أن الخليفة على الحج أبو بكر وذلك لأن العرب لايقبلون من بلغ عن الكبير إلا إذا كان من أهله وجلدته وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى ماعليه وأتاه بأهله فهذه كلها مؤذنة بوزارة خاصة لاتوجد في غيره ولهذا قال صاحب الهمزية :

ووزيرُ ابن عمه في المعالي ومن الاهل تسعد الوزراءُ

وقد حفظ القرآن رضي الله عنه وعرضه على رسول الله ﷺ واختلى بعد موته ﷺ وكتب كتاباً فيه العلوم حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بما يعلم كله (وقد شهد) المشاهد كلها لم يتخلف إلا في غزوة تبوك فان رسول الله ﷺ خلفه في أهله فقال يارسول الله أتخلفني في النساء والصبيان فقال (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لانبي بعدي) أخرجه الشيخان ، وفضائله كرم الله وجهه عظيمة شهيرة وقد جمعها خاتمة المحققين الشهاب ابن حجر في الصواعق وغيره ، وقال احمد ماجاء لأحد من الفضائل ماجاء لعلي ، وقال اسماعيل القاضي والنسائي وابو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد الحسان أكثر ماجاء في علي (وقال بعض) المتأخرين من ذرية أهل البيت النبوي وسبب ذلك والله أعلم ، إن الله اطلع نبيه على مايكون بعده مما ابتلي به علي وما وقع

من الاختلاف لما آل اليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الامة باشهاره تلك الفضائل لتحصيل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ، ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحاً للامة أيضاً ، ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني امية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج حتى قالوا بكفره اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحاً للامة ونصرة للحق .

(ومن غرر فضائله) ما اخرج الشيخان عن سهل ابن سعد والطبراني عن ابن عمر وابن أبي ليلى وعمران ابن حصين والبزار عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر (لأعطين الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) فبات الناس يذكرون يخوضون ويتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي ابن أبي طالب فقيل يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتى فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع فأعطاه الراية . ولذلك قال صاحب الهمزية :

وعلي لما تفلت بعينيه وكلتاهما معاً رمداء

فغدا ناظراً بعيني عقاب في غزاة بها العقاب لواء

فافهم هداك الله وإيانا إلى أقوم طريق وأوردنا وإياك مناهل أهل التحقيق أن هذا الحديث صحيح وأن من أحبه الله ورسوله فهو من الفائزين.
ومن غرر فضائله ماثبت عنه ﷺ انه قال (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) روى الحديث عن النبي ﷺ ثلاثون صحابياً .

(وفي هذا) الحديث فائدتان لاتخفى على من أرسل صافن القريحة في مضمار الافكار ونظر ما انطوى على هذا الحديث بعين الانصاف والاعتبار الاولى أن لفظ المولى يستعمل بازاء معان متعددة ورد بها القرآن العظيم فتارة يكون بمعنى أولى قال تعالى في حق المنافقين (مأواكم النار هي مولاكم) أي أولى بكم وتارة بمعنى

الناصر ، قال الله تعالى (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وإن الكافرين لا مولى لهم) أي لاناصر لهم ، وبمعنى الوارث قال الله تعالى (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان الخ ... وبمعنى العصبة ، قال تعالى (وإني خفت الموالي من ورائي) أي عصبتي وبمعنى الصديق ، قال تعالى (يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ) أي صديق عن صديق ، وبمعنى السيد والمعتق وهو ظاهر فيكون معنى الحديث من كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فان علياً كذلك .

ونتائج هذا الحديث لاتخفى عند أهل المعقول ثم إنه ﷺ أكد ذلك بقوله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فعلم أن من عاداه علي فقد عاداه الله لأن لأن الله أكرم من أن يرد دعاء نبيه ﷺ .

الفائدة الثانية أن قوله ﷺ (من كنت مولاه) هو اخبار بسمو قدر علي ومعناه الأمر بمحبته وموالاته إذ الغرض أن من كان يوالي النبي فليوال علياً فلا شك أن هذا أمر منه ﷺ بموالاة علي ونهي منه عن معاداته ، وقد قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فيكون عدم الامتثال بما دلت هذه الآية موجباً للوعيد الذي ذكره الله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

وبالجملة ففضائل سيدنا علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه كثيرة واقتصر بعض المؤلفين كالشهاب ابن حجر على جمع الغرر منها في الصواعق المحرقة وكفى فضلا ان رسول الله ﷺ جعله وصياً أيسوغ أن يقال أن رسول الله ﷺ جعل وصياً من ليس أهلاً أو من تزول أهليته أم يقال أن الله ارتضى لنبيه غير تقي أو غير أمين أو غير عدل ومما ثبت بالنقل المتواتر كون الشمس ردت عليه كرامة له لما كان رأس النبي ﷺ في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصل العصر فما سرى عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس فقال النبي ﷺ (اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعد ماغربت) وذكرت هنا والشيء بالشيء يذكر عجيبة ذكرها غير واحد وهي أن بعض المحبين لأهل البيت أطنب بعد العصر في مدح أهل البيت واستغرق في تعداد فضائلهم ومآثرهم حتى كادت الشمس أن تغرب

فقام على منبر وأومى إلى الشمس وأنشدها :

لا تغربي ياشمس حتى ينقضي ... مدحي لآل محمد ولنسله
واثني عنانك إن أردت ثناءهم ... أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لفرعه ولنجله

فطلعت الشمس وحصل في ذلك المجلس انس كثير وسرور عظيم ذكر ذلك في درر الاصداف هذا وفضائل أبي الريحانتين لاتحصى وكراماته لاتستقصى وقد أفردت بالتأليف وأجاد العلماء في جمعها لاسيما الشهاب ابن حجر ، ولا زال علماء الدين وأرباب البصائر الجامعين بين علمي الباطن والظاهر يثنون عليه مقتدين بالصحابة والسلف فانهم أثنوا عليه كما يعلم ثناؤهم من المؤلفات المذكورة ، ومن ثم قال البيهقي في الشعر الذي فاخر فيه علي كرم الله وجهه معاوية ان هذا الشعر مما يجب على كل متوان في علي حفظه ليعلم مفاخره في الاسلام وهو هذا من بحر الوافر :

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي

ومن كلام امامنا الشافعي محمد بن ادريس رضي الله عنه :

إذا نحن فضلنا علياً فاننا ... روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل ابي بكر إذا ماذكرته ... رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبهما حتى أوسد في الرمل

وقال أيضاً رضي الله عنه :

قالوا ترفضت قلت كلا ... ماالرفض ديني ولااعتقادي
لكن توليت من غير شك ... خير إمام وخير هادي
إن كان حب الولي رفضاً ... فانني أرفض العباد

(وقال ايضاً) ومما يجب على الامة التمسك بمحبة أهل بيت رسول الله وهم آله الذين حرمت عليهم الصدقة المفروضة وشرعت الصلاة عليهم تبعاً له في الصلوات الشرعية قال الامام الشافعي رحمه الله :

يا أهل بيت رسول الله حبكمُ	فرضٌ على الناس في القرآن أنزلهُ
كفاكمُ من عظيم القدر أنكم	من لم يصلِّ عليكم لا صلاةَ لهُ

وهم بنو هاشم وبنو المطلب وأفضلهم أولاد فاطمة رضي الله عنها وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل على علي وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فأنزل الله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وفيهم قال بعض الأفاضل :

إن النبي محمـــداً ووصيّه	وابنيه وابنتَهُ البتولَ الطاهرة
أهـلُ العباءِ وإنني بولائهم	أرجو السلامةَ والنجا في الآخرة

وهؤلاء هم أهل الكساء وهم المراد في آية المباهلة وهي (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) الآية بتمامها كما انهم من جملة المراد بآية التطهير فالمراد بأهل البيت فيها وفي كل ماجاء في فضلهم أو فضل الآل أو ذوي القربى وجميع آله ﷺ وهــو مؤمنو بني هاشم والمطلب هنا ودخل في ذلك بلا شك من جاء بعدهم من السلالة الطاهرة فقد ثبت لهم كل ماورد في أهل البيت من الآيات والاحاديث الدالة على علو مراتبهم وسمو مقاماتهم ووجوب مودتهم بل يجب حبهم ومودتهم بمجرد شرف نسبتهم إليه ، فهي فضيلة لاتزاحمها فضيلة المكاسب والاعمال ولا تشترط فيهم العصمة بل تجوز عليهم الذنوب ويعطون سائر الاحكام كغيرهم من عموم أهــــل الاسلام ، قال ﷺ (أحبوا الله لما يغدوكم من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهــــل بيتي بحبي) وقال ﷺ (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهــل بيتي إلى أن قال وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) .

وهذا من الاحاديث الدالة على بقاء هذا النسل المبارك في الارض بل

صرح بذلك الحديث المروى عنه ﷺ وهو (كل حسب ونسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي) وقال ﷺ (لكل نبي انثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فانا وليهم وأنا عصبتهم).

ثم إن أولاد الحسن والحسين ذريته ﷺ صدقاً وأولاده حقاً فانه ﷺ لما نزلت آية (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) الآية دعاهم فاحتضن الحسن وأخذ بيد الحسين ومشت فاطمة رضي الله عنها خلفه وعلي رضى الله عنه خلفها فعلم انهم المراد من الآية وإن أولاد فاطمة وذريتها وإن كثرت بينها الوسائط يسمون أبناءه وينتسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة يؤيد ذلك قوله تعالى (ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين ٭ وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلٌ من الصالحين) فقد ألحق الله عيسى عليه السلام بذرية إبراهيم وبذرية نوح باعتبار أن الضمير في ومن ذريته يعود عليه لأنه تعالى ذكر من جملتهم يونس ولوطاً فقال (وإسمعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين) وهما من ذرية نوح لا من ذرية إبراهيم. وعلى كل فما بينهما وبين عيسى عليه السلام أكثر مما بين الحسن والحسين وسيدنا محمد ﷺ ولا ينافي ماتقرر قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) كما يتوهمه من قصرت فهومه عن إدراك الحقائق وعاقه داء الحسد عن بلوغ الكمال أي عائق لأن ذلك إنما هو لانقطاع حكم التبني الذي كانت تعتقده قريش لا لما تقرره في بنوة الحسن والحسين وأولادهم كما هو مقرر في محله وحيث كانت الموالاة صفة كامنة في القلب لا تظهر إلا بظهور أفعال الموالين وكان من لازم ذلك الثناء باللسان أكثر أكابر هذه الامة في مدح أهل البيت رضي الله عنهم وكان الائمة الاربعة المجتهدون ملازمين احترامهم وتعظيمهم منهمكين في مودتهم وغيرهم من العلماء الجامعين بين علمي الظاهر والباطن ولله در صاحب الهمزية حيث قال فيهم:

آلَ طهَ لكم بطهَ إتصالٌ بينته للدين طاءٌ وهاءُ
آلَ بيت النبي طبتمْ فطاب الـمدحُ لي فيكم وطابَ الرثاءُ

انا حسانُ مدحكم فاذا نُحت عليكم فانني الخنساء
سدتمُ الناس بالتقى وسواكمْ سوّدته البيضاء والصفراء

وللشيخ الجليل شمس الدين بن العربي فيهم :

رأيت ولائي آل طه فريضةً على رغم أهل البعد يورثني القُربى
فما طلبَ المبعوثُ أجراً على الهدى بتبليغه إلا المودةَ في القُربى

وللشيخ عمر ابن الفارض قدس سره :

ذهبَ العمرُ وولىّ وانقضى باطلا إن لم أفزْ منه بشيْ
غيرَ ماأوتيته لي من ولا عترةِ المختارْ حقاً من قُصي

وللحسن ابن هاني المعروف بأبي نواس :

من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له من قديمِ الدهر مفتخرُ
اللهُ لما برا خلقاً فاتقنه صفاكم واصطفاكم أيها البشرُ
فأنتمُ الملأ الاعلى وعندكمُ علم الكتاب وماجاءت به السورُ
مطهرون نقياتٌ جيوبُهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا .

وقال بهاء الدين العاملي عفا الله عنه :

وثقتُ بعفوِ الله عني في غد وإن كنت أدري انني المذنب العاصي
وأخلصتُ حبي في النبي وآله كفى في خلاصي يوم حشري واخلاصي

وللشريف الموسوي :

ياسادتي يا آل طه إن لي دمعاً إذا يجري حديثكم جرى
لي منكمو كا سمي شهابٌ كلما أطفيتهُ بالدمع في قلبي وَرَى
شرفتموني في زكي نجاركم فدعيتُ فيكم سيداً بين الورى
أهوى مدائحكم فانظمُ بعضها فأرى أجلُّ المدح فيكم أصغرا

يَنحطُ مدحي عن حقيقة مدحكم ... ولو أنني فيكم نظمتُ الجوهرا
هيهاتَ يستوفى القريضُ ثناءكم ... لو كان في عدد النجوم وأكثرا
وبكم نجاتي في الحياة من الأذى ... ومن الجحيم اذا وردت المحشرا
فعليكموا صلى المهيمنُ كلما ... كر الصباحُ على الدجا فتكورا

وقال الشيخ عبدالرحيم البرعي :

قسماً بالبيت والركن الذي ... طاب تقبيلا ومسحاً واستلاما
إن في طيبة قوماً جارُهم ... في محل النجم يعلو أن يضاما
روضةُ الجنة في أوطانهم ... وترى آثارهم يبري الجذاما
كل من لم يرَ فرضاً حبّهم ... فهو في النار وان صلى وصاما
هم نجوم أشرق الكون بهم ... بعد ما كانت نواحيه ظلاما
فتحوا الارض بأعلا بأسهم ... واستباحوا يمناً أيضاً وشاما

وللحسن بن علي بن جابر الهبل رحمة الله عليه :

لكم آل الرسول جعلت ودي ... وذاك أجل أسباب السعادة
ولو أني استطعت لزدت حباً ... ولكن لا سبيل الى الزيادة
أعيش وحبكم فرضي ونفلي ... وأُحشر وهو في عنقي قلادة
اناضل عن مكارمكم لأني ... كريم الاصل ميمون الولادة
أظلُّ مجاهداً لحليف نصب ... أضل ببغضكم أبداً رشادة
فان أسلمْ فأجرٌ لم يفتني ... وان أُقتلْ فتهناني الشهادة

وللفقيه الاديب الشيخ احمد بن عمر أبي ذيب الحضرمي الشبامي :

عليهم سلام الله بيتٌ مطهر ... من الرجس منسوبٌ له كل طاهرِ
محبتهم مبذورةٌ في جبلتي ... هيامي بها من قبل شد مآزري
توارثها آباؤنا وجدودنا ... وآباؤهم من كابر بعد كابرِ

فحمداً لربٍ خصَّنا بودادكم ... بني المصطفى حمد الشكور المثابرِ
لكم في فؤادي منزلٌ حال دونه ... سوادُ السويدا عن دخول المغايرِ
وما أنا في حبي لكم متكلفٌ ... ولكنه طبعٌ من الله فاطري
فأعظمْ ببيت أُسستْ بمحمدٍ ... قواعده فوق الطباق العوامرِ
ومافيه إلا كل حبرٍ مقدَّمٍ ... وصدر به ازدانت صدور المحاضر
عليهم رضى من ذي الجلال ورحمةٌ ... وأمنٌ وروْح في أصيلٍ وباكرِ

وقال سيدنا القطب عبدالله بن علوي الحداد :

فهم الكثير الطيب المدعو لهم ... من جدهم حين الزفاف ألا تمي
بيت النبوة والفتوة والهدى ... والعلم في الماضي وفي المتوقع
بيت السيادة والسعادة والعبا ... دة منبع الخيرات كل أجمع
بيت الامامةِ والزعامةِ والشها ... مةِ بل هم الامنات للمتروع
قوم إذا أرخى الظلام سدوله ... لم تلفهم رهن الوطا والمضجع
بل تلفهم عمد المحارب قوما ... لله اكرم بالسجود الركع
يتلون آيات الكتاب تدبراً ... فيه ولا كالغافل المتورع
ثبتوا على قدم الرسول وصحبه ... والتابعين لهم فسل وتتبع
ومضوا على قصد السبيل الى العلى ... قدماً على قدم بجدٍ أوزع

﴿ وقال بعضهم ﴾

هم القوم من أصفاهم الود مخلصاً ... تمسك في اخراه بالسبب الاقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقباً ... محاسنهم تحكي وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدىً ... وبغضهم كفرٌ وودهم تقوى

ومما قلته فيهم مع الاعتراف بالعجز عن الخوض في هذا التيار وعن المسابقة والجري في هذا المضمار :

تشبث ياليبب بحبٍ آل ... كرام المنتمى غر الخصال

همو وُرّاث خير الخلق طراً | على رغم الحسود وكل قال
وهم ابناؤه وبه تساموا | وحازوا بالتقى رتب المعالي
هم القمر المنير ضياهُ هديا | على فلك الفضائل والكمال
وسادتها الاولى تعزى اليهم | مكارم لايحيط بها مقالي
وهم شمس العلى في كل عصر | ولكن لاتميل الى الزوال
أجل هم في الورى أعلام فضل | سمت قللا على قنن الجبال
وَلِمْ لا يافتى والغوث منهم | ومنهم كل أفراد الرجال
وفيهم كل مكرمةٍ ومجدٍ | اثيلٍ زانه شرف الخلال
لواء المجد منشورٌ عليهم | وذاك بفضل ربك ذي الجلال
اناسٌ يستمد الكون منهم | ويلتمس الورى نيل النوال
هم القربى التي فرضت بنص | مودتهم على أهل الكمال
ففي التنزيل آيٌ بيناتٌ | تريك وجوبها في كل حال
فهل شأوٌ يضاهي شأو مجد | تدين لمجده الشم العوالي
وقد آتاهم الرحمن مالاً | يكون لغيرهم سهل المنال
فتلك سيادةٌ قعساء حقا | تقاصر عن علاها كل عالي
فشيد حبهم واجعله حصناً | لتأمن من شديدات النكال
وقل لحليف جهل قد تعامى | حسودٌ مبغض للآل قالي
حرمت رضى المشفع خير هاد | ملاذ الخلق في يوم السؤال
عليه من المهيمن كل وقت | صلاة تستفيض على التوالي
مع التسليم يغشاه ويغشى | صحابته الكرام وكل آل

وممّا قلته فيهم رضوان الله عليهم اجمعين :

في حقكم قلم الثنا يتضوع | واليكمو كنه المدائح يرجع
ياسادة حلوا سويدا مهجتي | إني بكم مادمت حياً مولع
ياخير سادات وخير أئمة | نور النبوة في علاهم يسطع

وفروع مجد في حديقة سؤدد | من دوحة أزكي الفروع وأينع
ومظاهر التطهير والكرم الذي | لعلوه أهل المكارم يخضع
ياعترة الوحي الذين سما بهم | شرف على هام السما مترفع
منكم تأيدت الشريعة في الورى | وبكم غدا رأس الضلالة يقمع
وجلت محيا الدهر بهجة حسنكم | فغدا بحسن جمالكم يتشعشع
أنتم لدائرة العلا أقطابها | أنتم لاقمار الهداية مطلع
واليكمو انتهت الرياسة لاخفا | في ضمنها سر الولاية مودع
وملأتمو في الخافقين شمائلا | عن حصرها يقف البليغ المصقع
وودادكم أجر الرسالة قد أتى | في ذلك النص الجلي المقنع
سر الوجود وجود آل محمد | واليمن من بركاتهم يتوقع
ينمى اليهم كل فضل في الورى | وشتيته في فيئهم متجمع
لم لا وجدهم الرسول المجتبى | من جوده أصل الوجود مفرع
قوم بهم يزهو الوجود ويعبق النـ | ـادي بحسن ثنائهم والاربع
تسمى بمدحهم الأنام حقيقة | وتجيدها الشعراء وفيهم تسجع
نسب تأسس بالنبي محمد | ووصيه وهو البطين الانزع
نسب عليه النيرات عواكف | وشذاه من طيب العبا يتضوع
ثم الصلاة على النبي محمد | خير الانام ومن به نتشفع
والآل والاصحاب أعلام الهدى | مالاح برق في الدياجي يلمع

﴿ فائدة ﴾ ينبغي أن لا نخلي منها الكتاب حيث أشرنا الى نزر مما لاهل البيت ونوهنا بذكر طريقة السادة بني علوي الذين هم خلاصة المنتمين الى تلك الشجرة الزكية ، فقد أحببت أن أذكر نبذة يسيرة مما يتعلق بهم ، إعلم أن السادة العلويين منسوبون إلى علوي بن عبيد الله بن المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد علي العريضي ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين السبط ابن مولانا أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ، فنسبة السادة العلوية خاصة بهم

بنيت عليها أحكام شرعية غير نسبتهم العامة أيضاً التي إلى أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين ، وأول من ارتحل من المدينة المنورة هو الامام فخر الاسلام محمد بن علي المريضي ابن الامام جعفر الصادق قضت الارادة الالهية بارتحاله إلى العراق ، فسكن البصرة وولد بها ولده عيسى وتوفيا بها ، وولد بها له الامام أحمد بن عيسى ، ونشأ بها خائضاً بحار المعارف والآداب حتى شهد له معاصروه بكماله ، وانفرد بلطائف العرفان وارتفع على الاقران .

وكان على غاية من التعظيم والاجلال ونهاية من التعظيم والاقبال حتى جرت بعد ذلك في تلك الناحية فتن وأهوال تشيب منها الاطفال وحوادث وفظائع عاد بها الدين غريباً في تلك الدار ، ووجبت حينئذ الهجرة منها والفرار ، فهاجر الامام أحمد بن عيسى إلى الله ورسوله سنة سبعة عشر وثلاثمائة بأهله وقرابته منهم ولده عبيدالله وابني عمه أعني الامام أحمد بن عيسى ، وهما محمد بن سليمان جد السادة الأهدليين والقديمي جد الاشراف بني قديم باليمن فقصد بهم المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وفي سنة ثانية عشر وثلاثمائة حجوا بيت الله الحرام ولم يتيسر لهم التوطن بأحد الحرمين وسألوا الله أن يختار ما يرضاه لهم من البلاد ، ثم رأوا أن اقليم اليمن سالماً من المحن والفتن فتوطن الامام جد السادة المهادلة بوادي سهام بقرية المراوعة ، وتوطن السيد الكبير جد بني قديم بوادي سردد ، وهذان الوليان مشهوران باليمن .

وقد ألف الشيخ محمد بن أبي بكر الأشخر رسالة سماها كشف الغين عمن بوادي سردد من ورثة السبطين .

وأما الامام احمد بن عيسى فلم يزل يمتطي مطية الارتحال ويستعذب الغربة ومشقة الانتقال الى أن استقر بحضرموت هو وأهله ومواليه قاطبة ، وتدبر منها الحسيسة بضم الحاء وفتح السين المكررة المهملتين بينها تحتية مشددة مكسورة وهي

قرية على نصف مرحلة من تريم ، ولم يزل رحمه الله يدعــو الخلق إلى الله تعــالى بالموعظة الحسنة مهاباً مطاعاً سالكاً مسالك أهل الله الداعين إلى الله بالقــول والفعل إلى أن توفي في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ودفن في موضع معروف بشعب مخدم وقبره الآن مشهور في سفح جبل على يمين المتوجه إلى تريم ، وقبره هناك معمور ولم تزل الاكابر تقصده بالزيارة في كل آن ويتوسل به في دفع المكاره وأعقب رحمه الله ابنين محمد وهو تخلف بالبصرة والثاني عبيدالله وهو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة ، وفي سنه ثلاثمائة وثلاث وثمانين توفي رحمــه الله وأعقب من الولد ثلاثة بصري وجديد وهذان أعقبا ، ثم انقرض عقبها أخيراً وعلوي وهو أول من سمي بهذا الاسم وإليه تنسب الطائفة العلوية وبارك الله في نسله ثم توطن خلفه الصالح بتريم الغنا وطابت لهم حساً ومعنى وهي أشهر مدائن حضرموت عمرها الله تعــالى إلى آخر الزمان وهي عش الاولياء ونسبتهم وفيها جماعة من شهداء بدر :

نسيم جنوبها أبداً صحيــحٌ ... وطبع الجـــو فيها مستقيمُ
وطبع مياهها في الصيف بردٌ ... وأيامُ الشتاء هي الحمــيمُ
تعادَلَ حرُّها والبردُ فيهــا ... فــلا برد يضرُّ ولا سمومُ
وطبعُ البرد فيها فيه لطفٌ ... بطيب نسيمها تنمو الجسومُ
وحرُّ الشمس فيها ليس يؤذي ... وبرد شتائهـــا أبداً سليم
بلاد طابَ مسكنُها وطابت ... مباركةٌ لهــا ربٌ رحيمُ
فلو نظرت فلاسفةٌ إليهــا ... لقالوا جنةُ الدنيــا تريمُ

وعلى صحة هذا النسب قد وقع الاجماع ووفق الله سبحانه وتعالى من يقوم بحفظ هذه السلسلة النبوية والنسبة المحمدية واستمرت مضبوطـــة الأصول والفروع في السجلات والشجرات المحررة في هذه النسبة منذ أزمنة إلى هذا الزمان بوضع لطيف واسلوب عجيب لم يشاركهم فيها غيرهم من أولاد السبطين حتى صارت مجمعاً على صحتها عند أهل التحقيق متواترة عند أرباب التدقيق لا يجــد الحاسد إلى الطعن فيها سبيلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وقد تفرق هذا النسل المبارك وذهب من

ذهب إلى حيث شاء الله من البلاد :

ولكلِ أرض حظها منهم فهم ... للنور فيها والسرورِ مطالعُ

﴿ وفيهم قال القائل ﴾

أئمتنا الأساتيـذُ الهداةُ ... وقادتُنا الجهابيذُ الثقاتُ
ضياء الخافقين بكل معنى ... أولو الفضل البدورِ المشرقاتُ
سلالة سيد الثقلين أعلى ... ذوي أصلٍ زكا منه النباتُ
بنو علوي العالون قدراً ... كرام المنتمى الغُرُ السراةُ
ومن بهم إقتداء الخلق طـراً ... كأنهم البدور الساريات
أولئك هم أدلاء البرايا ... وعندهم الهدى والبينات
لهم في العلم والتقوى رسوخٌ ... كأنهم الجبال الراسيات
نمت بركاتهم في الكون حتى ... ملئن بفيض زاخرها الجهات
فهم مهما يهج بحر البلايا ... سفائن للبرية منجيات
سلام الله والبركات دوماً ... عليهم ما رنمت الحداة

ولأخينا السيد العلامة أبي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين أطال الله بقاه :

لذا بالنبي وبالأئمة من بني ... علوي الغرِ الهداةِ لحائز
فهم الخلاصة من سلالة أحمدٍ ... ومعينُ فياض الندى المتواترِ
والآخذوا إرث الرسول اجازةً ... وتلقيا من كابرٍ عن كابر
والمقتفون سبيله قدماً على ... قدم الى القدم الشريف الطاهر
حتى انتهى من الرسول مسلسلاً ... فيهم إلى أهل الزمانِ الحاضر
يروون عن آبائهم عن جدهم ... عن جبرئيل عن العزيز الفاطر
وهم بحورُ العلم فاض أذيها ... من ذلك البحرِ المحيطِ الزاخرِ
تحيي بها موتى القلوبِ ولم تزل ... تسقي حدائق كل قلب عامر
بمعارفٍ وعوارفٍ ولطائفٍ ... وعواطفٍ من ذي الجلال الغامر

ومـواهب ومراتب ومناقب وغرائب وعجـائب للناظر
وبدا هناك من الحقيقة حقها في سر سير باطن عن ظاهر
بمشاهد تصفو لكل مجاهد وموارد عذبت لكل موازر
ومدارك ومناسك ومسالك للقوم لم تسلك لغير الضامر
وبذلك امتزج امتزاج الراح با لماء الأوائل منهم بالآخر
فاسلك سبيلهم وزرهم والتزم شرط التأدب في وقوف الزائر
فالله يرضيهم ويرضى عنهم وعليهم أزكى السلام العاطر
ثم الصلاة على النبي وآله والصحب ماهب النسيم الحاجري

ثم إنه يجب الاعتناء بضبط هذا النسب الشريف والحسب الباذخ المنيف أعني نسب أهل البيت رضوان الله عنهم أجمعين ، ومن ثم اقتضى رأي السلطان الاشرف شعبان بن حسن بن الناصر امتياز الآل بلبس الأخضر ليعطوا حقهم ويعظموا فأمر في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من الهجرة أن يمتازوا على الناس بعصائب خضر على العمائم ففعل ذلك بأكثر البلاد كمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي نزيل حلب رحمه الله تعالى :

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم تغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال في ذلك جماعة من الشعراء مايطول ذكره ومن ذلك قول الأديب محمود بن ابراهيم بن بركة الدمشقي رحمه الله تعالى :

أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الاشراف
والأشرف السلطان خصهم بها شرفاً ليعرفهم من الاطراف

(وقد أمر الشارع) بتعلم الأنساب حيث قال تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم ، وهذا الاطلاق يشمل جميع الانساب فاذا كان كذلك فنسبه الفاخر

أولى وأحق وأشار الكتاب العزيز ايضاً الى ذلك بقوله جل وعلا (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) ولم تزل ولله الحمد أنساب أهل البيت مضبوطةً على تطاول الايام وأحسابهم التي بها يتميزون محفوظة عن أن يدعيها الجهال واللئام ولا سيما نسب السادة العلويين فقد ألهم الله من يقوم بتصحيحها في كل زمان ومن يعتني بحفظ تفاصيلها في كل أوان .

﴿ تنبيه ﴾ حيث علمت ما لأهل البيت الأطهار مما أعلنته بطون الطروس من محاسن الآثار وطيب الاخبار وافتراض محبتهم على الامـــة وايجاب خمس الخمس وتحريم الزكاة عليهم وإن غيرهم لا يكافئهم ممن ليس له ولادة الى النبي ﷺ إلى غير ذلك مما هو مقرر في محله من كتب أهل الاسلام، فاعلم أنه تتعين عليهم امور هي في الحقيقة تتعين على غيرهم الا انها في حقهم آكد، فمنها سلوك متأخريهم المحجة التي كان عليها النبي المختار ودرج عليها سلفهم الاخيار ، والاجتهاد فيما يرضي مولاهم من الاعمال الصالحة ، ولزوم التقوى التي للنجاة هي السبب الاقوى ، ففي الحديث (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) وقد ورد إنما أولياءي المتقون ، وقال الله تعالى (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) وقد أجاب الله سبحانه وتعالى لنبيه نوح عليه السلام حين أراد أن يستصحب ولده في السفينة بقوله (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) لما قال له إن ابني من أهلي ، ومن مواعظ قطب الارشاد الحبيب عبدالله بن علوي الحداد شعر :

لا ولا تغـــترّ بالنسب	لا ولا تقنعْ بكان أبي
واقتدِ في الهُدى بخـــير نبي	أحمدَ الهادي إلى السُّنن

(وقال حجة الاسلام) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس سره في الاحياء : وربما كان الشخص مستدرجاً بهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم مع مخالفتهم لسير آبائهم في الخوف والتقـــوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين ، وهم

مع غاية الفجور والفسق آمنون وذلك غاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للملوية أن من أحب إنساناً أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة إلى أن قال : ولو كان الحب يسري من الاب إلى الولد لأوشك أن يسري البغض أيضاً بل الحق أن لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن أن ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ويصير عالماً بعلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراها بمشي أبيه .

فالتقوى فرض عين فلا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ، وعندالله جزاء التقوى يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيؤذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب ، انتهى كلام الغزالي نفع الله به مع بعض حذف .

فعلم عقلا ونقلا أن من كان من هــذا النسل المبارك متصفاً ولو ببعض ما كان عليه سلفه الصالح من العلم والعمل الصالح وسار بسيرتهم المرضية ونهج طريقتهم السنية فهــو بانواره يهتدى وبآثاره يقتــدى وكان وارثاً لمقاماتهــم ومتحلياً بأسما سماتهم ، وأما من باينهم وما اقتــدى بخيارهم ولا اقتفى سنن آثارهم وصار دأبه ترك الطاعات والتدنس بدنس المخالفات فقد تعرض لانحطاط قدره وكان سبباً لتفوه الملحدين في دهره وقال ابو الطيب رحمه الله :

إذا لم يكنْ نفسُ الشريف كأصلهِ ... فماذا الذي يُغني كــرام المناصب

ولله در الشهاب ابن معتوق حيث قال :

إن الرعايةَ لا تُعزى إلى شرفٍ ... إلا إذا كانت الاشرافُ ترعاها

ولله در من قال :

من لم يكنْ برسول الله مقتدياً ... فرجلهُ في صراط الحق ما رسخت
ولو يسير على الافلاكِ متعلاً ... قل ويحَ نفسك يا هذا لقد مسخت

أن الرسول إذا أخطى طريقته ... كآية من كتاب الله قد نسخت

وبالجملة فمن قال أو ظن أن ترك المأمورات وارتكاب المنهيات وفعل المعاصي لايضر أحداً لشرف نسبه أو صلاح آبائه فقد افترى على الله كذباً وكذب على صاحب الشفاعة وخالف أهل السنة والجماعة بل اجماع المسلمين وإنما لرسول الله ﷺ مزيد عناية في النسل الطاهر دل على ذلك اكثار الوصية بهم على امته والحث على مودتهم وأما مجرد النسب فغير نافع مع اضاعة التقوى :

ومن ضيع التقوى وأهمل أمرها ... تغشته في العقبى فنون الندامة

ومن لم يكن في طاعة الله شغله ... على كل حال لايفوز ببغية

(ومما يتأكد) على أهل هذا البيت والشرف الباهر التخلق بالاخلاق المحمودة من التواضع وخفص الجناح ولين الجانب للناس لاسيا من كان من أهل الصلاح،وعدم تزكية النفس فان الله تعالى أعلم بمن اتقى ، نعم ينبغي أن يكونوا أحرص الناس على احياء معالم الدين وإحياء ماأمات الناس من سنة سيد المرسلين ففي الحديث (بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء وهم الذين يحيون ماأمات الناس من سنتي) ومن لازمه أعني احياء معالم الدين طلب العلم الشريف ، إذاً الجاهل لايهتدى بنفسه إلى أعدل السبل فضلاً من أن يهدي غيره ، والجهل وإن كان قبيحاً فهو بالآل الاطهار أقبح كما أن العلم وإن كان حسناً فهو بهم أحسن ، قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى :

وكل رياسة من غير علم ... أذل من الجلوس على الكناسه

ومن المعلوم بداهة أن رفعة الانسان وشرفه على قدر مايحسنه ويتقنه من العلوم بل ومايعرفه من الصنائع أيضاً غير العلوم فاذا كانت صنعة الانسان خسيسة فهو خسيس أو رفيعة فرفيع أو أرفع فكذلك هذا في الصنائع فكيف بما يكتسب به العز في الدنيا وأسمى الدرجات في الاخرى :

فذو العلم أعلى رتبة في المراتب ... ومن دونه عز العلى في المواكب

فذو العلم يبقى عزُّه متضاعفاً ... وذو الجهل قبل الموت تحت التيارب
فهيهات لا يرجو مداه من ارتقى ... رُقيّ ولي الملك والى الكتائب
سأملي عليكم بعض ما فيه فاسمعوا ... في حصر عن دركه كل المناقب
هو النور كل النور يهدى من العمى ... وذو الجهل مر الدهر بين الغياهب
هو الذروة الشماء تحمي من النجا ... اليها ويمسي آمناً في النوائب
به ينتجي والناس في غفلاتهم ... به يُرتجى والروحُ بين الترائب
به يشفع الانسان من راح عاصياً ... إلى درك النيران شر العواقب
فمن رامه رامَ المآرب كلها ... ومن حازه قد حاز كلّ المطالب
هو المنصب العالي أيا صاحب الحجى ... إذا نلته هون بفوت المناصب
فان فاتك الدنيا وطيب نعيمها ... ففحص فان العلم خير المواهب

وما أحسن قول القائل :

تلوم على ان رحتُ في العلم طالباً ... أجمع من عند الرواة فنونه
فاملك ابكار الكلام وعونه ... واحفظ مما استفيد عيونه
وتزعم أن العلم لا يجلب الغنى ... ويحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسنونه

قال سيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه : الشريف كل الشريف من شرفه علمه والسيد حق السؤدد من اتقى الله ربه والكريم من أكرم عن ذل النار وجهه ، ومن نصائح بعض العلماء :

تعلمْ فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغيرٌ إذا التفت عليه المحافلُ

وقد كثر في هذا الزمان ميل ابناء الصلاح من السلالة الطاهرة وغيرهم عن منهج الرشاد وصار ديدنهم الافتخار بالآباء والأجداد ولعمري أن هذا سبب الفساد وأي فساد :

يتفاخرون باجداد لهم سلفوا نعم الجدود ولكن بئس ماخلفوا

ولقد أجاد وأفاد الاديب الناصح والأريب الفالح الشيخ الفقيه أحمد بن عمر بن أبي ذيب الحضرمي الشبامي من الله عليه برضاه الهامي :

بني هاشم أنتم مرادي وبغيتي وحبكم طي الجوانح ثاويا
وجدكم المبعوث من خير عنصر فحبكم أضحى بقلبي راسياً
وأنتم رؤوس الناس والناس لم تزل لكم إن صلحتم أو فسدتم تواليا
أترضون أن تبلى طريقة جدكم وتدرس أو أن يصبح الظلم فاشيا
وأنتم على ظهر البسيطة رتع تباهون بالدنيا وتعلو المبانيا
إذا ما نأيتم عن طريقة جدكم فلا عجب أن يصبح الغير نائيا
لأنكم أولى بــه من سواكم وأنتم له نعم الولي المواليا
بكم يقتدى إذ أنتم مظهر الهدى ومطلع نور صار في الارض باديا
الا عزمة سبطية هاشمية ليصبح منها عاطل الدين حاليا
ويبيض وجه الدين بعد سواده فايامه بالجهل صارت لياليا
وإني لأخشى ان تمادى سكوتكم عن الدين أن يضحى له الجهل نافيا
ويضحي البرايا حائرين يسوسهم هواهم وابليس يقود النواصيا
إلى النار لا يدرون بالدين جملة وما أحد بالدين منهم مباليا
دراك بني الزهراء من قبل أن يرى بهم ذلك المخشى أو أن يوافيا
دراك بني الزهراء إن ثم مدرك وإن ذويه عن بيضة الدين حاميا
ألا فاصلتوا سيف العزيمة واقطعوا به رأس أبليس الذي كان غاويا
فأنتم مفاتيح الفلاح وإنما بكم جاوز الدين الثريا تعاليا

ولا يدع المتفرع عن هذه الشجرة الزكية مطالعة شيء من الكتب المؤلفة في ذكر سيرة الاسلاف الاخيار كالمشرع الروي في مناقب السادة بني علوي للسيد العلامة محمد بن أبي بكر الشلي العلوي ، والجوهر والعقد وغيرهما من كتب تراجم السادة العلوية ، ومن أحسن ما ألف في بيان فضائل أهل البيت النبوي وايضاح

مانهج عليه خاصة السادة بني علوي كتاب ـ رشفة الصادي في فضائل بني الهادي ـ تأليف الاخ العلامة الحسيب الأريب السيد أبي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين فقد ذكر فيها على سبيل الاجمال مايغني الحليم ويكتفي به ذو الطبع السليم ، ثم الذي ينبغي ويتأكد على الموجودين من العصابة العلوية التمسك بطريقة آبائهم التي درجوا عليها المؤسسة على رضوان من الله وتقواه ، وقد نوهنا بذكرها في أول الكتاب فينبغي المحافظة عليها ومجاهدة النفس على مجانبة مايصدهم عنها فان الزمان قد فسد وساءت الطباع وقويت الاطماع وعم الجهل وفشا وأزعج القلوب دهشة حب الدنيا وصرفها عن مدار التقوى والتفت ابناؤنا الصالحين الى مايباين طريقتهم فباؤوا بالخسران وانحط شرفهم بهذا الى حضيض الهوان ونسيت فضائلهم بعدما سارت بفضائل آبائهم الركبان ، فاندرج هداك الله في سلك الماضين من السلف الصالحين تحسب منهم فانهم رضوا بالله ورضي عنهم والله ولي المتقين .

(واعلم) أن مما يلحق بمحبة أهل البيت الاطهار محبة سائر المؤمنين اولي التقوى والاستقامة اذ هم آله ﷺ على العموم كما هو المختار في مقام الدعاء ولاسيما الائمة الاربعة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهم ، الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ونجم السنة ، والامام الشافعي ، والامام أبو حنيفة ، والامام أحمد بن حنبل وهؤلاء الائمة اتفاقهم فرض وقولهم حق واختلافهم رحمة للمسلمين وفيهم قال الشاعر :

فالشافعي له علوم تشرقُ	بين الورى وله ثناءٌ يعبق
ولمالك نشرت علومٌ مالها	حدٌ كبحر زاخر يتدفق
ولأحمد تعزى العلوم لأنه	يروي الحديث وصدقه متحقق
وأبو حنيفة سابقاً فلاجل ذا	آباؤه وعلومُه لا تُسبق
فهم الأئمة خصهم ربُّ العلا	بالفضل منه فشأوهم لا يلحق

ولكل من هؤلاء الاربعة مناقب ، وقد آن لنا في هذا الكتاب ان

نذكر نزراً من مناقبهم الجزيلة وفيوضاتهم الجليلة إذ هم طوالع مطالع الدين وقوامع حجج آراء الملحدين ، أما الامام أبو حنيفة فهو النعمان بن ثابت بن زوطاً بضم الزاي وفتح الطاء ابن نباه الكوفي مولى بني تيم بن ثعلبة هو الامام الاعظم أحد الاربعة المشهورين بلغ في الورع الى الغاية ، ولد بالانبار سنة ثمانين وتوفي بالسجن لما امتنع من القضاء بعد أن ضربه عمر بن هبيرة بالسياط على رأسه حتى انتفخ وجهه وقال الضرب في الدنيا بالسياط أهون علي من مواقع الحديد في الآخرة وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة ، وكان كثير العبادة قيل أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ، وكان يكثر البكاء آخر الليل بعد التهجد ومع ذلك كان يقول :

فوا حزناً ان لاحياةً هنيةً ولا عملٌ يرضا به الله صالحُ

وكان شديد الورع حتى أنه كان لايجلس في ظل جدار غريمه ويقول ـ كل قرض جر نفعاً فهو ربا ـ وكان ديدنه الدلالة على الحق .

وعن الامام الشافعي قال : الناس في الفقه عيال أبي حنيفة ومن شدة ورعه أنه ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة بالليل وستين ختمة بالنهار ، وكان يختم القرآن في كل ركعة منذ ثلاثين سنة وقام بهذه الآية (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) يرددها ويبكي ويتضرع ، قال عاصم لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الارض لرجح به ، وفي تاريخ ابن الوردي كان شيخنا العلامة صدر الدين محمد ابن الوكيل العثماني ينشد لبعضهم :

الفقهُ فقـهُ أبي حنيفةَ وحـده والدين دينُ محمد بن كـرام

إن الأولى في دينهم ما استمسكوا بمحمدِ بن كرام خير كرام

﴿ فوائد ﴾ قال في نور الابصار أن أبا حنيفة كان له جار اسكاف يعمل نهاره فاذا رجع الى منزله ليلا تعشى ثم شرب فاذا دب الشراب غنى وقال :

أضاعوني وأي فتى أضاعـوا ليومِ كـريهةٍ وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع صوته كل ليلة ، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العس منذ ليال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلتـه ، وأتى إلى دار الامير فاستأذن عليه فقال أذنوا له وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال ماحاجتك ، قال أشفع في جاري فقال الامير اطلقوه وكل من أخذ في تلك الليلة فاطلقـوهم أيضاً وذهبوا ، وركب أبو حنيفة بغلته وخرج الاسكاف يمشي وراءه فقال أبو حنيفة له : يافتى هل أضعناك ، فقال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجـوار ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل .

•

(فائدة اخرى) روي أن امرأة دخلت في مسجد أبي حنيفة وهـو جالس بين أصحابه فاخرجت تفاحة أحد جانبيها أحمر والآخر أصفر فوضعتها بين يديه ولم تتكلم فاخذها أبو حنيفة وشقها نصفين فقامت المرأة وخـرجت ولم يعرف أصحابه مرادها فسألوه عن ذلك فقال إنها ترى تارة أحمر مثل أحد جانبي التفاحة وتارة أصفر مثل الجانب الأيسر سألت أيكون حيضاً أو طهراً فشققت التفاحـة وأريتها باطنها وأردت بذلك أن لاتطهـري حتى تري البياض مثـل باطنها فقامت وخرجت .

(وروي أيضاً) أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان جالساً في المسجد يوماً فدخل عليه طائفة من الخـوارج شاهرين سيوفهم فقالوا ياأبا حنيفة نسألك عن مسئلتين فان أجبت نجوت وإلا قتلناك قال إغمدوا سيوفـكم فان رؤيتها يشتغل قلبي قالوا كيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل باغمادها في رقبتك ، فقال سلوا إذن فقالوا جنازتان على الباب احداهما رجل شرب الخمر فغص فمـات سكـران والاخرى امرأة حملت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة أهما كافران أم مؤمنان والقوم السائلون مذهبهم التكفير بارتـكاب ذنب واحد فان قال مؤمنان قتلوه فقال من أي فرقة كانا أمن اليهود قالوا لا ، أمن النصارى قالوا لا ، أمن المجوس قالوا لا ،

أمن عبدة الاوثان قالوا لا ، قال ممن ؟ قالوا من المسلمين قالوا قد أجبتم قالوا وكيف قال قد اعترفتم بأنهما كانا مسلمين ومن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين ، قالوا أهما في الجنة أو في النار قال أقول فيهما ماقال ابراهيم الخليل ﷺ في حق من هو شر منهما (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) وأقول ماقال عيسى روح الله عليه السلام فيمن هو شر منهما (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فتابوا واعتذروا اليه .

﴿ تتمة ﴾ روي ان الخليفة دعا أبا حنيفة رضي الله عنه وقال له كم يحل للرجل الحر من النساء الحرائر فقال أربع ، فقال الخليفة اسمعي ياحرة ، فقال أبو حنيفة على البديهة يأمير المؤمنين لايحل لك الآن إلا واحدة فغضب الخليفة وقال الآن قلت أربع فقال يأمير المؤمنين قال الله تعالى (فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لاتعدلوا فواحدة) فلما سمعتك تقول اسمعي ياحرة عرفت أنك لا تعدل فلهذا قلت لايحل لك إلا واحدة . ومناقبه كثيرة مشهورة وتوفي رحمه الله وهو ابن سبعين سنة ـ سنة خمسين ومائة ـ وهي السنة التي ولد فيها امامنا الشافعي رضي الله عنه .

(وأما مناقب) إمام دار الهجرة أبي عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحي نسبة الى بطن من حمير يقال له ذو أصبح نقله بعضهم ولد سنة ثلاث وتسعين أو أربع أو خمس أو سبع وتسعين خلاف في ذلك وحمل في البطن ثلاث سنين وتوفي سنة تسعة وسبعين ومائة ودفن بالبقيع وعليه قبة وقال عند موته بعد ماتشهد، لله الأمر من قبل ومن بعد، عمره ثلاث وثمانون سنة وفيه ورد الحديث المشهور وهو قوله ﷺ (يوشك أن تضرب أكباد الابل ـ وفي رواية آباط المطي في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة) رواه الترمذي وغيره .

وروي عن سفيان ابن عيينة أنه قال هو مالك بن أنس وعن الشافعي مثله ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة وناهيك قول الامام الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وماأحد أمنّ علي من مالك ، وقال كنت أتصفح الورقة بين يدي مالك

تصفحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها كما قيل :

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الاذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا سلطان

روي أن في الليلة التي مات فيها رأى عمر بن يحيى بن سعيد الانصاري قائلا يقول :

لقد أصبح الاسلام زعزع ركنه ... غداة ثوى الهادي إلى ملحد القبر

إمام هدى مازال للعلم صاينا ... عليه سلام الله في آخر الدهر

قال فانتبهت وكتبت البيتين على السراج وإذا بالصارخة على مالك، وكان رضي الله عنه ورعاً زاهداً ذا وقار وخشية مبالغاً في تعظيم علم الدين حتى كان إذا أراد أن يقرأ الحديث توضأ وسرح لحيته واستعمل الطيب ومنع الناس أن يرفعوا أصواتهم ثم جلس في صدر المجلس على وقار وهيبة فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ وكتب بيده مائة الف حديث وجلس للتدريس وهو ابن تسع عشرة سنة وكان الناس يزدحمون على بابه لأخذ العلم من الفقه والحديث كازدحامهم على أبواب الامراء ، ومن كلامه رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في القلب ، وكان يقول حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية ، وكان يقول لا ينبغي للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيعه فانه ذل وإهانة للعلم ، وفي هذا المعنى قال الامام الشافعي نظماً :

ومن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

واتفق أن امرأة غسلت امرأة فالتصقت يدها بفرجها فتحير الناس في قطعها أو قطع فرج الميتة فاستفتوا الامام مالكاً رضي الله عنه فقال سلوها ماقالت حين وضعت يدها عليها فسألوها فقالت قلت طال ماعصى هذا الفرج ربه فقال اجلدوها حد القذف فجلدوها ثمانين جلدة فخلصت يدها فمن ثم قيل لا يفتى ومالك

بالمدينة ومع ذلك كان يمشي أزقة المدينة حافياً ماشياً ويقول : إنما أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة .

(فصل في ذكر) مناقب إمامنا الشافعي رضي الله عنه هو أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي ، وإنما نسب لشافع لأنه صحابي ابن صحابي وللتفاؤل بالشفاعة وهو جده الثالث إذ هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، وهو الثالث من اجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، والتاسع من اجداد الشافعي رضي الله عنه ، وقد ورد في إمامنا الشافعي رضي الله عنه حديث (عالم قريش يملأ الله تعالى به طباق الارض علماً) ولد بغزة سنة خمسين ومائة يوم وفاة أبي حنيفة كما سبق بيانه ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين ونشأ يتيما في حجر امه وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وتفقه على فقهاء عصره وأذن له في الفتوى وهو ابن خمس عشرة سنة ، وكان كثير التردد الى المدينة لأخذ العلم من الامام مالك وكان يجالس العلماء ويكتب مايستفيده منهم على العظام ونحوها لأنه كان في قلة من العيش .

وقسم الامام الشافعي ماله ثلاث مرات ولكثرة كرمه وانفاقه ما كان يدخر شيأ ثم رحل إلى بغداد وصنف فيه كتابه القديم ثم عاد الى مكة فأقام بها مدة ثم رجع الى بغداد ثم خرج منها الى مصر وأقام بها أربع سنين وصنف كتبه الجديدة ولم يزل ناشراً لواء العلم بجامعها العتيق إلى أن توفي رحمه الله سنة أربع ومائتين ودفن بالقرافة في دار ابن عبدالحكيم وعلى مقامه من الانوار مايبهر الزوار .

(ومن كلامه) رضي الله عنه لاشيء أزين للعلماء من الفقر والقناعة والرضا بها ، وكان يقول : جمال العلماء كرم النفس وزينة العلم : الورع والحلم ، وكان يقول لا عيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه ، وكان يقول من طلب العلم بعز النفس لم يفلح ومن طلبه بذل النفس وخدمة العلماء أفلح ، وكان يقول

أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه وقبـل مدح من لا يعرفه ، وكان يقول من أحب أن يفتح الله عليه بنور القلب فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبغض أهل العلم الذين لا يريدون بعلمهم إلا الدنيا . ومن كلامه رضي الله عنه دققوا مسائل العلم لئلا تضيع دقائقه ، وقال رضي الله عنه لابد للعالم من ورد من أعماله يكون بينه وبين الله وقال لو اجتهد احدكم كل الجهد على أن يرضى الناس كلهم عنه فلا سبيل له فليخلص العبد عمله بينه وبين الله ، وقال رحمه الله لا يعرف الرياء إلا المخلصون ولو أوصى رجل لأعقل الناس صرف الى الزهاد والعاقل من عقله عقله من كل مذموم ومن لم تعزه التقوى فلا عز له ، وطلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد .

وكان يقول من لا يحب العلم لا خير منه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فانه حياة القلوب ومصباح البصائر .

وكان رضي الله عنه قد قسم الليل ثلاثة أجزاء : الثلث الأول للعلم ، والثاني يصلي والثالث ينام وفي ذلك قال سيدنا الحبيب احمد بن عمر بن سميط في بعض منظوماته نفعنا الله به :

وقد جاءَ أن الشافعي إمامنا ... يُقَسِّم هذا الليلَ أجزاءَ تشهر

ومن كلام الامام الشافعي رحمه الله طلب العلم خير من صلاة النافـلة وروى الحميدي أن الشافعي خرج إلى اليمن في بعض أشغاله ثم انصرف الى مكة ومعه عشرة آلاف درهم فضرب خيمته خارج مكة فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعها .

وخرج يوماً من الحمام وقد أتى بمال كثير فدفعه للحمامي، وسقط سوطه من يده وهو راكب فدفعه إليه إنسان فاعطاه خمسين ديناراً .

وروي عنه أنه خاط قميصاً عند بعض الخياطين ممن جهل قدره فهزأ به الخياط وجعل الكم اليمين ضيقاً لا يخرج منه يده إلا بجهد والكم الآخر كأنه رأس

عدل فلما جاء الشافعي رأى كمه ضيقاً والآخر متسعاً جداً فقال جزاك الله خيراً هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء وهذا الكم الواسع لأجل الكتاب ، وكان رسول الملك قد جاء إلى الشافعي بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط فقال ادفعها اليه حق خياطته هذا الثوب وفكرته في تفصيله فسأل عنه الخياط فقيل له هذا الامام الشافعي فتبعه وقبل أقدامه واعتذر إليه ثم خدمه وصار من أصحابه وكان ذا كرم وجود وأنشد من شدة كرمه وسخاوة نفسه :

يالهف نفسي على مالٍ افرقه ... على المقلينَ من أهل المروآتِ
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ماليس عندي لِمَن احدى المصيبات

ومن كلامه وقد تقدم في أول الكتاب :

عليَّ ثيابٌ لو يباع جميعها ... بفلسٍ لكان الفلسُ منهن اكثرا
وماضرَّ نصل السيف اخلاقُ غمده ... إذا كان عضباً حيث وجهته برا

ومن كلامه رضي الله عنه :

إذا لم أجد خلاً تقياً فوحدتي ... ألذُّ وأشهى من غوي أعاشرُهْ
وأجلسُ وحدي للسفاهة آمناً ... أقرُّ لعيني من جليسٍ أحاذره

وله رضي الله عنه :

ما حك جلدَك غيرُ ظفرك ... فتولَّ أنتَ جميع أمرك
وإذا قصدت لحاجة ... فاقصدْ لمعترف بقدرك

وله رضي الله عنه :

ولولا الشعرُ بالعلماء يُزري ... لكنت اليومَ أشعرَ من لبيد
وأشجعَ في الوغى من كل ليثٍ ... وآلَ مهلّب وأبي يزيدِ
ولولا خشيةُ الرحمن ربي ... حسبتُ الناس كلهم عبيدي

قال الشعراني في المنن يعني بالناس أبناء الدنيا بقرينة قول بعض العارفين لبعض الملوك أنت عبد عبدي فقال ولم ذلك قال لأنك عبد الدنيا والدنيا خادمة لي انتهى .

وقال أبو القاسم بن الازرق دخلت على الامام الشافعي فقلت له يا اباعبدالله ماانتصفنا لك هذا الفقه تفوز بفوائده ولنا هذا الشعر وقد جئت تداخلنا فيه فاما افردتنا أو اشركتنا في الفقه وقد أتيت بأبيات ان أجزتها بمثلها تبت من الشعر وإن عجزت تبت منه فقال لي أيه ياهذا فانشد هذا الكلام :

ماهمتي إلا مقارعة العدى خلق الزمان وهمتي لم تخلق
والناس أعينهم إلى سلب الغنى لا ينظرون إلى الحجا والأولق
لكن من رزق الحجا حُرم الغنى ضدان مفترقان أي تفرق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلقي

فقال الشافعي رضي الله عنه :

إن الذي رزق اليسار فلم ينل حمداً ولا ذماً لغير موفق
فالجد يدني كل أمر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن محروماً أتى ماءً ليشربه فغاض فصدق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يُبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وفي نور الأبصار وروى عبدالله بن مروان قال : كنت أجلس في حلقة العلم عند الامام الشافعي رضي الله عنه واكتب ماأفهمه منه فأتيته سحراً فوجدته في المسجد وهو قائم يصلي فجلست حتى فرغ من صلاته ثم دعا بدعوات حفظتها منه فكان من جملة ذلك (اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة وهب لنا صحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وأرزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك وامنن علينا بكل مايقربنا اليك مقروناً بعفوك في الدارين برحمتك ياأرحم الراحمين) قال فلمافرغ

من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف ينظر الى السماء ثم أنشد :

بموقف ذلي دون عزتك العظمى ... بمخفى سر لا أحيط به علما
باطراق رأسي باعترافي بزلتي ... بمد يدي أستمطر الجود والرحما
باسمائك الحسنى التي بعض وصفها ... لعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من ألست بربكم ... بمن كان مجهولاً فعلمته الاسما
أذقنا شراب القوم يا من إذا سقى ... محباً شراباً لايضام ولا يظما

ولما مرض مرض الموت دخل عليه المزني ليعوده فقال له كيف أصبحت فقال أصبحت من الدنيا راحلاً وللاخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله وارداً فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فاهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم انشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو من الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما

وزاد في روض الفائق :

فلله در العارف الفرد إنه ... تسيح لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم إذا ما الليل جن ظلامه ... على نفسه من شدة الخوف مأتما
فصيحاً إذا ما كان في ذكر ربه ... وفيما سواه في الورى كان معجما
ويذكر أياماً مضت من شبابه ... وما كان فيها بالجهالة أجرما
فصار قرين الهم طول نهاره ... ويخدم مولاه إذا الليل أظلما
يقول حبيبي أنت سؤلي وبغيتي ... كفى بك للراجين سؤلا ومغنما
ألست الذي غذيتني وكلفتني ... وما زلت منانا علي ومنعما
عسى من له الاحسان يغفر زلتي ... ويستر أوزاري وما قد تقدما

(وأما الامام أحمد) فهو أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن

أدريس الشيباني المروزي ثم البغدادي الحافظ ، ولد رضي الله عنه سنة اربع وستين ومائة في شهر ربيع الاول بمرو وقيل ببغداد ونشأ بها ، قال ابن خلكان كان الامام أحمد امام المحدثين صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث مالم يتفق لغيره قيل وكان يحفظ ألف ألف حديث وكان من أصحاب الامام الشافعي وخواصه رضي الله عنهما ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي الى مصر ومات الامام أحمد رضي الله عنه سنة احدى وأربعين ومائتين ، وقيل مات يوم الجمعة غدوة ثاني عشر ربيع الاول ودفن بعد العصر وضريحه يزار ببغداد ، وكان كثير القيام ينام نومة خفيفة بعد العشاء ثم يقوم الى الصباح يصلي ويدعو ، وكان يختم في كل سبعة أيام ختمة وفي كل سبع ليال بختمة ، وكان يمكث ثلاثاً لا يطعم

وسئل عن مسئلة في الورع فقال : استغفر الله لايحل لي أن اتكلم في الورع وأنا آكل من غلة بغداد لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنها ومناقبه شهيرة نقل عنه أنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت له يارب ماأفضل مايتقرب به المتقربون اليك فقال بكلامي ياأحمد فقلت بفهم أو بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم ، وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسه فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء في قصعة حتى تبتل ثم يأكلها بالملح .

وكانوا في بعض الاوقات يطبخون له في فخاره عدساً وشحماً وكان إذا مشى في الطريق لايمكن أحداً يمشي معه . وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط أيام المحنة وهي القول بخلق القرآن ضعف بدنه فكان يصلي مائة وخمسين ركعة كل يوم وليلة .

قال الفضيل بن عياض : حبس الامام أحمد ثمانية عشر شهراً وكان فيها يضرب كل قليل بالسياط إلى أن يغمى عليه وينخس بالسيف ثم يرمى على الارض ويداس عليه ، ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم وتولى بعده الواثق فاشتد الأمر على أحمد وقال لاأسكن في بلد أحد فيه فأقام مختفياً لايخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق ، وولي المتوكل فرفع المحنة عن أحمد وأمر باحضاره واكرامه

واعزازه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وان القرآن غير مخلوق، وخمدت المعتزلة وكانوا أشر الطوائف المبتدعة .

قال هلال بن العلا أربعة لهم منة على الاسلام وذكر منهم أحمد بن حنبل حيث ثبت في المحنة فلم يقل بخلق القرآن ولما مات ارتجت الدنيا وهرع أهل بغداد للصلاة عليه بالصحراء فكان يوماً مشهوداً اجتمع فيه للصلاة عليه ماينوف عن تسعمائة ألف نفس مابين رجال ونساء وأسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس نحو عشرين ألفاً .

هذا ماتيسر ايراده من مناقب الائمة الاربعة المجتهدين وإلا فمناقبهم كثيرة من أن تحصى وتسطر وفضائلهم مشهورة من أن تشهر والتواريخ والسير طافحة بذكر مالهم من المناقب الجزيلة والتجدات الجليلة وهؤلاء هم الذين بقيت مذاهبهم ، وأما غيرهم من الائمة كسفيان ابن عيينة والامام الليث ابن سعد وداود الظاهري فقد انقرضت مذاهبهم ، وقد نظم بعضهم الأئمة الستة أصحاب المذاهب المتبوعة في الامصار فقال :

وإن شئت أركان الشريعة فاستمع ... لتعرفهم واحفظ إذا كنت سامعا

محمد والنعمان مالك أحمد ... وسفيان واذكر بعد داود تابعا

وهذا آخر مايسر الله تعالى ايراده في هذا التأليف واقتضى يراع النقل استمداده من مؤلفات أهل الشرع الشريف جعلته في غاية الاختصار تقريباً للمستفيد ليكون نافعاً لمن وفقه الله من العبيد، أرجو الله أن ينفع به الخاص والعام ، وأن يجعله سبباً لجنا تلك المغارس في دار السلام ، وأن يشرح الله صدري وييسر أمري ويجعلني ممن فتحت لهم الابواب حتى يلحقني بأولئك السادة الانجاب . ولقد جاء بحمد الله تعالى شرحا ينشرح به صدر كل لبيب ويتنزه في رياض مخدراته كل أديب ، أينعت رياض محاسنها بالمحسنات البديعية ، وبزغت شموس تدقيقاته في سماء الملة الحنيفية ، وهاهو طافح ولله الحمد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية

وإني أطلب من كمل الاخيار إقالة العثار وأرجو ممن رأى خللاً أن يصلحه بعد التأمل فان النسيان للانسان شيمة لا تتحول ، والعجز عن بلوغ الكمال سجية له لاتتبدل على اني لم أزل عند جمع هذا الكتاب مشغولاً بالامور التي ضاق عنها الفضا متحمل المشاق التي أبرمها علي حكم القضا :

ولم تضع الاعادي قدر شاني ... ولا قالوا فلانٌ قدر شاني

واستغفر الله العظيم مما وقع لي في هذا الشرح من التحريض على سلوك أنهج المسالك والتوقي عن طرق المهالك مع تخلفي في الطريقة المثلى والتقاعس عن سلوك المنهج الاولي والحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده

وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى
يوم الدين وكان تبييض هذا الشرح ليلة الحادي والعشرين
من جمادى الآخرة من عام الثالث عشر بعد
الثلثمائة والألف من هجرة سيد المرسلين
وإمام المتقين صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه أجمعين آمين .



الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه التابعين لهم الى يوم الدين (وبعد) فقد تم بحمد الله طبع منهل الوراد من فيض الامداد بشرح أبيات القطب عبد الله علوي الحداد تأليف العلامة الاديب الحسيب النسيب الحبيب سيدي السيد أحمد ابن أبي بكر بن سميط العلوي الحضرمي حفظه الله ورعاه وبلغه متمناه آمين ، وهو لعمري تأليف جليل وترصيف جميل أودع فيه ماتمس اليه الحاجة من العلوم الادبية والعربية والشرعية وغيرها فلله در مؤلفه الماهر في الفنون جزاه الله خيراً ووقاه سوءاً وضيراً في المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية في ظل الله في الارض ، الواجب طاعته على أهل الطول والعرض ، خادم الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى ومالك البرين والبحرين والممالك التي لاتحصى مولانا السلطان ابن السلطان مولانا السلطان المظفر المعان المحفوظ بالقرآن والسبع المثاني مولانا السلطان الغازي (عبدالحميد خان) الثاني - اللهم انصره نصراً تعز به الدين وتنجز به وعد (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ووفقه لما تحب وترضاه على الدوام ، وأصلح وزراءه وعماله وقضاته الفخام، وكان ختام طبعه وتمام ترصيفه ووضعه في الخامس من ذي الحجة الحرام من العام الخامس عشر والثلاثمائة والالف من هجرته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وكل ناسج على منواله ماغرد القمري وناح الحمام ، والحمد لله على التمام نرجوه حسن الختام

فهرسة منهل الوراد

فهرسة منهل الوراد

تصويبات كتاب منهل الوراد

ص	س	الصحيح
٢	١٠	الجواد
٤	١٢	اجتماعها
٨	٨	من لم تزود بالاخبار
١١	١٠	وتتلقاها
٣٢	١٥	ازراره
٣٩	١٤	ظرف
٤١	١	قلت
٤٥	٢٠	لبس
٤٦	١٤	ونظيره
٤٩	٢٢	أن تتفكر انتهى
٥٢	١٥	والامانات
٥٦	٢٣	مات ان لم يكن
٦٢	١٥	الحفاة
٦٨	١٩	تعملون
٦٩	٦	وما اصابك من سيئة
٧٢	١٠	رسالته
٧٢	٢١	حتم على كل ذي
٧٥	١٨	ومنها ماكرهها
٧٨	١٣	قالوا لا فقال
٨١	١٥	شيء
٨٩	٢١	ولقاهم
٩٦	٤	وماهم منها غير مجذوذ
١٠٢	٤	وعودي لوصلي

ص	س	الصحيح
١١٠	١٦	قد قلت قول الله
١٢١	٤	إلا بالعقل
١٢٣	١٩	في الناس صحة عقله
١٢٦	٢٢	الاشعري سقط ولكن لما غلب اصحاب الشيخ ابي الحسن الاشعري على
١٣٠	٦	إن قد هنا
١٣١	١٠	وعمر ثم عثمان
١٤١	٦	للاجتهاد
١٤١	٩	ستة
١٤١	١٥	ديدنا
١٥٢	١٢	فولغيري
١٥٣	٢	تفصيلها
١٥٦	٢٢	والمناكحات
١٥٨	٧	فانها
١٦٢	٢٤	مشافهة
١٦٥	١٩	لتبين للناس
١٧٦	٦	يذلوا
١٧٥	١	في الحلم
١٧٨	٣	داره
١٩٩	٢١	مافرطنا
٢٠٠	١٥	وقام تميم
٢٠٢	٥	لفظ التهديد

تصويبات كتاب منهل الوراد

ص	س	الصحيح
٢٠٣	١٥	لو انزلنا
٢٠٤	٤	قراءة ابن مسعود على
٢٠٤	١٧	واصطفاه
٢٠٦	٦	وشفاء
٢٠٧	١٠	يجيء به
٢٠٨	١٠	عن كل مافيه
٢٠٩	٥	إنما يتقبل
٢١٠	١٢	بالعقل ٢١ بالعقل
٢٢١	١٦	ازددت
٢٢٥	٩	يستوي عنده
٢٢٥	١٦	فما اجتمعت
٢٢٧	٢١	والعوائق الشاغلة
٢٣٢	١٨	حتى تخلفت
٢٣٩	١١	فمن لا ورد
٢٤٤	١٥	لا انه
٢٥١	٦	دون الاغيار
٢٦٤	١٨	ما آتوا
٢٧١	١٩	وعن عمر
٢٧٤	٢٢	كونهما مقضيين ومقدرين لله وجهة كونهما مكتسبين الخ
٢٧٥	١٢	حج آدم موسى
٢٧٥	١٤	ونسبة

ص	س	الصحيح
٢٨٢	٦	مستغنياً به
٢٨٣	١٥	دون اراقة ماء المحيا
٢٨٥	٥	فغنى النفوس هو الكفاف
٣٠٣	٤	عقله
٣٠٨	٢١	لا اثني
٣٢٢	٣	بلقب
٣٣١	١٧	صلاتين
٣٨٣	١٧	والزجر
٣٩٣	١٤	مايستغان
٤٠٣	١٨	شاعراً
٤٠٦	١٥	او يكون
٤٠٨	٢٠	اذ الزيادات
٤١٨	١٣	كشاجم
٤٣٦	١٤	اتاهم الرحمن
٤٣٩	١٥	الجسوم

بعون الله تعالى لقد استدركت الاخطاء المطبعية ما امكن ولم يبق الا مالا يخفى على اللبيب فهمه مما لا يؤبه له فيجمل بالقارىء الكريم ان لا يقرأ الكتاب الا بعد الاطلاع على الاخطاء وهناك يسلك فيه طريقاً لا عوج فيه ولا امتا .